

مَسْئُولِيَّةُ الْوَالِدِ الْمُسْلِمِ
فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ
مَرِحَلَةُ الطَّمْوَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِسْوَ لِيْتِ الْأَبِّ الْمُسْتَلِمِ

فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ
فِي
مَرَحَلَةِ الْطَّفُولَةِ

إِعْدَادُ

عَدْنَانُ حَسَنٌ صَالِحٌ بَاهَا رِي

حقوق الطبع محفوظة

- الطبعة الأولى : ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
الطبعة الثانية : ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م
الطبعة الثالثة : ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م
الطبعة الرابعة : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
الطبعة الخامسة : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
الطبعة السادسة : ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
الطبعة السابعة : ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
الطبعة الثامنة : ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
الطبعة التاسعة : ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
الطبعة العاشرة : ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

قُدِّمَ هذا البحث كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بتاريخ ١٤٠٩/١١/١١ هـ. وقد أشرف عليه :

سعادة الدكتور بشير حاج التوم

وناقشه كل من : المفكر الإسلامي الكبير

فضيلة الشيخ محمد قطب

الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية وسعادة وكيل معهد البحوث

الدكتور عبد الرحمن بن عبدالله الشميري

الأستاذ بكلية التربية، وقد أجزى البحث بتقدير ممتاز، وبعد إجراء التعديلات أوصت اللجنة بطباعة البحث ونشره للفائدة.

الناشر دار البصيرة للنشر والتوزيع

الإدارة } ٦٨٩١٤١٧
المكتبة } ٦٨٩٤٤٦١
الفاكس } ٢١٥١١ جدة ٤٠٨٤٥ ص. ب
المكتبة } ٨٩٤١١٣٦
الفاكس } ٣١٩٥٢ الخبر ٢٣٢١ ص. ب
المكتبة } ٨٩٤١١٣٦
الفاكس } ٢٠٤٤٢
المكتبة } ٨٢٣٦٣٠٦
الفاكس } ٨٢٣٦٣٠٦

آية وحديث وأثر

قال الله تعالى :

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)

النساء ١١

قال رسول الله ﷺ :

(أَلَا لَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ)

الدارقطني ٤٥/٣

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

**(كَمَا أَنَّ لِوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
كَذَلِكَ لِوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ)**

الأدب المفرد ٤٩

تقاربط

- * رَحبت بالبحث لأنه خطوة في طريق طالما كنت أحلم به .
- * فوجئت بأن هذا البحث كله بثقله هذا، بحجمه هذا بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، ولو كان هو الرسالة الأصلية لكفى، بل لو كان هو بغير إضافة أعمال السنة المنهجية لكفت صاحبها ولأخذ عليها الدرجة بمستوى عالٍ .
- * البحث فوق ما كنت أتوقع، لا من بحث تكميلي بل من بحث أصلي تعطى عليه درجة الماجستير.
- * أقدم تهنتي للطالب على الجهد الذي بذله، جهد صادق، جهد علمي، مصدره ومنطلقه هو الكتاب والسنة، وآراء السلف، بهذا فهو بحث إسلامي أصيل.
- * في البحث مادة نافعة للآباء والمربين في تربية أبنائهم، وهو صالح للنشر لتعم به الفائدة.

الناقش الخارجي / فضيلة الشيخ محمد قطب

- * هذا بحث متميز، قبل ما سمعت مناقشة بحث، أو قل ما ناقشت، أو قل ما أشرفت، أو سمعت عن بحث في أقسام تربوية له مثل هذه الجودة.

* من مميزات البحث الروح الإسلامية العالية، والثقافة الإسلامية الواسعة، والثقافة العامة أيضاً.

* في البحث معلومات قيمة جداً.

* في طباعة البحث ونشره تعميم للفائدة العائدة على الآباء والمربين.

المناقش الداخلي / د. عبد الرحمن الشميري

* لقد جمع الطالب معلومات جيدة تفيد الآباء في تربية أولادهم في مرحلة الطفولة تربية إسلامية صحيحة في ضوء الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، وأقوال السلف الصالح، لهذا أوصي بطباعة البحث ونشره للفائدة.

المشرف / د. بشير التوم

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الآباء الجادين الراغبين في تربية أولادهم تربية إسلامية صحيحة على ضوء الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فإن عودة القيادة البشرية إلى المسلمين لن تكون إلا بتربية جيل قرآني يحب الله ويطيعه، ويحب الرسول ﷺ ويتبعه.

.. إلى هؤلاء الآباء أهدي هذا البحث، راجياً من المولى عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبل جهد المقل المقصر وأن يتجاوز عن الأخطاء والزلات التي لا ينفك عنها البشر.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

الباحث

شكر وتقدير

بمناسبة إتمام هذا البحث، أتقدم بخالص الشكر والتقدير لجامعة أم القرى، ولكلية التربية، ولقسم التربية الإسلامية والمقارنة حيث أعطيت هذه الفرصة لإتمام دراسة الماجستير في تخصص التربية الإسلامية راجياً من العلي القدير أن يوفق جميع المسؤولين في هذه الجامعة إلى ما يحبه ويرضاه.

وأخص بالشكر والتقدير: شيخي الفاضل المشرف على هذا البحث سعادة الأستاذ الدكتور بشير حاج التوم الذي استنرت بتوجيهاته وملاحظاته القيمة، والتي كان لها أكبر الأثر وأبلغه في ظهور البحث بهذه الصورة في الوقت المحدد، حيث كان يقرأ بدقة كل ما أكتب، ويضع توجيهاته وتعليقاته على كل ما يحتاج إلى بيان أو شرح أو تعليق من فقرات البحث وفصوله، ولا يترك شيئاً، وقد كان - جزاه الله خيراً - كثير التشجيع والحث على الاطلاع، بعيداً كل البعد عن أسباب التثييط والعتاب، يقدر ويحترم رأبي ولا يفرض علي مقترحاته فجزاه الله عني خير الجزاء وتمعنا الله ببقائه ونفع بعلمه وجهده.

كما أشكر كل من ساعدني وقدم لي العون من أساتذتي الكرام وزملائي الطلاب، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء على ما قدموا وجعل الله لهم ذلك ذخراً في الآخرة.

والله الموفق

الباحث

ملخص البحث

يقع البحث في مقدمة وخمسة فصول، ويهدف إلى تبصير الأب بطرق وأساليب الممارسة العملية لمفاهيم الكتاب والسنة في جانب التربية الخلقية والفكرية والجسمية للولد الذكر في مرحلة الطفولة، وتوضيح نظرة الإسلام إلى الأب المسلم ومكانته في الأسرة، مع عرض لأهم العقبات التي تواجه الأب في طريق التنشئة الإسلامية وسبل التغلب عليها.

وقد استخدم المنهج الاستنباطي لاستخراج وإبراز المبادئ والمفاهيم التربوية الإسلامية من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن ثم بلورتها وعرضها للأب في صورة سهلة ميسرة؛ ليستخدمها في تربية ولده في مرحلة الطفولة.

كما استخدم أيضاً المنهج الوصفي لعرض الطريقة والنموذج للأب في كيفية تربية ولده تربية خلقية وفكرية وجسمية، مع وصف لواقع العقبات التي تحول دون نجاح الأب في القيام بمسؤوليته في تربية الولد على منهج التربية الإسلامية.

وقد أسفر البحث عن نتائج كان من أهمها: -

إن عدم وجود الأب في الأسرة، أو عدم قيامه بواجباته التربوية كما يريد الإسلام، وعدم تفهمه لطبيعة الولد في مرحلة الطفولة، يعيق نمو الولد الخلقي والفكري والجسمي.

ومن النتائج أيضاً أن القدوة والحب والرحمة والعطف والحكمة والعدل بين الأولاد، كل ذلك، يعد من أعظم دعائم تربية الأولاد في مرحلة الطفولة .

ومن النتائج الخطيرة والهامة أن الإثارة الجنسية، وبعض البرامج التلفزيونية المنحرفة، والغناء الفاحش، والموسيقى، والمخدرات، ومشاكل انفصال الأبوين، والفراغ، والاعتماد على الخدمات غير المسلمات في التربية، كل ذلك يعد من أخطر وأعظم العقبات التي تسبب انحراف الأولاد وضلالهم ووقوعهم تحت طائلة العقاب، وليس ثمة مخرج من هذه العقبات إلا بالتزام منهج الإسلام اعتقاداً وتطبيقاً .

ومن خلال البحث اتضح أن القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والكتب التي دونها السلف، وغيرها من الكتب الأخرى الحديثة تضمنت معلومات علمية قيمة حول تربية الأولاد، وطرق توجيههم . والظاهر أن معظم الآباء لم يهتموا بتحصيلها واعتمادها في تربية أولادهم، لهذا يوصى الآباء بالاطلاع على هذه الكتب والمراجع المتنوعة بتخطيط وجدية، وممارسة هذه المفاهيم في واقع التربية والتعليم . .

.. الباحث . .

المقدمة

أولاً: موضوع البحث

ثانياً: أهداف البحث

ثالثاً: أهمية البحث

رابعاً: حدود البحث

خامساً: منهج البحث

سادساً: الدراسات السابقة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفبه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد .

لقد ابتعدت الأمة عن التربية الإسلامية الصحيحة حيث أثرت فيها الهجمات الإلحادية، والتيارات الفكرية المتنوعة، فشوهت صورتها وحرفتها عن الجادة^(١) . ولم تكن هذه التيارات، وهذا المكر من الأعداء لينفذ إلى جسد الأمة المسلمة لو تحصنت بالقرآن والسنة منهجاً وسلوكاً، وفكراً وتطبيقاً. ولكن لما أصبحت التربية الإسلامية شعاراً يتردد على الألسنة، وفي الكتب دون تطبيق أو ممارسة واقعية، أصبح مكر الأعداء، وتخطيطهم ينفذ في جسد الأمة، بل في مكمن العقيدة الإسلامية، فخرجت أجيال من الأمة لا تمارس الإسلام، بل ولا تفهمه، ولا تعرف التربية الإسلامية الصحيحة^(٢) .

ومن هنا: لا بد أن نقرر أنه يجب على المثقفين من أبناء أمة الإسلام، المخلصين لعقيدتهم ومبادئهم، والمدركين لهول المصيبة التي تعيشها أمتهم، والمطلعين على مخططات الأعداء ومكرهم، والعارفين طريق الصواب،

(١) انظر: جريشة، علي، حاضر العالم الإسلامي، ص ٢٣ - ٤٧ .

(٢) انظر: سعيد، عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص ٤٤ - ٤٥ .

وسبل النجاة، أن يشمروا عن ساعد الجد، ويعملوا بإخلاص وتفانٍ وتضحية، لإرشاد إخوانهم إلى طريق الهداية والسلامة والنجاح، وأن يساعد كل منهم بما يستطيعه، ويقدر عليه، كل حسب تخصصه، وفي مجال عمله، لنشر الوعي الإسلامي في المجتمع كله، ولإرساء قواعد التربية الإسلامية الصحيحة في المجتمع وفي الأسرة؛ ليعرف كل فرد دوره ومكانته، وبشكل خاص ليعرف رب الأسرة دوره الرائد في تخريج الأجيال الصالحة المؤمنة المجاهدة، وليدرك رب الأسرة هذه المفاهيم ويطبقها في الحياة العملية وذلك استجابة لأمر الله عز وجل وطاعة لرسوله ﷺ، ثم لإيجاد النموذج الإسلامي الحبيب إلى النفس متمثلاً في جيل يقود البشرية إلى الخير والفلاح.

وقد تضمن القرآن الكريم، واستفاضت السنة المطهرة، والتراث الإسلامي بالأداب والمعاني والأساليب التربوية الإسلامية التي ينبغي أن يتربى عليها الطفل، ويتشرب حبها منذ نعومة أظفاره، حيث ذخرت المكتبات بالكتب والمقالات والدراسات النظرية التي تبرز بوضوح هذا الجانب الهام في مجال التربية الإسلامية.

أما الجانب العملي المتعلق بالممارسة العملية التطبيقية، التي تفتح للأب المجال للممارسة الفعلية، واستنباط الجانب والأسلوب التطبيقي من النص النظري، هذا الجانب المشار إليه قد افتقدته أكثر الكتابات في مجال التربية الإسلامية، حيث اكتفى أكثرها بالجانب النظري.

ومن خلال هذا البحث نحاول أن نبرز هذا الجانب العملي التطبيقي المفتقد من خلال الإطار النظري لوضع المقترحات والنماذج والأساليب التربوية التطبيقية للأب المسلم ليمارسها عملياً في تربية أولاده في مرحلة الطفولة، بهدف تربيتهم تربيةً إسلاميةً صحيحةً.

وفي هذا الجانب التطبيقي العملي كمنت صعوبة البحث، حيث تطلب عرض هذه النماذج التربوية التطبيقية - في أكثر الأمثلة المقترحة - الاعتماد على النفس؛ لشح الدراسات والكتابات في هذا الجانب.

وقد حصلت الاستفادة في الجانب التطبيقي العملي من بعض الكتابات

العربية الموجزة، وبعض الكتابات الغربية المترجمة، حيث استخلصت منها بعض المقترحات والأساليب التربوية التي يمكن أن تشري هذا الجانب التربوي بما لا يتعارض مع المفاهيم الإسلامية العامة.

فمن هذا المنطلق كان هذا البحث مساهمة عملية واقعية لوضع النموذج المتكامل لدور الأب المسلم في كيفية تربية الأبناء الذكور في مرحلة الطفولة تربية إسلامية من الناحية الخلقية والفكرية والجسمية، ورجاء أن يكون هذا البحث خطوة تتبعها خطوات في طريق التطبيق العملي والواقعي لمفاهيم التربية الإسلامية، ووضع النماذج التربوية المتكاملة للمربين في جميع القطاعات والمؤسسات التربوية المختلفة بهدف تكوين المسلم الصالح، كما أن إعداد المسلم الصالح الذي يتمثل الإسلام في سلوكه وعقيدته وعبادته وتعامله لا يتحقق إلا من خلال إعداد المثال الصالح للولد المسلم في مرحلة الطفولة من حيث حبه لله عز وجل، وحبه للرسول ﷺ، وتعويدته على الآداب والفضائل الإسلامية، وتأهيله لأداء الفرائض والواجبات، فهذا الإعداد هو النواة السليمة والمنطلق الصحيح لتكوين الرجل المسلم الملتزم منهج الله عز وجل في جميع شؤون حياته.

أولاً: موضوع البحث:

من خلال الاطلاع على بعض الكتابات والبحوث في مجال الأسرة، فقد اتضح وجود تقصير كبير في مجال تربية الأولاد في الأسر المسلمة، وتفريط في توجيههم ورعايتهم، مما أدى إلى خروج أجيال لا تطبق الإسلام، بل ولا تفهمه^(١). وقد أصبح من المهم بل من الضروري الإسهام بكتابات تفصيلية في مجال تربية الأولاد بما يحقق تعريف الأسرة بواجباتها، ووضع الطرق السليمة، والتوجيهات التربوية الصحيحة للمربين في الأسرة.

وقد لاحظت وجود كتابات وبحوث كثيرة في مجال الأسرة عموماً، وفي

(١) انظر: الحلال، عائشة عبد الرحمن، المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها، ص ٤٨٨.

مجال دور الأم خصوصاً دون الاهتمام بدور الأب رغم أهمية دوره وحيويته . كما أن بعض هذه الكتابات والدراسات اهتمت بذكر النصوص والروايات ولم تهتم بوضع أساليب الممارسات العملية لدور المربين في الأسرة كما ظهر ذلك من خلال استعراض الدراسات السابقة في هذه المقدمة وإن كان بعضها^(١) يشير أحياناً إلى جانب الممارسة العملية لدور المربين إلا أنها لا تعدو أن تكون إشارات لا ترقى إلى أن تكون نموذجاً متكاملًا للممارسة العملية. ونحن اليوم في حاجة ماسة إلى جانب الممارسات العملية المنبثقة من الجانب النظري؛ لتكون نموذجاً يحتذى به في مجال تربية الأولاد في الأسرة المسلمة.

ومن هنا يمكن بلورة موضوع البحث في أنه: مساهمة عملية لوضع النموذج المتضمن للطريقة والممارسة العملية التي يسلكها الأب المسلم في تربية أبنائه الذكور في مرحلة الطفولة تربية إسلامية صحيحة، من الناحية الخلقية والفكرية والجسمية، في ضوء الكتاب الكريم والسنة المطهرة، مع توضيح لنظرة الإسلام إلى الأب وواجباته الأسرية التي تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر على أبنائه الذكور في مرحلة الطفولة، إلى جانب وضع يد الأب علي بعض العقبات الهامة التي تعيق مسيرة التربية الإسلامية في العصر الحديث، وكيفية التغلب عليها.

ثانياً: أهداف البحث:

من خلال فصول هذا البحث أحاول أن أصل إلى الأهداف التالية :-

- ١ - توضيح لنظرة الإسلام إلى دور الأب في الأسرة.
- ٢ - إظهار دور الأب التربوي تجاه أبنائه الذكور في مرحلة الطفولة في ضوء الكتاب والسنة، متمثلاً في وضع نموذج الممارسات العملية التي يقتدي بها.

(١) انظر: محمد، عبد الرحمن الهاشمي، عناية الإسلام بالطفولة.

- ٣ - وضع نموذج الممارسة العملية لدور الأب في تربية أبنائه الذكور في مرحلة الطفولة تربية خلقية صحيحة مستمدة من الكتاب والسنة.
- ٤ - وضع نموذج الممارسة العملية لدور الأب في تربية أبنائه الذكور في مرحلة الطفولة تربية فكرية صحيحة في ضوء الكتاب والسنة.
- ٥ - وضع نموذج الممارسة العملية لدور الأب في تربية أبنائه الذكور في مرحلة الطفولة تربية جسمية صحيحة في ضوء الكتاب والسنة.
- ٦ - تعريف الأب ببعض العقبات التي تعيق قيامه بدوره التربوي تجاه أبنائه الذكور في مرحلة الطفولة، والسبل المناسبة لحلها وإزالتها.

ثالثاً: أهمية البحث :

تظهر أهمية هذا البحث من كونه مساهمة عملية في وضع نموذج الممارسة العملية للآباء تعينهم على تربية أبنائهم الذكور في مرحلة الطفولة تربية إسلامية صحيحة من الناحية الخلقية والفكرية والجسمية في ضوء الكتاب الكريم والسنة المطهرة. حيث أن مرحلة الطفولة تعد أهم مرحلة في حياة الإنسان، فإن صحت فيها التربية والتوجيه كان الناتج في غالب الأحيان إيجابياً، وإن فسدت فيها التربية والتوجيه كان الناتج في غالب الأحيان سلبياً. فالمستفيدون إن شاء الله من هذا البحث هم الآباء المربون، ومن ثم يستفيد المجتمع كله إن شاء الله تعالى.

رابعاً: حدود البحث :

إن البحوث في موضوعات التربية الإسلامية بحوث طويلة إذا أخذت بصفة عامة، حيث يقل فيها التفصيل والتوضيح، ويكثر فيها التعميم والإيجاز لأدوار ومهام المربين المختلفة. فكان اختيار موضوعات جزئية وإشباعها بحثاً، مع التعمق فيها: يعد أكثر فائدة وأعظم نفعاً.

لذا كان تحديد هذا البحث بدور الأب فقط دون غيره، وبفترة الطفولة، وبالذكور دون الإناث. ولا يفهم من هذا التحديد التقليل من شأن الأم، أو

المدرس، أو غيرهما من المربين، بل لكل دوره وأهميته التربوية للطفل. كما أن الاهتمام بتربية الإناث لا يقل أهمية عن الاهتمام بتربية الذكور. كما أن الاهتمام بالتربية الإسلامية في فترة الطفولة لا يغني عن باقي حياة الإنسان. بل إن المقصود بكل هذه التحديدات هو حصر موضوع البحث في جانب معين ليتم بحثه من جميع زواياه وجوانبه بشيء من التفصيل والإسهاب.

ويمكن صياغة حدود البحث بدور الأب المسلم في تربية الولد الذكر في مرحلة الطفولة التي تبدأ منذ الميلاد وحتى البلوغ،^(١) (*) وذلك من الناحية الخلقية والفكرية والجسمية، مع توضيح لنظرة الإسلام إلى الأب ومكانته في الأسرة، وبيان لبعض العقبات الهامة التي تحول دون تمكنه من تربية ابنه تربية إسلامية صحيحة، وكيفية التغلب عليها.

خامساً: منهج البحث:

إن البحث في مجال التربية الإسلامية له طابعه الخاص المتميز عن غيره من المناهج. فقد كان للمفكرين المسلمين مناهجهم العلمية وطرقهم الخاصة المبنية على الدقة والواقعية، حيث نلاحظ هذا واضحاً في التراث الإسلامي الموروث عبر السنين.

ولما كانت طبيعة البحث تحدد للباحث نوع المنهج الذي يستخدمه، فإن المنهج الاستنباطي هو المنهج المناسب لهذا البحث، حيث إن هذا المنهج يعمل على استخراج مبادئ ومفاهيم التربية الإسلامية من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن ثم بلورتها وعرضها.

(١) انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٦٠.
(*) وعند بعض التربويين تبدأ الطفولة من سن السنتين وحتى البلوغ دون مرحلة المهد. انظر: منصور، محمد جميل وفاروق عبد السلام، النمو من الطفولة إلى المراهقة، ص ٣٠٧.
أما المراهقة فإن بعضهم يرى أنها تبدأ بعد البلوغ. انظر: السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو، ص ٢٥٤ - ٢٥٧. أما القول بأن المراهقة قبل البلوغ فيستنبط من قول الإمام البغوي رحمه الله. انظر: شرح السنة، كتاب الحدود، باب حد الزنا، ج ١٠، ص ٢٨١.

وقد أستخدم هذا المنهج لاستنباط واستخراج المبادئ والأساليب التربوية المناسبة من القرآن والسنة، والتي ينبغي على الأب استخدامها في تربية أطفاله الذكور تربية إسلامية صحيحة من الناحية الخلقية والفكرية والجسمية.

كما أستخدم المنهج الوصفي الذي يصف ما هو كائن ويفسره، ويعمل على تحديد العلاقات بين الوقائع والممارسات الشائعة والاتجاهات المختلفة عند الجماعات، إلى جانب المقارنة مع الوصف^(١)، وذلك لوصف وعرض الطريقة والنموذج للأب في كيفية تربية ابنه تربية خلقية وفكرية وجسمية. كما أستخدم هذا المنهج في وصف العقبات التي تعيق الأب عن القيام بمسؤولياته في تربية ابنه تربية إسلامية صحيحة.

سادساً: الدراسات السابقة:

ومن خلال اطلاعي على ما أمكنني الوقوف عليه، وتيسر لي من البحوث والدراسات في مجال تربية الأبناء اتضح لي أنها لم تهتم بوضع نماذج الممارسة العملية لدور الأب في تربية الأبناء، والتي هي صلب هذه الدراسة الحالية. ولكن هناك بعض الجوانب التي يمكن أن قلتقي فيها هذه الدراسة مع بعض الدراسات الأخرى، وفيما يلي نذكرها:

(١) بحث الطالبة/ خيرية حسين طه صابر المقدم كمطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في تخصص التربية الإسلامية بقسم التربية كلية التربية جامعة أم القرى عام ١٤٠٢ هـ/١٤٠٣ هـ، وهو بعنوان «دور الأم في تربية الطفل المسلم»، حيث ركزت الباحثة على دور الأم، ونظرة الإسلام إلى الطفل وحقوقه، وتعرضت بإيجاز شديد في حدود خمس صفحات عن التربية الجسمية والروحية والعقلية، كما تحدثت أيضاً عن خصائص نمو الطفل، وأثر علاقة الأبوين على الطفل، مع ذكرها للوسائل الترويحية

(١) جابر، جابر عبد الحميد وأحمد خيرى كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ص ١٢٦.

التي أباحها الإسلام، مع وضعها تصوراً لإعداد الأم المسلمة من خلال مناهج التعليم المتوسط والثانوية في المملكة.

ويختلف بحثها عن البحث الذي نقدم له في أنها لم تتوسع في التربية العقلية والجسمية، كما أنها لم تذكر جانب التربية الخلقية، وكان تركيزها على الأم دون الأب، وشمل بحثها الذكر والأنثى كما أنها لم تضع نموذج الممارسة العملية لدور الأب إلا عندما تحدثت في الفصل الأخير عن طريقة الأم في تربية الطفل، وحصرت ذلك في توضيح استعمال اللغة والقصة والقدوة، باعتبارها وسائل لتربية الطفل خلقياً وفكرياً واجتماعياً، وكان نموذجها هذا خاصاً بالأم دون الأب.

وقد استفدت من بحثها فيما جمعته وعرضته في جانب خصائص نمو الطفل وحقوقه في الإسلام، والوسائل التربوية المباحة التي شرعها الإسلام، كما استفدت من نتائج بحثها فيما توصلت إليه من أهمية تنمية مواهب الطفل عندما يلاحظ الأبوان نبوغه وميله إلى جانب من المعرفة أو الممارسة، كما استفدت من طريقة عرضها للنموذج الذي رسمته للأم في تربية الطفل عند وضعي لنموذج الممارسة العملية التي يقتدي بها الأب.

(٢) بحث الطالبة / فائقة سنبل المقدم كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في تخصص التربية الإسلامية بقسم التربية كلية التربية جامعة أم القرى عام ١٤٠٠ هـ / ١٤٠١ هـ، وهو بعنوان «دور الأسرة والمدرسة في عملية التوجيه التربوي للطفل»، حيث اهتمت الباحثة بذكر دور الأسرة عامة دون تخصيص، بالإضافة إلى ذكرها دور المدرسة أيضاً، كما أنها أشارت إلى خصائص الطفولة وأهمية التوجيه التربوي في حياة الطفل، ثم تعرضت لموقف الأسرة من توجيه الأبناء عبر التاريخ. وقد كانت توصياتها خاصة بالمجتمع السعودي.

ويختلف هذا البحث عن البحث الذي نقدم له في أن الباحثة لم تتعرض لجوانب التربية الخلقية أو الفكرية أو الجسمية، كما أنها لم تهتم بذكر دور الأب ولم تضع له نموذجاً تربوياً للممارسة العملية يقتدي به في

تربية أبنائه، كما أنها اهتمت بالأسرة ككل، وبالأبناء الذكور منهم والإناث، وتوصياتها محصورة في المجتمع السعودي.

(٣) بحث الطالبة/ عائشة عبد الرحمن سعيد الجلال المقدم كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في تخصص التربية الإسلامية بقسم التربية كلية التربية جامعة أم القرى ١٤٠٤ هـ/ ١٤٠٥ هـ، وهو بعنوان «المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها»، حيث جمعت الباحثة جوانب تربوية كثيرة ومتعددة، والذي يهمنها منها هو الفصل الثاني الذي تحدثت فيه عن خصائص مرحلة الطفولة، والفصل الثالث الذي تحدثت فيه عن التوجيهات في الجانب الروحي والجسمي والعقلي، فجمعت فيه كثيراً من الآيات والأحاديث وأقوال بعض العلماء، ولكنها لم تضع نموذج الممارسة العملية لدور الأب في تربية الأبناء، بل كان دورها الجمع والتوجيه العام لجميع المربين، كما أنها لم تتحدث عن جانب التربية الخلقية.

وقد استفدت من هذا البحث فيما جمعته الباحثة من النصوص الكثيرة، والمادة العلمية، وفيما ذكرته من خصائص مرحلة الطفولة، كما أن نتائج بحثها فيما يخص الأسرة كانت نتيجة واحدة حيث أشارت فيها إلى أن الأطفال لا يلقون في كثير من الأسر المسلمة التربية الصحيحة والرعاية، وهذه النتيجة التي قررتها الباحثة تدعم إحساسي بالمشكلة، إذ أن كثيراً من الأسر المسلمة بالفعل تقصر في تربية الأبناء وتوجيههم. وقد عالجت هذه المشكلة من زاوية الأب ودوره في تربية الولد.

(٤) بحث الطالب/ عبد الرحمن الهاشمي محمد المقدم لنيل درجة الماجستير بقسم الدراسات العليا الشرعية فرع الكتاب والسنة كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى عام ١٤٠٢ هـ، وهو بعنوان «عناية الإسلام بالطفولة»، حيث أشار الباحث إلى التربية الدينية، وأشار إشارات وجيزة حول الأسلوب الذي ينتهجه المربون لتعليم الأبناء الصلاة، والصيام، وحفظ بعض سور القرآن، وتعليم بعض معاني الإيمان. وفي جانب

التربية الخلقية أشار الباحث إلى أهمية تعويد الطفل الالتزام بالأخلاق في مرحلة مبكرة، مع التحذير من الكذب والسرققة وبعض المظاهر الخلقية السيئة، وجمع الباحث في هذا الموضوع كثيراً من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء، ولكنه لم يضع النموذج التربوي للأب في مجال التربية الخلقية للولد.

أما في مجال التربية الجسمية أشار إلى أهمية الرضاعة، والنفقة على العيال وأهمية اللعب للأطفال، ثم أشار أيضاً إلى أهمية الرياضة البدنية، وذكر بعض النصوص من القرآن والسنة في هذا المجال، ثم ختم كلامه بذكر بعض المظاهر الخطيرة على الأطفال، مثل: التدخين والخمر والجنس، ولكنه في كل هذا لا يذكر دور الأب، ولم يوضح له كيفية تربية ابنه تربية جسمية صحيحة موافقة للكتاب والسنة.

وفي مجال التربية العقلية ذكر أهميتها، وجمع الآيات والأحاديث التي تخص هذا الموضوع، وأشار إلى أهمية دور المربين عموماً في تنمية هذا الجانب عن طريق القدوة الواعية، والمطالعة الواعية، والتلقين الواعي، ولكنه لم يذكر ويبرز دور الأب في التربية العقلية، وكيف يأخذ بيد ابنه ويربيه تربية عقلية صحيحة موافقة للكتاب والسنة.

وفي مجال التربية النفسية أشار إلى كيفية نمو العواطف، وكيف تسود وتسمو وكيف تثار وذلك بإيجاز، ثم أشار إلى بعض المظاهر غير الصحيحة، مثل: الخجل عند الأطفال، والخوف، والشعور بالنقص، حيث دعم كلامه بالآيات والأحاديث مع بعض التوجيهات، دون إبراز لدور الأب بشكل واضح في كيفية تربية ابنه تربية نفسية صحيحة.

ثم ذكر الباحث جانب التربية الاجتماعية فتحدث عن التقوى، والرحمة، وحقوق الجار، والرفيق، وحقوق الكبار، وآداب المجالسة، والتهنئة، والاستئذان.

وفي العموم فإن الباحث كان يجمع الآيات والأحاديث ويرتبها ويشير ببعض التوجيهات، ولكنه لم يضع للأب النموذج التربوي المتكامل

لدوره في تربية الأبناء الذكور تربية إسلامية صحيحة في الجانب الخلقي والفكري والجسمي . وقد استفدت من النتائج التي توصل إليها الباحث خاصة فيما يخص الطفولة، كشمول الإسلام لجميع جوانب الإنسان الروحية والعقلية والنفسية والجسمية، وأن الإسلام هو أول من رفع مستوى الأطفال والعناية بهم، وأن العبادة والتدين فطرة في الإنسان، وأن الأخلاق في الإسلام تستند في أصولها إلى الدين ولا تتطور، ولا يمكن الاستغناء عنها، وأن الإسلام هو الذي هذب مشكلة الجنس ووضع لها الحلول المناسبة، وأن مفهوم الأسرة في الإسلام مبني على الرحمة والمودة وأنها تشمل جميع الأقارب ولا يقتصر مفهومها على الأب والأم .

الفصل الأول

نظرة الإسلام إلى الأب الملم

مقدمة :

- المبحث الأول : مسؤولية الأب في تكوين الأسرة
- المبحث الثاني : مراعاة الأب لحقوق المولود الجديد
- المبحث الثالث : مقومات شخصية الأب
- المبحث الرابع : مسؤولية الأب في التعليم والتأديب

الفصل الأول

نظرة الإسلام إلى الأب المسلم

مقدمة:

للأب في الشريعة الإسلامية مكانة عظيمة وجليلة، فهو القائم على الأسرة بما فيها من أفراد كالأم، والأطفال، والخدم، وهو مسؤول عنهم، وعن استقامتهم على منهج الله عز وجل، لقوله عليه الصلاة والسلام: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته... والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم»^(١)، أي: أنه سوف يسأل عما استرعاه من شؤونهم.

وبناء على هذه المسؤولية يتكفل الأب بتبعات تكوين المحضن الإسلامي الصالح لنمو الذرية نمواً سوياً صالحاً، فيتولى اختيار الزوجة المناسبة، فيقدم لها الصداق، وينفق عليها، وبعد خروج ثمرة النكاح إلى الحياة يتولى مهام جديدة في مجال التربية، تبدأ بالأذان في أذن المولود، وتحنيكه، والعق عنه، واختيار الاسم الحسن، وغيرها من أمور الرعاية والتربية.

ومن هذا المنطلق الهام ومن خلال المباحث القادمة في هذا الفصل يتبين للأب مدى اهتمام الشريعة به، والمقومات الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها، وواجباته الأسرية ومهامه في رعاية المولود.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم (٢٠)، ج ٣، ص ١٤٥٩.

المبحث الأول

مسؤولية الأب في تكوين الأسرة

أولاً: إختيار الزوجة

- ١- الدين
- ٢- النسب
- ٣- السن
- ٤- الجمال
- ٥- التفرغ

ثانياً: وليمة العرس

ثالثاً: أدب الدخول على الزوجة

رابعاً: الترغيب في طلب الولد

خامساً: قوامة الرجل

سادساً: النفقة

المبحث الأول مسؤولية الأب في تكوين الأسرة

أولاً : اختيار الزوجة :

إن للولد على والده حقوقاً، كما أن للوالد على ولده إذا كبر حقوقاً. يقول ابن عمر رضي الله تعالى عنه: «كما أن لوالدك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حق»^(١)، ومن أعظم هذه الحقوق وأهمها: حسن اختيار الأم تلك الحاملة الحاضنة المريية، وذلك لأن للوراثة دوراً هاماً جداً في ما يصير إليه المولود في المستقبل، «فإن بعض الدراسات أثبتت أن النباهة والامتياز تستند إلى خصائص وراثية»^(٢)، كما أن علماء «الجينات» يرون أن للوراثة قوة عجيبة تفرض نفسها على المولود، وهذا الاعتقاد ساق بعضهم إلى القول بأن الحصول على أفراد ممتازين لا يعود إلى التعليم؛ بل يعود إلى العمل على تحسين النسل^(٣)، فالطفل يرث من والديه بعض المميزات والسمات الجسمية، وبعض الاتجاهات العقلية^(٤). ويكاد يجمع علماء الأخلاق على «أن الوراثة مع البيئة هما العاملان الأساسيان في تكوين الأخلاق»^(٥). لهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر بحسن اختيار الزوجة، ووضعت لآباء من الرجال أوصاف الزوجة الصالحة، وفيما يلي نستعرض هذه الأوصاف:

١ - الدين :

يصف الله عز وجل الزوجات الصالحات بقوله : ﴿ فَأَلْصَقْنَ لِحْتَهُنَّ ﴾

- (١) البخاري، الأدب المفرد، باب بر الأب لولده، حديث رقم (٩٤)، ص ٤٩.
- (٢) المليجي، عبد المنعم وحلمي المليجي، النمو النفسي، ص ١٠٦.
- (٣) كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول، ص ٢٨٦.
- (٤) ثيرستون، ثلما جوين وكاترين مان بيرن، القدرات العقلية عند الأطفال، ص ٨٦.
- (٥) نصار، محمد عبد السلام، «الوراثة والبيئة وأثرهما في تكوين الخلق»، مجلة التربية، العدد (١٩)، ص ٦٦.

قَتِينَتْ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴿١﴾ . والقائتات هن المطيعات للأزواج، والحافظات للغيب، أي: أنهن يحفظن الأزواج في غيابهم، وفي أموالهم، وفي أنفسهن، ويمدح الرسول ﷺ ذات الدين فيقول: «ألا أخبركم بخير ما يكتنزه المرء: المرأة الصالحة»^(٢).

ويضع الإمام الغزالي رحمه الله بعض الجوانب الخلقية التي يراعيها الرجل عند اختيار الزوجة، فيقول: «ويسأل عن دينها ومواظبتها على صلاتها، ومراعاتها لصيامها، وعن حياتها ونظافتها، وحسن ألفاظها وقبحها، ولزومها قعر بيتها، وبرها بوالديها. . . ويبحث عن خصال والدها ودينه، وحال والدتها ودينها وأعمالها»^(٣).

ولهذا كان الزواج من الكتابيات غير مفضل - وإن كان مباحاً - لأن جانب الدين غير متوافر فيهن، والرسول ﷺ عندما وضع وبين مرغبات الرجال في اختيار النساء ذكر الجمال، والحسب، والمال، والدين، ثم قال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٤). واليهوديات، والنصرانيات لسن من ذوات الدين. ويحذر ابن الجوزي رحمه الله من مغبة تقديم الجمال على الدين، فيقول: «وينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحسن، فإنه إذا قل الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة»^(٥). وفي الحقيقة فإن كل جمال يزول ويذهب، إلا جمال الدين والخلق، فإنه باقٍ في طبع المرأة الصالحة الملتزمة بدينها، العاملة بأداب الشرع.

٢ - النسب:

للنسب والسلالة الطيبة أهمية في الإسلام فإن «ورثة المولود لا يحددها

(١) النساء ٣٤.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر، ج ٢، ص ٣٣٣. والحديث صحيح الإسناد.

(٣) الغزالي، الأدب في الدين، ص ٤٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ج ٧، ص ٩.

(٥) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٣٦١.

أبواه المباشران فقط؛ بل هو يرث من جدوده وآباء جدوده وجدود جدوده، وهكذا^(١)، فيأخذ من كل طبقة من هذه الأجيال قدراً من الصفات والسمات، فهو مرتبط بأسلافه من جهة الأب ومن جهة الأم، لهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»^(٢)، ويُرغب في أفضل الأكفاء وهن القرشيات ذوات النسب، ويصفهن بأوصاف فريدة فيقول: «خير نساء ركين الإبل صالحون نساء قريش أحناء على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يديه»^(٣). وأحناء: أي أنهن أكثر شفقة على الأولاد، والحنانية على ولدها هي التي تقوم عليهم إذا مات الأب فلا تتزوج^(٤). وهذا النسب العريق من نساء قريش الصالحات من ناله فقد حصل له مطلوبه، وجمع الله له في أهله خيراً كثيراً.

كما يراعي الأب عند اختياره الزوجة أن تكون من غير القرشيات وذلك طلباً لجودة النسل، وتكوين صلات جديدة بين الأسر داخل المجتمع. وقد يسبب الزواج من القرشيات ضعفاً عقلياً للمولود^(٥).

٣ - السن :

لسن الزوجة دور في تحسين النسل وسلامته من العاهات الخلقية والعقلية، «فإن الأطفال الذين يولدون من زوجين في ريعان الشباب يعيشون أطول من الذين يولدون من زوجين يقتربان من مرحلة الشيخوخة»^(٦)، لهذا نصح رسول الله ﷺ ورغب في نكاح الأبقار؛ لكونهن في العادة صغيرات

(١) عاقل، فاخر، علم النفس التربوي، ص ٣٦ - ٣٧.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب النکاح، ج ٢، ص ١٦٣. والحديث صحيح الإسناد وخالف ذلك الذهبي.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح وأي النساء خير وما يستحب أن يتخير لنطفه من غير إيجاب، ج ٧، ص ٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٩، ص ١٥١.

(٥) بدوي، عبد الحميد صادق، «الطفولة بين الاندفاع إلى الرشد وتأثير الثقافة المحلية»، مجلة التربية، العدد (١٠)، ص ٧٣.

(٦) السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، ص ٦٥ - ٦٦.

السن، وفيهن من المميزات ما لا يوجد في الكبيرات والثبيات، فقال للذي تزوج الثيب: «فهلا بكرّاً تضاحك وتضاحكها، وتلاعبها وتلاعبك»^(١). وهذا اللعب والممازحة والمضاحكة، في العادة يكون عند صغيرات السن لميلهن إليه، ويقل عند الثبيات والكبيرات لكمال عقولهن.

وقد دلت بعض البحوث والدراسات في هذا الجانب: «أن نسبة الأطفال المشوهين، والمعتوهين تزداد تبعاً لزيادة عمر الأم وخاصة بعد سن الـ ٤٥ سنة»^(٢)، لهذا يحرص الأب على اختيار الصغيرات من الأبنكار المحبيات إلى النفس.

٤ - الجمال :

تميل النفس البشرية بفطرتها الطبيعية إلى الصور الحسنة، والصوت الجميل، وجمال المنظر،^(٣) كما أنها تنفر من ضد هذا، ولما كانت النفس على هذه الطبيعة أمر رسول الله ﷺ بالنظر إلى المخطوبة، فقال لأحد أصحابه عندما أراد الزواج: «فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً»^(٤)، فيستحب للرجل أن ينظر إلى مخطوبته ليرى منها ما يدعوه، ويرغبه في نكاحها، فإن عجز عن ذلك لتعصب بعض أولياء الأمور، حاول أن يراها سراً، فقد كان بعض السلف يتخبأ للمرأة التي يريد نكاحها ليرى منها ما يدعوه لنكاحها^(٥)، فإن لم يتمكن من ذلك أيضاً فعن طريق الصور الفوتوغرافية يحصل عليها عن طريق بعض قريباتها سراً، فإن لم يتمكن من كل هذا وقد اكتملت لديه شروط صلاح الزوجة واستقامة أهلها اكتفى بوصف

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر، حديث رقم (٥٨)، ج ٢، ص ١٠٩٠.

(٢) السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، ص ٦٦.

(٣) ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص ٢٣٢.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها، حديث رقم (٧٤)، ج ٢، ص ١٠٤٠.

(٥) انظر: ابن أبي شيبه، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب النكاح، من أراد أن يتزوج المرأة، من قال: لا بأس أن ينظر إليها، ج ٤، ص ٣٥٥-٣٥٦.

أهله لها على الدقة، وإلا صرف نظره عنها إلى غيرها من النساء في الأسر الصالحة التي تقدم السنة على الأهواء.

ولا يهمل الزوج هذا الجانب الذي فطر عليه البشر بالكلية، بل عليه التوسط في طلبه وعدم التطرف، فإن رضاه بزوجته، وسروره عند النظر إليها، ودوام رغبته فيها وميله إليها، يريح نفسه من التطلع إلى غيرها، فيكون ذلك عوناً له على غض البصر، وتحصين الفرج، والرضى بما قسم الله وقدره(*) .

٥ - التفرغ :

ويقصد بالتفرغ أن يكون عمل المرأة الرئيسي تدبير البيت، ورعاية الأولاد، فلا يشغلها عن ذلك شاغل أياً كان، فإن «الطفل - في سنواته الأولى على الأقل - يحتاج إلى أم متخصصة لا يشغلها شيء عن رعاية الطفولة وتنشئة الأجيال . . . وإن كل أمر تقوم به خلافاً لتدبير أمر البيت ورعاية أطفاله إنما يتم على حساب هؤلاء الأطفال، وعلى حساب الجيل القادم من البشرية»^(١) .

والمرأة تكون عاصية لله ورسوله إن هي أهملت شأن بيتها بانشغالها خارجه، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «المرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٢) .

والخطر يكمن فيما إذا توسع الحال في عمل المرأة، وانشغالها عن الأولاد خارج البيت، وأصبح هو القاعدة في المجتمع، فإنه يخشى بعد فترة من الزمن انتشار ظاهرة «أطفال المفاتيح» التي يوجد لها الواقع الشاذ، فتصاب البلاد الإسلامية ومجتمعاتها بهذا الداء الذي فرض على أربعة ملايين طفل في الولايات المتحدة الأمريكية أن يعودوا إلى منازلهم من المدارس في آخر النهار حاملين مفاتيح البيت الخاوي من الوالدين العاملين. وهذا الإهمال

(*) لابن الجوزي رحمه الله كلام نفيس في أهمية جمال المرأة، ورضى الزوج بها، وكيفية النظر إلى المخطوبة وذلك في كتابه «صيد الخاطر» ص ٦٨ - ٧٢ .

(١) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٠٨ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، ج ٧، ص ٤١ .

ربما سبب للأطفال إحباطاً شديداً، وانحرافاً في سلوكهم^(١)، ولهذا «أدركت منظمة الصحة العالمية الخطورة التي عليها أطفال العصر الحاضر في الدول التي تعمل فيها المرأة فأوصت بتفريغ الأمهات ثلاث سنوات لكل طفل جديد»^(٢)، وإن كانت الثلاث سنوات غير كافية للطفل، فإن اهتمام المنظمة به دليل ومؤشر على خطورة الموضوع وجدديته، وأثره الخطير على الجيل الجديد.

ويضاف إلى ما تقدم من الجوانب الهامة في اختيار الزوجة المناسبة أن يتأكد الخاطب من موافقة المخطوبة، ورضاها بهذا الزواج، وأنها غير مكروهة عليه، وذلك لتدوم المودة بينهما، ويتحقق السكن النفسي لهما الذي امتن الله به على الناس، وجعله آية من آياته الباهرات، إذ قال عز وجل: ﴿وَمَنْ آءَاتَيْتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٣).

ويشرع للرجل إذا هم بخطبة المرأة أن يستخير الله الاستخارة الشرعية الواردة في السنة^(*)، وأن يلهج بالدعاء والتضرع لله عز وجل بأن يوفقه لزوجة سالحة طيبة، ولا ينبغي له أن يهمل ذلك فإن الدعاء والاستخارة من أعظم أسباب التوفيق والسداد في جميع أمور المسلم.

ثانياً: وليمة العرس:

ويستحب للزوج أن يقيم وليمة بمناسبة زواجه، يدعو إليها بعض أقربائه وأصدقائه، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «أولم ولو بشاة»^(٤).

(١) المسلاتي، مختار خليل، أمريكا كما رأيتها، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٢) قاضي، على، «الإسلام وتربية الطفل»، مجلة التربية، العدد (٣٨)، ص ٦٧.

(٣) الروم ٢١.

(*) انظر: دعاء الاستخارة: النسائي، سنن النسائي، كتاب النكاح، كيف الاستخارة، ج ٦، ص ٨٠ - ٨١.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوليمة حق، ج ٧، ص ٣٠.

وقد أوجبها بعض العلماء على الزوج، والأكثر على أنها غير واجبة (١)، لهذا لا ينبغي للزوج أن يزهد في أداء هذه السنة المباركة اقتداء بالرسول ﷺ وخروجاً من الخلاف الفقهي في وجوبها، ويستحب له اختيار شهر شوال لعقد النكاح والوليمة والدخول بالزوجة، وذلك لاستحباب السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ذلك (٢). على أن يراعي في وليمته، وتجهيز بيته تجنب الإسراف والبدخ.

ثالثاً: أدب الدخول على الزوجة:

ويستحب له إذا دخل على زوجته ليلة الزفاف أن يدعو الله ويسأله من خيرها وخير ما جبلت عليه، ويضع يده على رأسها، ويصلي معها ركعتين (٣). وعليه أن يلاطفها، ويمازحها ويداعبها حتى تنهض شهوتها (٤). فإذا أراد إتيانها قال: «بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» (٥)، فإذا انقضت حاجته، وفرغ فإنه لا ينزع حتى تفرغ هي أيضاً وتنقضي حاجتها، ومراعاة ذلك من أعظم أسباب الألفة بين الزوجين.

ويراعي حال الجماع عدم استقبال القبلة، وعدم التجرد الكامل دون غطاء، وعدم النوم دون غسل أو وضوء (٦). ولا داعي للاستعجال في فض البكارة من أول ليلة يدخل عليها، خاصة إذا كانت الزوجة غير مهيشة نفسياً لذلك، أو لخوفها على نفسها من عملية الجماع، فإن فض البكارة من أول ليلة لا يعتبر دليلاً على تمام الرجولة والفحولة، بل إن وطأها مغصوبة - خاصة

-
- (١) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ١٠٥.
(٢) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال واستحباب الدخول فيه، حديث رقم (٧٣)، ج ٢، ص ١٠٣٩.
(٣) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ٧، ص ٤٣٦.
(٤) المصدر السابق، ج ٨، ص ١٣٦.
(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، ج ٧، ص ٢٩ - ٣٠.
(٦) انظر ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ١٣٥ - ١٣٦.

في هذه الليلة - يترك في نفسها أثراً سيئاً، وخبرة مؤلمة ربما تلازمها طول حياتها الزوجية، فتعكر عليهما عيشهما وصفو حياتهما، وكان يكفي الزوج أن يصبر عليها، ويزيل وحشتها، ويدخل عليها السرور، حتى تمكنه من نفسها راضية مختارة. على أن لا تطول معالجته إياها لأكثر من أسبوع^(*)، فإن زادت عنه وما استطاع أن يعرف سبب الممانعة أشعر أهلها بذلك.

وليس من الغريب على دين الإسلام الذي يعلم المسلم آداب قضاء الحاجة في الخلاء، أن يهتم بهذه الجوانب من العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة، ويضع لها آدابها، ونظامها الذي يكفل للأزواج دوام الألفة والسعادة، فليس من الغريب أن يهتم الدين بهذه الناحية التي ربما ظن البعض أن العقلاء يترفعون عن الحديث فيها فضلاً عن الله ورسوله، ولكن الذي ثبت علمياً أن هذه العلاقة الجنسية بين الأزواج علاقة مهمة جداً، فقد أفادت بعض البحوث والدراسات المتعلقة بالوراثة وعلم الأجنة: «أن المعايير الخلقية التي تصاحب قضاء الناحية الجنسية بين الزوجين تنتقل إلى أولادهما... ومتى تم الإخصاب في ظروف ملائمة كان جديراً بأن يكون ذلك بشير خير لإنسان جديد»^(١). فإذا كان الوالدان أو أحدهما فاقداً للوعي تحت تأثير مخدر أو خمر أو نحو ذلك، وحدث إخصاب بينهما في ذلك الوقت، كان المولود في الغالب ضعيفاً من الناحية العقلية، أو مصروعاً، أو مجنوناً^(٢).

لهذا فإن العلاقة الجنسية بين الزوجين علاقة هامة ومصيرية؛ إذ يترتب عليها طبيعة وكيان المولود الجديد، وبناء على ذلك شرع الذكر والبسمة عند الإيلاج، مما يوحي ويشعر بقداسة هذه العلاقة ونظافتها في التصور الإسلامي.

(*) تحديد مدة فض البكارة بأسبوع مأخوذ من أن حق البكر عند الدخول بها مكوث الزوج عندها سبعة أيام متتالية. انظر المصدر السابق، ج ٨، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(١) نصار، محمد عبد الستار، «الطفولة في ضوء معطيات الإسلام» مجلة التربية، العدد (٤١)، ص ٧١ - ٧٢.

(٢) نصار، محمد عبد السلام، «الوراثة والبيئة وأثرهما في تكوين الخلق»، مجلة التربية، العدد (١٩)، ص ٦٦.

رابعاً: الترغيب في طلب الولد:

لقد استفاضت السنة المطهرة بالتوجيهات النبوية المباركة والحائثة على التناسل وكثرة الولد، فمنها ما رواه الحاكم وصححه في المستدرک، قال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»^(١)، وقال أيضاً «امرأة ولود أحب إلى الله من امرأة حسناء لا تلد، إني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»^(٢). وقال عليه الصلاة والسلام في الولد: «الولد الصالح ريحان من ريحان الجنة»^(٣)، ورتب الأجر على كثرة الولد، وإن لم يعيشوا، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»^(٤)، وكذلك من رباهم وسهر عليهم حتى كبروا وكانوا صالحين، فإن أجره لا شك أكبر وأعظم، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «يا سعيد تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء»^(٥)، وما ذلك إلا لطلب الولد والذرية، فقد كان لقيس بن عاصم رضي الله عنه اثنان وثلاثون ذكراً^(٦). وما ورد في السنة من الترخيص في العزل^(*) مع الكراهية فإنه لا ينبغي أن يؤخذ من هذا الترخيص جواز استعمال حبوب منع الحمل ووسائله لعامة الناس، فإن هذا ينافي مقصود الشارع الحكيم من حفظ النسل واستمراره^(٧).

كما يجب أن يفهم أن دعوى تحديد النسل بين المسلمين دعوة تبشيرية

(١) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب النكاح، ج ٢، ص ١٦٢.

(٢) الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حديث رقم (٤٤٥٤٠)، ج ١٦، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٣) الدلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٧٢٥٤)، ج ٤، ص ٤٣١.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، ج ٢، ص ١٢٥.

(٥) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب النكاح، ج ٢، ص ١٦٠. والحديث صحيح.

(٦) المصدر السابق، كتاب معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٦١١.

(*) انظر: الرخصة في العزل: مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، حديث رقم (١٢٥)، ج ٢، ص ١٠٦١.

(٧) قادري، عبد الله أحمد، الإسلام وضروريات الحياة، ص ٨٢.

نصرانية تهدف إلى تقليص أعداد المسلمين، علماً بأن تحديد النسل بالنسبة لأهل الكنيسة يعد جريمة^(١)، فهذه إيطاليا تضع قانوناً صارماً ضد من يقوم بالدعاية لتحديد النسل، أو يقوم بعملية إسقاط للجنين بصورة متعمدة^(٢)، وذلك لعلمهم وبقينهم «أن الثروة البشرية هي أكبر مصدر للاقتصاد... فالإنسان هو صاحب إمكانية العمل والتفكير والاختراع وتركيب الأغذية وإيجاد الحلول»^(٣). ومن المعروف أن القوانين الغربية تحرم الإجهاض^(٤).

أما تنظيم الحمل بهدف إعطاء المولود الأول حقه من الرعاية والرضاعة فقد أجاز بعض العلماء استعمال الدواء لمنع وقوع الحمل، وإن كان الأحوط عند البعض ترك ذلك^(٥). ويجب أن يعرف أن كثرة الحمل والولادة لا تضر بالمرأة الطبيعية؛ بل تنفعها، فإن نموها الكامل وبلوغ الاتزان والكمال العقلي عندها لا يحصل إلا بعد الحمل لمرة واحدة على الأقل^(٦)، وقد نقل أن امرأة أنجبت «٣٤» مولوداً توأمين فأكثر، ولم يذكر أنها تضررت من جراء ذلك^(٧).

والشريعة جاءت بإباحة تعدد الزوجات لأسباب عديدة، ومنها طلب الذرية والاستكثار منها، كما أنها حرمت ومنعت كل ما يعوق تحقيق هذا المقصد، فمما حرّمته الرهبانية والتبتل^(٨)، وإتيان المرأة في دبرها^(٩)، وغير ذلك من المعوقات^(*).

-
- (١) شلبي، عبد الودود، أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، ص ٥٨.
 - (٢) كحالة، عمر رضا، النسل والعناية به، ج ١، ص ١١٠.
 - (٣) شاكر، محمود، العالم الإسلامي (المنطقة العربية)، ص ٨٠.
 - (٤) انظر: المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، ص ٨٢-٨٣.
 - (٥) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ٣٢، ص ٢٧١-٢٧٢.
 - (٦) كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول، ص ١١٠.
 - (٧) كحالة، عمر رضا، النسل والعناية به، ج ١، ص ٦٨.
 - (٨) انظر: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل، حديث رقم (١٨٤٩)، ج ١، ص ٥٩٣.
 - (٩) انظر: المصدر السابق، باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، حديث رقم (١٩٢٤)، ج ١، ص ٦١٩.
- (*) لمزيد من الفائدة حول تحديد النسل، راجع كتاب «حركة تحديد النسل» لأبي الأعلى المودودي رحمه الله.

خامساً: قوامة الرجل:

تختلف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل اختلافاً جذرياً، ولا يمكن إغفال هذا الاختلاف بحال، إذ أن خلايا جسمها تحمل طابعاً أنثوياً^(١)، فهي مخلوقة لمهام تناسبها، كما أن الرجل مخلوق لمهام تناسبه أيضاً.

لهذا جاءت الشريعة بالتفريق بين الرجل والمرأة في المهام والأعمال، وبالتساوي بينهما في الجزاء والعقاب عند الله عز وجل الذي يقول في كتابه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(٢). يقول القرطبي في هذه الآية: «أي: لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن... وللرجال عليهن درجة، أي: منزلة»^(٣)، ويقول الله تعالى أيضاً في سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(٤). يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «الرجل قيم على المرأة، أي: هو رئيسها، وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت»^(٥). فقد أتى الله سبحانه وتعالى الرجل أسباب القوامة من القوة، والشجاعة، وكمال العقل والدين؛ مما يؤهله لإدارة الأسرة، وحراستها، والإنفاق عليها، حتى وإن استقلت المرأة مالياً فهي لا تزال فطرياً بحاجة إلى قوامة الرجل، وسيطرته، كما أن الأولاد بحاجة إلى ذلك أيضاً فإن رمز السلطة عند الطفل عادة يكون للأب أما رمز الحب والحنان عادة يكون للأم^(٦)، لهذا كان واجباً على الأم أن تركز هذا المعنى في نفوس أبنائها؛ لتوجد للأب المهابة في نفوسهم؛ ليحصل الانتفاع بشخصيته وسلطته في عمليتي التربية والتعليم.

(١) انظر: كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) البقرة ٢٢٨.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٤) النساء ٣٤.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٠٣.

(٦) الشرفاوي، أنور محمد، انحراف الأحداث، ص ٢٩٩.

ولا تعني القوامة - كما يفهما البعض - التسلط والتجبر بغير حق؛ بل هي الرحمة والحنان والعطف والرعاية والإنفاق والتعليم والتربية والتوجيه والسلطة. كما أنها لا تعني الترفع عن التعاون مع الزوجة في شؤون إدارة البيت ورعاية الأولاد، فإن خير الناس عليه الصلاة والسلام كان في خدمة ورعاية أهله في البيت^(١)، فلا ينبغي للرجل أن يأنف من القيام ببعض الأعمال في المنزل خاصة عند حاجة أهله إلى ذلك، على أن يكون لذلك حد معقول - لا يتجاوزه إلا عند الضرورة - فلا يصبح كأنه ربة المنزل كما تفعله بعض القبائل الشاذة.^(*)

سادساً: النفقة:

لقد أجمع الفقهاء رحمهم الله على وجوب نفقة الرجل على أولاده الأطفال الذين لا يملكون المال^(٢)، وحدد بعضهم هذه النفقة بأنها خمس نفقات. وهي: نفقة الرضاع، والحضانة، والمعيشة، والسكن الخاص بالحاضنة والخدام عند الحاجة.^(٣)، ويلحق بهذا زكاة الفطر لأنها تشمل الصغير^(٤).

ويراعي الأب في إنفاقه على الأولاد الحلال من الرزق، وأن يصبر على ذلك ولا يجزع من الفقر، فإن الله هو الذي تكفل بالرزق. يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ناصحاً الأب: «ليتق الله العبد ولا يطعمهم إلا

(١) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، ج ٨، ص ١٧.

(*) ينقل أن الرجال في قبيلتي أرايش وتشامبولي، يقومون برعاية شؤون الأطفال كلها منذ ولادتهم، ويحبسون أنفسهم مع الأمهات كي يعانون معهن آلامهن. انظر: أبو النيل، محمود السيد، علم النفس الاجتماعي، ج ٢، ص ٤٤.

(٢) العاصمي، عبد الرحمن بن محمد، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ج ٤، ص ١٢٨.

(٣) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٧، ص ٧٠٤.

(٤) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على الصغير والكبير، ج ٢، ص ١٢٦.

طيباً، لبكاء الصبي بين يدي أبيه متسخطاً، يطلب منه خبزاً، أفضل من كذا وكذا، يراه الله بين يديه»^(١).

كما ينبغي للوالد أن يراعي الحكمة في الإنفاق فلا يُقتَر عليهم ولا يسرف، فإن وسع الله عليه وسع على عياله، ولم يُقتَر عليهم. قال عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله»^(٢)، والله سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده^(٣)، كما أن إنفاقه على ولده وأهل بيته وخدامه جميعه صدقة إذا استحضر النية الصالحة لذلك^(٤). ولأن يترك أولاده أغنياء لديهم ما يكفيهم من المال والمسكن أفضل من أن يتصدق بماله كله ويتركهم فقراء يطلبون من الناس ويسألونهم^(٥)، فيكون ذلك لهم ذلة وصغاراً، وربما كان سبباً في انحرافهم وحقدهم على المجتمع، فإن الفقر مع ضعف الإيمان واليقين بالله من أعظم أسباب انحراف الناس.

(١) أحمد، كتاب الورع، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٢) السديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٥٢٧١)، ج ٣، ص ٤١٦. والحديث ضعيف.

(٣) انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب اللباس، باب إظهار النعم واللباس الحسن، ج ٥، ص ١٣٥.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب التفسير، ج ٢، ص ٢٨٣. والحديث صحيح الإسناد وخالف ذلك الذهبي.

(٥) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، ج ٤، ص ٣.

المبحث الثاني

مراعاة الأب لحقوق المولود الجديد

- أولاً: مراعاة الزوجة أثناء الحمل
- ثانياً: إثبات النسب
- ثالثاً: الأذان في أذن المولود
- رابعاً: التحنيك
- خامساً: الرضاع
- سادساً: التسمية
- سابعاً: العقيقة
- ثامناً: الحلق
- تاسعاً: الختان

المبحث الثاني مراعاة الأب لحقوق المولود الجديد

بعد الحديث في المبحث الأول عن مسؤولية الأب في تكوين الأسرة تمهيداً لاستقبال الذرية الطيبة، نتناول من خلال هذا المبحث أداء الأب لحقوق المولود الجديد كما جاءت بذلك السنة المطهرة، وهذا انطلاقاً من أن للولد على أبيه حقوقاً كما أن للوالد على ابنه حقوقاً أيضاً، فقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كما أن لوالدك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حق»^(١).

وفيما يلي نستعرض حقوق المولود الجديد مراعين في ذلك الترتيب الزمني للأعمال قدر الإمكان:

أولاً: مراعاة الزوجة أثناء الحمل:

تشعر المرأة الحامل بتغييرات نفسية مفاجئة، فتشعر بالسعادة أحياناً، وبالكآبة أحياناً أخرى، وتعيش في جو من التارجح العاطفي المتقلب، وهذا طبيعي عند النساء الحوامل، لهذا كان واجباً على الأب أن يراعي الحالة النفسية التي تعيشها الأم، فتحاط بالحنان والرعاية^(٢)، وإن تمكن من ترك جماعها بعد مضي أربعة أشهر ونصف على الحمل فهذا أفضل للجنين والأم، خاصة وأنها في هذا الوقت لا تميل عادة إلى الاتصال الجنسي^(٣)، (* كما أن حالتها النفسية في الشهر الثامن خاصة - قبل الولادة بشهر تقريباً - تكون أكثر

(١) البخاري، الأدب المفرد، باب بر الأب لولده، حديث رقم (٩٤)، ص ٤٩.

(٢) شويل، حسين، الأمومة الرسالة السامية، ص ١٨.

(٣) كحالة، عمر رضا، النسل والعناية به، ج ١، ص ٧٦.

(* وهنا تظهر حكمة من حكم مشروعية تعدد الزوجات، إذ من الصعب على الزوج البقاء دون جماع لمدة طويلة كهذه.

سوءاً من الأشهر الأخرى^(١)؛ لذا وجب على الأب مضاعفة صبره وجهده معها بأن يجنبها كل ما يمكن أن يسوقها إلى الانفعال والضيق؛ إذ أن الانفعالات الحادة، والتوترات العصبية والنفسية للأم يمكن أن تنتقل إلى الجنين، فقد ثبت ذلك علمياً^(٢)، فإن الجنين يتأثر بمرض الأم وطهارتها وكل ما يجري لها، أما ما يجري للأب فإنه لا يصل إليه، فإن دوره المباشر ينتهي بالتلقيح^(٣). أما الأم فيطول إلى تسعة أشهر أو أكثر. وقد أشار بعض المختصين في هذا الجانب إلى أن ما يظهر على المولود من انفعالات الخوف والشجاعة والغضب والكسل والحسد وغيرها: هو نتيجة للعوامل والانفعالات النفسية أثناء الحمل^(٤)، فإذا كانت الانفعالات النفسية تضر الجنين هذا الضرر الفادح فكيف إذا اقترنت بالاحتكاك الجسدي كالضرب أو اللكم، فإن هذا بلا شك أكثر تأثيراً وضرراً بالجنين والأم، لهذا كان أمر الرسول ﷺ لمن رمت أختها فطرحت جنينها أن تدفع لهم عبداً أو أمة^(٥). وهذا إذا طرح الجنين ميتاً، أما إذا طرح حياً ثم مات فإن الواجب في ذلك دية الكبير، وهي للذكر مائة بعير^(٦)، فالشريعة حريصة على حقوق الجميع، حتى الجنين في بطن أمه فإن حقه محفوظ مضمون. ويوجه الأب زوجته الحامل إلى الجيد من الطعام كالرطب فإنه يقوي الرحم، ويساعد على يسر الولادة، ويخفف نزيف الدم بعد الولادة^(٧)، ويجنبها المشويات والسكريات والدهون خاصة في الأشهر الأخيرة، وذلك حفاظاً على متوسط وزن الجنين^(٨). ولا بأس عند

(١) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ٢٠١.

(٢) رويحة، أمين، ولدك هذا الكائن المجهول، ص ١٨.

(٣) فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية، ص ١٠١.

انظر أيضاً: كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول، ص ١١٠.

(٤) توما، فيلكس، زلات الوالدين، ص ٢١.

(٥) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ

وشبه العمدة على عاقلة الجاني، حديث رقم (٣٤)، ج ٣، ص ١٣٠٩.

(٦) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١١، ص ١٧٦.

(٧) دياب، عبد الحميد وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، ص ٢٨.

(٨) حمام، سامية، «سمنة الأطفال تسبب التعاسة والمرض»، مجلة التربية، العدد (٧٤)، ص

تعسر الولادة كتابة بعض آيات من القرآن الكريم، أو الأذكار الواردة في السنة، ونقعها في الماء ثم شربها، فقد رخص بعض السلف في ذلك^(١). وينبغي للوالد بعد الولادة أن ينبه النساء عنده بأن يتجنبن التعبير عن فرحتهن برفع الأصوات، والزغردة، والغناء، والرقص، وغير ذلك من الأمور غير اللائقة بهذا المقام، ويأمرهن بالذكر والشكر لله على نعمته، ورزقه بالمولود الجديد، وسلامة المرأة^(٢).

ثانياً: إثبات النسب:

إن إثبات النسب حق لله عز وجل وللطفل وللأب وللأم. إذ أنه بهذا الإثبات يسان الولد من الضياع والتشرد، إلى جانب المحافظة على المجتمع من شيوع الفواحش وانتشار اللقطاء، كما أن إثبات النسب تترتب عليه حقوق أخرى مثل الولاية في الصغر، والإنفاق، والإرث، وغير ذلك من الأمور التي يمكن مراجعتها في كتب الفقه^(٣)، وقد ورد التحذير الشديد لمن أنكر ولده وجحد نسبه. قال عليه الصلاة والسلام: «أبما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه، احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»^(٤). كما ورد أيضاً التحذير والوعيد لمن انتسب إلى غير أبيه وهو يعلم^(٥). وهكذا تحصن الشريعة المجتمع من شيوع الفساد، وتمنع أسباب قطيعة الأرحام، وظلم الذرية، واختلاط الأنساب.

ثالثاً: الأذان في أذن المولود:

ويستحب حين الولادة أن يقوم الوالد بالأذان في أذن المولود اليمنى

(١) ابن القيم، الطب النبوي، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٣) الصالح، محمد أحمد، الطفل في الشريعة الإسلامية (نشأته - حياته - حقوقه التي كفلها الإسلام)، ص ٧٦ - ٧٧.

(٤) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب النكاح، باب من جحد ولده وهو يعرفه، ج ٢، ص ١٥٣.

(٥) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، حديث رقم (١١٢)، ج ١، ص ٧٩.

ويقيم في اليسرى، وذلك ليكون أول شيء يصل إلى المولود من أمور الحياة بعد الهواء هو التوحيد المنافي للشرك، فلا ينبغي إهمال هذه السنة المباركة محتجين بأن الطفل لا يعي ذلك لصغر سنه، فإن واعية الطفل تحفظ نبرات وتقطيعات الأذان إلى جانب أن الشيطان الذي يحضر عادة ولادة المولود يهرب من سماع الأذان كما ورد ذلك في السنة، ولو لم يكن في هذا العمل كله سوى الاقتداء بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام لكفانا ذلك حجة للقيام بها^(١)، فقد أورد الحاكم في المستدرک عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة رضي الله عنها»^(٢)، وبهذه السنة يحفظ المولود عند أول خروجه إلى الحياة من الشيطان، ويقع في نفسه التوحيد الموافق للفترة المركوزة فيه أصلاً فيكون ذلك له خيراً عند كبره وبلوغه بإذن الله تعالى .

رابعاً: التحنيك :

التحنيك سنة مؤكدة من سنن الهدى التي سنّها رسول الله ﷺ لأمتّه، فكان عليه الصلاة والسلام يؤتى بالصبيان فيدعو لهم ويحنكهم^(٣)، وربما تفل من ريقه المبارك في أفواههم، فقد أورد البخاري رحمه الله في صحيحه أن رسول الله ﷺ جاءته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بعبد الله بن الزبير بعد أن ولدته «فوضعت في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان

(١) انظر: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الصلوات، فيما يهرب الشيطان من الأذان، ج ١، ص ٢٢٩ .

ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ٢١ - ٢٢ .

الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٣، ص ٦٤٠ .

قطب، محمد علي، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، ص ٤٢ .

(٢) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٧٩ . وسند الحديث صحيح وخالف ذلك الذهبي .

(٣) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته، حديث رقم (٢٧)، ج ٣، ص ١٦٩١ .

أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بالتمر ثم دعا له فبرك عليه»^(١).

والطريقة في هذه السنة كما هي في الحديث السابق أن يأخذ الأب أو من يراه من العلماء أو الصالحين من الأقرباء أو الجيران أو الأصدقاء، ممن عرفت سيرته بالصلاح والخير، ثمرة ثم يمضغها في فمه مضغاً جيداً، ثم يأخذ بعضاً منها بأصبعه فيضعه في فم الغلام ويدلكه من الداخل متأكداً من وصول بعضه إلى الجوف، فإن لم يجد تمرأ حنكه بأي حلو^(٢). ومعجون التمر أفضل اقتداءً بالرسول ﷺ، كما أن غدد الفم تستجيب لحلاوة التمر انسجاماً مع الفطرة، «وقد تبدو العلاقة هنا مادية بحتة، غير أن الأثر الذي يخلفه هذا التدوق في الفم يختزن في الواعية ويكون مع مرور الزمن مدعاة لكل حلاوة... ونفوراً من كل قبيح واستقبالاً لكل جميل»^(٣).

ويراعي الأب عدم إعطاء المولود الجديد أي طعام قبل تحنيكه اقتداءً بالسنة، كما فعلت السيدة أسماء بنت أبي بكر مع ولدها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين، كما هو في الحديث الذي تقدم، فيكون بذلك قد أصاب السنة في هذا الأمر.

خامساً: الرضاع:

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَّمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾^(٤)، فهذا حث من الله للوالدات بأن يغذين الأولاد الصغار مما وهبهن الله من اللبن في أثنائهن،

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق وتحنيكه، ج ٧، ص ١٠٨.

(٢) الزحيلي، وهبه، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٣، ص ٦٤١.

(٣) قطب، محمد علي، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، ص ٤٣.

(٤) البقرة ٢٣٣.

وخصص ذلك بعامين، ويجوز الفطام قبل انقضاء العامين^(١). وإن كان الأفضل أن تتمها لثبوت أن الأطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الصناعية أكثر تعرضاً للأمراض من الأطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الطبيعية^(٢)، وقد أشار جالينوس إلى هذا وفضل لبن الأم إلا أن تكون مريضة^(٣)، وذلك لأن الأم - بالإضافة إلى جودة لبنها - يرتوي الطفل منها عطفاً وحناناً وجباً، وغذاء نفسياً لا يقل أهمية عن الغذاء البدني، بل هو في الحقيقة أهم غذاء^(٤)، فإن حدث وأن نضب لبنها أو جف وجب على الأب أن يجلب له من الحليب المصنوع المعلب، أو مرضعة على حسابه، فهو المكلف بذلك شرعاً^(٥)، وعليه أن يراعي في اختياره للمرضع - إن فضل الرضاعة الطبيعية - أن تكون تقية ورعة فقد نصح بذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حيث قال: «توقّوا على أولادكم من لبن البغي من النساء، والمجنونة، فإن اللبن يعدي»^(٦)، وقد أكد هذا الكلام الإمام الغزالي في إحيائه معللاً سبب اختيار المرضعة الصالحة فيقول: «إن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طبيئته من الخبيث. فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث»^(٧).

ويستحسن للزوج أن يترك جماع زوجته أثناء فترة الرضاعة، وذلك لأن هذا يضر بالولد خاصة إذا حملت أمه، فإن لبنها يضعف، وقد ورد نهي الرسول ﷺ عن «الغيلة»، وهي جماع الزوجة المرضع، ثم عاد عليه الصلاة والسلام فأباح ذلك، فكان نهيه نهي إرشاد وتوجيه إلى الأفضل والأحسن^(٨).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٦٢.

(٢) الينجورث، رونالد وسينثيا الينجورث، الرضع والأطفال الصغار، ص ٢٧ - ٢٨.

(٣) ابن الجزار، سياسة الصبيان وتدريبهم، ص ٦٢.

(٤) النحلوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص ١٢٦.

(٥) عبد العزيز، أمير، الإنسان في الإسلام، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٦) الأديب، علي محمد، منهج التربية عند الإمام علي، ص ١٦٢.

(٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٦٩.

(٨) انظر: مالك، موطأ الإمام مالك، جامع ما جاء في الرضاع، حديث رقم (١٢٨٨)، ص ٣٢٤.

ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ١٦٨.

فإن قرب فطام المولود، أخذ بالتدرج دون العجلة فإن العجلة تضره، ويكون ذلك عند اعتدال الجو بين البرد والحر^(١)، ولا يهتم بكثرة بكائه وطلبه للرضاعة إذا رأى الوالد فطامه؛ لأن البكاء فيه منفعة له، فيقوي الأعصاب، ويوسع مجاري النفس، وينفع الدماغ، إلى جانب فوائد أخرى ذكرها الأطباء^(٢)، فيستمر في فطامه بالتدرج مراعيًا نفسيته، ومحبيًا إليه أنواع الأطعمة الأخرى.

سادساً: التسمية:

يتأثر الطفل نفسياً بنوع الكنية أو الاسم الذي يعطى له، فتتأثر رؤيته لنفسه بذلك^(٣)، فإن بعض الأطفال يعانون من أسمائهم لأنها تحمل معاني لا تعجبهم، فتتأثر نفسياتهم ويتعرضون لأوقات وظروف عديدة من البؤس والتعاسة، وذلك لأن أول كلمة يتعلمها الطفل عادة، أو يحاول أن يكتبها هي اسمه، فإذا كان جميلاً انعكس ذلك عليه بهجة وسعادة وإن كان ذميماً انعكس عليه بؤساً وشقاء^(٤). ويشير الإمام ابن القيم رحمه الله إلى أن هناك علاقة وارتباطاً بين الاسم والمسمى، وأن للأسماء تأثيراً على المسميات، وبالعكس^(٥)، ويذكر رحمه الله جانباً تربوياً هاماً في اختيار الاسم، إذ أن صاحب الاسم الحسن يحمله اسمه، ويدفعه إلى فعل المحمود من الأفعال وذلك حياء من اسمه لما يتضمنه من المعاني الحسنة، ويلاحظ في العادة أن لسفلة الناس ولعليتهم أسماء تناسبهم وتوافق أحوالهم^(٦)، لهذا جاءت الشريعة الإسلامية موافقة لهذا المبدأ، فقد أمر رسول الله ﷺ بتحسين الأسماء فقال: «من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه»^(٧). كما ورد عنه عليه

(١) المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ج ١، ص ٣٤٠.

(٣) شتاء، السيد علي ومحمد صالح كرامي، النمو الاجتماعي في المجتمع الانتقالي، ص ١٣.

(٤) ملخص، أمين فارس، «الطفل واسمه»، مجلة رسالة المعلم، العدد (١)، ص ٩٣ - ٩٥.

(٥) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٢، ص ٣٣٦.

(٦) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ١٠٢.

(٧) التبريزي، مشكاة المصابيح، كتاب النكاح، باب الولي في النكاح واستئذان المرأة، حديث

رقم (٣١٣٨)، ج ٢، ص ٩٣٩.

الصلاة والسلام تغيير الأسماء الذميمة بأسماء حسنة، فعندما حاول علي رضي الله عنه عدة مرات تسمية أحد أولاده حرباً، كان عليه الصلاة والسلام في كل مرة يغيره بأسماء حسنة فسماهم الحسن والحسين ومحسن^(١)، كما ورد عنه أنه غير اسم العاص إلى مطيع، واسم غراب إلى مسلم^(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لئن عشت إن شاء الله لأنهي أن يسمى رباح وأفلح ونجيح ويسار»^(٣).

وفي الجانب الآخر ورد عنه عليه الصلاة والسلام استحباب بعض الأسماء كعبد الله وعبد الرحمن^(٤)، ورغب في التسمية بأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال: «تسموا بأسماء الأنبياء»^(٥)، واسمه عليه الصلاة والسلام أفضلها، ولكن يتجنب الأب تسمية المولود بأبي القاسم لورود النهي عن ذلك^(٦)، بل يكتفي بما شاء من الكنى الحسنة الأخرى.

وقد كره العلماء التسمية بنور الدين، وشمس الدين، وما شابه ذلك^(٧)، والتسمية بشيطان، وكليب، وشهاب، وحمار، وعبد النبي، وملك الملوك، أو التسمي بأسماء الله مثل: خالق، قدوس، رحمن، أو التسمية بعبد الكعبة، أو عبد العزى، وغير ذلك من الأسماء غير اللائقة^(٨)، ويمكن أن يدرج في هذه الأسماء المكروهة تلك الأسماء التي يشترك فيها الذكور والإناث، فلا ينبغي للأب أن يسمي ولده باسم منها لما تسببه من إحراج وإحباط للولد، وتعريضه للسخرية من رفاقه. ومن هذه الأسماء: نهاد، وعصمت، وإحسان، وغيرها^(٩).

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٦٥. والحديث صحيح الإسناد.

(٢) انظر: المصدر السابق، كتاب الأدب، ج ٤، ص ٢٧٥. والحديث صحيح الإسناد.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٤. والحديث صحيح.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، حديث رقم (٤٩٥٠)، ج ٤، ص ٢٨٨.

(٦) انظر: أحمد، المسند، ج ٣، ص ١١٤.

(٧) الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، ص ٢٣٥.

(٨) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٣، ص ٦٤٢-٦٤٣.

(٩) ملحق، أمين فارس، «الطفل واسمه»، مجلة رسالة المعلم، العدد (١)، ص ٩٣-٩٤.

وتقيد الوالد بما ورد في السنة من توجيهات في تسمية المولود له فوائد نفسية واجتماعية تعود على الولد بالخير، إلى جانب الثواب الذي يتحصله الوالد من بركة اتباع السنة النبوية المطهرة، وإحيائها في زمن قد تغافل كثير من الناس عنها، وزهدوا فيها، فإن خالفته في ذلك زوجته أو أهله، فليعلم أن تسمية المولود من حق الأب شرعاً، فهو الذي يختار اسمه^(١).

أما في موعد التسمية، فإن في الأمر سعة، فله أن يسميه في الوقت الذي يشاء من أول يوم ولادته، أو في السابع أو بعده، ففي الأمر والله الحمد سعة^(٢).

سابعاً: العقيقة:

العقيقة تعني في اللغة القطع، وفي الاصطلاح الشرعي تعني: ذبح شاة عن المولود يوم سابعه^(٣)، وهي سنة مؤكدة عند جمهور العلماء^(٤)، قال عليه الصلاة والسلام: «عن الغلام شاتان مكافيتان وعن الجارية شاة»^(٥)، وعند الإمام مالك رحمه الله عن الذكر شاة واحدة كالأثني، مراعيًا أن تكون من أفضل النعم، غير عوراء، أو عرجاء، أو مريضة، ولا يبيع شيئاً من لحمها أو جلدها، إنما يأكل الأهل منها ويتصدقون ببعضها^(٦). كما كره رحمه الله أن يجمع عليها الناس فتكون كالوليمة، بل أمر بطبخها والأكل منها والإهداء^(٧). ولا يصح فيها إشراك مولودين في شاة واحدة؛ بل لكل مولود شاة^(٨).

(١) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ص ٨٣.

(٢) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ٧٩.

(٣) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ص ٨٨.

(٤) السليمان، عبد العزيز محمد، إتخاف المسلمين بما تيسر من أحكام الدين (علم ودليل)، ج ٢، ص ٥٤٣.

(٥) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الأضاحي، باب السنة في العقيقة، ج ٢، ص ٨١.

(٦) انظر: مالك، موطأ الإمام مالك، كتاب العقيقة، العمل في العقيقة، حديث رقم (١٠٨٢)، ص ٢٦٠.

(٧) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٢٩٢.

(٨) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ٥٧.

والسنة في الذبح أن يقول: «بسم الله، اللهم لك وإليك، هذه عقيقة فلان»^(١)، ولا يكسر عظمها بل تفصل الأعضاء من عند المفاصل دون كسر^(٢).

ويستحب أن تذبح العقيقة يوم السابع، أو في اليوم الرابع عشر، أو في اليوم الحادي والعشرين^(٣)، فإن لم يتمكن عق عنه بعد ذلك في أي يوم دون اعتبار الأسابيع^(٤).

وعلى الوالد أن يراعي تطبيق السنة، ويشرف بنفسه على ذلك، وأن يجنب المولود الجديد البدع المحدثه في هذا المجال مثل تلطيخ رأس المولود بدم العقيقة كما كان يفعل في الجاهلية؛ بل يستعاض عن ذلك بالزعفران^(٥).

كما ينبغي له أن يحترس ممَّا أحدثه بعض الناس في ليلة السابع من وضع المصحف ورغيف وسكر عند رأس المولود، فإن هذا لم يرد فيه دليل؛ بل هو من البدع المحدثه^(٦)، فالسنة أولى بالاتباع، فإن وجد الوالد بعض العنت من أهله وأقربائه، فإن سلامة المولود وحفظه من المحدثات والبدع أنفع له من إرضاء الناس.

ثامناً: الحلق:

حلق رأس المولود بالموسى من السنة، ويكون ذلك في اليوم السابع من ولادة المولود، ثم يتصدق عن المولود بما يعادل وزن شعره من الذهب أو

(١) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ص ٩٩.

(٢) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ٥٤.

(٣) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الأضاحي، باب من العقيقة، حديث رقم (١٥٢٢)،

ج ٤، ص ١٠١.

(٤) السليمان، عبد العزيز، إتحاق المسلمين بما تيسر من أحكام الدين (علم ودليل)، ج ٢، ص

٥٤٥.

(٥) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ٤٩ - ٥٠.

(٦) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٢٩٠.

الفضة^(١)، فقد وردت السنة بذلك عن رسول الله ﷺ حين ولدت السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها قال لها: «زني شعر الحسين وتصدقني بوزنه فضة»^(٢).

وهذه السنة المباركة قد أهملت، ولم يعد يفعلها إلا القليل، فلا ينبغي للأب المسلم أن يزهد فيها أو يغفلها متذرعاً باحتمال أنه ربما أضرت الحلاقة بالمولود، أو أنه لا يحسن الحلاقة، فبالإمكان تكليفه لغيره ممن لديه خبرة أن يتولى إزالة الشعر، فتحصل له بركة اتباع السنة وأجر الصدقة على الفقراء والمساكين.

أما وقت الحلاقة فقد ذهب بعض العلماء إلى أنه في وقت ذبح العقيقة، وذهب آخرون إلى أنه يسبق العقيقة لتمييز عن مناسك الحج^(٣).

تاسعاً: الختان:

الختان: هو إزالة الجلد الموجودة على رأس الذكر^(٤)، وهو من سنن الفطرة المباركة الواردة في الشرع^(٥)، وله فوائد صحية كثيرة، فمنها: أنه يقلل من أسباب الإصابة بمرض السرطان الخبيث، ويقلل من سلس البول الليلي الذي يكثر عند الأطفال، إلى جانب أنه يجنب الطفل كثرة العيب بأعضائه التناسلية، إذ أن هذه الجلد إذا لم تقطع تثير الأعصاب التناسلية وتدعو إلى حكها ومداعتها^(٦). ولا داعي للختان إذا ولد الصبي مختوناً^(٧). كما أنه ليس للختان سنة في عمل حفل أو جمع الناس وإنفاق الأموال^(٨).

- (١) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٣، ص ٦٤١.
- (٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٧٩ - ١٨٠، والحديث صحيح الإسناد وخالف ذلك الذهبي.
- (٣) انظر: ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ٦٩ - ٧٠.
- (٤) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ص ١٠١.
- (٥) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، ج ٧، ص ٢٠٦.
- (٦) الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، ص ٢٣٠.
- (٧) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ١٣٨.
- (٨) الإستانبولي، محمود مهدي وجماعة من علماء الأزهر، منكرات الأفراح، ص ٨٣.

أما موعد الختان فقد اختلف فيه العلماء، فكرهه بعضهم في اليوم السابع، مخالفة لليهود، وعند المالكية يكون الختان عند أمر الصبي بالصلاة، أي ما بين السابعة إلى العاشرة من عمره^(١)، وقد نقل أن السلف كانوا يختنون أولادهم حين يراهقون البلوغ^(٢)، والأمر في الختان واسع فلو عمله يوم السابع أو بعده، أو قبل البلوغ فلا بأس إنما المهم في الأمر أن لا يبلغ الولد إلا وقد ختن^(٣)، وقد رجح بعض العلماء أن يعمل الختان في الأيام الأولى من عمر الصبي، وذلك لسهولته عليه، وسرعة شفاؤه جرحه^(٤).

(١) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٣، ص ٦٤١-٦٤٢.

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٢٩٦.

(٣) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ١٢٦-١٢٨.

(٤) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٢٩٦.

انظر أيضاً: علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ص ١٠٧-١٠٨.

المبحث الثالث

مقومات شخصية الأب

- أولاً : القدوة
- ثانياً : الرحمة والحب
- ثالثاً : العدل
- رابعاً : المخالطة
- خامساً : الحكمة في التوجيه
- سادساً : الدعاء والتضرع

المبحث الثالث مقومات شخصية الأب

يعتمد الأب في تربية أولاده على شخصيته وأسلوبه في توجيههم، وهذه تعد من أهم الأعمال والتبعات التي يتولاها الأب، وهي مضافة إلى ما تقدم من المهام في تكوين الأسرة، ورعاية المولود الجديد.

ومن خلال هذا المبحث نستعرض أهم الجوانب والمقومات التي ينبغي أن يتحلى بها الأب في نفسه وشخصه؛ ليتمكن من التأثير على الأولاد وتوجيههم الوجهة السليمة التي تكفل لهم الاستقامة على منهج الله عز وجل:

أولاً: القدوة:

تعتبر القدوة من أهم وسائل التربية إن لم تكن هي أهمها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحة في كيان الإنسان التي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار^(١)، فهم أكثر تأثراً بالقدوة إذ يعتقد الطفل في سنواته الأولى أن كل ما يفعله الكبار صحيح، وأن آباءهم أكمل الناس وأفضلهم، لهذا فهم يقلدونهم ويقتدون بهم^(٢).

ويبدأ التقليد عند الأطفال عادة منذ السنة الثانية تقريباً، ويبلغ التقليد غايته في سن الخامسة أو السادسة، ويستمر معتدلاً حتى الطفولة المتأخرة^(٣).

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١٠٢.

(٣) عابدين، جمال، «الطفل كيف نهذه في عاداته وميوله»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٢)، ص ٤٤.

ولا شك أن هذا التقليد دليل على محبة الأولاد لأبائهم، وليس نابعاً عن خوف أو خشية؛ بل هو ميل حقيقي قد امتلك واستهوى قلوب الصغار نحو آبائهم، وهذا الاعتقاد الصحيح يخالف وينقض ما ذهب إليه «فرويد» صاحب عقدة «أوديب» من الزعم بأن الولد يُكن في نفسه بغض أبيه وكرهه لأنه ينافسه على أمه^(١)، وهذا لا شك يعد من الافتراء الباطل واتهام فطرة الأولاد الأبرياء بالنفاق والخداع منذ حداثة أسنانهم، وقبل أن يكونوا مكلفين، وهذا النوع من الاتجاهات المنحرفة وما شابها يحذر الأب منها غاية الحذر فلا يكثر من الاطلاع عليها في الكتب المنحرفة، فضلاً عن الاعتقاد بها والعمل بموجبها، مع الحذر من بعض الكتاب الذين تبعوا فرويد في اعتقاده الباطل بشيء من التهذيب والتحسين دون تصريح، خطأ منهم، أو جهلاً^(*).

والأطفال يتعلمون بالقدوة والمثل أكثر بكثير مما يظن ويتصور الوالد، «فالطفل يتأثر بنا ويقلد طريقتنا في معاملتنا... وعلاقتنا بجارنا، وحديثنا عن زملائنا في العمل، دون أن نشعر نحن غالباً بهذا الأمر، فاتجاهاتنا النفسية... تصبح كلها هي نفس اتجاهاته النفسية»^(٢)، وبناء على هذا يكون التعود على فعل الخير بالقدوة الصالحة في أول الأمر هو المنهج الصحيح للتربية الإسلامية^(٣)، إذ أن العقيدة الإسلامية لا يكفي أن تكون في قلب المسلم دون أن يكون لها واقعها العملي المترجم في السلوك الإسلامي الصحيح في جميع مجالات الحياة^(٤)، فقد ذم الله سبحانه وتعالى ومقت الذين تخالف أعمالهم أقوالهم، فقال عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

(١) انظر: فرويد، سيجموند، الذات والغرائز، ص ٦٤ - ٦٥.

(*) انظر ما كتبه معروف زريق في كتابه «كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم»، ص ١٢٢.

(٢) ويتزمان، الياس، التربية الاجتماعية للأطفال، ص ٧٥. (بتصرف).

(٣) قطب، محمد، «النظرية التربوية الإسلامية»، بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، ص ١٦.

(٤) النوري، عبد الغني عبد الفتاح، «التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة»، مجلة التربية، العدد (٧٤)، ص ١١٤.

كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر وآتية»^(٢). وسبب هذا التحذير الشديد من مخالفة القول للعمل ما يمكن أن تسببه هذه المخالفة من ضرر نفسي فادح بالمقتدين، خاصة الأطفال الذين لا يعقلون، فالطفل «الذي ينشأ وهو يظن أن والده منافق وراء في عبادته وأمور دينه، يكون أصعب الأطفال طراً في اجتذابه واستمالته إلى الدين»^(٣).

فالطفل في حوالي السنة السادسة من عمره تقريباً يمكن أن يحدد مدى التزام أهله بالتوجيهات التي يأمرونه بها،^(٤) فالتلقين لا يثمر مع الولد وإن استعملت معه جميع أنواع ووسائل التربية إن لم توجد القدوة الصالحة التي تكون بمثابة ترجمة عملية للمعاني المجردة^(٥). وإن الناظر في أوضاع المجتمعات الإسلامية اليوم يجد «أن عقيدتنا وأخلاقنا وقيمنا تكاد تكون في ناحية، وحياتنا العملية في ناحية أخرى، نقيضان لا يلتقيان»^(٦) فكيف ينشأ مع هذا الوضع أطفال صالحون يرون ويشاهدون المتناقضات في حياة الأمة. إنهم مهما سمعوا من المربين، فإنهم لن يحملوا في داخل أنفسهم سوى الصورة التي يرونها أمامهم من أنواع وأنماط السلوك إن خيراً فخير وإن شراً فشر^(٧).

(١) الصف ٢ - ٣.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى

عن المنكر ويفعله، حديث رقم (٥١)، ج ٤، ص ٢٢٩١.

(٣) سيوك، بنجامين، مشكلات الآباء والأمهات، ص ٢٢٦.

(٤) مونتاجيو، اشلي، كيف نساعد أطفالنا على تنمية قيمهم الخلقية، ص ٣٩ - ٤٠.

(٥) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٢٢.

انظر أيضاً: بالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص ٦٦٠.

(٦) التوم، بشير حاج، التربية والمجتمع، ص ١٧.

(٧) يونس، أحمد السعيد، طفلك في عامه الثامن، ص ٦٣ - ٦٤.

وقد تنبه السلف الصالح رضوان الله عليهم إلى هذا الأمر وأهميته .
فهذا عمرو بن عتبة يئبه معلم ولده لهذا الأمر، فيقول: «ليكن أول إصلاحك
لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما
صنعت، والقبيح عندهم ما تركت»^(١). فالأطفال لا يدركون المعاني المجردة
بسهولة، ولا يقتنعون بها بمجرد سماعها من المربي بل لا بد من المثال
الواقعي المشاهد.

وبهذا يظهر أنه لا مجال للتربية الإسلامية الصحيحة بدون القدوة
الصالحة، التي تمثل الأوامر، وتستجيب لها، وتنزجر عن النواهي، وتمتنع
عنها.

ثانياً: الرحمة والحب:

يكاد يجمع التربويون على أن الحب والعطف والحنان من أهم دعائم
وأساسات التربية، فإن الحب يتمثل في الحنو على الولد، وتقبيله،
واحتضانه، وإظهار محبته، والعطف عليه^(٢) والطفل وإن كان صغيراً ضعيف
الإدراك قليل الفهم إلا أنه يعي البسمة الحانية، ويدرك الغضب، فلا يمكن
أن يتعلم الطفل الرحمة والحنان والعطف إذا كان والده يقسو عليه ولا
يرحمه^(٣)، فإن الآباء لا يمكن أن يربوا أولادهم بأسلوب الرهبة فقط؛ بل
لابد من الحب الفياض الغامر المتدفق من قلوب الآباء إلى أبنائهم، وهم
بالتالي ينقلون هذا الحب إلى غيرهم.

وقد استفاضت السنة المطهرة بروايات عديدة تظهر أهمية هذا الجانب

(١) ابن عبد ربه، تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، ص ١٢٥.

(٢) انظر: النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، ص
١٢٤.

الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل، ص ٨.

الأديب، علي محمد، منهج التربية عند الإمام علي، ص ١٥٥.

عوض، محمد زكي، أطفالنا والتربية، ص ٧٨.

فينكس، فيليب، فلسفة التربية، ص ٣٣٥.

(٣) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٠٦ و ١٨٦.

في التربية والتوجيه، فقد روى الحاكم في المستدرک بسند صحيح، عند عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا»^(١)، وكان عليه الصلاة والسلام يظهر حبه للأولاد، ولا يخفيه، فيقول عن أسامة بن زيد والحسن: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»^(٢)، وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس رأى النبي ﷺ وهو يقبل الحسن، فأخبر أن له عشرة من الولد لم يقبل أحداً منهم، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن يعلنها دستوراً للمريين عموماً فيقول: «إنه من لا يرحم لا يرحم»^(٣). فاعتبر تقبيل الصبيان من مظاهر الرحمة بهم، وقد كان يُكثر من تقبيل الحسين حتى يقبله في فمه محبة ورحمة به^(٤). وكان يقول عليه الصلاة والسلام: «ريحانتي حسن وحسين»^(٥)، وقدم عليه مرة جماعة من الأعراب ينكرون تقبيل الصبيان، فقال لهم: «وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة»^(٦)، ويقول عنه أنس بن مالك: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»^(٧). ويروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يخرج لسانه للحسين يداعبه ويلطفه رحمة به^(٨).

فهذا الفعل من رسول الله ﷺ، وإظهاره للحب والحنان للأولاد، والعطف عليهم أمام أصحابه وزواره يشير إشارة واضحة جلية أنه جانب مهم في التربية، ولا بد للأب المسلم أن يتتهجه مقتدياً برسول الله ﷺ، فيفيض

-
- (١) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الإيمان، ج ١، ص ٦٢.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، باب مناقب الحسن والحسين، ج ٥، ص ٣٢.
(٣) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الولد، حديث رقم (١٩١١)، ج ٤، ص ٣١٨.
(٤) انظر: أحمد، المسند، ج ٤، ص ١٧٢.
(٥) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٧٢٥٣)، ج ٤، ص ٤٣١.
(٦) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم (٦٤)، ج ٤، ص ١٨٠٨.
(٧) المصدر السابق، حديث رقم (٦٣).
(٨) انظر: البغوي، شرح السنة، باب بر الوالدين، ج ١٣، ص ٣٦. وسند الحديث حسن.

على أولاده من حبه وحنانه، ولا يبخل عليهم بذلك، خاصة وأن هذه القضية فطرية في قلوب الآباء، فليس في إظهارها تكلف؛ بل إن التكلف في كبتها وكتمانها، فإن نزعته هذه الرحمة الفطرية من قلب الأب فهو شقي منتكس الفطرة، ولا ينفع أن يكون أباً، ولا ينبغي أن يتولى تربية الأولاد فيحرفهم عن الجادة بقسوته وغلظته عليهم، فالطفل إن أحس ببغض والده له، بعدم إظهاره الحب والمودة، فإنه ينحرف قاصداً إزعاج والده وإتعاسه والانتقام منه، إذ أنه يعرف أن انحرافه يقلق والده ويزعجه^(١).

ومن أعجب ما يروى عن النبي ﷺ في رحمته بالأولاد الحديث الذي ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، عن أبي ليلي قال: «كنت عند النبي ﷺ وعلى صدره، أو بطنه الحسن أو الحسين عليهما السلام فبال فرأيت بوله أساريع (أي طرائق)، فقممت إليه، فقال دعوا ابني لا تفرعوه حتى يقضي بوله ثم أتبعه الماء» وفي رواية «لا تستعجلوه»^(٢)، فهذا نموذج تربوي فريد، وقدوة واقعية لمن أراد أن يتمثل المنهج التربوي الصحيح في مجال تربية الأولاد، والصبر عليهم ومراعاة حالهم.

ثالثاً: العدل:

جاءت الشريعة الإسلامية المباركة بالأمر بالعدل بين الأولاد، والتسوية بينهم، وذلك «تفادياً من التحاسد والتحاقد بينهم... فقد يحقدون أحياناً على أبيهم نفسه، والأب مأمور بأن لا يتعاطى من الأسباب ما يثير شيطان العقوق في نفس ولده»^(٣)، وجمهور علماء الأمة على استحباب العدل والتسوية بين الأولاد، وكراهة التفضيل بينهم في العطفية^(٤)، وذلك استناداً لما روى عن رسول الله ﷺ في الأمر بالعدل في العطفية، فقال عليه الصلاة

(١) ليونارد، شارلز، لماذا ينحرف الأطفال، ص ٨٢.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الطهارة، باب في بول الصبي والجارية، ج ١، ص ٢٨٩ - ٢٩٠. ورجال الحديث ثقات.

(٣) المغربي، عبد القادر، الأخلاق والواجبات، ص ١١٣. (بتصرف).

(٤) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٥، ص ٣٤.

والسلام: «اعدلوا بين أولادكم في العطية»^(١)، بل كان يذهب إلى أبعد من ذلك فيأمر بالعدل حتى في القبل عليه الصلاة والسلام،^(٢) ويقول أيضاً: «إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم، كما يحب أن تعدلوا بين أنفسكم»^(٣)، وما جاءت هذه الأوامر والتوجيهات من رسول الله ﷺ إلا لأهمية هذه القضية في مجال التربية، ومنعاً للحسد والتباغض بين الإخوة، فقد «اتفق الباحثون على أن أشد العوامل إثارة للحسد في نفوس الأطفال، هو تفضيل أخ على أخ، أو أخت، أو العكس، والموازنة بين الواحد والآخر أمام عينيه، أو على مسمع منه»^(٤)؛ لهذا كان على الأب المسلم أن يتجنب أسباب التباغض، والتحاسد بين أولاده بإقامة العدل بينهم، وتوزيع محبته وحنانه عليهم، وإن كان ذلك صعباً في بعض الأحيان للغفلة أو النسيان، أو للميل الفطري إلى الابن الأصغر مثلاً، أو إلى المطيع منهم، ولكن لا بد للوالد أن يلاحظ ذلك من نفسه، وأن يتنبه له، فإن الأطفال يحسون ذلك ويعونه، ويدركون مظاهر التفريق في المعاملة، فإن لم يتدارك الوالد تحسين الوضع، ورد الأمور إلى نصابها في إقامة العدل بينهم، فإن الولد المظلوم ربما نهج السلوك العدواني مع إخوانه انتقاماً لنفسه، أو ربما أثر ذلك عليه وسبب له ضعفاً في التحكم في إفرزاته،^(٥) إلى غير ذلك من مظاهر سوء التوافق النفسي الذي يمكن أن يصاب به الطفل المنبوذ.

رابعاً: المخالطة:

يميل الأولاد خاصة بعد الثامنة من العمر إلى الجلوس والحديث إلى آبائهم، ويحلمون بأن يكونوا على شاكلتهم، ويرغبون في السماع إلى توجيهاتهم^(٦)، وينبغي للأب المسلم أن يستغل هذه الفرصة، وهذا الميل من

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب الهبة للولد، ج ٣، ص ٢٠٦.

(٢) انظر: الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، ص ٢٤٧.

(٣) الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب البيوع، حديث رقم (١٧٣)، ج ٣، ص ٤٢.

(٤) الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، ص ٢٤٧.

(٥) الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل، ص ٣٩.

(٦) فوازو، برنار، نمو الذكاء عند الأطفال، ص ٣٣٥.

الولد فيوجهه التوجيه الصحيح المثمر، ولا ينبغي الانشغال عن الأولاد بالكلية بأي أمر كان، فإن رسول الله ﷺ رغم انشغاله بأمور المسلمين، والجهاد، وسياسة الدولة، لم يمنعه كل ذلك من مخالطة الأولاد - كما تقدم - فقد استفاضت كتب الحديث والسير بذكر منهجه وأسلوب حياته في البيت مع الأولاد، فقد روى عنه أصحابه رضي الله تعالى عنهم أنهم شاهدوه والحسن والحسين على بطنه أو صدره وربما يال أحدهما عليه، أو ربما جلس لهم عليه الصلاة والسلام كالفرس يمتطيان ظهره الشريف، وربما صلى وهو حامل أحد الأولاد أو البنات، ويروى عنه أنه كان يقبلهم في أفواههم ويشمهم ويضمهم إليه، وربما خرج على أصحابه وهو حامل الحسن والحسين على عاتقيه^(١)، فكان عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعلو منزلته يفعل ذلك؛ ليقندي به الناس، ولأنه يعلم أهمية هذه المخالطة في المجال التربوي للطفل .

أما مع الأطفال الكبار، فكان عليه الصلاة والسلام يمازحهم بما يعقلون ويدركون، فيقول لأحدهم: «يا ذا الأذنين»^(٢)، وربما مسح أحدهم في وجهه بالماء مداعبة له،^(٣) وربما قال لأحدهم: «يا أبا عمير ما فعل النغير»^(٤).

وهذا كله لم ينقص من جلالة قدره عليه الصلاة والسلام، فقد كان

(١) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج ٨، ص ٨.

مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، حديث رقم (٤١)، ج ١، ص ٣٨٥.

الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٦٦ .
الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الطهارة، باب في بول الصبي والجارية، ج ١، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، حديث رقم (٥٠٠٢)، ج ٤، ص ٣٠١ .

(٣) انظر: البخاري صحيح البخاري، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير، ج ١، ص ٢٩ .

(٤) المصدر السابق، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي قبل أن يولد للرجل، ج ٨، ص ٥٥ .

يعلم جيداً أن الأطفال لا يدركون الدنيا بعقولهم وأفهامهم؛ بل يدركونها بعيونهم، بما يشاهدونه من الملاطفة والحب والمخالطة^(١)، لهذا كان عليه الصلاة والسلام يأسر قلوب الصغار والكبار على حد سواء.

فالأب المسلم مدعو للاقتداء بالنبي ﷺ في هذا المجال الهام، فإن لم يتمكن من مخالطتهم دائماً خصص لذلك وقتاً معيناً في اليوم والليلة يجلس فيه مع الأولاد يتحدث إليهم، ويتبسط معهم، ويداعبهم، ويدخل عليهم السرور مستعملاً في ذلك الكلمات الجميلة، والنظرات المشفقة الحانية، والعناق والقبل، حتى وإن بلغ الطفل سن التمييز فلا مانع من ذلك في غير مشهد من الناس^(*)، مع الاهتمام بالسنوات الأولى فإن السنوات الست الأولى من عمر الولد لها أهمية بالغة؛ بل هي الأساس الذي سوف يكون عليه الولد بعد أن يكبر، لهذا كان استغلالها وتوجيه الطفل فيها إلى الخير له دوره الهام في حياته المستقبلية^(٢)، فإن لم يتمكن الأب من الإشراف المباشر على أولاده ومشاركتهم نشاطاتهم، فإنه يمكنه أن يساعدهم في بعض الأحيان على أن يبدؤوا نشاطاً ما^(٣)، كأن يوجههم مثلاً إلى قراءة في كتاب معين، فيبدأ معهم ثم يتركهم يكملون، ويذهب هو لمهامه، أو يجلب إليهم لعبة هادفة مسلية، فيدربهم على طريقة استعمالها والاستفادة منها ويشاركهم في بعض الوقت، ثم يتركهم يكملون لعبهم منهمكين بلعبتهم الجديدة، ويخرج هو من بينهم دون أن يشعروا به. وبهذا يكون قد أدرك شيئاً من واجباته في هذا المجال التربوي الهام. ولكن يلاحظ في كل هذا أنه هو الأب وهو صاحب السلطة والمهابة فلا يخالط أولاده - خاصة الكبار منهم - مخالطة تزيل الكلفة بينه وبينهم، فلا يحترمونه ولا يهابونه، فإن حدث هذا فقد الأب وسيلة من أعظم

(١) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف تربي أطفالكنا، ص ٨٤.

(*) لا بأس بأن يحتضن الأب أولاده الكبار على مشهد من الناس إن علم أن ذلك لا يضايقهم، فقد نقل ذلك الفعل عن الخليفة هارون الرشيد حيث احتضن الأمين والمأمون في مجلسه وبكى عندما رأى منهما نجابة وذكاء. انظر: ابن العديم، الدراري في ذكر الدراري، ص ٣٤.

(٢) عمر، المختار، أطفال اليوم وكيف نربيهم، ص ١١.

(٣) ليونارد، شارلز، لماذا يتحرف الأطفال، ص ٣٤.

الوسائل التربوية مع أولاده، وهي جانب السلطة والشخصية والمهابة، فإن من صفات المؤمن أنه «رزق حلاوة ومهابة»^(١)، فيلاحظ الأب هذا الجانب الهام، ويكون على جانب من التوسط دون إفراط أو تفريط.

خامساً: الحكمة في التوجيه:

جاء الأمر في الشريعة الإسلامية على التيسير والتسهيل والمقاربة، دون التعسير والتشديد. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٢)، وقد جاءت السنة المطهرة مبيّنة لمقاصد الشريعة من التسهيل والتيسير، ودم التنطع والمشاادة في العبادات التي هي أعظم الأعمال وأجلّها وأحبها إلى الله عز وجل، قال عليه الصلاة والسلام: «سدّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»^(٣). فالغدو هو السير أول النهار، والدلجة هي السير في الليل، وهذا الحديث يفيد الرفق في العبادة وترك التشدد فيها^(٤). وفي حديث آخر ذم عليه الصلاة والسلام المتنتعنين، فقال: «هلك المتنتعون»^(٥)، وهم: «المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»^(٦). يقول المربي ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «إن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد، والاقتصاد، والتيسير، دون ما كان على وجه التكلف، والاجتهاد، والتعسير»^(٧)، فإذا كان الأمر كذلك مع العبادات فكيف بغيرها من الأمور؟ لا شك أن غيرها أهون منها، وأحرى أن ينال من الرفق واللين والتيسير والتسهيل أكثر مما نالته العبادة.

(١) ابن القيم، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ص ٩٤.

(٢) البقرة ١٨٥.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب ما جاء في الرفق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، باب القصد والمداومة على العمل، ج ٨، ص ١٢٢.

(٤) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٢٤، ص ٨٣.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنتعون، حديث رقم (٧)، ج ٤، ص ٢٠٥٥.

(٦) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٦، ص ٢٢٠.

(٧) ابن رجب، المحجة في سير الدلجة، ص ٤٦-٤٧.

فمن هذا المنطلق كانت تربية الأولاد وتوجيههم بمنهج التوسط والمقاربة والسداد، أولى وأحرى وأكثر جدوى من التشدد والتعسير، فإن الله يحب الرفق ويعجزى عليه جزاء كثيراً، ويبغض العنف ويكرهه، يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»^(١)، فإن رأى الوالد الوقت المناسب للوعظ، اشتغل به دون إفراط أو إكثار منه، فإن كثرة المواعظ مملّة، وربما ضعف تأثيرها، وسببت رد فعل عند الأولاد^(٢)، كما أن كثرتها تخالف السنة والمنهج النبوي في الوعظ، إذ كان عليه الصلاة والسلام يتخول أصحابه بالموعظة، ولا يكثر عليهم، رغم رغبتهم وحبهم لسماع مواعظه وإرشاداته^(٣)، كما أن العقاب الكثير ضار بالولد، فلا بأس بعض الأحيان من التغافل عن بعض أخطاء الطفل - خاصة العفوية منها - فتمر دون تعليق، أو توجيه، أو عقاب، فقد نصح الإمام الغزالي رحمه الله بذلك، فقال: «ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبه الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً»^(٤)، فإن احتاج الأب إلى التأديب والتوبيخ تجنب الاستبداد في ذلك وتوسط^(٥).

وعلى الأب المسلم أن ينهج مع ولده منهجاً قاصداً متوسطاً يحفظ فيه كرامته فلا يخذلها، ولا يكثر من التعنيف الذي يؤدي بالولد إلى عدم احترامه والجرأة عليه، وأن يمنحه شيئاً من الحرية دون إفراط أو تفريط، وعدم التشدد والصرامة في تطبيق النظام والقواعد في البيت؛ بل يمزج ذلك بشيء من المرح والمداعبة والحب، ولا بأس في إفهامه سبب الأمر الذي أمره به

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم (٧٧)، ج ٤، ص ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤.

(٢) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، ص ٥٤.

(٣) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ج ١، ص ٢٧.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٧٠.

(٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٣٣٥.

والحكمة منه؛ ليكون حافزاً له على فعله وتنفيذه، مع مراعاة عدم تعليق تنفيذ الأمر باقتناع الولد به، فهذا يفسده، ويجب على الأب أن يراعي فهم ولده وقدراته فلا يطالبه بمعايير الكبار، ولا يأمره بما هو خارج نطاق قدرته فهو لا يزال طفلاً صغيراً.

ويوطن الأب نفسه على الاعتدال في معاملة الطفل، فلا يدلله بإفراط، فيشعر بالتسامي على غيره، ولا يحتقره ويهينه وبدله، فيعيش ذليلاً خاملاً. كما يلاحظ عدم الإكثار من إظهار الخوف عليه والمهابة من أقل شيء يصيبه في لعبه من أمور البيئة من حوله، فإن هذا يضره، ويفسد قدراته على مجاراة البيئة المادية، كما أن إهماله وعدم الاكتراث به وبما يمكن أن يحدث له، يسبب له قلقاً نفسياً^(١).

وخلاصة القول هو التقيد بمنهج الاعتدال، والتدرج والتلطف في توجيه الولد وتربيته، والأخذ بنصيحة الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى إذ يقول: «واعلم أن رياضة النفس تكون بالتلطف والتنقل من حال إلى حال، ولا ينبغي أن يؤخذ أولاً بالعنف، ولكن بالتلطف، ثم يمزج الرغبة والرغبة»^(٢).

سادساً: الدعاء والتضرع:

للدعاء واللجوء إلى الله عز وجل مفعولاً عظيماً في إصلاح الأولاد، واستقامتهم على الدين، فالله سبحانه وتعالى هو مالك الملك، وأمور الخلق وأقدارهم بين يديه يصرفها كيف يشاء، فإذا كان هو سبحانه وتعالى صاحب

(١) انظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٢٣.
الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، ص ٢٧.
عوض، محمد زكي، أطفالنا والتربية، ص ٣٥.
الغيرة، نبيه، المشكلات السلوكية عند الأطفال، ص ٥٨.
سرحان، منير المرسي، في اجتماعيات التربية، ص ١٩٣.
فينكس، فيليب، فلسفة التربية، ص ٣١٩ و ص ٨٢٦-٨٢٧.
فوستر، كونستانس، تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال، ص ٦٩.
(٢) ابن الجوزي، الطب الروحاني، ص ٥٨.

الشأن، كان من الضروري، بل ومن اللازم الطلب منه ودعاؤه، والابتهاال والالتجاء إليه رجاء صلاح الذرية واستقامتها، فإنه لا يوجد شيء في الدنيا أقر وأهنأ لعين المؤمن من صلاح أهله وولده. (١)، فالدعاء أكرم شيء على الله، وهو أشرف العبادات، بل هو العبادة نفسها. (٢) ومن المعروف أن دعوة الأب لولده مستجابة (٣)، فما أفضل وأحسن أن يستغل الوالد هذه المنزلة والكرامة من الله عز وجل بأن يدعو لذريته، ويرجو من الله صلاحها وهدايتها، فيقتدي في ذلك بالأنبياء الكرام عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه، فقد كانوا أكثر الناس دعاء والتجاء إلى الله، وطلباً منه إصلاح أولادهم، فقد سجل القرآن الكريم لبعضهم دعوات وتضرعات عظيمة. فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو الله سبحانه وتعالى أن يجنبه وذريته عبادة الأصنام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (٤). وبعد أن رزقه الله تعالى الذرية الصالحة يحمد الله على ذلك، ويؤكد أن الله سميع الدعاء، فيقول كما حكى الله تعالى عنه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٥)، وهذا نبي الله زكريا عليه السلام يدعو طالباً الذرية الطيبة: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٦)، وهكذا الأنبياء كلهم عليهم السلام يتضرعون إلى الله بالدعاء راغبين خائفين، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ

(١) البيهقي، معالم التنزيل، ج ٣، ص ٣٧٩.

(٢) انظر: البخاري، الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، حديث رقم (٧١٣، ٧١٤، ٧١٥)، ص ٢٤١.

(٣) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب رقم (٤٨)، حديث رقم (٣٤٤٨)، ج ٥، ص ٥٠٢. والحديث حسن.

(٤) إبراهيم ٣٥.

(٥) إبراهيم ٣٩.

(٦) آل عمران ٣٨.

فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَأَنَّا الْنَاخِشِينَ ﴿١﴾.

لذا لا ينبغي للوالد أبداً أن يهجر الدعاء، أو أن يقصر فيه، فإنه مأمور به كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٢)، وقال أيضاً: ﴿ وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (٤).

وعلى الوالد أن يحذر كل الحذر من أن يدعو على أولاده بشر؛ فإن دعوته مستجابة - كما تقدم -، فقد نقل عن عبد الله بن المبارك أن رجلاً جاءه يشكو إليه عقوق ولده فسأله إن كان قد دعا عليه أم لا؟ فأجاب بأنه قد دعا عليه، فقال له حينئذ: «أنت أفسدته» (٥)، فعلى الوالد أن يحذر من ذلك ويستبدل الدعاء بالدعاء لهم، ولا بأس أن يجمعهم في بعض الأوقات فيدعو لهم؛ كما كان يفعل أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عند ختم القرآن الكريم (٦).

(١) الأنبياء . ٩٠ .

(٢) غافر . ٦٠ .

(٣) الأعراف . ٥٦ .

(٤) الأعراف . ١٨٠ .

(٥) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٢٩٨ .

(٦) انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب التفسير، باب الدعاء عند ختم القرآن،

ج ٧، ص ١٧٥ . رجال الحديث ثقات .

المبحث الرابع

مسؤولية الأب في التعليم والتأديب

أولاً: التعليم

ثانياً: التأديب

المبحث الرابع:

مسؤولية الأب في التعليم والتأديب

تحدث المبحث السابق عن المقومات التي يجب أن يتحلى بها الأب المسلم في نفسه وشخصه؛ ليكون مثلاً طيباً لأولاده يتأثرون به، ويعملون بتوجيهاته.

ولا بد لإكمال التصور عن نظرة الإسلام للأب المسلم أن يتعرف الأب على مسؤولياته في مجال التعليم والتثقيف، ومجال التأديب وإيقاع العقوبة، فيتعرف على المنهج الصحيح، والأسلوب الأنجح في هذين المجالين الهامين في حياة الطفل.

أولاً: التعليم:

يتعلم الطفل في سنواته الأولى أكثر بكثير مما يتصوره الآباء، فإن العادات يمكن أن يكتسبها بسهولة كلما كانت سنه أصغر، فإن «٩٠٪» من العملية التربوية تتم في السنوات الخمس الأولى، كما أن الطفل في هذه الفترة يميل إلى إرضاء والده، ويحاول أن يخرج منه عبارات الثناء والإعجاب^(١). فمن البديهي أن يستغل الوالد هذه الفترة الهامة في تعليمه وتوجيهه الوجهة الحسنة. يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى في هذا المجال: «أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً. قال الشاعر:

(١) عمر، المختار، أطفال اليوم وكيف نربهم، ص ١٢-١٤ و٦٦.

الشرقاوي، أنور محمد، انحراف الأحداث، ص ١٠٨.

الدويك، محمد طالب، «ظواهر لغة الطفل قبل دخول المدرسة»، مجلة التربية، العدد (٧٢)، ص ١٠٤.

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب
قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب»^(١)
ويرى البعض أن توجيه الطفل يبدأ منذ نعومة أظفاره منذ الفطام^(٢). فلا
مجال للآب أن يسوف، أو يؤخر مسألة التعليم إلى أن يكبر الولد.

ومن هذا المنطلق الهام، جاءت السنة المطهرة بالتوجيهات للآباء بأن
يلتفتوا إلى أبنائهم، وأن يحسنوا تعليمهم وتأديبهم، فقد روى عن رسول الله
ﷺ أنه قال: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»، وقال أيضاً:
«ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»^(٣)، وجاء التحذير لمن
فرط في هذه المهمة العظيمة، وأهمل تربيته، فقد قيل: «أول من يتعلق
بالرجل زوجته وأولاده فيوقفونه بين يدي الله عز وجل فيقولون: يا ربنا خذ لنا
حقنا من هذا الرجل، فإنه لم يعلمنا أمور ديننا»^(٤). لهذا كان واجباً على
الآب أن يكون عالماً بأمور الدين محيطاً بالحلال والحرام، وأساليب التربية،
ومبادئ الأخلاق وقواعد الشريعة^(٥)، فإن لم يكن عالماً بها وجب عليه تعلم
ملا يعذر بجهله من أمور الدين، وذلك ليعبد الله على علم ويقين، وأن يعلم
أولاده أمور دينهم، وما أوجبه الله عليه من الأوامر والنواهي، والحلال
والحرام، فإن لم يفعل ذلك وأهمل، فإن تربيته لأبنائه سوف تكون منحرفة،
وبالتالي ينحرف الأطفال، ويكونون عبثاً على المجتمع إذا كبروا. ومن
المعروف أن التربية الخاطئة تعد أهم العوامل صلة بالجرائم^(٦).

والطفل في صغره لا يعرف ولا يميز بين الصالح والطالح، والخير
والشر، إنما لديه رغبة يحس بها في نفسه تدفعه إلى طاعة من يوجهه

(١) ابن الجوزي، الطب الروحاني، ص ٦٠.

(٢) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٧١.

(٣) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد، حديث رقم
(١٩٥١)، وحديث رقم (١٩٥٢)، ج ٤، ص ٣٣٧ - ٣٣٨. وكلا الحديثين غريب.

(٤) السمرقندي، عقوبة أهل الكباثر، ص ٧٧.

(٥) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢، ص ٧٨٥.

(٦) الشرقاوي، أنور محمد، انحراف الأحداث، ص ١٠٥.

ويرشده، فيعيش تحت سلطته وإمارته، فإن لم يجد هذه السلطة الموجهة الضابطة لتصرفاته والموجهة لها، فإنه يتشأ قلقاً حائراً ضعيف الإرادة والشخصية^(١)، لهذا فإن دور الأب هام لاستقامة شخصية الطفل، وتحقيق التوافق النفسي عنده.

وفي مجال التعليم العملي للطفل فلأب في رسول الله ﷺ القدوة في ذلك، فقد روى أنه رأى مرة غلاماً لا يحسن سلخ الشاة فقال له: «تنح حتى أريك، فأدخل يده بين الجلد واللحم فدحس بها حتى توارت إلى الإبط ثم مضى»^(٢)، وهكذا لا يمنعه عليه الصلاة والسلام انشغاله بأمور المسلمين الكبرى عن توجيهه غلام صغير إلى سلخ شاة، فقد كان بالإمكان أن يقوم غيره من الصحابة بذلك، ولكن لتتم القدوة والأسوة به في هذا المجال قام عليه الصلاة والسلام بنفسه بتعليم الغلام. فما الذي يمنع الأب من الاجتماع بأولاده في أوقات متفرقة منتظمة، يعلمهم أمور دينهم فهي أهم من ذبح الشاة والغنم، فإن بعض علماء السلف كانوا يجمعون الصبيان الصغار، فيحدثونهم، ويعلمونهم أمور دينهم، ولا يترفعون عن ذلك^(٣).

والأب غير مطالب بأسلوب، أو منهج معين في تعليم أولاده، إنما المقصود هو تعليمهم وتنقيفهم، وتحصينهم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، والأخلاق والآداب الإسلامية معتمداً على القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة وغيرها من المصادر. فإن صعب عليه أسلوب الإلقاء والمحاضرة انتهج أسلوب القراءة، فيحضر لهم فقرة من باب معين من أبواب الفقه، أو السيرة أو غيرهما. مراعيًا الإيجاز، وسلاسة الأسلوب، وقدرات الأولاد العقلية، فيقرأ ذلك عليهم، ويجب على أسئلتهم. كما يمكنه أن ينتهج

(١) النحلوي، عبد الرحمن، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص ١٤٦.
(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء من مس اللحم النيء وغسله، حديث رقم (١٨٥)، ج ١، ص ٤٧.
(٣) انظر: الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، حديث رقم (٣٥٩)، ج ١، ص ٢٠٣.

معهم أسلوب الأسئلة، فيكتب بعض الأسئلة في بطاقات صغيرة، ثم يأمر الأولاد بأن يأخذ كل واحد منهم سؤالاً يجيب عنه.

والمجال في هذا متسع، فيمكن للأب أن ينتهج ويتكر أساليب أخرى في هذا المجال. وتعليم الأطفال وتربيتهم لا يعتمد على حلقات الدروس فقط؛ بل يستغل الوالد كل وقت يراه مناسباً فيوجه فيه ولده إلى حفظ سورة من القرآن الكريم، أو آيات منه، أو حديث، أو ذكر معين من الأذكار الواردة، فيإمكانه استغلال الوقت الذي يقضيه مع الولد حين يأخذه في السيارة إلى المدرسة ذهاباً وإياباً. وهي فترة لا بأس بها يمكن أن يستفاد منها^(١). والمقصود استغلال جميع الأوقات المناسبة في توجيه الولد وتعليمه وتثقيفه، خاصة إذا كان الأب كثير المشاغل، قليل الوقت.

ثانياً: التأديب:

يعترف المربون المسلمون بأهمية العقاب ويقرونه^(٢)، وذلك لما له من دور في تعديل السلوك وتوجيهه. على أن يستخدم عند الحاجة، مع مراعاة نوع العقوبة ومقدارها، فقد ثبت فيما نقل عن رسول الله ﷺ بسند صحيح أنه رأى أبا بكر رضي الله تعالى عنه وهو يضرب غلاماً له، فتبسم ولم ينكر عليه^(٣). فضرب الولد عند الحاجة؛ لتأديبه وتربيته جائز^(٤). ولكن يجب أن يعي الأب المسلم أن آخر العلاج الكفي، فإن استخدم أسلوب العقاب البدني يجب أن يكون هو الوسيلة الأخيرة في العقاب، فإن تعود الطفل عليه، وألفه عند كل خطأ يقع فيه، فإنه لن يصبح له تأثير فيه بعد ذلك، إلى جانب أن وسائل العقاب الأخرى مثل الهجر والحرمان من المصروف وغيرهما من العقوبات النفسية لن تفلح معه بعد فشل العقاب البدني.

(١) القطان، أحمد واجبات الآباء نحو الأبناء، ص ٣٦.

(٢) جرادات، عزت، «تربية الطفل في الإسلام»، مجلة التربية، العدد (٧٤)، ص ١٢٤.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب المناسک، ج ١، ص ٤٥٤.

(٤) الوصافي، البركة في فضل السعي والحركة، ص ٩٨.

لهذا كان لزاماً على الأب الواعي أن يتدرج في إيقاع العقوبة على الطفل، فيبدأ بعدم التشجيع مثلاً، ثم الإعراض عنه، وإعلامه بعدم الرضا عنه، ثم الزجر والعبوس في وجهه، ثم الهجر والمقاطعة، ثم حرمانه من محبوباته، وهكذا حتى يصل إلى العقوبة البدنية مع التدرج فيها من الضرب الخفيف إلى الأشد. وتعد هذه الأخيرة هي أشد أنواع العقوبات، ولا ينبغي أن يلتفت إلى ما يقال من أن العقوبة تعقد الطفل أو تضره فإن هذا غير صحيح؛ بل إن العقوبة المناسبة إذا جاءت في الوقت المناسب، أي بعد اقرار الذنب مباشرة دون أن تتضمن جرحاً للكرامة، فإنها تكون مجدية ونافعة للطفل غير ضارة به^(١)، مع مراعاة عدم لطم الوجه، فقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك^(٢)، ولم ينقل عنه أنه ضرب أحداً^(٣). فلو أن الأب انتهج أسلوب التهديد، دون إيقاع العقاب، وكان التهديد مفيداً مع الولد، فإنه لا ينبغي له أن ينتقل منه إلى غيره من أنواع العقوبات الأشد، إلا إذا تمادى الطفل، ولم يعد يخاف التهديد^(٤)، فإن السنة المطهرة جاءت بمثل هذا، فقد أمر عليه الصلاة والسلام «بتعليق السوط في البيت»^(٥). وتعليق السوط في البيت يوحى بإمكانية إيقاع العقوبة، وبناء على ذلك ينزجر الولد ويرتدع.

وقد اختلف التربويون في السن الذي يستعمل فيه العقاب البدني مع الطفل، فقد ذهب بعضهم إلى أنه لا يقع إلا بعد العاشرة؛ استناداً إلى أن ضرب الطفل على الصلاة - والتي هي أهم من غيرها - لا يكون إلا بعد العاشرة، فغيرها من الأمور لا ينبغي الضرب عليها من باب أولى، إلا بعد

-
- (١) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج٢، ص١٣٦ و١٤٠-١٤٢.
انظر أيضاً: راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، ص٢٢٦.
(٢) انظر: مسلم، صحيح مسلم، باب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم (١١٤)، ج٤، ص٢٠١٧.
(٣) انظر: ابن أبي شيبه، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الأدب، في الرجل يؤدب امرأته، ج٨، ص٣٦٨-٣٦٩.
(٤) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج٢، ص١٤٤.
(٥) البخاري، الأدب المفرد، باب تعليق السوط في البيت، حديث رقم (١٢٣٤)، ص٤٠٨.

هذا السن^(١). والبعض يرى أن الطفل لا يدرك مسألة الصواب والخطأ إلا في الثامنة من عمره^(٢)، وآخرون يرون أنه يدرك قضية الثواب والعقاب، والقيم الخلقية، والشعور بها، وتقبل معاييرها ما بين «٣ - ٧» سنوات^(٣)، والعقاب عادة لا يكون إلا بعد أن يدرك الطفل ويفهم سببه؛ ليحصل المقصود من إيقاعه. فالتحقيق في هذه القضية هو محاولة تجنب ضرب الطفل عموماً قدر الإمكان، في جميع سنين عمره، فإن كان ولا بد منه، فيكون في الوقت الذي يدرك فيه الطفل معنى العقوبة، وسببها، وأنه مستحق لها، وبعد أن يكون قد هدد بها. مراعيًا الأب في ذلك التدرج - الذي ذكر سابقاً - والتوسط في إيقاعها بأن لا يحس الطفل أنها للشفوي، أو الانتقام؛ بل يربط الذنب بالعقاب ليفهم الطفل ويعي سبب عقابه^(٤). فإن أوقع الوالد العقوبة بالولد فاستنجد بالله وذكره، فلا ينبغي للوالد أن يسترسل في العقوبة؛ بل يكف عنها تعظيماً لله في نفس الطفل، فقد ورد النهي عن ضرب الخادم إذا ذكر الله والولد أولى^(٥).

وقد ذكر بعض المتصلين بالتربية أهمية العقاب بالهجر والتوبيخ، وغيرهما من العقوبات النفسية مرجحينها على العقوبات البدنية، وذلك لأن الأطفال يكرهون الضرب ويغضونه، وإن العقوبات النفسية أكثر جدوى^(٦)، وكيف ما كانت آراء التربويين فإن الأب الفطن يدرك من ولده ما لا يدركه

(١) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٣٣٩.

(٢) يونس، أحمد السيد، طفلك في عامه الثامن، ص ٦٥.

(٣) الهاشمي، عبد الحميد محمد، أصول علم النفس العام، ص ١٥٣ و١٥٧.

(٤) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٤٣.

انظر أيضاً: الغبرة، نبيه، المشكلات السلوكية عند الأطفال، ص ٦١ - ٦٢.

(٥) انظر: البغوي، شرح السنة، كتاب العدة، باب وعيد من ضرب عبده أو قذفه، حديث رقم

(٢٤١٣)، ج ٩، ص ٣٤٩. والحديث ضعيف جداً.

(٦) انظر: فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية، ص ٤٦١.

الهلال، يوسف سجد، التربية والطفل، ص ١٢.

عبد الدائم، عبدالله، التربية عبر التاريخ، ص ٢٧٦.

الينجورث، رونالد وسينثيا الينجورث، الرضع والأطفال الصغار، ص ٢٢١.

غيره، فيستعمل كل عقاب في حينه، حسب خبرته وتوقعاته للفوائد.

وعلى الوالد أن يلاحظ حين قيامه بأمر الطفل أو نهيهِ أن يجذب انتباهه أولاً، ثم يحاول أن يفهمه الأمر بلغة سهلة يدركها الطفل، مع مراعاة الوضوح والبطء وعدم الإكثار من الأوامر، مبيناً له أن هذا الأمر يؤذيه - إن كان الأمر يؤذيه فعلاً - أو يؤذي الآخرين، فالطفل إن عومل بهذه الطريقة، فإنه في العادة يستجيب^(١).

ونقطة أخيرة يجب الاهتمام بها، وهي قضية مراقبة الطفل والتجسس عليه وفضحه إذا أخطأ، وهتك ستره، ففي هذا يقول الإمام الغزالي بعد أن ذكر أهمية تشجيع الطفل على قيامه بالأعمال المحمودة، ومكافأته على ذلك، قال: «... فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره... لا سيما إذا ستره الصبي، واجتهد في إخفائه؛ فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاقب سراً، ويعظم الأمر فيه»^(٢). وهذا من الرفق والرحمة بالولد فليس كل خطأ أو زلة توجب العقاب والزجر، وهذا مشروع مع الحيوان البهيم فضلاً عن الإنسان المكرم، فقد ذكر أن السيدة عائشة رضي الله عنها ركبت بعيراً فاستعصى عليها «فجعلت تُردِّده، فقال لها رسول الله ﷺ: عليك بالرفق»^(٣). فإذا كان المسلم مأموراً بالرفق عند قيادة البعير فكيف بولده؟

(١) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، ص ١٩٣.

ويتزمان، الياس، التربية الاجتماعية للأطفال، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٧٠.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم (٧٩)، ج ٤، ص ٢٠٠٤.

الفصل الثاني

مسؤولية الأب في التربية الخلقية

مقدمة

المبحث الأول : الأخلاق مع الله

المبحث الثاني : الأخلاق مع الرسول والأنبياء والملائكة

المبحث الثالث : الأخلاق مع النفس

المبحث الرابع : الأخلاق مع المسلمين

المبحث الخامس : الأخلاق مع غير المسلمين

المبحث السادس : الأخلاق مع الشيطان

المبحث السابع : الأخلاق مع غير المكلفين

الفصل الثاني

مسؤولية الأب في التربية الخلقية

مقدمة:

تضمن القرآن الكريم دستوراً للأخلاق والآداب في جميع مجالات ونشاطات الإنسان، فلم يترك جانباً منها إلا وكان له فيه توجيه وإرشاد.

ومن هذه التوجيهات القرآنية المباركة في مجال التربية الخلقية للأولاد قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَبْنِيْ اِيْمَانًا تَكُ مَثَقَالِ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰٓاِنَّ اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ حَيِيْرٌ . يٰٓبُنَيَّ اَقِمِ الصَّلٰوةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْر . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرْحًا اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ وَاَقْصِدْ فِي مَشِيْكَ وَاَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ اِنَّ اَنْكَرَ الْاَصْوٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيْرِ﴾^(٢). فهذه الآيات الكريمة تضمنت دستوراً كاملاً من الأخلاق الرفيعة؛ حيث بدأت بحق الله عز وجل لأنه أعظم الحقوق وأجلها، فأمرت بإخلاص العبادة لله، والنهي عن الشرك الذي هو أعظم الذنوب وأكبرها، ثم تضع هذه الآيات الولد في مجال من المراقبة الصارمة الكاملة على جميع تحركاته ونشاطاته، فتبين أن الله لا يخفي عليه قدر ذرة في هذا

(١) لقمان ١٣ .

(٢) لقمان ١٦ - ١٩ .

الكون الفسيح ، مما يوحي للولد بتمام وقوعه تحت بصر الله عز وجل وسمعه ومراقبته الكاملة .

وفي جانب آخر توجه الآيات الولد إلى الدعوة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على تبعات ذلك، وألا يسوقه صلاحه واستقامته إلى الكبر، والغطرسة، واحتقار الناس؛ بل يؤمر بضد ذلك من التواضع وخفض الجناح، والتأدب في محادثة الناس . وهكذا القرآن الكريم في آيات قليلة يضع دستوراً متكاملًا من الأخلاق والآداب الاجتماعية والفردية مع الله عز وجل، ومع كل ذي حق من الناس . فيعيش الولد في هذه الحياة وقد تبين له الصواب الصحيح من الخطأ الصريح، فيعرف الهدف من الحياة فلا يكون هملاً ضائعاً بلا نظام يقوده ويقوم سلوكه ويوجهه .

وقد تضمنت السنة المطهرة آداباً وأخلاقاً وتوجيهاتٍ كثيرةً في هذا المجال، وجاءت بمثل ما جاء به القرآن من التوجيه نحو التزام الأخلاق الحسنة ونبذ السيء منها . يقول عليه الصلاة والسلام مبيناً منزلة الأخلاق في الإسلام: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل وصائم النهار»^(١)، ويقول أيضاً: «إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق، ويغض سفسافها»^(٢)، فالقائم الصائم المتطوع بهاتين العبادتين العظيمتين لا يبلغ فضل درجة المتحلي بالأخلاق الحسنة، المعامل للناس بطيب نفس، المترفع عن رذائل الأخلاق وسيئها، وذلك لأن التطوع بالصيام والقيام من المستحبات وليس من الواجبات، أما الالتزام بحسن الخلق في المعاملة من حقوق المسلم الواجبة، فلا يقوم التطوع مقام الواجب في المنزلة والمكانة، بالإضافة إلى ما في التزام الأخلاق الحسنة مع الناس من المشقة، والمجاهدة التي توجب عظيم الأجر والمثوبة .

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الإیمان، ج ١، ص ٦٠ . والحديث علی شرط الشيخین .

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨ . والحديث صحيح الإسناد .

وهذه الأخلاق الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة أخلاق ثابتة لا تتغير، ولا تبدل، ولا تتطور^(١)، فلا يمكن بحال أن يصبح الكذب والخيانة في يوم ما من الفضائل، أو الصدق والأمانة من البلاء والغباء، أو الشتم وبذاءة اللسان من الأدب؛ بل إن ماجاء الإسلام بدمه فهو مذموم إلى يوم القيامة، وما جاء بتحسينه ومدحه فهو كذلك إلى يوم القيامة لا يتغير ذلك أبداً.

وهذا الثبات في الأخلاق الإسلامية يعد من أهم خصائصها وأعظم مميزاتها، التي تنفرد بها عن القيم والأخلاق الوضعية التي يتعارف عليها الناس بعيداً عن وحي الله المبارك.

وهذه الأخلاق - وإن كانت بأمر من الله - لا تصدر عن الإنسان قسراً وفرضاً، بل هي هيئة في النفس الإنسانية راسخة تصدر عنها هذه الأفعال بسهولة ويسر، فالخلق لا يسمى خلقاً حتى يكون نابعاً عن حب ورسوخ داخل النفس، فمن بذل المال على سبيل النذرة لا يعد كريماً سخياً؛ إنما الكريم الذي يكون السخاء والكرم خلقه الدائم الذي لا ينفك عنه، حتى وإن لم يصدر عنه البذل والعطاء لقلّة ما في يده. (٢)

وفي العموم فإن كل ماجاءت به الشريعة الإسلامية من أخلاق فإنها لصالح الإنسان ولنفعه، وهي مدعمة بالحجة البالغة، والبرهان الواضح على خيرها وفضلها والمجال فيها واسع للتفكير والتدبر والتأمل لمعرفة عظم هذه التعاليم، ومدى صلاحها للبشر.

وقد أوجد نظام الإسلام في تعاليمه المباركة مجالات كبيرة وواسعة للتطبيق العملي الواقعي لهذه الأخلاق، فلا يقتصر التوجيه الإسلامي إلى هذه الأخلاق على الجانب النظري المتمثل في المواعظ والخطب؛ بل أوجد من المجالات، والعلاقات البشرية المتنوعة، ما يسع تطبيق وممارسة كل هذه

(١) قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ٧٢.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٥١-٥٢.

الأخلاق والآداب المختلفة. فعلاقة الإنسان بربه عز وجل، وعلاقة الآباء بالأبناء، وعلاقة الرجل بأهله، وعلاقته بأقربائه، وجيرانه، والرجل في الطريق، كل تلك مجالات واسعة يجدها المسلم وينطلق من خلالها ليمارس تلك الآداب والأخلاق الإسلامية العظيمة.

وتهدف التربية الخلقية في الإسلام إلى مرام سامية، وذلك من خلال تطبيقها وممارستها في واقع الحياة، ومن هذه الأهداف: ^(١)

- ١ - إرضاء الله عز وجل والتزام أمره.
- ٢ - احترام الإنسان لذاته وشخصيته.
- ٣ - تهذيب الغرائز، وتنمية العواطف الشريفة الحسنة.
- ٤ - إيجاد الإرادة الصالحة القوية.
- ٥ - اكتساب العادات النافعة الطيبة.
- ٦ - انتزاع روح الشر عند الإنسان، واستبدالها بروح الخير والفضيلة.

ولتحقيق هذه الأهداف النبيلة عند الولد، فإن الأب المسلم يستغل فترة الطفولة، وصغر سن الولد، وضعفه وحاجته إليه، وقوة سلطته عليه في توجيهه وتربيته على المنهج الإسلامي القويم، فإن تكوين «العادة في الصغر» أسير بكثير من تكوينها في الكبر، وذلك لأن الجهاز العصبي الغض للطفل أكثر قابلية للتشكل، وأسير حفرأ على سطحه»^(٢). ويكاد يجمع علماء النفس والاجتماع والتربية على أن شخصية الطفل، وما سوف يؤول إليه من اتجاهات انفعالية ومزاجية: تتحدد في السنوات الأولى من عمره^(٣)؛ لهذا كان استغلال هذه الفترة الحرجة من عمر الطفل في توجيهه نحو الخير، وتركيز المعاني

(١) أبو العيين، على خليل، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ص ١٨٨.

الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، ص ٩.

بالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص ٦٥٢.

(٢) قطب، محمد منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٤٧.

(٣) انظر: زيدان، محمد مصطفى، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، ص ١٠٥.

جرائد، سالم، «الطفولة المبكرة»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٤٧.

لا دل، ر.م.، مشكلات الطفولة، ص ٣١.

الحسنة في نفسه وعقله، له الأثر الأكبر - بعد توفيق الله - في استقامته وصلاحه عند كبره واشتداد عوده. ويشير إلى هذا المعنى الإمام الماوردي رحمه الله مؤكداً أهمية فترة الطفولة في توجيه الولد وتأديبه، فيقول: «فأما التأديب اللازم للأب، فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها، وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستثناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير على شيء، تجعله متطبعاً به، ومن أغفل في الصغر، كان تأديبه في الكبر عسيراً»^(١).

وهناك مقطوعة رائعة لأحمد شوقي تلخص هذا المعنى وتعرضه في أبيه صورته.

يقول رحمه الله:

وجمال ألوان الزَّهْر	بين الحديقة والنَّهْر
مع والد حان أْبْر	سارت مها مسرورة
معوجة بين الشَّجر	فرأت هنالك نخلة
يا أبي هيا انتظر	فتناولت حبلاً وقالت
لتكون أجمل في النظر	حتى نقوم عودها
كبرت وطال بها العُمْر	فأجاب والدها لقد
فات الأوان ولا مَفْر	ومن العسير صلاحها
ذيب في عهد الصَّغْر	قد ينفع الإصلاح والتَّه
طفلاً تعثر في الكبر	والنَّشء إن أهملته

وفي مراحل عمر الولد يلاحظ الأب ويراعي من خلال ممارسته للتربية طبيعة الإنسان، وتكوينه وطبيعة خَلْقَتِهِ، فهو كما جاء في الحديث أجوف لا يتمالك^(٢)، أي: أنه خال من الداخل، ولا يمكنه أن يملك نفسه، ويحبسها

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٢٨.

(٢) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، حديث رقم (١١١)، ج ٤، ص ٢٠١٦.

عن شهواتها وملذاتها^(١)، فهو بطبيعته لا يحب التقيّد والتكلف؛ بل يهوى الانطلاق والانفلات من كل قيد ورباط. يقول مِسْكُوِيَه مبيّناً هذا المعنى: «إن الصبي في ابتداء نشوئه يكون على الأكثر قبيح الأفعال، إما كلها وإما أكثرها. . . ثم لا يزال به التأديب والسنن والتجارب حتى يتنقل في أحوال بعد أحوال»^(٢).

والأب عندما يدرك أبعاد المهمة الصعبة التي كلف بها، يستعد للصبر على مشقة التربية والتوجيه، التي تستفرغ جهد سنوات من العمر، فلا يمل طولها، ولا يزهّد في أجرها عند الله عز وجل، ويدرك إدراكاً لا يخالجه شك أن تحسين الخلق، واستبدال القبيح منه بالحسن، ممكن بالتدريب والمتابعة والمجاهدة، ومهما وجد في ولده من بلاة في الطبع، وسماجة في السلوك، وسوء خلق، فإن تعديل ذلك ممكن تحقيقه، وهذا ما أكده الغزالي رحمه الله حيث قال:

«لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ: حسنوا أخلاقكم. وكيف ينكر هذا في حق الأدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التآدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق»^(٣).

واستدلال الإمام الغزالي، واستشهاده بإمكانية تعديل خلق الحيوان، فيه دليل واضح على إمكانية تعديل خلق الولد، خاصة عند صغر سنه، ونعومة أظفاره، فإذا كان هذا جائزاً في حق الحيوان الأعجم، ففي حق الولد الذي هو أعقل وأقدر على الفهم من البهيمة أولى وأقرب للحصول والتحقق، لهذا

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٦، ص ١٦٤.

(٢) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٧٠.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٥٤.

لا ينبغي للأب أن ييأس من إصلاح خلق ولده، بل يلتزم الصبر والمجاهدة والتدريب، حتى يصلحه الله بفضله.

ومن خلال مباحث هذا الفصل وفقراته تتبين للأب بعض الأساليب التربوية التي يمكنه أن ينتهجها مع أولاده؛ لتركيز جانب الأخلاق في أنفسهم، خاصة في سلوكهم تجاه الله عز وجل، ورسوله ﷺ، والوالدين، والأقرباء، وباقي أصحاب الحقوق من الناس، كما يقف الأب على معرفة نوع الأخلاق وأسلوب التعامل مع الحيوانات والجمادات، وكيف يعلم ولده النهج الصحيح في التعامل معها، مع التعرض لبيان خطر الشيطان، والتحذير منه، والتعريف بأسلوب وساوسه ومكره، وفي كل هذا يرى الأب النماذج التربوية المختلفة لأساليب الممارسة العملية التطبيقية في كيفية توجيه الولد وتدريبه على هذه الأخلاق والآداب.

المبحث الأول

الأخلاق مع الله

أولاً: إيقاظ الفطرة

ثانياً: التعريف بنعم الله

ثالثاً: مراقبة الله

رابعاً: الصلاة

(١) - تعليم الوضوء

(٢) - تعليم الصلاة

(٣) - التعويد على صلاة الجماعة

(٤) - الترغيب في صلاة الجمعة

خامساً: القضاء والقدر

المبحث الأول: الأخلاق مع الله

ويقصد بالأخلاق مع الله عز وجل ذلك السلوك الذي يقوم به الفرد تجاه ربه، والمعاملة التي يتتبعها مع بارئه جل وعلا، فهذا الخلق هو أعظم الأخلاق وأوجبها على الإنسان، فيبدأ الأب في تربية ولده مركزاً على هذا الجانب، ومعمقاً الصلة بين الولد وربّه، فالله سبحانه وتعالى أحق من عبد وشكر، فهو صاحب الفضل والمِنَّة، وهو الخالق الرازق المنعم المستحق لكمال الخضوع والذل والحب.

وفيما يلي نستعرض بعض الجوانب الهامة التي ينطلق الأب من خلالها ليعمق ويركز في نفس الولد حسن التعامل مع الله عز وجل:

أولاً: إيقاظ الفطرة:

ورد ذكر الفطرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة. ففي القرآن قوله جل وعلا: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(١).

أما ذكرها في السنة، فقولُه عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تُنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء؟»^(٢). وقد اختلف العلماء على أقوال في تفسير

(١) الروم ٣٠.

(*) الجدعاء هي المقطوعة الأذن. انظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج ٦، ص ٣٠٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج ٢، ص ١٢٥.

معنى الفطرة، فمنهم من رأى أنها الإسلام مثل مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وغيرهم^(١).

ومنهم من رأى أنها الإقرار بمعرفة الله عز وجل، قاله الإمام أحمد بن حنبل، وابن تيمية، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني وغيرهم^(٢).

وقد ذهب ابن حزم، والزجاج، وغيرهما إلى القول بأنها الإيمان^(٣)، وأقوال العلماء في الفطرة كثيرة، ولكن مدار مذاهبهم وتفسيراتهم يتضمن صلاحها وأنها خيرة، فقد أجمع العلماء على هذا^(٤).

وعلى هذا المفهوم يتيقن الأب أن الإيمان بالله، والإقرار بربوبيته، والعلم بوجوده يعتبر قضية مسلمة في نفس الولد وعقله، فلا تحتاج إلى دليل لإثباتها. كما قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «وضع في النفس أن المصنوع لا بد له من صانع»^(٥)، أي: إن هذه المسألة مما اطمأنت إليه النفس واستقر فيها.

ولا تقتصر الفطرة على الإقرار والإيمان بالله فحسب، بل تميل بطبعها إلى الخير وتحبه، وتصدق بالحق وتحبه، وتبغض الشر والباطل وتكذب به وترفضه^(٦)، فإذا كان الأمر على هذا النحو، فإنه من السهل توجيه الولد، وتركيزه وتأصيل ذلك المفهوم الحسن في نفسه، فيتأكد عنده بأن الله هو الذي

(١) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج ٨، ص ٣٦٧-٣٦٨.
ابن القيم، شفاء العليل، ص ٥٩٩.

الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢١، ص ٤٠.

(٢) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج ٨، ص ٣٥٩-٣٦٠ و٣٨٣.
ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤٤٢.

ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج ٦، ص ٣٠٥.

(٣) انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤، ص ١٣٤.
النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج ٣، ص ٢٧٢.

(٤) انظر: الخيازي، المغني في أصول الفقه، ص ٣٦٢.

(٥) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٢٢٤.

(٦) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ٤، ص ٣٢.

خلقنا، ورزقنا، ووهب لنا هذا الخير والوجود، وغير ذلك من فضائل الرب عز وجل. ولا شك أن الطفل في كل هذا يكون قابلاً مدعناً مستجيباً - بدافع فطرته - إلى هذه المعاني الحسنة، وما على الأب إلا أن يعمل جاهداً على تعميقها وتركيزها في نفسه.

ويستغل الأب الفرص المناسبة وخلوات الولد معه، كما فعل رسول الله ﷺ مع ابن عباس عندما كان رديفه على الدابة حيث علمه معاني من الأخلاق مع الله، ومراقبته، وحسن التوكل عليه^(١). فإذا خرج الأب مع ولده في نزهة على البحر، أو في حديقة، أو في الصحراء، وجه ولده للنظر إلى السماء الجميلة ذات البروج، والنجوم المضيئة اللامعة، وإلى الأرض المزهرة والماء، ثم يسأله: «يا بني من خلق هذا؟ من أسبغ على هذا الكون ذلك الجمال الباهر؟ من حفظ الكواكب والنجوم في مداراتها دون اختلاط؟». فتثار في نفس الولد رهبة نحو هذا الكون وما وراءه مما لا يراه.

وربما اندفع الولد في بعض الأوقات يطرح الأسئلة على والده، فيسأل عن خالق الكون وموجده سبحانه وتعالى، وعن طبيعة الأشياء، ولماذا وجدت على هذا النسق، وعلى هذه الهيئة، ولا يكون لدى الأب من جواب سوى: «الله». أي أن الله هو الذي أعطى هذه المخلوقات تلك الصفات والهيئات.

وهذه الأوقات التي يكون فيها الولد متطلعاً لأجوبة والده تعد أفضل الأوقات وأحسنها لتوجيه الولد وتركيز معاني الفطرة في نفسه، ولا ينبغي إهمال أسئلة الولد - خاصة المتعلقة منها بالعقيدة - ظناً بأنه صغير لا يعقل، أو لا يدرك هذه المعاني العليا المجردة، فإن الفطرة تتيقظ لربها وخالقها في مرحلة مبكرة جداً من عمر الطفل^(٢).

ولا يلتفت الأب إلى آراء بعض رجال التربية أمثال «روسو» الذي يُنقل

(١) انظر: أحمد، المسند، ج ١، ص ٣٠٧-٣٠٨. وانظر أيضاً نص الحديث في الفقرة (ثالثاً) من هذا المبحث.

(٢) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٦١.

عنه النهي عن تعليم الطفل شيئاً عن الله حتى يبلغ الثامنة عشر، وذلك زعماً منه أن الطفل لا يدرك هذه المعاني، وخشية أن تصبح هذه القضايا والمفاهيم في ذهنه أوهاماً لا يعقلها ولا يفهمها^(١). وهذا رأي مردود لما تقدمت الإشارة إليه من استقرار الفطرة في نفس الطفل، وتيقظها المبكر، وأن السنوات الأولى من عمر الطفل تتحدد وتتكون فيها نواة شخصيته ' به قدرة فائقة على التعلم(*)).

وقد أشار الغزالي رحمه الله إلى إمكانية التوجيه في مرحلة الطفولة، إذ أن قلب الطفل قابل للنقش، ومائل إلى كل ما يؤخذ به من خير أو شر^(٢).

ويمكن للأب أن يستفيد من طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في جانب تركيز التوحيد في ذهن الولد. حيث ألف كتاب «تعليم الصبيان التوحيد» بأسلوب فريد، معتمداً على طريقة السؤال والجواب، فيضع السؤال ويتبعه بالجواب، وجميع الأسئلة تدور حول توحيد الله عز وجل. فلو استغل الأب هذا المنهج مستعيناً بهذا الكتاب سهل عليه تعليم أولاده التوحيد، خاصة إذا كان الأب من قليلي العلم والاطلاع، فإن لم يكن كذلك وكان متخصصاً، أو لديه ثقافة جيدة، وعلم بالكتب والمؤلفات، وطرق استخلاص المعلومات منها، فإنه يفضل أن يقوم بنفسه فيضع منهج التوحيد، جامعاً مادته من كتب العقائد، والتوحيد وما يتعلق بها من شروح. فعلى سبيل المثال كتاب «الإيمان» لابن تيمية، وكتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، وكتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وكتاب «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وكتاب «العقيدة في الله» لعمر الأشقر، وغيرها من كتب العقيدة النافعة.

(١) انظر: عبد الدائم، عبدالله، التربية عبر التاريخ، ص ٣٩٢.

(*) راجع مقدمة هذا الفصل، وراجع أيضاً الفصل الأول، المبحث الرابع، السورة (أولاً).

(٢) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٦٩.

فبين من خلال هذه المراجع الأدلة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، موضحاً كماله وجلاله، واستحقاقه للعبودية والخضوع وتمام الحب والذل، مبيناً الغرض من خلق الإنسان وإيجاده، ومفهوم العبادة الشاملة، وأنواع التوحيد، وغير ذلك من القضايا العقائدية الهامة، مراعيّاً في كل هذا قدرات الولد العقلية وحدود فهمه حسب سنه مستعملاً الأسلوب السهل الميسر، والصياغة الواضحة المفهومة، والإثارة والجدب ومتجنباً الجدل العقائدي، وأساليب الفلاسفة وأهل الكلام وطرقهم العقيمة في إثبات الصانع سبحانه وتعالى. ويحذر كل الحذر من التعرض للفرق الضالة المنتسبة للإسلام أو غيرها إلا عند الضرورة، فإنه لا حاجة لمعرفتها قبل معرفة الحق المبين والمفاهيم الصحيحة. فقد يتعلم الولد الشبهة دون أن يعرف الرد عليها، وقد نص شيخ الإسلام رحمه الله على أنه لا ينبغي تعليم عامة الناس إلا ما ينفعهم مباشرة في أمور دينهم، دون التعمق في القضايا الدقيقة التي تخص العلماء والمتخصصين^(١). فإذا كان هذا مع العامة من المسلمين فكيف بالولد الصغير قليل الفهم والإدراك؟ فلا شك أن تعليمه هذه الأمور يعيق تفكيره، ويشتت ذهنه، ويقسي قلبه. بل ينهج الأب أسلوب التربية الإسلامية الصحيح في البدء بالعقيدة الصحيحة، وإظهار معانيها ومتطلباتها، فإذا عرفها الولد وفهمها - حسب قدرته - أنكر غيرها من العقائد، وما خالفها من المفاهيم والتصورات. فلا بد أن يبدأ مع الولد بالقضايا الهامة والكلية التي تكون أنفع له وأفضل. يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «ومن الحكمة، الدعوة بالعلم، لا بالجهل، والبدء بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين»^(٢).

ثانياً: التعريف بتعم الله:

بعد استعراض جانب إيقاظ الفطرة، ووظيفة الأب في إيقاظها وتوجيهها

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ٣، ص ٣٢٧ - ٣٢٩.

(٢) السعدي، عبد الرحمن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ٣، ص ٩٢.

إلى خالقها وبارئها جل شأنه تجدر الإشارة إلى التعريف بنعم الله عز وجل على الإنسان، وما حباه من الفضائل وأنواع الطيبات، وذلك ليقع في نفس الولد تعظيم الله سبحانه وتعالى من خلال الشعور بالتقصير تجاه شكره على هذه النعم الكثيرة.

والإنسان بطبعه يميل ويحب من يكرمه ويحسن إليه، فيحس نحوه بواجب الشكر والاعتراف بالجميل، فإذا كان هذا حاصلًا مع الناس، فكيف برب الناس، الذي سخرهم لنفعه وعونه وإسداء المعروف له؟

ولا شك أن الإنسان إذا عرف هذه النعم، وسابقَ كرم الله بإيجاده، والصبرَ على أخطائه وتقصيره، فإنه يحس بالحياء من الله عز وجل لما يراه في نفسه، وواقعه من التقصير في حقه سبحانه وتعالى.

فمن هذا المنطلق يستغل الأب هذه الطبيعة الإنسانية في الكيان البشري، فيبين فضل الله ونعمه على الولد، وما سخره له من الطعام، والشراب، والمركب، والمسكن، وما وهبه من نعمة البصر، والسمع، والشم، والتذوق. ويقرب إلى مخيلة الولد العنت، والشقاء، الذي يمكن أن يحدث إذا فقدت نعمة من هذه النعم، فيلفت نظره إلى فقدان الطعام - مثلاً - وما يحدثه من المجاعات المفزعة، المفضية إلى الهلاك والدمار، أو فقدان البصر، وما يحدثه من جهد وعنت للأعمى، أو فقدان الوالدين وكيف يمكن للولد أن يعيش بغيرهما.

وفي كل جانب من جوانب الكون وحياة الإنسان، يجد الأب مجالاً خصباً للتذكير بنعم الله عز وجل. يقول ابن تيمية رحمه الله مؤكداً هذا المعنى: «ففي كل ما خلقه الله إحسان إلى عباده، يحمد عليه حمد شكر، وله فيه حكمة تعود إليه، يستحق لأجلها أن يحمد عليه حمداً يستحقه لذاته»^(١).

ويلاحظ الأب أن الولد الصغير لا يدرك الأمور المتعلقة بالدين بمعانيها

(١) ابن تيمية، الحسنة والسيئة، ص ٧١.

تحدث عن نعم الله عز وجل التي خلقها للإنسان ووهبه إياها.

وهذا الأسلوب القرآني في التربية من خلال الإشعار بنعم الله وفضله. يستغله الأب مع ولده فيختار الصق النعم، وأهمها عند الولد موضحاً فضل الله عليه فيها، كأن يشعر الولد بنعمة الوالدين، وكيف أنهما يحبان، ويسهران على راحته، ويتألمان لألمه، ويسعدان بسعادته، مبيناً الخطر الذي يمكن أن يحدث له إذا ذهب عنه، ثم يشعره بأن الوالدين نعمة من نعم الله سخرها للأولاد حتى يكبروا ويصبحوا قادرين على القيام بأنفسهم.

والتذكير بنعمة الوالدين له في نفس الولد أثر بالغ لعظم النفع الذي يتلقاه منهما، وعدم استطاعته الاستغناء عنهما، فهنا يشعر الولد بنعمة الله عز وجل متجسدة أمامه، فيحس بشعور يغمر قلبه تجاه الله عز وجل كأنه يريد أن يخاطبه ويشكره على ما أنعم به عليه. وهنا يكون دور الوالد في توجيه الولد إلى الطريق الصحيح لشكر الله عز وجل، وهو الاجتهاد في الاستقامة على منهجه، ولزوم الصراط المستقيم.

وبهذا الأسلوب يمكن للأب أن يشير إلى أي نعمة من النعم التي يدركها الولد، ويعرف أبعادها، فيبين فضل الله وكرمه، ثم يوجه الولد لشكرها، وحمد الله عليها من خلال القيام بالعمل الصالح، فيتعلم الولد بهذا الأسلوب طريقة الأخذ والعطاء، ومعرفة الجميل وأهله، وكيف يكون الشكر والحمد.

وعندما يقدم الأب لولده الصغير قبل سن التمييز برتقالة مثلاً، فإنه وقبل أن يعطيه إياها يقول له: «يا بني هذه من عند الله»، ويشير إلى السماء، فإذا لم يسترسل الولد معه في أسئلة حول الموضوع، كأن يقول: «كيف جاءت من عند الله؟»، أو «هل هو أعطاك إياها؟» فإن الأب يكتفي بما أشار به من أن هذه البرتقالة من عند الله، ولا ريب أن حافظة الولد تسجل هذه المعلومة وتخزينها، ومع التكرار والتعويد تتركز المعاني وترسخ في نفسه وقلبه.

أما الولد الأكبر سناً، أو الأكثر ذكاءً وفهماً والذي يحاول أن يعرف كيف

وصلت هذه البرتقالة إليه؟، وعن أي طريق؟ فإن الأب يبين له بعبارة سهلة مسيرة التسلسل المنطقي في مسيرة البرتقالة من كونها بذرة صغيرة لا قيمة لها، حتى وصولها إلى الولد ثمرة حلوة لذينة، ويحاول الأب من خلال شرحه وبيانه أن يبرز ويشير إلى قدرة الله عز وجل ولطفه ورحمته من وراء هذه النعمة .

فيبين الأب لولده أن الفلاح وضع البذرة في الأرض الخصبة، ثم سقاها بالماء الذي أنزله الله من السماء، وأشرقت عليها الشمس بأمر الله عز وجل تدفع فيها الحياة والنشاط، حتى كبرت وأصبحت شجرة بعد أن كانت بذرة صغيرة، ثم بدأت بعد ذلك تثمر برتقالاً حلو المذاق، ثم جاء الفلاح واقتطف هذه البرتقالات من الشجرة، وغسلها، ثم وضعها في صندوق، وخرج بها إلى السوق ليبيعها للناس، فاشتريت البرتقالات منه بالمال الذي آتاه الله، وقدمت بها إلى البيت، وها هي البرتقالة الجميلة بين يديك، ثم يعقب على هذا السرد الطويل بقوله: «أرأيت يا بني كيف أن الله يحبك؟ سخر لك الفلاح، والماء، والشمس، والأرض وسخرني لك لأجلب هذه الثمرة إليك لتأكلها».

وبهذا الأسلوب يكون الوالد قد بذر فعلاً في نفس ولده بذرة التأمل والتفكير في نعم الله من حوله، فإن كان هذا حاصلًا في البرتقالة، فإنه حاصل أيضاً مع باقي الفواكه والخضار، فيعمم الولد هذه القضية على باقي الأطعمة خاصة التي تنبت من الأرض لتشابهها بقصة البرتقالة .

ويختلف أسلوب الأب مع الولد المميز، الذي قد حصل عن طريق المدرسة على شرح لعملية الإنبات والتمثيل الضوئي، وهنا يبدأ معه بصورة مباشرة فيسأله مثلاً عن عملية التمثيل الضوئي وكيف تتم؟ فيسترسل الولد ذاكراً ما تعلمه في المدرسة - وغالباً ما يكون تعليماً جافاً - من التفاعلات الكيميائية المختلفة التي تصاحب عملية الإنبات، من اشتراك الأرض، والماء، والشمس وغيرها في هذه العملية .

وهنا يحاول الأب أن يبرز جانب الغيب في هذه العملية، ويد الله التي

تجلت في كل حركة من حركات هذا الكون، فيقول له: «يا بني أرأيت لو أن الله قطع عنا المطر أيمن أن يحدث تمثيل ضوئي؟» فيقول الولد: «لا»، فيقول له: «ألم تعلم أن الله إذا غضب على الناس منعهم القطر، وحرّمهم الماء؟» «فما الذي يجب أن يفعله الناس مع ربهم يا بني؟» فيجيبه الولد: «يجب عليهم أن يطيعوه ولا يغضبوه»، وهنا حيث وصل الأب إلى ما يريد من إحساس الولد بأهمية طاعة الله وشكره لتدوم نعمه وفضائله، يعقب على ذلك بيان سبل إرضاء الله، والحصول على مغفرته ورضوانه من خلال التزام منهجه، وأوامره، واجتناب نواهيه، وما يسخطه. فإن سأله الولد عن سبب إغداق النعم على غير المسلمين رغم عصيانهم لله ومخالفتهم لمنهجه، فإنه يبين له أن هذه من سنن الله عز وجل مع الناس الذين لا خلاق لهم في الآخرة، فإن الله يمدّهم بالنعم في الدنيا حتى إذا فرحوا بها جاءهم الهلاك العام والدمار والخسف في الدنيا والآخرة، ويتلو عليه قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا ذَسُّوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١﴾

وبهذا البيان المستمر يكون الأب قد ركز في نفس ولده معرفة نعم الله عز وجل، وواجبه تجاه الله بالشكر والحمد والاستقامة، ورد شبهة كانت يمكن أن تشوش عليه يقينه وثقته بربه سبحانه وتعالى.

ويستعين الأب ببعض الكتب الجيدة المؤلفة في هذا الجانب فيقوم بتلخيص بعض موضوعاتها، ثم يعرضها على الأولاد بعبارة سهلة من وقت لآخر، ومن هذه الكتب: «التبيان في علوم القرآن»^(٢) لابن القيم، وكتابه أيضاً «مفتاح دار السعادة»^(٣)، حيث تحدث في بعض أجزاء هذين الكتابين عن عجائب خلق الإنسان، والحيوان، والكون، مبيناً بأسلوبه الفريد فضل الله

(١) الأنعام ٤٤.

(٢) انظر: ص ١٨٣ - ٢٥٧.

(٣) انظر: ج ١، ص ٢٣٧ - ٣٥١.

ونعمه على خلقه، وعظيم قدرته. والأب يستفيد من هذين الكتابين وغيرهما من الكتب في هذا المجال، ويحاول أن يبسط هذه المفاهيم والتصورات لولده ليستفيد منها.

ثالثاً: مراقبة الله:

بعد الحديث عن فضل الله ونعمه، وكيف يشعر الولد بها، ليحيى قلبه بذكر الله تجدر الإشارة إلى جانب مهم من جوانب التربية الإسلامية، وهو جانب مراقبة الله، واستشعار مَعِيَّتِهِ، وإحاطته بالإنسان وأعماله. حيث تعتبر هذه المراقبة ثمرة من ثمرات معرفة نعم الله الكثيرة على الإنسان، لما يقع في النفس من الشعور بالتقصير، والانكسار، والعجز عن كمال الشكر والحمد للمنع، مما يولد عند المؤمن الإحساس بالمراقبة لله عز وجل، ومحاولة الاجتهاد في الحمد والشكر بدوام الاستقامة على المنهج القويم.

وقد ركز منهج الإسلام في التربية على إثراء جانب المراقبة لله عز وجل في النفس الإنسانية، فقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات المشيرة إلى هذا المعنى. يقول الله سبحانه وتعالى حاكياً عن لقمان الذي أرشد ولده إلى هذه المراقبة: ﴿يَبْنِيْهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١)، ويقول أيضاً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٢). فحتى الخواطر، والخطرات التي ترد على النفس يعلمها الله ويحيط بها، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣)، أي: أن الله سبحانه وتعالى مع الإنسان أين ما كان بعلمه وقدرته وكمال إحاطته بخلقته.

(١) لقمان ١٦.

(٢) ق ١٦.

(٣) الحديد ٤.

وفي الحديث عندما كان عبدالله بن عباس رضي الله عنه رديف النبي ﷺ على دابة حيث أراد عليه الصلاة والسلام أن يذكر في نفس ابن عمه الصغير هذا الجانب الهام فقال له :

«يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت: بلى فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه»^(١).

بهذا الأسلوب القرآني والنبوي، يتعلق الولد بالله عز وجل، ويقطع جميع العلائق دون الله، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يسأل إلا الله، فيحفظ الله في خلواته، وعند قوته بتمام الاستقامة على منهجه، فيكون دائم المراقبة لله في الرخاء والشدة.

وبهذا المنهج تربي الطفل في عصر النبوة تربية راسخة، جعلته قوة فعالة ثابتة، وأمثلة واقعية تفوق الخيال، فلا يكاد يُفَرِّق بين الرجل الكبير والولد الصغير، فالكل كبار بأفعالهم وأعمالهم الحميدة.

فهذا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يؤمن بالرسول ﷺ قبل أن يبلغ وهو ابن عشر سنين^(٢)، ويتبعه رغم الآلام والخسائر والمعاناة التي يلقاها المؤمنون في ذلك الوقت في مكة، فلم يمنعه كل هذا - مع صغر سنه - من اتباع الحق، والتميز بينه وبين الباطل، واختيار الطريق، وتقرير المصير.

وهذا أسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وغيرهم كثير، يعرضون أنفسهم على رسول الله ﷺ رجاء أن يسمح

(١) احمد، المسند، ج١، ص٣٠٧.

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٦٩.

لهم بالمشاركة في قتال الكفار في غزوة أحد، فيردهم لصغر سنهم^(١).

وفي يوم تلا رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسَكُمُ وَأَهْلِيكُم نَارًا...﴾^(٢)، فإذا بفتى يسقط مغشياً عليه من وقع التلاوة على قلبه، فيضع رسول الله ﷺ يده الشريفة على صدره ويقول له: «يا فتى قل لا إله إلا الله» فقالها فبشره بالجنة^(٣)، وصبيان آخرون في سن السابعة تقريباً يأتون رسول الله ﷺ يبايعونه مع الكبار، فيسقط يده ويبايعهم^(٤).

هؤلاء الصبيان الصغار الذين لم يبلغوا الحلم، ولم تصقل خبراتهم بعد، ولم يتعلموا الكثير من العلوم عرفوا معنى الحياة وحقيقتها، وأنها فانية، فقد كان دور الأسرة في ذلك الوقت دوراً رائداً ورئيسياً في إيجاد هذا الشعور العجيب في قلوب الصغار نحو الله عز وجل، واستشعار معيته ومراقبته لهم مما دفعهم إلى مزيد من التضحيات في سبيل الله سبحانه وتعالى.

وهذا هو النوع من الشعور الذي يطالب الأب المسلم بغرسه في نفوس أولاده الصغار، وتربيتهم عليه، حتى تتعلق قلوبهم وأرواحهم بالله عز وجل، فتكون جميع حركاتهم وسكناتهم موافقة لمنهج الله عز وجل. فإن نجح في هذه المهمة في طفولتهم فقد ضمن دوام استقامتهم وسلامتهم من الانحرافات في مستقبل حياتهم إن شاء الله تعالى.

ومن أهم العوامل المساعدة على تنمية هذا الشعور عند الولد إشعاره بالانتماء إلى الله ورسوله ﷺ، فالأطفال يحبون هذا الشعور، ويرغبون في شيء يعتقدونه ويعملون من أجله ليشعروا بمعنى الحياة وقيمتها، فإذا وجههم الأب إلى هذا النوع من الانتماء يكون قد أشبع في نفوسهم هذا الميل

(١) ابن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج٣، ص١٩٥.

(٢) التحريم ٦.

(٣) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر، ج٢، ص٣٥١. والحديث صحيح الإسناد.

(٤) انظر: المصدر السابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٦٦-٥٦٧.

الفطري، الذي لا يشبعه إلا هذا الانتماء العظيم^(١).

والأب يسعى دائماً بإشعار الولد بمراقبة الله له في كل وقت وفي كل مكان، ويوقظ عنده المسؤولية أمام الله، ويشعره بواجبه تجاهه سبحانه وتعالى. وهذا يمكن تحقيقه خاصة مع الولد في سن التمييز، إذ يمكنه أن يفكر بصورة مجردة، ويفهم ويدرك تلك المعاني^(٢).

ويستخدم الأب أسلوب الترغيب والترهيب لينمي في ولده الرغبة والحب لله من جهة، والخشية والخوف من جهة أخرى، فيعيش بين الخوف والرجاء. ويلاحظ الأب عدم الإكثار من تخويف الولد بعذاب الله بصفة مستمرة، خاصة إن لم يكن هناك مبرر لذلك، أو مناسبة للتذكير، بل يركز قدر الإمكان على جانب الترغيب ويعلق قلب الولد بجانب الرجاء فهو أكثر حاجة إليه وأرغب فيه. وإن احتاج إلى الترهيب الذي لا بد منه في بعض الأوقات، فعليه أن يستخدمه بأسلوب غير مباشر، فإذا قام الولد بعمل حسن محمود قال له: «إن الله سيحبه من أجل هذا العمل ويدخله الجنة، وأنه ليس كالأولاد الآخرين الذين يعملون السيئات، والذين سيعذبهم الله بالنار»^(٣)، وبهذا الأسلوب يكون الأب قد أثنى ولده على الفعل المحمود، وفي نفس الوقت حذره بصورة غير مباشرة من الفعل القبيح المذموم.

وفي مجال الترغيب والترهيب يمكن للأب أن يعرض على ولده الآيات والأحاديث في وصف الجنة والنار ففيها العبرة كلها، والموعظة البالغة التي تنمي في النفس الخشية من الله عز وجل، والرغبة فيما عنده، ويستعين في هذا المجال بكتاب «الترغيب والترهيب»^(٤) للمحافظ المنذري رحمه الله، فقد جمع فيه أحاديث كثيرة في هذا الباب، فينتقي الأب منها أحاديث متنوعة،

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص ١٤٢.

ليونارد، شارلز، لماذا ينحرف الأطفال، ص ٩٢.

(٢) الهاشمي، عبد الحميد محمد، علم النفس التكويني (أسسه وتطبيقاته)، ص ١٧٦.

(٣) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٦٤.

(٤) انظر: صفة الجنة والنار، ج ٤، ص ٤٥٠ - ٥٦٠.

سهلة العبارة ومفهومة المعنى، فيقرأها على الولد في أوقات متفاوتة ومختلفة، مراعيًا أن لا يكون ذهن الولد منشغلاً عنه بشاغل، بل يتحين الفرص المناسبة التي يكون فيها الابن مقبلاً عليه، فارغ الذهن من الملهيات واللعب، فيعرض عليه هذه الآيات والأحاديث موضحاً وشارحاً لها بأسلوب حسن سهل، مقتدياً في ذلك بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام في توجيهه لابن عباس في الحديث المتقدم.

وينهج الأب مع ولده أسلوب التذكير الدائم برقابة الله له، وعلمه سبحانه وتعالى بجميع أفعاله وأقواله مستخدماً في ذلك طرقاً متنوعة، فإذا حدثه الولد - وهو في سن التمييز - حديثاً، أو نقل إليه خبراً ما، قال له: «يا بني إن كنت صادقاً فإن الله سيحبك، ويجزيك على صدقك أجراً، وسوف أحبك أنا أيضاً، أما إن كنت كاذباً فإن الله لن يحبك، وسوف يعاقبك، ولن أحبك أنا أيضاً».

وإذا ترك الأب الولد الصغير في غرفته منفرداً، أو في أي مكان بعيداً عن مراقبة الوالد والأهل، ذكره بمراقبة الله له، كأن يقول له: «يا بني أتعرف أن الله يراك؟»، فيجيبه الولد: «نعم يا أبي»، فيقول له الأب: «إذا فماذا عليك أن تفعل؟»، فيرد عليه الولد: «لا أفعل شيئاً يغضبه». وهنا يحتضنه الأب، ويقبله مشعراً له برضاه عن مقالته الحسنة.

وبهذه الطريقة من التذكير الدائم بالأساليب المتنوعة تحصل لنفس الطفل شفافية وحساسية مرهفة، تنصدع خشية الله عندما تسمع ذكره، أو تستحضر وجوده، كما قال تعالى واصفاً هذا الصنف من الناس: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١).

أما الولد الكبير الذي قارب البلوغ، وأصبحت قدرته أكبر على فهم

(١) الأنفال: ٢.

الأمر المجردة، وإدراك القضايا الغيبية بصورة أعمق، فإن الأب ينتهج معه منهجاً آخر، فيسلك معه الأسلوب المباشر فيخاطبه مباشرة بالآيات المباركات التي تركز على جانب المراقبة لله عز وجل، فيتلوها عليه مختاراً الأوقات المناسبة، خاصة بعد صلاة الفجر، حيث صفاء الذهن، ورقة الإحساس، وقلة الملهيات والشواغل، فيتلو بعضاً من آيات الذكر الحكيم كأن يختار آيات من سورة «الأعراف»^(*)، أو خاتمة سورة «المؤمنون»، أو سورة «ق»، أو يختار بعض السور من الجزئين التاسع والعشرين والثلاثين من المصحف الشريف، مراعيّاً في تلاوته الخشوع والبكاء، فإن أثر التلاوة الخاشعة المصاحبة للبكاء أعظم في نفس الولد، وأكبر وقعاً من مجرد التلاوة الجافة، فلا بأس أن يحسن الأب صوته بالتلاوة في خشوع، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن نزل بحزن. فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فبناكوا»^(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «اقرأوا القرآن وحركوا به القلوب»^(٢). والمقصود هو إظهار الخشوع والحزن والبكاء عند التلاوة ليكون وقعها على النفس أشد فتأثر وتنصدع، وقد كان ابن الجوزي رحمه الله عندما كان صغيراً يتأثر ببكاء بعض شيوخه أكثر من تأثره بعلمهم^(٣).

والولد الذي يشاهد هذا التأثر على أبيه لا شك يتأثر، وكأن لسان حاله يقول: «إن هذا الأمر الذي يبكي والدي له: أمر عظيم». وسوف يبقى في نفس الولد أثر هذا الخشوع، ويرتسم في مخيلته، حتى يكبر وينضج، فيتذوق حلاوة الإيمان، ولذة الخشوع، فيكون ذلك مدعاة لدوام استقامته، وتمام توفيقه وسداده.

ويضيف الأب إلى آيات القرآن الكريم بعضاً من الأحاديث النبوية التي تركز على هذا الجانب، وتقويه في نفس المؤمن، ومن هذه الأحاديث قوله

(*) انظر: الآيات ٣٥-٥٣.

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن، حديث رقم (١٣٣٧) ج ١، ص ٤٢٤. وفي الحديث رجل متروك.

(٢) البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب ترتيل القرآن، ج ٣، ص ١٣.

(٣) انظر: ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ١٤٠.

عليه الصلاة والسلام: «لو أن أحدكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب ولا كوة(*)» لخرج عمله للناس كائناً ما كان^(١). أي إن علامة الطاعة، أو المعصية التي عملت في الخفاء بعيداً عن رقابة الناس يظهرها الله على صاحبها في سلوكه وتصرفاته بين الناس، فإن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وفي حديث آخر يكشف رسول الله ﷺ للناس حقيقة من حقائق عالم الغيب التي يهتز لها الوجدان، وينخلع لها القلب، عند تخيل حقيقتها وطبيعتها حيث يقول: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت(**) السماء، وحق لها أن تظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد. لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»^(٢).

وهذه الآيات والأحاديث لا شك أن لها أثرها على نفس الولد، حتى وإن لم يظهر ذلك في بادئ الأمر، فإنه يُختزن في ذاكرته، ويُنقش في قلبه، ويظهر أثره عند مقاربة البلوغ وبعده على صورة رغبة وميل نحو التدين والتزام الإسلام.

وقد كان بعض السلف يعلم أولاده كيف يستحضرون رقابة الله عليهم عن طريق ذكر الله بالقلب، فيعلم ولده أن يقول: «الله معي، الله يراني، الله ناظري»، ويكرر ذلك مراراً دون تلفظ^(٣). وهذا الأسلوب إن استمر عليه الولد مكنه ذلك من استحضار مشاهدة الله له، ومراقبته له.

رابعاً: الصلاة:

بعد الحديث عن مراقبة الله عز وجل، وأهميتها في حياة الولد، وكيف

(*) كوة: الكوة الخرق في الجدار يدخل منه الضوء والهواء. انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ٢ ص ٨٠٦.

(١) أحمد، المسند، ج ٣، ص ٢٨.

(**) أظت: الأظيط صوت الأقتاب، وهو إخبار عن كثرة الملائكة وازدحامهم. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٥٤.

(٢) أحمد، المسند، ج ٥، ص ١٧٣.

(٣) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٨١.

ينمي الأب في نفس ولده ذلك الجانب، تجدر الإشارة بشيء من التفصيل عن أهمية الصلاة التي تعد من أهم وسائل ترسيخ الإيمان بالله ومراقبته، واستحضار وجوده، وهي الوسيلة الصحيحة لتركية النفس وتهذيبها، وتعويدها على طيب الأخلاق وأنفعها.

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام التي يقوم عليها بناؤه، وهي عموده، وأساس من أعظم وأهم أسسه، وهي ألصق شعيرة دينية تلازم الإنسان المسلم طول حياته ما دام مكلفاً حاضر العقل.

وقد أوصى الله عز وجل عباده المؤمنين بأن يحافظوا عليها فقال سبحانه وتعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(١). وقد كانت الصلاة آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أصحابه عند وفاته، فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: الصلاة الصلاة مرتين وما ملكت أيمانكم، وما زال يغرغر بها صدره وما يفيض بها لسانه»^(٢)، وهذا يدل على مدى أهميتها ومكانتها في الإسلام، إذ جعلها رسول الله ﷺ وصيته عند الفراق والانتقال إلى الرفيق الأعلى.

وقد جاء التحذير الشديد من التهاون في أدائها، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٣)، وقال عليه الصلاة والسلام محذراً المفرطين: «من ترك الصلاة متعمداً فقد حبط عمله»^(٤). وإجباط العمل لا يكون في العادة إلا لاقتراف أمر عظيم شنيع.

وللصلاة فوائدها العظيمة في مجال الأخلاق وتهذيب النفس، ولعل أعظم فائدة يحسها المؤمن في نفسه أنه مطيع لربه في أدائها، وأنه لا يحول

(١) البقرة ٢٣٨.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب المغازی، ج ٣، ص ٥٧. والحديث صحيح.

(٣) الماعون ٤ - ٥.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الصلاة، باب في تارك الصلاة، ج ١، ص ٣٠٠. ورجال الحديث رجال الصحيح.

بينه وبين الله حائل؛ بل إنه بمجرد التكبير يكون في مناجاة مباشرة مع ملك الملوك، ومالك الملك مما يوقع في نفسه الرهبة، والخشية، وتمام المراقبة لله عز وجل.

أما عن ثمار الصلاة في حياة المسلم، وما تورثه من آداب وأخلاق وتهذيب للنفس، فيقول الله سبحانه وتعالى عن ذلك: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١). يقول الإمام القرطبي رحمه الله معلقاً على هذه الآية الكريمة: «والصلاة تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل في محرابه، وخشع وأخبت لربه، وأذكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذلت، وخامرها ارتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها»^(٢). أي أنها تثمر في صاحبها استقامة على الصراط المستقيم بسبب ما تحدثه من إشعار بمراقبة الله، واستحضار لاطلاعه وعلمه بأحوال العباد.

كما أن الصلاة الخاشعة تكفر الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الإنسان، فتزيل من قلبه خبثها، وشؤمها، وتعقبه رقة وفضلاً، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن، ما لم تغش الكبائر»^(٣).

كما أنها تعود المسلم على الانضباط أثناء أدائها والسكينة، كما تدربه على الالتزام بالوقت واحترامه، إلى جانب تعويده على دوام الطهارة البدنية والنفسية. فدورها هام في مجال تهذيب الأخلاق وتطهيرها من دنس المعاصي والمنكرات، إلى جانب أهميتها لطهارة البدن وصحته.

وفيما يلي نستعرض بعض القضايا والجوانب الهامة في تعليم الولد الصلاة، وآدابها، وما يتعلق بذلك من أهمية أدائها في جماعة المسجد، ووظيفة الأب المسلم في هذا الجانب:

(١) العنكبوت ٤٥.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٣٤٨.

(٣) الترمذي، الجامع الصحيح، أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس، حديث رقم (٢١٤)، ج ١، ص ٤١٨ - ٤١٩. والحديث حسن صحيح.

١ - تعليم الوضوء:

استعداداً لأداء الصلاة صحيحة على الوجه المطلوب يدرّب الأب ولده في السابعة من عمره، أو قبل ذلك بقليل، على إتقان الوضوء، والطهارة، فيعلمه كيف يتطهر وينظف أعضائه الظاهرة والباطنة، فيأمره بتطهير أعضائه الباطنة ويستنجي بالماء، ويسمي له تلك الأجزاء بأسمائها المعروفة في الشرع دون تكنية، ثم يُدرّبه على الوضوء عن طريق المشاهدة، فيتوضأ أمامه عدة مرات ببطء حتى يدرك الولد الترتيب، ويستعمل الأب الماء الفاتر بين البارد والساخن؛ لئلا ينفّر الولد من حرارته أو برودته. ولو بدأ تعليمه الوضوء في الصيف كان ذلك أرغب للولد لميله إلى التبرّد لسخونة الطقس. ويمكن تزويد الولد ببعض الكتيبات المدعمة بالصور، والمخصصة لتعليم الأولاد الصغار طريقة الوضوء.

ويعطي الأب ولده الفرصة للتطبيق العملي أمامه، فإن أخطأ علمه ووجهه، دون تعنيف أو قسوة، فإذا أصاب وأحسن الوضوء مدحه واحتضنه وقبله مشعراً له برضاه عنه.

ولا يكتفي الأب بمجرد تعليم الولد طريقة الوضوء وسننه فحسب، بل يوجهه إلى الجانب المعنوي الهام في أداء الوضوء ذلك أن الله أمر به، والرسول ﷺ هو الذي علمنا الطريقة، فالمسلم يقتدى به في الطريقة والترتيب، ويبين للولد فضل الوضوء ليرسخ في نفسه حبه والميل إليه، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه. فإن قعد قعد مغفوراً له»^(١). فيتعلم الولد الجانب المعنوي في الوضوء، ويعرف أنه طهارة للبدن والنفس معاً.

٢ - تعليم الصلاة:

وكما علم الأب ولده الوضوء والطهارة، فكذلك يعلمه الصلاة، ويدربه

(١) أحمد، المسند، ج ٥، ص ٢٥٣.

على حسن أدائها، وأول ما يبدأ به الأب في تعليم ولده الصلاة: عن طريق المشاهدة دون التوجيه المباشر، وهذا يكون في مرحلة متقدمة جداً من عمر الولد قبل أن يميز، وذلك من خلال أداء الأب لصلاة النافلة، والسنن الرواتب في المنزل على مشهد من الأولاد. ومن المعروف أن صلاة النافلة في البيت أفضل من صلاتها في المسجد، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً»^(١)، وقال أيضاً: «صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا، إلا المكتوبة»^(٢). فهذه الأحاديث واضحة في الحث على أداء النوافل في البيت، ولا شك أن البركة تحصل في البيت بسبب هذه الصلاة، إلى جانب مضاعفة الأجر والمثوبة عند الله. ويحصل بها تربية قوية وراسخة للأولاد الصغار؛ إذ يشاهدون والدهم يمرغ وجهه في الأرض ساجداً لله عز وجل، قائماً خاشعاً، لا يلتفت إلى من حوله، قد انهك في العبادة. هذا المنظر الذي يتكرر أمام الأولاد الصغار يومياً يغرس في نفوسهم عظمة الله عز وجل، ومكانته سبحانه وتعالى، إلى جانب أنه يحببهم في الصلاة لإقبال الأب عليها، كما أنهم يتعودون رؤية المصلي، ويتعرفون على أعمال الصلاة من تكبير وركوع وسجود وقيام.

وكثيراً ما يندفع الولد الصغير برغبة يقلد أباه، فيقف بجواره يقتدي به في قيامه وركوعه وسجوده، دون وعي منه أو إدراك. ولا شك أن تكرار هذا المشهد يومياً أمام الولد يجعل أمر الصلاة في حسه أمراً عادياً ليس بغريب، فلا يبلغ سن التمييز إلا وقد سهل عليه أداؤها على وجه حسن برغبة وتطلع. وهذا الأسلوب يسمى «أسلوب التربية بالعادة»، وهو من الأساليب التربوية المعروفة، والتي يمكن أن يمارسها الأب لتعويد ولده أمراً من الأمور. وتعليم الصلاة بهذا النوع من التربية يعد من أفضل تطبيقاته التربوية العملية^(٣).

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب التطوع في البيت، ج٢، ص ٧٦.

(٢) أبوداود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب صلاة الرجل التطوع في بيته، حديث رقم (١٠٤٤)، ج١، ص ٢٧٤.

(٣) انظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج٢، ص ١٤٥.

وإذا أكمل الولد السابعة من عمره أمر بالصلاة ورغب فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(١)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر»^(٢)، ويكون أمره بها إذا أتم السابعة فأكملها وليس قبل ذلك^(٣)، بل يكفي قبل السابعة بالممارسة العملية أمامه دون أمر؛ اتباعاً للسنة والهدي النبوي في ذلك، ومراعاة لطبيعة الطفل الصغير وكرهه للتقيد، والالتزام، ورغبته في الانفلات والانطلاق، بخلاف ابن السابعة فإنه أملك لنفسه، وأقدر على الالتزام والتقيد إلى حد لا بأس به، وكلما كبر الولد كان انضباطه أفضل وأحسن.

وتعليم الأب ولده للصلاة في سن السابعة من واجبات الأب الشرعية، وليست من باب المستحبات، فقد نقل ابن قدامة رحمه الله عن أحد الفقهاء قوله: «يجب على ولي الصبي أن يعلمه الطهارة والصلاة إذا بلغ سبع سنين ويأمره بها»^(٤)، ويفهم من هذا أن الأحاديث والروايات الواردة في تعليم الأولاد الصلاة في السابعة وضربهم عليها في العاشرة تفيد الوجوب لا الاستحباب. فلا بد للأب أن يدرك هذه القضية ويعرف واجباته الشرعية في هذا الجانب.

ويعود الأب ولده المميز الوضوء والطهارة - كما تقدم - ويلزمه بهما فلا يتركه يصلي إلا طاهراً، وساتراً لعورته، حتى يتعود على ذلك ويألفه؛ لأنه صائر إليه^(٥)، ولا يلتفت الأب إلى بعض الأقوال الفقهية التي تجيز صلاة الصبي بعد التمييز ساتراً للقبل والدبر فقط دون سائر البدن^(٦)، وذلك ليتعود

(١) طه ١٣٢.

(٢) المحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الصلاة، ج ١، ص ٢٥٨ والحديث صحيح.

(٣) انظر: العاصمي، عبد الرحمن بن محمد، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ج ١، ص ٤١٧.

(٤) ابن قدامة، المغني، ج ١، ص ٦٤٧.

(٥) انظر: ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ١٧١.

(٦) انظر: الزحيلي، وهبه، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ١، ص ٥٩٧.

الولد على الطهارة وستر العورة من الصغر، فلا يبلغ العاشرة إلا وقد أُلّف الصلاة ساتراً لكامل عورته، وملتزماً بالطهارة والوضوء، وقد نص صاحب المغني رحمه الله على أن صلاة الصبي يشترط لها ما يشترط لصلاة البالغ^(١). فإذا كان الأمر كذلك أصبح تعويده في السابعة على ستر عورته، وتمام الطهارة واجباً على الأب.

أما الولد الصغير دون سن التمييز، والذي لا يعقل من أمر الصلاة سوى تقليد الأب في القيام والركوع والسجود، فإن الأب لا يشتد معه في أمر الطهارة، وستر العورة؛ بل يتركه على حاله، ولا يزجره، ولا يكفه عن التقليد؛ لأن زجره، وتعنيفه والشدة معه في هذا السن وهو غير مكلف ينفره من الصلاة، ويكرهه فيها.

وتعتبر «الصلاة أهم حدث ديني واجتماعي وأخلاقي وتربوي؛ بل وتاريخي في حياة الطفل... فيجب أن لا ندعها تمر في حياة الطفل مروراً عابراً»^(٢). لهذا يقترح تعميق هذا الحدث الهام في نفس الولد من خلال إعلامة بقرب موعد تكليفه بالصلاة، فإذا أتم السابعة وصلى أول فرض: جمع له أبوه بعض أصدقائه، وإخوته، وعمل حفلاً صغيراً ابتهاجاً بهذه المناسبة الطيبة، ويقدم له ساعة يد هدية بهذه المناسبة الهامة، فهي أفضل هدية تقدم للطفل في هذا السن؛ لتكون حافزاً له على أداء الصلاة في أوقاتها^(٣).

وإذا بدأ الولد بعد السابعة الصلاة بانتظام، وجب على الأب متابعته وتذكيره بها من وقت لآخر، فلا يغفل عنه؛ بل يكرر عليه الأمر مراراً وتكراراً ولا يمل من ذلك، فإن كان الأب في سفر، أو شغله شاغل عن الولد، وكُل من يقوم مقامه من أهل البيت ليقوم بالتذكير والمتابعة؛ وذلك لئلا يتجرأ الولد على تركها بعد أن بدأ في أدائها، فيسوقه ذلك إلى التهاون بها بعد العاشرة،

(١) ابن قدامة، المغني، ج ١، ص ٦٤٧.

(٢) القطان، أحمد، واجبات الآباء نحو الأبناء، ص ٣٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠-٣١.

فقد أوجب بعض العلماء على ابن العاشرة أن يعيد الفروض التي تركها^(١).

وينصح ابن مسعود رضي الله عنه الآباء، ويذكرهم بواجبهم نحو الأبناء في موضوع الصلاة، فيقول: «حافظوا على أبنائكم في الصلاة وعودوهم الخير فإن الخير عادة»^(٢). ولا بأس - في بعض الأحيان - أن يعطي الأب ولده مكافأة تشجيعية على التزامه أداء الصلاة؛ ترغيباً له في الاستمرار عليها، فقد كان بعض السلف رضوان الله عليهم يفعل ذلك^(٣). ولكن يلاحظ عدم تعويده على المكافأة دائماً؛ لئلا يعتاد عليها، فلا يصلي إلا إذا أعطي شيئاً، ولكن يعطيه في أوقات، ويمنعه في أوقات، وينوع المكافآت فمرة مادية كلعبة، أو حلوى، أو نقود، ومرة معنوية، وهكذا.

ويحاول الأب أن يقرن الأمور المحببة بالصلاة، فإذا أراد أن يصطحب الأولاد في نزهة وقت ذلك مثلاً بأداء صلاة العصر، أو صلاة المغرب، أو نحو ذلك، فيتحفز الأولاد لأداء تلك الصلاة في وقتها، ولا ينسونها؛ لاقتربانها بمحبة. فيجتهد الأب في ترتيب جميع مواعيده مع الأولاد بأوقات الصلوات، فيتعلم الأولاد تنظيم الوقت، وتوزيعه بناء على أوقات الصلاة إلى جانب أن هذه المواعيد تذكّرهم بأدائها في وقتها.

ومن وقت لآخر يخاطب الأب أولاده بالآيات والأحاديث التي تحث على أداء الصلاة، وترغب فيها، حتى يتكون التصور الفكري لدى الولد عن منزلة الصلاة، وأهميتها في الإسلام، ويفضل أن يراجع الأب إلى جانب القرآن الكريم كتب الحديث مثل «صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»^(٤)، وكتب السنن، وغيرها، فيتزود بالجانب النظري في فضل الصلاة والحث

(١) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، أبواب الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة،

حديث رقم (٤٠٧)، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الصلاة، باب في أمر الصبي بالصلاة، ج ١، ص ٣٠٠. وفي السند رجل ضعيف.

(٣) انظر: ابن الجوزي، الطب الروحاني، ص ٦٠.

(٤) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، ج ١، ص ٩٧ وما بعدها. وانظر أيضاً: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ج ١، ص ٢٨٥ وما بعدها.

عليها، ويتقي من الآيات والأحاديث السهل منها، والمناسب لمدارك الأولاد، فيقرأها عليهم ويعلق عليها بما يفتح الله عليه من البيان.

ويعود الولد، خاصة إذا بلغ العاشرة أداء السنن الرواتب مع الصلوات المفروضة، كسنة الفجر والظهر والمغرب والعشاء، ويعود صلاة الوتر وشيئاً من قيام الليل، فيأخذه الأب إلى جانبه يصلي في الليل، اقتداء بالرسول ﷺ مع ابن عباس رضي الله تعالى عنه، فقد كان يقوم بجانب الرسول ﷺ بعض الليل إذا نام عند خالته ميمونة رضي الله تعالى عنها، وربما أخذ رسول الله ﷺ بأذنه إذا نعس لينشطه للصلاة^(١).

ويبدأ الأب بتعويد ولده الصلاة في الليل بأن يبدأ معهم بأداء شيء منها في البيت بعد صلاة العشاء مباشرة، ثم يتدرج بهم شيئاً فشيئاً حتى يمكنهم من أداء الوتر في جوف الليل، فيعلن بينهم أنه سوف يقوم ليصلي في الليل وقت كذا وكذا، ويترك الأولاد ليتنافسوا في الاستيقاظ في ذلك الوقت، دون أن يوقظهم؛ ليتعودوا الاعتماد على النفس، وتقوية الإرادة، فإن الولد إذا اجتهد في أداء النافلة وحرص عليها، فإنه على أداء الفرض ألزم.

ويلاحظ الأب إذا قام بأولاده في الصلاة أن لا يطيل؛ بل يخفف ترغيباً لهم على الاستمرار، وصرفاً للملل عنهم، فإن نعس أحدهم أمره بالنوم رفقاً به.

وإذا قصر الولد في أداء الصلاة المفروضة بعد بلوغه العاشرة، وجب على الأب وعظه وتذكيره بها، وإقناعه بأمر الله عز وجل، ورسوله ﷺ، وإقامة الحججة عليه، فإن استمر في إهماله لها أغلظ له في القول، وعنفه وهجره فلا يكلمه ولا يخالطه، ولا يمازحه، ويحرمه من بعض الأشياء المحببة إليه. وهذا النوع من العقوبات النفسية له فعالية قوية وأكيدة في نفس الولد، فكثير من الأولاد تكفيهم عن العقوبات البدنية. والأب لا يستعمل العقاب البدني

(١) انظر: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في صلاة الليل، حديث رقم (١٣٦٤)، ج ٢، ص ٤٦-٤٧.

إلا بعد فشله فيما دونه من العقوبات، فلا بأس بالضرب غير المبرح في بعض الأوقات؛ لقوله عليه الصلاة والسلام في الصبي إذا بلغ العاشرة ولم يصل: «واضربوه عليها ابن عشر»^(١)، ولا يصح استعمال العقاب البدني مع ولد لم يعود أبوه الصلاة منذ السابعة، فإن الطفل لا يتعود الالتزام بمجرد الأمر؛ بل يحتاج من التربية، والتدريب، والتعويد، ما يؤهله للالتزام الأمر، والتعود عليه. فإن قصر الأب في تعليم ولده الصلاة منذ السابعة وجب عليه أن يسد معه أسلوب التدرج والتمرين والتعويد من جديد، ولا يهمل هذه المراحل، حتى وإن تعدى الولد سن العاشرة؛ إذ لا بد من مرحلة التدريب والتمرين، فمن الخطأ أن يظن قيام الولد بأداء الصلاة عن طواعية في سن العاشرة، بل وحتى بعد البلوغ دون أن يكون قد حصل على قسط من التربية والتدريب والتعويد عليها قبل ذلك. فلا بد للأب أن يلاحظ هذه المسألة، ويراعي أولاده منذ الصغر فيحافظ عليهم في الصلاة ولا يهملهم، أو يقصر في حقوقهم عليه، فإن الله سائله عنهم.

٣ - التعويد على صلاة الجماعة:

إذا اجتهد الأب في تعليم ولده الوضوء، وأداء الصلاة، فإنه يرغبه في الصلاة مع الجماعة، فإن المساجد تعد من أهم المؤسسات التربوية في المجتمع، ففيها تقام أعظم شعائر الإسلام. وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على عمّارها بقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنَءَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾^(٢). وهذه شهادة صريحة لعمّار المساجد بالإيمان، وقد قال بعض السلف: «إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فأحسنوا به الظن»^(٣).

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الترغيب في صلاة الجماعة في المساجد، فقال: «صلاة الجماعة تفضل على صلاة الرجل وحده بسبع وعشرين

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین کتاب الصلاة، ج ١، ص ٢٥٨. والحديث صحيح.

(٢) التوبة ١٨.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٩٠.

درجة»^(١)، وقد ورد عنه أيضاً الهمُّ بتحريق البيوت على المتخلفين عن صلاة الجماعة بغير عذر لولا خوفه على النساء والأطفال^(٢).

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الرجل يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يحضر الجمعة ولا الجماعة، فقال: «هو في النار»^(٣)، ونقل عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم أنه لا صلاة لمن سمع النداء ولم يجب من غير عذر^(٤).

وبناء على ما تقدم يظهر للأب وجوب أداء الصلوات المكتوبة في المساجد مع جماعة المسلمين، ولا يجوز التهاون في ذلك، أو التقصير، خاصة وأن الولد لن يتعلق بالمسجد من تلقاء نفسه دون أن يكون للأب دور في ترغيبه وتعويدته عليه.

ومن خلال مشاركة الولد في صلاة الجماعة يتعود تجمعات المسلمين، ويتعرف على علمائهم الأجلاء، ويتعلم أدب الإصغاء إلى مواعظهم وخطبهم، فيتزود بالغذاء الروحي، إلى جانب تعوده أداء الصلاة نفسها.

والطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة يميل بطبعه إلى مشاركة الكبار في أداء الشعائر التعبدية، ويحب مرافقتهم إلى دور العبادة^(٥)، فيستغل الأب هذا الميل، وينميهِ بالوسائل التربوية المتنوعة.

ولا ينبغي أن يهمل الأب في اصطحاب أولاده إلى المسجد، خاصة أبناء السابعة متذرعاً بما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «جنبوا مساجدكم

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل الجماعة، حديث رقم (٢١٥)، ج ١، ص ٤٢٠. والحديث حسن صحيح.

(٢) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب وجوب صلاة الجماعة، ج ١، ص ١٦٥.

(٣) الترمذي، الجامع الصحيح، أبواب الصلاة، باب ما جاء فيمن يسمع النداء فلا يجيب، حديث رقم (٢١٨)، ج ١، ص ٤٢٣ - ٤٢٤. والحديث حسن صحيح.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الصلوات، من قال إذا سمع المنادي فليجب، ج ١، ص ٣٤٥.

(٥) منصور، محمد جميل وفاروق عبد السلام، النمو من الطفولة إلى المراهقة، ص ٤١٠.

صبيانكم»^(١)، فهذا الحديث ضعيف^(٢) لا يؤخذ به، كما أنه يعارض الأحاديث الصحيحة والكثيرة الواردة في جواز ذلك، فقد كان عليه الصلاة والسلام يأتي المسجد حاملاً الحسن أو الحسين، وربما أطل صلواته بسبب صعود أحدهما على ظهره الشريف^(٣). وقد وصف أبو مالك الأشعري رضي الله عنه صفوف مسجد رسول الله ﷺ، فقال: «ويجعل الرجال قدام الغلمان والغلمان خلفهم والنساء خلف الغلمان»^(٤). أي: إنه كان للصبيان مكانهم المخصص لهم في المسجد، مما يدل على جواز حضورهم صلاة الجماعة.

ولو افترض صحة الحديث فإنه يحمل على الصغار الذين لا يدركون حرمة المسجد، ولا ينضبون فيه، وهؤلاء يجب أن يمنعوا من المساجد، يقول ابن تيمية رحمه الله: «يصان المسجد عما يؤذيه، ويؤذي المصلين فيه، حتى رفع الصبيان أصواتهم فيه، وكذلك توسيخهم لحصره، ونحو ذلك، لا سيما إن كان وقت الصلاة، فإن ذلك من عظيم المنكرات»^(٥).

ومن أهم الوسائل التي يتخذها الأب لتعويد ولده المسجد اختيار المسكن، فهي أول خطوة في هذا المجال، فيختار الأب مسكنه بجوار مسجد من المساجد؛ ليكون ذلك أدعى لأداء الصلاة في جماعة، فإن كان مسكنه بعيداً عن المسجد انتقل إلى جواره، فإن لم يتمكن اجتهد في إقامة مسجد في الحي عن طريق وزارة الأوقاف في البلد، أو جمع التبرعات من أهل الحي، فإن عجز عن كل هذا ألزم نفسه وأولاده الذهاب بالسيارة إلى أقرب مسجد لأداء الصلاة في الجماعة.

وإذا بلغ ولده السابعة وقرر الأب اصطحابه إلى المسجد، فإنه يحاول

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب ما يكره في المسجد، حديث رقم (٧٥٠)، ج ١، ص ٢٤٧.

(٢) انظر: الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٢٦٣٥)، ج ٣، ص ٨٠.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٦٥-١٦٦. والحديث صحيح.

(٤) أحمد، المسند، ج ٥، ص ٣٤٤.

(٥) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ٢٢، ص ٢٠٤.

أن يهيء الولد لذلك قبل الموعد بفترة، فيخبره أنه سوف يأخذه إلى المسجد، ويقرب إلى ذهنه طبيعة المسجد؛ ليكون الولد على دراية بما سوف يشاهده فلا يفاجأ بشيء.

ويكثر الأب من ذكر المسجد عند الولد، ويحاول أن يقرن كل جميل بالمسجد، فإذا أتى الولد بلعبة أو حلوى قال: «اشتريتها لك من قرب المسجد». وإذا مر بسيارته من جوار المسجد قال: «انظر إلى هذا البناء الجميل يا بني، إنه المسجد، وسوف آخذك قريباً لتصلي معي فيه». وهكذا يرغبه من وقت لآخر في المسجد ويهيئه للالتزام بالصلاة فيه.

وفي اليوم الذي يتم الولد فيه سن السابعة، ويكون الأب قد قرر أخذه في ذلك اليوم إلى المسجد يفضل أن يهيء جو المسجد لاستقبال الولد، فيتفق مع الإمام والمؤذن وبعض المصلين من الجيران وأولادهم بأن يحتفلوا بالولد، ويرحبوا به، ويلاطفوه؛ ليحس الولد بالأنس فيطمئن لأهل المسجد ورواذه، كما أن حَفَّ هذه المناسبة بكل هذا الاهتمام يوقع في نفس الولد أهمية هذه الشعيرة الدينية وعظمتها، إلى جانب تخليد هذه الذكرى الحسنة في نفسه وذاكرته فلا ينساها طول حياته، فتكون له دافعاً للمحافظة على الصلاة في المساجد.

ويحرص الأب، خاصة في بدء ذهاب الولد إلى المسجد أن يرعاه من كل ما من شأنه تغييره من المسجد، فإذا كان الإمام ممن يطيل في الصلاة إطالة تخالف السنة، نهه على ذلك وأرشده إلى التوسط، والأخذ بالسنة، وذكره بقوله عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن أمّ الناس فليوجز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة»^(١)، وفي رواية: «تجاوز في الصلاة واقدر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير والصغير والستيم والبعيد وذا الحاجة»^(٢)، فذكر عليه الصلاة والسلام حتى الصغير مراعاة

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب من شكك إمامه إذا طول، ج ١، ص ١٨٠.

(٢) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب من أمّ قوماً فليخفف،

حديث رقم (٩٨٧)، ج ١، ص ٣١٦.

لحالته، وطبيعته التي تميل إلى الانفلات وعدم التقيد، إلى جانب عدم تنفيره من المساجد، وجماعة المسلمين.

ويفضل أن يكون صوت الإمام في القراءة حسناً مراعيّاً أحكام التجويد، فإن الصوت الحسن محبب إلى النفس، وأدعى إلى الخشوع وتذوق القرآن، فإن كان إمام الحي حسن الصوت، صحيح القراءة التزم الأب وأولاده بالصلاة خلفه، وإن لم يكن كذلك، اجتهد الأب في أخذ أولاده في بعض الأوقات إلى مساجد أخرى، يسمعون فيها القرآن ممن هم أندى صوتاً، وأخشع تلاوة.

وإذا أُلّف الولد المسجد، وأخذ يرتاده دون عناء يمكن للأب أن يزيد من ارتباط الولد بالمسجد من خلال تعليمه إتقان الأذان والإقامة، فيؤذن نيابة عن مؤذن المسجد في بعض الأوقات، خاصة إن انشغل المؤذن الراتب، أو سافر، ويرغب الولد في ذلك من خلال إعطائه الثقة بنفسه، وأنه قادر على أداء الأذان، وصوته حسن، كما يرغب فيه من خلال بيان فضله، والأجر والمثوبة عند الله للمؤذنين^(١). وليس في أذان الولد قبل البلوغ محذور شرعي، فقد أجاز ذلك بعض السلف رضوان الله عليهم^(٢). والطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة بعد سن التاسعة يدرك الزمن، ويعرفه^(٣)، فيمكن بناء على ذلك الوثوق به في موضوع الأذان، فيزيد بذلك ارتباطه وتعلقه بالمسجد.

أما إمامة الصبي في الصلاة المفروضة فهي من أعظم الروابط التي تقيد الولد بالمسجد، وتحليه بحلية الإيمان والوقار، وقد اختلف السلف في جوازها، فمنهم من أجازها، ومنهم من منعها^(٤). فإن كان الولد قريباً من

(١) انظر: المصدر السابق، باب فضل الأذان وثواب المؤذنين، ج ١، ص ٢٣٩ - ٢٤١.

(٢) انظر: ابن أبي شيبه، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الأذان والإقامة، في أذان الغلام قبل أن يحتلم، ج ١، ص ٢٢٦.

(٣) انظر: زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، ص ٢٣٨.

(٤) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ٢، ص ٥٤ - ٥٦.

انظر أيضاً: الكتاني، محمد منتصر، معجم فقه السلف، ج ٢، ص ٢١.

البلوغ حافظاً، متقناً للقراءة فلا بأس بإمامته في بعض الصلوات نيابة عن الإمام الراتب - إن لم يوجد من هو أفضل منه - أخذاً بقول من أجاز ذلك، واقتداءً بالصحابي عمرو بن سلمة رضي الله عنه حيث كان يؤم قومه وهو ابن سبع سنين، أو ثمان سنين^(١)، فإن لم يتيسر ذلك في الصلوات المكتوبة، مكَّنه من إمامة الناس في صلاة التراويح خاصة إن كان الولد حافظاً للقرآن، أو بعض أجزائه بإتقان. وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أنهم كانوا يأخذون الصبيان من الكتاب ليقوموا بهم في رمضان، ويرغبونهم في ذلك عن طريق الأطعمة الشهية^(٢). وهذا يدل على أنهم كانوا صغاراً تستهويهم الأطعمة الشهية، ويدرسون في الكتاب، فليس في إمامة الولد العاقل محذور شرعي، خاصة في صلاة النافلة، فيحرص الأب خاصة في شهر رمضان أن يقيد ولده بمسجد الحي، أو غيره ليصلي بالناس طول الشهر، فيخرج من رمضان بزاد روحي عظيم، وأدب حسن، وحياء من الاجترار على المعاصي، والأخطاء بعد أن كان قدوة يصلي الناس بصلاته، فيرزق وقار ومهابة الإمامة، والسكينة والاتزان.

ومن خلال تردد الأب على مسجد الحي يحاول أن يتعرف على جيرانه من أهل المنطقة التي يعيش فيها، ويعرف أولاده على أولادهم، ويكون بين الجميع علاقات وأواصر محبة، فإن المساجد في هذا العصر فقدت دورها التربوي، وأصبحت - فقط - «مكاناً يؤدي فيه المسلمون الصلاة ثم ينصرفون. يدخل المصلون في صمت، ويخرجون في صمت، لا يتعارفون، ولا يتناصحون»^(٣). لهذا يعمل الأب جاهدًا على إكساب مسجد الحي طابعاً آخر، يحيي فيه جانب التعارف والتآخي بين الجيران الكبار منهم والصغار، فيتعرف عليهم، ويزورهم في بيوتهم مصطحباً بعض أولاده، ويدعو بعضهم

(١) انظر: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، حديث رقم (٥٨٥)، ج ١، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) انظر: البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب من زعم أنها بالجماعة أفضل لمن لا يكون حافظاً للقرآن، ج ٢، ص ٤٩٥.

(٣) التوم، بشير حاج، التربية والمجتمع، ص ٢١.

عنده لتناول طعام الغداء أو العشاء، فتتكون علاقات وصلات بين أهل الحي .

وبالتعاون مع إمام المسجد والجيران يكون الأب حلقة لحفظ القرآن الكريم، وتعلم التجويد، يتولى الإمام الإشراف عليها، ويسعى في تكوين مكتبة علمية في المسجد بالتعاون مع الجهات المختصة في البلد، أو عن طريق جمع تبرعات من أهل الحي، فيتولى هو أو أحد رجال الحي المثقفين الإشراف على شؤون المكتبة وتنظيم كتبها، وعمل بعض الدروس البسيطة للأولاد مرة كل أسبوع، مع تنظيم مسابقات في حفظ القرآن الكريم، والحديث، والعلوم العامة بين الأولاد في المسجد، وتقديم بعض الهدايا العينية والمادية للفائزين منهم تشجيعاً لهم .

ومن خلال هذه الصداقات والصلات بين أبناء الحي، والمشاركة في النشاطات المختلفة، تتكون بينهم علاقات قوية متينة، وصداقات حميمة، فينشؤون معاً في جو من العبادة، والصلاح، والرفقة الطيبة، إلى جانب زيادة حبهم، وتعلقهم بالمسجد الذي أصبح مكان تجمعهم، ونشاطهم. وبذلك يكون الأب قد وضع ابنه على الطريق الصحيح أملاً في صلاحه، واستقامته في حياته إذا كبر وبلغ .

٤ - الترغيب في صلاة الجمعة :

يهتم الأب بتعويد ولده وترغيبه في أداء صلاة الجمعة مع المسلمين، وذلك إضافة إلى ما تقدم من تعويده ارتياد المسجد في الصلوات الخمس المكتوبة، فيوم الجمعة يوم عظيم، وهو أفضل الأيام؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها»^(١).

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، حديث رقم (١٧)، ج ٢، ص ٥٨٥.

ويُظهر الأب لأولاده الاهتمام بهذا اليوم، وتعظيمه، وإعطاءه هالة من الوقار، والإجلال، حتى يقع في نفوسهم حبه، وتقديره حق قدره.

ويبدأ الأب ذلك اليوم بصلاة الفجر مع أولاده في المسجد، فإذا أشرقت الشمس صلوا الضحى بما تيسر من الركعات، ثم يأمرهم بأن يستفيدوا من وقتهم بأي عمل مفيد، أو يناموا بعض الوقت استعداداً للصلاة الجمعة، ثم يوقظهم قبل موعد الصلاة بوقت كافٍ، ويأمرهم بالاعتسال والتطهر والنظافة، فيبدأ بأكبر الأولاد سناً، ويأمرهم بلبس أحسن الثياب، والتطيب؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «من اغتسل يوم الجمعة، واستاك، ومس من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد، فلم يتخط رقاب الناس حتى ركع ما شاء أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام، فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها»^(١).

وتعويد الأولاد الصغار على صلاة الجمعة من واجبات الأب ومهامه، ومن المعروف أنها ليست واجبة على الأطفال الصغار شرعاً، ولكن التعويد عليها يبدأ من مرحلة الطفولة.

ولا بد للأب من الحكمة، وتقدير طبيعة الطفل، فلا يشتد مع الولد دون سن العاشرة، بل يسلك معه أسلوب الترغيب والتشويق، ويحاول أن يعرف سبب إحجامه عن الذهاب إلى الجمعة، فإن كان بسبب طول الخطبة وعدم قدرته على امتلاك نفسه، وحاجته إلى قضاء الحاجة، حاول الأب اختيار مسجد آخر يوجز إمامه في خطبته. ولا بأس أن يتعاهد ولده في المسجد قبل الخطبة إن كان محتاجاً إلى قضاء الحاجة أم لا؟. أما إن كان سبب زهد الولد في حضور الجمعة راجعاً إلى التبكير في الخروج إليها، فلا بأس أن يتأخر الأب، فيذهب قبل بدء الخطبة بوقت قصير، أو يكلف غيره اصطحاب الولد إلى المسجد قبل الخطبة بقليل، أو يخرج الأب من المسجد

(١) أحمد، المسند، ج ٣، ص ٨١.

ليأتي به قبل الخطبة إن كان المسجد قريباً، فإن كان الولد قادراً على الخروج بنفسه تركه وشأنه في اختيار وقت الحضور للصلاة.

أما إذا أبدى الولد عدم رغبته في حضور الجمعة لغير سبب معروف سوى الميل إلى اللعب، أو نحو ذلك، فليس على الأب محذور في تركه مرفهاً حتى يكبر ويبلغ العاشرة، ويدرك فضل الجمعة، ويقدم بنفسه عليها راغباً فيها، وهذا ما ذهب إليه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه إذ كان يميل إلى ترك الولد الصغير وشأنه، فلا يشتد معه في حضور صلاة الجمعة، فقد روى أنه دخل مرة المسجد يوم الجمعة فوجد غلاماً فقال له: «يا غلام اذهب العب. قال: إنما جئت إلى المسجد. قال: يا غلام اذهب العب. قال إنما جئت إلى المسجد. قال: فتقعد حتى يخرج الإمام قال نعم»^(١). ففي هذه الرواية فقه لأبي هريرة، وبعد نظر، حيث لا يرى تحميل الولد ما لا يطيق من الصبر على الطهارة، والجلوس طويلاً دون لعب حتى يخرج الإمام، ثم الاستماع إلى الخطبة وأداء الصلاة، فالولد الصغير غير مكلف بهذا شرعاً، والقسوة عليه، وإلزامه بها وهو عنها عاجز، يكرهه فيها، فإذا كبر صعب عليه أداؤها على الوجه المطلوب. فالأب يقتدى بعلماء السلف في هذا، فلا يوجب صلاة الجمعة على ولده دون سن العاشرة، بل ينتهج معه أسلوب الترغيب دون التهيب، فإن أقبل وإلا تركه وشأنه مرفهاً حتى يبلغ العاشرة أو ما قبلها بقليل فيبدأ معه بالإلزام.

ويتخير الأب من بين المساجد أفضلها وأحسنها لحضور الجمعة. فإن كان يعيش في إحدى مدن المساجد الثلاثة المفضلة قدمها على غيرها طلباً للأجر والمثوبة، وإن كان في غيرها من المدن والبلد، اختار أكبرها، وأشهرها، وأكثرها جماعة، مع الاجتهاد في اختيار أفضل الخطباء، وأعلمهم، وأكثرهم رقة وخشوعاً، إذ أن للخطبة دوراً هاماً في التأثير على أخلاق الأولاد، خاصة إذا فهموها وعقلوها، فإن لم يعقلها بعضهم لصغر

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٣.

السن، فإن انفعالات الخطيب، ونبرات صوته، وصدق عباراته، وتأثير المصلين بخطبته، كل ذلك يؤثر في نفس الولد الصغير، ويظهر هذا التأثير إذا كبر وعقل، وقد أشار ابن الجوزي رحمه الله إلى هذا المعنى - كما تقدم - فحدث عن نفسه وهو صغير كيف كان يتأثر بخشوع وبكاء بعض مشايخه، فكان يحدث ذلك في نفسه تأثيراً بالغاً^(١).

ويحاول الأب بعد الخروج من المسجد وأداء صلاة الجمعة أن يسأل أولاده عن موضوع الخطبة، وما يمكن أن يستخلصوه من الفوائد، وذلك ليعرف مدى استفادتهم وتركيزهم مع الخطيب، فإن وجد منهم غفلة وعدم تركيز نبههم وحثهم على الفهم والإنصات، ولا بأس أن يحثهم قبل الدخول إلى المسجد على حسن الإنصات، وأنه سوف يسألهم عن مضمون الخطبة إذا خرجوا بعد الصلاة، فيكون ذلك أدعى لهم لكمال الالتفات إلى كلام الخطيب، والتركيز أثناء الخطبة.

خامساً: القضاء والقدر:

من أعظم الخُلق مع الله، والتأدب معه سبحانه وتعالى، الإيمان والتصديق بقضائه وقدره، والرضا بما كتبه على العبد في الأزل، دون اعتراض أو تسخط. والناس في موضوع القضاء والقدر بين مكذب ومصدق، جاحد ومؤمن. يحاول البعض أن يدركوا بعقولهم القاصرة، وأفهامهم المحدودة كنهه وأبعاده، وهذا لا يمكن، فإن «القدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، لا يجوز الخوض، والبحث عنه بطريق العقل»^(٢)، وقد كان الرسول ﷺ ينهى عن الخوض فيه، فقد روى أنه خرج على أصحابه ذات مرة وهم يختصمون في القضاء والقدر، فغضب غضباً شديداً، وقال لهم: «بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه

(١) انظر: ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ١٤٠.

(٢) البغوي، شرح السنة، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر، ج ١، ص ١٤٤.

بعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم»^(١)، فالخوض في هذا الموضوع بأسلوب التنازع، والتعارض أمر مذموم منهي عنه.

أما البحث فيه بالمنهج العلمي الصحيح المبني على توجيهات القرآن والسنة، من باب البيان والتوضيح، وكشف الشبهات، وإظهار الحقائق، فهو غير مذموم، بل يندب إليه ويستحب.

وقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة توضح وتبين هذا الركن العظيم، مشيرة إلى أن ما يحدث في الكون عموماً من حركات، وإرادات، وأعمال، وخلق، وموت، وغيرها كل ذلك يحدث بمشيئة الله عز وجل، وعلمه السابق، وتقديره لهذه الحوادث قبل وقوعها. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾^(٣)، وقال أيضاً: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٤)، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٥)، «أي إنا خلقنا كل شيء بتقدير سابق لخلقنا له، وذلك بكتابه في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، فهو كما كتب كمية وصورة وزماناً ومكاناً لا يتخلف في شيء من ذلك»^(٦)، وفي الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»^(٧)، فكل صغيرة وكبيرة قد دونت، وسجلت، ومحال منع حدوث ما قدر، أو إحداث ما لم يقدر ويكتب، فقد فرغ من ذلك.

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في القدر، حديث رقم (٨٥)، ج ١، ص ٣٣.

وإسناد الحديث صحيح.

(٢) الفرقان ٢.

(٣) الأحزاب ٣٨.

(٤) الإنسان ٣٠.

(٥) القمر ٤٩.

(٦) الجزائري، أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج ٤، ص ٣٧٠.

(٧) مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم

(١٦)، ج ٤، ص ٢٠٤٤.

ولا يفهم من سابق التقدير والكتابة أن العباد مجبرون على أعمالهم وأفعالهم، وليس لهم خيار في ذلك، فلو صح هذا - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - لكان عذاب الله للعصاة ظلماً بغير حق، وبغير جرم اقترفوه، فهم قد سيروا إلى معاصيهم دون إرادة أو قصد، كما أن هذا التصور يستلزم الاعتقاد بأن إرسال الرسل، وإنزال الكتب من العبت، كما أن الوعظ، والتذكير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك من العبت والباطل الذي لا حاجة ولا نفع من ورائه، ولا يمكن أن يقول بهذا عاقل.

والصحيح الذي يجب اعتقاده، والإيمان به: «أن الإسلام يثبت قضاء الله وقدره، وسيطرة الله مع علمه السابق على كل شيء، خلقاً وتدبيراً وتنظيماً، مع إثباته حرية الإنسان، ومسؤوليته التامة عن أفعاله الاختيارية واستحقاقه للثواب»^(١)، وغير هذا الاعتقاد ضلال وزيف فيما الجبرية، وإما القدرية^(*).

يقول الله سبحانه وتعالى مثبتاً مشيئة الإنسان ومسؤوليته عن أعماله وأفعاله: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ. وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا. أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٢)، ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَنْظُمُونَ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَحْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، ويقول أيضاً: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٤). فالإنسان مخير بين الخير والشر، وبين ما يأتي وما يذر، ولكن اختياره هذا لا يتم فرضاً على الله، أو بعيداً عن إرادته سبحانه وتعالى ومشيئته النافذة في خلقه، بل يفعل الإنسان الخير أو الشر، بعلم الله السابق للحوادث، وتقدير

(١) الدسوقي، فاروق أحمد، القضاء والقدر في الإسلام، ج ١، ص ٣٢٤.

(*) لمعرفة الفكر الضال الذي قامت عليه فرقة القدرية، وفرقة الجبرية انظر: كتاب «القضاء والقدر في الإسلام» للدكتور فاروق أحمد الدسوقي، ج ٢، ص ١٢٩ - ١٦١.

(٢) الإسراء ١٣ - ١٤.

(٣) يس ٥٤.

(٤) البلد ١٠.

وقضاء في الأزل. يقول الإمام البغوي رحمه الله موضحاً هذه المسألة من جانب آخر ليكمل بيانها:

«الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خلق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم... فالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشئته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة، ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية وأوعد عليهما العقاب»^(١).

فإذا فهم هذا الركن من أركان الإيمان على هذا النحو الصحيح، فإن مسؤولية الإنسان فيه زيادة الجهد، والعمل على التزام الطاعة، وحسن التوكل على الله، ودوام التضرع إليه والطلب منه، والرجاء منه أن يوفقه إلى مرضاته، وأن يجعله من السعداء، فيكون الإيمان بالقدر حافزاً لمزيد من الجهد والعبادة، والاستقامة، لا مثبطاً عن الخدمة في الطاعة والتزام الصراط المستقيم.

هذا الاعتقاد بهذا المفهوم والتصور هو الذي يجب أن يعتقده الأب المسلم في نفسه، ويثبته في روع أولاده الكبار في مرحلة الطفولة المتأخرة الذين تشغلهم هذه المفاهيم، فيسببها لهم، ويقربها إلى أفهامهم ومداركهم.

ويوضح الشيخ محمد الغزالي قضية القضاء والقدر، ويقربها إلى الأذهان بضرب مثل المرأة التي تصف ما يقف أمامها من الأشكال والمناظر دون أن يكون لها دخل في ذلك، فالحسن تظهره حسناً، والقبيح تظهره قبيحاً، ثم يقول: «كذلك صفحات العلم الإلهي ومراثيه لا تتصل بالأعمال اتصال تصريف وتحريك، ولكنه اتصال انكشاف ووضوح، فهي تتبع العمل ولا يتبعها العمل»^(٢).

(١) البغوي، شرح السنة، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر، ج ١، ص ١٤٢.

(٢) الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، ص ١٠٠.

ويتجنب الأب خوض هذه المفاهيم مع صغار الأولاد، أو مع الأولاد الذين لم تشغلهم هذه القضايا، ولم يسألوا عنها؛ لأن هذه المسألة من المسائل الشائكة، التي حارت فيها عقول الجهابذة من بعض متقدمي العلماء، وحراروا في فهمها وإدراكها.

فإن شغلت هذه المسألة أحد الأولاد، واشتبهت عليه مفاهيمها وسأل عنها، وجب على الأب أن يوضحها حسب المفاهيم المتقدمة، وعلى قدر ما يستوعبه الولد ويدركه.

ولعل أكثر الأسئلة في هذا الجانب تكون حول مسألة «الجبر» طالما أن الرب سبحانه وتعالى قد كتب في الأزل أن شخصاً ما يخطيء ويضل - وهذا لا بد واقع - فإنه لا ذنب لهذا الشخص فقد كتب عليه الضلال والضياع، فلماذا يعاقب على ذنب قد أجبر عليه؟(*)

ورد هذه الشبهة عن ذهن الولد تحصل بطريقة عملية، كأن يضع الأب بين يدي الولد كأساً زجاجياً، ويقول له: «هل تستطيع أن تلقي بهذا الكأس على الأرض فتكسره؟»، فيجيب الولد بنعم، فيقول له الأب: «وما الذي يمنعك من ذلك؟»، فيرد عليه بأن هذا خطأ لا ينبغي فعله، فيعلق الأب على هذا الموقف: «إن الله علم في الأزل البعيد أنك لن تكسر هذا الكأس، وعلم أيضاً أن الولد الشقي سوف يكسر الكأس، فكتب سبحانه وتعالى كل هذا عنده؛ فهل منعك أحد يا بني عن إلقاء الكأس على الأرض، وهل أجبر أحد ذلك الولد الشقي على أن يكسر الكأس؟»، وقطعاً سوف يكون جواب الولد «بلا»، فيعقب الأب بقوله: «وكذلك يا ولدي الهداية والضلال، والخير والشر، كل إنسان يختار لنفسه أحد الطريقتين، والله سبحانه وتعالى يعلم بالتفصيل كل شخص ماذا يختار، وأي طريق يسلك، فييسر لكل طريقه وما خلق له».

(*) ناقش الشيخ محمد الغزالي في كتابه «عقيدة المسلم» مسألة القضاء والقدر ورد على الشبهات والشكوك التي تثار حول هذا الموضوع، ومن المستحسن أن يراجع الأب هذا الكتاب، ص ٩٦ - ١٢٠.

ثم يبين له أن الله خلق الناس ليبتليهم، ويختبرهم، فليس من الحكمة أن يهديهم جميعاً، كما أنه ليس من الحكمة أن يضلهم جميعاً، لأن ذلك يبطل الاختبار، وكذلك الأستاذ مع تلاميذه فلو أراد أن لا يرسب أحد، فعليه أن يلغي الاختبار بالكلية. ولكن لا بد من التمحيص والابتلاء؛ ليعلم الصالح من غير الصالح، والمجتهد من الكسول، والمجاهد من القاعد.

ومسؤولية الأب هي تركيز هذا المفهوم الصحيح حول القضاء والقدر في نفس الولد؛ ليشعر بالاطمئنان إلى قضاء الله وقدره، فترتاح نفسه ولا ينشغل باله بالمخاوف والوساوس حول المستقبل؛ لعلمه بأن الله حكيم عليم، لا يصدر عنه شيء إلا من مقتضى الحكمة والعلم، فتبعد عن الولد المخاوف، والقلق والرعب، ويكون صبره على الحوادث والمصائب التي تصيب الأسرة أكبر وأقوى.

ولقد أشار بعض علماء النفس من الغربيين إلى أن الإيمان يزيد من صبر الإنسان على المصائب والنوازل، وأن معظم حالات المرض النفسي ترجع إلى فقدان الثقة بالله، «وأن الدين الحق يمنح الإنسان الشعور بالأمن، ويحول ضعفه إلى قوة، ونخوفه ثقة ويقيناً»^(١). فإذا كان هذا الكلام عن الدين يقوله أصحاب الدين الباطل، فكيف بأصحاب الدين الحق؟

ولا بد أن يدرك الولد أن الناس خلقوا في هذه الدنيا للابتلاء، فقد قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢)، فالغاية من وجود الناس هي ابتلاؤهم واختبارهم في هذه الحياة الدنيا؛ لهذا «فإن حياة الإنسان ليست سوى سلسلة من التجارب الابتلائية لا يكاد يفرغ من واحدة حتى تتبعها أخرى، وهكذا حتى نهاية عمره»^(٣). فإذا كان الأمر على هذا النحو، فإن ما يحدث للولد وأسرته من المصائب والنكبات المتنوعة من

(١) ما كبريد، وج.، الخوف، ص ٦٠ - ٦١.

(٢) الملك ٢.

(٣) الدسوقي، فاروق أحمد، القضاء والقدر في الإسلام، ج ١، ص ٣٦١.

فقر، أو مرض، أو موت، أو ما يحدث في الكون من الحوادث والكوارث الطبيعية، أو غيرها فإنما يحدث كل ذلك بقضاء من الله وقدر سابق وحكمة وتدبير.

فالأسرة التي تعيش في فقر، ويظهر على الولد فيها علامات اليأس، والملل والضيق، لقلّة ذات اليد، فإن الأب يستغل مفهوم القضاء والقدر؛ ليدخل الرضا والطمأنينة على نفس الولد؛ ليحفظه من الانحراف، فيذكره بقول الله تعالى، حاكياً عن لقمان وهو ينصح ولده: ﴿يَبْنِيْ أَقْرَبَ الصَّالُوَّةِ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١)، وقوله عليه الصلاة والسلام مبشراً الفقراء من أصحابه، فيقول لهم: «ليشر فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم فإنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاماً»^(٢)، فيطمئن الولد لقضاء الله فيهم بأن يكونوا من الفقراء، فلا يتطلع إلى غيره من أبناء الأغنياء، ولا تنقبض نفسه، بل يكون إيجابياً مقبلاً راضياً بما قسم الله.

ولا يعني هذا سلبية الأب، وتركه الأخذ بأسباب الغني، بل عليه السعي ليحمي نفسه وأسرته من الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً^(٣)، ويحمي أولاده من أسباب الانحراف، فإن انخفاض مستوى المعيشة يهيء الجو لانحراف الأولاد، ووقوعهم تحت طائلة العقاب^(٤).

ومن القضايا التي تؤثر على الولد أيضاً، ولها علاقة بالقضاء والقدر:

-
- (١) لقمان ١٧.
(٢) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الرقائق، باب في دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء، ج ٢، ص ٣٣٩.
(٣) انظر: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الأدب، ما جاء في الحسد، ج ٩، ص ٩٤.
(٤) غرابية، بيمان عنبري، «انحراف الأطفال كيف نعالجه»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٦)، ص ٤٨.

مسألة الموت الذي تحار فيه العقول، ولا يصل إلى كنهه أحد. والسولد في العادة يخاف من الموت، لما يراه على أهله من الوحشة والكآبة عند وفاة أحد الأقارب، أو الجيران.

ويمكن تطمين الولد في هذا الجانب بإشعاره أن الموت خير له، وأنه إذا مات كان في الجنة مع أبيه إبراهيم عليه السلام، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن ذراري المؤمنين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام»^(١).

ونقرب له فكرة الموت بالنوم، فقد قرب لقمان لابنه مفهوم الموت بالنوم، فقال: «يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم، فكما أنك تنام كذلك تموت»^(٢)، فيدرك الولد بذلك بعض القضايا المتعلقة بالموت، ولا ينبغي الكذب عليه في مسائل الموت، ولا إغفال أسئلته، بل يجب عنها بما يمكنه أن يدركه بعقله الصغير.

ويُستغل مفهوم القضاء والقدر أيضاً في تخفيف حدة الشعور بالنقص عند الولد المصاب بعاهة جسدية تعيقه، كالشلل، أو الكسر، أو الشوه، أو غيرها، فيبين له أن ذلك بقضاء وقدر من الله ليجزيه على صبره أجراً، ويدخله الجنة، ويبين له ما فيه من المميزات الأخرى كالذكاء، وسرعة الفهم، والقدرة على الحفظ، وغيرها. ويُحفظ من إخوته، وأقاربه، وجيرانه، الذين يمكن أن يسخروا منه، فيزيثوه همماً وغمماً، ويكلؤه الأب بالحنان، والرعاية، ومزيد من العطف والشفقة.

ومسألة أخرى متعلقة بالقضاء والقدر، وهي الكوارث والحوادث الطبيعية، والحروب وغيرها. حيث لا بد أن يدرك الولد أنها تحدث بقضاء وقدر من الله عز وجل، وتقدير سابق لوقوعها، وأنها بعيدة كل البعد عن مجال

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر، ج ٢، ص ٣٧٠. وإسناد الحديث صحيح.

(٢) الحجارة، محمد، سمير المؤمنین في المواعظ والحكم والقصص، ص ١٨.

الصدفة والحظ، وإنما أنزلها الله وقدرها عقاباً وجزاء لعباده بسبب ما اقترفته أيديهم^(١).

ولا بد أن يشار للولد دائماً إلى تقدير الله عز وجل خلف هذه الحوادث كالزلازل، والبراكين، والحرائق، والحروب، وغيرها، فهي تحدث إما عقاباً للعصاة المفرطين، أو ابتلاء للمؤمنين الصادقين لرفع درجاتهم وحط خطاياهم، فليس كل ما يحدث من الكوارث والنكبات ضاراً بالناس، بل ربما أضر بعضهم ونفع آخرين، والله في كل ذلك الحكمة البالغة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

(١) الدسوقي، فاروق أحمد، «مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي»، وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، ج ١. ص ٣٣٨.

المبحث الثاني

الأخلاق مع الرسول والأنبياء والملائكة

أولاً: الأخلاق مع الأنبياء

ثانياً: الأخلاق مع الرسول محمد ﷺ

(١) - حب الرسول

(٢) - الأدب مع الرسول

(٣) - طاعة الرسول

ثالثاً: الأخلاق مع الملائكة

المبحث الثاني:

الأخلاق مع الرسول والأنبياء والملائكة

إن أحب خلق الله إلى الله هم الأنبياء والملائكة عليهم جميعاً الصلاة والسلام. فهم أولياؤه وخاصته وخيرته من خلقه اصطفاهم واختارهم من بين جميع خلقه، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١)، وقد هدد الله سبحانه وتعالى من يعاديهم، فقال: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٢)، فمن عاداهم وصف بالكفر والجحود، كما أن من أحبهم ووالاهم وصف بالإيمان والإسلام؛ بل إن معاداة نبي من الأنبياء، أو ملك من الملائكة هو كفر بالجميع ومعاداة للجميع. يقول ابن كثير رحمه الله: «فمن عادى رسولاً فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، كما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل»^(٣).

ولما كان حب الأنبياء والملائكة عليهم جميعاً الصلاة والسلام من أعظم القربات إلى الله عز وجل، فإن مسؤولية الأب تتجسد في تركيز حبههم وموالاتهم في صدور الأولاد وقلوبهم مستغلاً بيان فضلهم، ومنزلتهم، وكمالهم، فتتعلق قلوب الأولاد بهم حباً وولاءً.

(١) الحج ٧٥.

(٢) البقرة ٩٨.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٣٦.

أولاً: الأخلاق مع الأنبياء:

يعرّف الأب أولاده بالأنبياء الكرام عليهم السلام، وبمهامهم التي كلفهم الله القيام بها، مبيناً طبيعة شخصياتهم، وأنهم أكمل الناس خُلُقاً وخُلُقاً، فيحدث أولاده عن جمالهم، وكمالهم، وحسن صورهم، وطيب ريحهم، وكرمهم، وصبرهم على سوء خلق الناس وأذاهم.

ويعرض عليهم بعض قصصهم مع أقوامهم، وكيف لاقوا العنت، والتكذيب، رغم وضوح الأدلة وقيام الحجة، ويعرض الأب هذه القصص عرضاً شيقاً جذاباً، مراعيّاً سن الولد؛ فإن كان صغيراً قبل التمييز اختار له القصص القصيرة الموجزة، وإن كان كبيراً مميّزاً بسط له القصة وأطال سردها، مراعيّاً في كل هذا إبراز شخصيات الأنبياء في أكمل صورة، متجنباً الروايات الإسرائيلية الغريبة، والمنقولات غير الصحيحة، والتي يمكن أن تحمل معاني لا تليق بمقام الأنبياء الكرام، ومراعيّاً أيضاً إبراز الصراع الدائر في هذه القصص بين الحق والباطل، مبيناً أن الأنبياء إنما أرسلوا لإقرار عقيدة التوحيد، والخلوص من الشرك بكل صورته، مشيراً إلى انقسام أقوامهم بين مكذب ومصّدق، مؤمن وكافر، ثم يقر الحقيقة الكبرى، والسنة الجارية، في نهاية المطاف، بعد طول صبر وعناء، حيث يهلك المكذبون، وهم الأكثر، وينجو ويتنصر المؤمنون وهم القلة، موضحاً أن الحق لا يعرف بكثرة الناس أو قلتهم، بل يعرف بموافقه للوحي المنزل من الله عز وجل (*).

ويستعين الأب في عرضه لقصص الأنبياء بكتاب «قصص الأنبياء» لابن كثير، وكتابه «البداية والنهاية»، وكتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، وكتاب «الرسائل والرسالات» لعمر الأشقر، وكتاب «حياة وأخلاق الأنبياء» لأحمد الصباحي عوض الله، وغيرها من الكتب. ويكون أسلوب الأب في العرض عن طريق تلخيص القصة من هذه الكتب أو من أحدها، ثم عرضها

(* راجع سورة الأعراف، وهود، والشعراء، وغيرها للوقوف على نماذج من قصص الأنبياء مع أقوامهم.

على الأولاد. ولا تقرأ مباشرة من المرجع؛ لصعوبة الأسلوب خاصة في الكتب القديمة.

ولا بأس بتزويد الولد القادر على القراءة ببعض قصص الأنبياء المؤلفة للصفار ككتاب «قصص النبيين» لأبي الحسن الندوي، وكتاب «أنبياء الله» لأحمد بهجت، وغيرهما. ومن وقت لآخر يناقش الأب ولده فيما قرأ؛ ليتأكد أنه فهم الفهم المطلوب، وتوصل إلى الهدف المنشود، والعبرة من القصة.

ثانياً: الأخلاق مع الرسول محمد ﷺ:

يخص الأب سيرة رسول الله ﷺ، وأحداث دعوته بالاهتمام الأكبر، فالحاجة لمعرفتها أعظم من الحاجة لمعرفة غيرها من السير والأحداث، لأن الناس مأمورون بالافتداء به، واتباعه، وهذا لا يتم إلا من خلال معرفة سيرته، ودراستها.

وإرسال الرسول محمد ﷺ من أعظم منن الله عز وجل على عباده، فهو أفضل الرسل، وأحبهم إلى الله، وشريعته أكمل الشرائع. يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١)، فأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، فبعثه أعظم رحمة على البشرية، وأكبر منة لله عز وجل على الناس، لهذا كان حبه وطاعته والأدب معه من أهم القضايا والأمور التي يهتم بها الأب ويوجدتها في نفوس أولاده.

١ - حب الرسول:

إذا عرفت شخصية الرسول ﷺ، وفضائله، وشمائله، فإن القلب يصبح أسير حبه، فيتعلق به تعلقاً عظيماً، ويفديه بالأهل، والمال، والولد، وهذا هو

(١) آل عمران ١٦٤.

الذي حدث للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقد ملك حب رسول الله ﷺ شفاف قلوبهم، فأصبح أحدهم يشتاق إليه وهو عنده، وظهر حب الصحابة له في مواقف كثيرة ومن أعظمها في موقعة أحد التي هزم فيها المسلمون، فكان أحدهم يقف درعاً واقياً لرسول الله ﷺ من سهام المشركين، فيتلقى السهام بصدره أو ظهره(*) .

وكما أن حبه عليه الصلاة والسلام ملك قلوب الصحابة، فكذلك التابعين، فهذا ثابت البناني التابعي الجليل يقول لأنس بن مالك رضي الله عنه: «أعطني عينيك التي رأيت بهما رسول الله ﷺ حتى أقبلهما»^(١) .

ولا يكمل إيمان المسلم إلا بحبه عليه الصلاة والسلام، فقد قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٢) .

وحبه عليه الصلاة والسلام من حب الله عز وجل، فمن أحبه فقد أحب الله؛ لأن الله يحبه وأمر بحبه. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسوله وتعظيمه؛ فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويبجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله»^(٣) .

وقد أمر الرسول ﷺ الآباء بأن يربوا أولادهم على حبه، فقال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن»^(٤) .

ولما كان الأمر بحبه على هذه الدرجة من الأهمية فإن واجب الأب أن

(*) انظر أحداث موقعة أحد في كتاب «زاد المعاد في هدى خير العباد» لابن القيم، ج ٣، ص ١٩٢ - ٢١١ .

(١) الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، حديث رقم (٣١٧)، ج ١، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، حديث رقم (٧٠)، ج ١، ص ٦٧ .

(٣) ابن القيم، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ص ٩٤ .

(٤) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، حديث رقم (٣١١)، ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ . والحديث ضعيف .

يوقع في نفوس أولاده حبه وتعظيمه، ولعل أفضل الوسائل إلى ذلك هي سيرته، المتضمنة وصفه، وشخصيته، وشمائله، وفضائله، التي ما يكاد يطلع عليها أحد إلا وتؤثر فيه، وتمتلك قلبه.

فيحاول الأب أن يعرف أولاده بسيرته عليه الصلاة والسلام مستعيناً بالكتب المؤلفة في هذا الجانب، ككتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم، وكتاب «السيرة النبوية» لابن هشام، وكذلك كتب الحديث، وبعض الكتب الحديثة التأليف، فيحضر الأب من بعض هذه الكتب موضوعات متعلقة بشخصه عليه السلام، من التي تبرز خلقه، وفضله، وصبره على الناس، وعفوه عنهم، ويضاف إلى ذلك جوانب من سيرته في مكة والمدينة، والأحداث التي تخللت حياته، ويكون عرض الأب ملخصاً دون سرد ودون قراءة مباشرة من المرجع، ويعلق على المواقف الهامة، مبرزاً جوانب شخصيته عليه الصلاة والسلام حتى تتعلق قلوب الأولاد به ويحبوه.

ويشجع الأب أولاده على حفظ بعض الأحاديث النبوية القصيرة والواضحة المعنى، والمتضمنة لبعض الأخلاق، والآداب النافعة للصغار، ويكافئ من أجاد الحفظ بهدية، أو نقود، فلا حرج في ذلك، فقد كان بعض السلف رضوان الله عليهم يعطون الأولاد بعض النقود، ليشجعوهم على سماع الحديث^(١).

ويقص الأب عليهم بعض الروايات التي تبين حب الرسول ﷺ للأطفال الصغار، وكيف كان يعاملهم؟ خاصة ما ورد عنه في حبه للحسن والحسين رضي الله عنهما، فيتعلق قلب الولد بسيرته، وما نقل عنه، فيحاول أن يعرف كل شيء عنه، ويسعى ليقنني به في سلوكه وأخلاقه عليه الصلاة والسلام.

٢ - الأدب مع الرسول:

ولا بد أن يضاف إلى حبه عليه الصلاة والسلام: الأدب بحضرته في

(١) انظر: ابن الجوزي، الطب الروحاني، ص ٦٠.

حياته، ومع سنته بعد مماته. يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١)، وقال أيضاً: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(٢)، أي: لا يُنادى عليه الصلاة والسلام باسمه، بل يُنادى بأدب النبوة فيقال: يا رسول الله، أو يا نبي الله، وهكذا^(٣).

ويعود الأب ولده على هذا الأدب القرآني العظيم، فإذا سمع حديث رسول الله ﷺ يقرأ من كتاب، أو في المذياع، أمر الأب الجميع بالصمت والإنصات لسماع الحديث، فيستشعر الولد منزلة الرسول عليه الصلاة والسلام عند المسلمين.

ويعود الولد على الصلاة والسلام عليه كلما ذكر اسمه، ويكون الأب القدوة لولده في ذلك، فإذا سمع اسمه بادر بالصلاة والسلام عليه رافعاً بذلك صوته ليسمعه الأولاد، ويتعلموا منه، وعليه أن يلاحظهم بعد ذلك فإذا أهمل أحدهم الصلاة والسلام على الرسول ﷺ نبهه، وبين له أن هذا فعل البخلاء، كما قال عليه الصلاة والسلام: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي»^(٤)، ويوضح له أمر الله عز وجل في هذا، فيذكره بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٥).

ويحث أولاده على الإكثار من الصلاة والسلام عليه خاصة يوم الجمعة، والليلة التي قبلها، لقوله عليه الصلاة والسلام: «أكثرُوا الصلاة علي

(١) الحجرات ٢.

(٢) النور ٦٣.

(٣) الجزائري، أبو بكر، أيدر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج ٣، ص ٢٥٨.

(٤) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «غم أنف رجل»، حديث رقم (٣٥٤٦)، ج ٥، ص ٥٥١. والحديث حسن صحيح.

(٥) الأحزاب ٥٦.

يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً^(١). ولا بأس أن يكافئ المكثراً من الصلاة والسلام عليه من الأولاد، فيثني عليه، ويعطيه هدية أو نقوداً.

وبهذا التعظيم والإجلال لشخص رسول الله ﷺ، والتأدب معه يوقع في نفس الولد شعوراً خاصاً نحوه، فيتعود الأدب مع سنته، ويظهر تعظيمه لها واتباعها إذا كبر واشتد عوده.

٣ - طاعة الرسول:

ويشمر حب الرسول ﷺ والأدب معه طاعته في أوامره، واتباع سنته اقتداءً به، فهو عليه الصلاة والسلام المثل والقدوة الواقعية للبشر في جميع المجالات والجوانب الحياتية المختلفة، وهو أكمل شخصية بشرية سارت على الأرض^(٢). قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣)، وأمر الله عز وجل بطاعته طاعة مطلقة، فقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٤)، وقال أيضاً: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾^(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام محذراً من عصاه: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي قالوا: ومن يأبى يا رسول الله. قال: من عصاني فقد أبى»^(٦)، فطاعته واجبة على الناس لا مناص للانفلات منها.

ولا تقتصر طاعته على ما ورد في القرآن الكريم من نصوص وأحكام وتوجيهات، بل لا بد من طاعته في أوامره التي لم ترد في القرآن الكريم،

(١) البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الجمعة، باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، ج ٣، ص ٢٤٩.
(٢) حوى، سعيد، الرسول ﷺ، ج ١، ص ٣٥.
(٣) الأحزاب ٢١.
(٤) النساء ٨٠.
(٥) آل عمران ٣٢.
(٦) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الإيمان، ج ١، ص ٥٥. والحديث صحيح.

والتي اصطلح على تسميتها بالسنة(*)، وهي وحي من الله أيضاً. وقد فسر كثير من العلماء الحكمة التي ورد ذكرها في القرآن بأنها السنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «أوتيت الكتاب وما يعدله»^(٢)، يعني مثله، فستته المتضمنة لأفعاله، وأقواله، وتقريراته يطالب بها المسلم، ويؤمر باتباعها وعدم إهمالها، فإن مضمون شهادة «أن محمداً رسول الله» هو:

«العلم والتصديق والاعتقاد الجازم بأن محمداً ﷺ رسول الله، وإعلان ذلك وإظهاره وبيانه بالقول والعمل، أما بالقول: فبالنطق بهذه الشهادة، وأما بالعمل: فيكون بإقامة سلوك الإنسان وجميع تصرفاته القولية والعملية وفق ما جاء به محمد ﷺ من ربه على وجه الاتباع له والقبول منه باعتباره رسول الله»^(٣).

فلا يكون المهمل للسنة، المعرض عنها، مقراً إقراراً صحيحاً بأن محمداً رسول الله؛ بل يكون إيمانه بهذه الشهادة ضعيفاً هزياً.

والأب المسلم يقيم حياته كلها على السنة المطهرة، فصلاته وصيامه وحجه وكل عباداته على منهج السنة النبوية، وتصرفاته في المأكل والمشرب والملبس أيضاً على السنة، وأخلاقه ومعاملاته مع أولاده والناس توافق أيضاً طريقة الرسول ﷺ، فلا يكاد الولد يسأل عن عمل يقوم به الأب، أو طريقة انتهجها الأب، في عبادة، أو معاملة، أو دعاء، أو غير ذلك إلا ويكون جوابه: «هكذا كان يفعل رسول الله ﷺ يا بني»، فيشعر الولد ويتيقن بأنه

(*) السنة في اللغة: «الطريقة محمودة كانت أو مذمومة... وفي اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير». السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٤٧.

(١) الجمعة ٢.

(٢) البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الضحايا، باب ما جاء في أكل لحوم الحمر الأهلية، ج ٩، ص ٣٣٢.

(٣) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، ص ٢٤.

أيضاً مطالب بهذه السنة، وأن حياته لا بد أن تقوم على اتباع الرسول في طريقته ومنهجه، فيثمر ذلك حماسة في نفسه للاقتداء، خاصة وهو يجد أمام عينيه القدوة الصالحة في سيرة والده وسلوكه، فلا يكون اتباعه للسنة صعباً شاقاً.

ويحذر الأب كل الحذر من مخالفة القول للعمل، ومن إهمال تطبيق السنة، خاصة إذا تعلم الأولاد سنة من سنن الرسول ﷺ نظرياً، فإن الأب مطالب باتباعها شرعاً وعقلاً، وإلا أحدث في نفس الأولاد خلخلة كبيرة، وتناقضاً عظيماً لا يستطيع الولد أن يفهمه أو يدركه.

ومثال ذلك عادة حلق اللحية التي تفتت بين الرجال من المسلمين في هذا الزمن، حيث ميز الله الرجال عن النساء والصبيان باللحية، وجعل لهم بها مهابة لا توجد على من لا لحية له^(١)، فلو اعتاد الأب هذه العادة الذميمة، وخالف بها أمر رسول الله ﷺ الذي يقول: «خالفوا المشركين، وفروا اللحية، واحفوا الشوارب»^(٢)، فإنه من الصعوبة بمكان أن يعطي لأولاده وصفاً دقيقاً لهيئة رسول الله ﷺ، كما أنه لا يستطيع أن يذكر لهم ويعلمهم سنن الفطرة التي من بينها إطلاق اللحية^(٣)، كما أنه بفعله هذا يكون لهم قدوة سيئة في حب الصالحين من العلماء، والدعاة، الذين تزينوا بإطلاق اللحية مقتدين بالرسول ﷺ، إلى جانب أنه يجروهم مستقبلاً على حلقها فيوقعهم في الإثم والمعصية، خاصة وقد أجمع أصحاب المذاهب الأربعة على حرمة حلقها، فقد نقل بعض علماء العصر الحديث إجماعهم على ذلك، بعد أن انتشرت هذه الظاهرة بين الرجال^(٤)، فلا ينبغي للأب أن يلتفت لكثرة المخالفين، فالحق أحق أن يتبع.

(١) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ص ١٩٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، ج٧، ص ٢٠٦.

(٣) انظر: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب السواك من الفطرة، حديث رقم (٥٣)،

ج١، ص ١٤.

(٤) انظر: الكاندهلوي، محمد زكريا، وجوب إعفاء اللحية، ص ١٩.

انظر أيضاً: إسماعيل، محمد بن أحمد، أدلة تحريم حلق اللحية، ص ٨٨-٩٤.

علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج٢، ص ٩٧٠-٩٧١.

ويُقاس على هذا المثال جميع القضايا التي وردت في السنة المطهرة، خاصة التي يفهم منها الوجوب، فلا يهملها الأب، أو يقصر في اتباعها؛ بل يأخذ بها متبعاً ومقتدياً بالرسول ﷺ، فيكون قدوة صالحة لأولاده.

ونظراً لضعف الوازع الديني، وضعف استشعار القدوة في رسول الله ﷺ أظهر بعض أبناء المسلمين الحب والولاء والافتداء بغير شخص رسول الله ﷺ فأصبح بعضهم يقتدي بالرياضيين، أو الممثلين، أو غيرهم، دون أن يستحضر أحدهم الخطأ الفادح في اختيار القدوة، وظهر هذا واضحاً في دراسة أجريت في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض حول المثل الأعلى والقدوة عند الطلاب، فأسفرت النتائج أن أكثر قدوات الشباب من عينة الدراسة تركزت في المجال الرياضي بالدرجة الأولى، ثم في مجال الأسرة، ثم في المجال الديني^(١). مما يدل على سوء التوجيه الأسري، وضعف المفاهيم المتعلقة بحسن اختيار القدوة، وضعف حب الرسول ﷺ في نفوس بعض الشباب، وعدم استحضار شخصه الكريم عند إجابة الاستبيان. وهذه النتائج تدل على ضعف مفهوم الدين لدى بعض الشباب حيث تأتي القدوة الدينية في المرتبة الأخيرة.

لهذا فإن الجهد الملقى على عاتق الأب المسلم، خاصة في هذا الزمن جهد مضاعف، يحتاج معه إلى عون الله عز وجل، والصبر والثبات.

ثالثاً: الأخلاق مع الملائكة:

الملائكة عباد الله تعالى خلقهم من نور، وأوكل إليهم أعمالاً يقومون بها في هذا الكون، فالتسبيح والتهليل والتمجيد لله عز وجل من أعظم أعمالهم، فهم العابدون لله دون ملل أو كسل كما وصفهم الله عز وجل في كتابه المنزل بقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ

(١) درويش، كمال ومحمد الحماحمي، الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، ص ٢٤٨.

وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿١﴾ . فهم دائموا التسبيح
لله عز وجل لا يملون ذلك، فالتسبيح عندهم كالتنفس عند البشر.

ومسؤولية الأب في هذا الجانب هي تعميق حقيقة وجود الملائكة في
نفس الولد، وإكسابه يقيناً بوجود هذه المخلوقات العظيمة. ويكون نهج الأب
في تعميق هذه الحقيقة هو الاعتماد على القرآن الكريم، والآثار الواردة عن
رسول الله ﷺ في هذا الجانب الغيبي، فليس هناك طريق آخر لمعرفة هذه
القضايا الغيبية سوى طريق الوحي المبارك من عند الله عز وجل.

ويبدأ الأب ببيان حب الملائكة للمؤمنين، وأنها تستغفر لهم، كما أخبر
بذلك الله عز وجل حيث قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (٢) فيشعر ولده بحب الملائكة له، وأنهم يدعون له،
ويطلبون له النجاة والفوز بالجنة، كما يخبره أنهم يحمونه مما يؤذيه، ومن كل
ما يمكن أن يضره، فقد قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (٣)، فالمعقبات هم الملائكة الذين يتعاقبون على الناس
بالليل والنهار، يحفظونهم بأمر الله عز وجل مما لم يكتب عليهم (٤).

ويبين الأب لولده أن الملائكة هم الذين ينزلون بالوحي الذي تحيا به
القلوب، ويهتدي به الناس، فكل أعمالهم لخير الناس وصلاحهم. وبهذا
البيان يقع في نفس الولد حب الملائكة وموالاتهم، لما لهم من فضل
وإحسان.

ويشير الأب معلماً ولده أعمال الملائكة، خاصة المتعلقة بأحوال
الناس، فيبين له أن الملائكة لا تفارق الإنسان إلا في أحوال خاصة؛ بل

(١) الأنبياء ١٩ - ٢٠ .

(٢) الشورى ٥ .

(٣) الرعد ١١

(٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ٢٩١-٢٩٢ .

تلازمه طول حياته منذ كونه نطفة في رحم أمه حتى دخول الجنة أو النار، ويحصون كل أعمال العباد من خير أو شر، ويحشونه على فعل الخيرات بما يوقعونه في نفس الإنسان من عمل الفضيلة ونبذ الرذيلة.

وإذا علم الولد أن كل حركاته وسكناته مسجلة عليه محصية بصحائف الملائكة، وأنهم يرونه ويشاهدونه ويعاشره، فإنه إذا استشعر هذا الموقف شعر بضرورة الأدب مع هؤلاء الملائكة، والخجل من اقتراف المعصية أو الخطيئة، فيكون إيمانه بالملائكة حافظاً له لعمل الخير وترك الشر، وحصناً في خلواته من الوقوع في المنكر.

ولا بأس أن يصف الأب لولده المميز طبيعة خلق الملائكة وعظم أجسامهم، وشدة قوتهم، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»^(١). أما في وصف قوتهم فيقول عليه الصلاة والسلام: «إن لله ملكاً لو قيل له التقم السموات والأرضين السبع بلقمة لفعل تسيحه سبحانه حيث كنت»^(٢)، وأما في وصف عددهم وكثرتهم فيقول عليه الصلاة والسلام: «أطت(*) السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد. لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٣).

هذه الحقائق عن طبيعة خلق الملائكة وعظم أجسامهم، وشدة قوتهم، وكثرة عددهم، إذا استقرت في نفس الولد وتيقن بها، أحدثت في نفسه شفافية خاصة، وإحساساً مرهفاً نحو عالم الغيب، فيستحضر من وقت لآخر تلك التصورات التي يتلقاها من والده عن عالم الملائكة، فيذهب فكره من

(١) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، حديث رقم (٤٧٢٧)، ج ٤، ص ٢٣٢.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنع الفوائد، كتاب الإيمان، باب في عظمة الله سبحانه وتعالى، ج ١، ص ٨٥.

(*) الأبيط: هو صوت الأقتاب، وفيه إشارة إلى كثرة الملائكة في السماء. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٥٤.

(٣) أحمد، المسند، ج ٥، ص ١٧٣.

وقت لآخر متخيلاً هذه الحقائق الكونية الكبرى، فيسأل أباه في بعض الأحيان عما يثقل عليه إدراكه وتصوره، أو يسأله عن ورود فكرة أو خاطرة ما على ذهنه عن طبيعة هذه المخلوقات الجبارة، ويمكن للأب أن يجيب ولده عن الأسئلة بالاستزادة من المعلومات حول الملائكة، فيمكن الرجوع إلى كتاب «الجبائك في أخبار الملائك» للإمام السيوطي، أو كتاب «عالم الملائكة الأبرار» لعمر الأشقر، ففيهما الكفاية إن شاء الله، فقد جُمع فيهما عن أحوال الملائكة وطبيعتهم، وأعمالهم، ما تفرق في الكتب الأخرى.

والأب يشعر ولده من وقت لآخر بوجود الملائكة، فإن تركه في غرفته أو في مكان ما وحيداً، ذكره برفقة الملائكة له، وأنهم يحصون عليه أعماله، ويدونونها، وإذا شعر الولد خوفاً من الظلام، أو الوحدة، ذكره بوجود الملائكة المحبين للمؤمنين يحفظونه ويحمونه مما يؤذيه، فيشعر الولد بالأنس والاطمئنان.

المبحث الثالث

الأخلاق مع النفس

أولاً: تحمل المسؤولية

ثانياً: البخل

ثالثاً: حب التملك

رابعاً: الحياء

خامساً: الخوف

سادساً: الغضب

سابعاً: الكذب

ثامناً: السرقة

تاسعاً: الكبر

المبحث الثالث: الأخلاق مع النفس

المقصود بالأخلاق مع النفس هو السلوك الصحيح مع النفس وتربيتها وتهذيبها، لتكون سوية صالحة في المجتمع؛ فإن صلاح الفرد وتهذيب نفسه بالأخلاق الإسلامية هو الطريق لصلاح المجتمعات، واستقامتها على المنهج الإسلامي القويم. والطفل الصغير يولد مزوداً بقدره فائقة على اكتساب ما يُلقى إليه من خير أو شر، وإن كان هو ميالاً إلى الخير أكثر منه إلى الشر، لأنه - كما أشير من قبل(*) - مفتور على الخير وحبه، إلا أنه يحتاج إلى التأديب والتوجيه والتربية؛ لما للبيئة والوراثة من تأثير في خلقه. يقول الماوردي رحمه الله مشيراً إلى أهمية التربية والتأديب: «اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسله، لا يستغني محمودها عن تأديب، ولا يكتفي بالمرضي منها عن التهذيب»^(١). أي أنه لا بد من التربية والتوجيه وتنمية الأخلاق الحسنة التي جبل عليها الطفل وتعميقها دون إهمال.

ولا ينبغي تضخيم شأن الوراثة فإنه بالإمكان التخفيف من شأنها وتأثيرها في نفس الطفل، وذلك بمزيد من الجهد والمثابرة، فإن تقويمها ليس مستحيلاً^(٢). والغزالي رحمه الله يشير إلى هذه القضية مبيناً أن الأخلاق الحسنة مثل الجود، والتواضع، والشجاعة، وغيرها يمكن إيجادها في الإنسان من خلال التدريب عليها ومزاوتها حتى تصبح محببة إلى النفس يتلذذ صاحبها بها^(٣). كما تحتل القدوة، والسلوك الصحيح من الوالد والأسرة

(*) راجع المبحث الأول، الفقرة (أولاً) من هذا الفصل.

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٢٦.

(٢) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ٩١.

(٣) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٥٦.

مكانة كبيرة في إيجاد هذه الأخلاق في نفس الولد، «فالإنسان يتعلم البذل والحرص على شعور غيره عن طريق حرص الآخرين على شعوره واهتمامهم بشأنه»^(١)، فلو أن الوالد أظهر لولده الاهتمام به، ومحبتة، والرغبة فيه، فإن الطفل يتعلم من هذا كيف يحب الآخرين، ويهتم بشعورهم، ويعمل على راحتهم.

لهذا كان دور التربية الوالدية في الأسرة هاماً جداً لإيجاد ذلك الخلق والأدب مع النفس لتستقيم على المنهج الإسلامي الصحيح، وفي هذا المجال يقول الإمام الماوردي رحمه الله: «الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة... وكل ذلك لا ينال بتوفيق العقل، ولا بالانقياد للطبع، حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة، ويستفاد بالدربة والمعاطاة»^(٢).

ومن خلال هذا المبحث نستعرض بعض جوانب من الأخلاق الحميدة التي ينبغي أن يتحلى بها الولد، وبعض الأخلاق المذمومة التي يجب أن يحذرها، وذلك في ضوء المفاهيم الإسلامية، مع توضيح لمسؤولية الأب في تقويم الانحراف، وتوجيه الولد إلى الخير.

أولاً: تحمل المسؤولية:

إن تدريب الطفل على تحمل المسؤولية ومساعدته في ذلك أمر هام جداً خاصة إذا نجح الولد في تحمل بعضها، وأظهر براعة في ذلك، فإن هذا النجاح يدفعه إلى مزيد من الجهد، والثقة بالنفس، والاعتماد عليها.

فالطفل في صغره خال من المسؤوليات صغيرها وكبيرها، فيتدرج في تحملها شيئاً فشيئاً بدءاً بتحمل أعباء خلع الملابس وارتدائها، إلى قضاء الحاجة، إلى الأدب في مجالس الكبار والصمت، إلى التحكم في العواطف والانفعالات، إلى أن يؤهل لتحمل المسؤولية الكبرى والأمانة العظمى التي

(١) فوستر، كونستانس، تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال، ص ١٧.

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٢٦.

كلف بها البشر كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١)،
فهذه الأمانة لا يمكن أن يتحملها البالغ الراشد؛ إلا بعد أن
يتدرب على تحمل المسؤوليات الصغرى، ويتدرج في تحملها من الأسهل
إلى الأصعب، لهذا كان دور الوالد هاماً في تدريب ولده على الثقة بنفسه،
وتحمل الأعباء.

وللوالد في السلف الصالح القدوة في ذلك، فقد روى الإمام البخاري
في صحيحه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل بعض
الصحابة عن آية في القرآن الكريم فلم يعرفوا الإجابة، وكان بينهم عبدالله بن
عباس وهو صغير السن فقال: «في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال
عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك» فأجابه (٢). ويعلق على هذا الحديث
ابن حجر، فيقول: «وفي الحديث قوة فهم ابن عباس، وقرب منزلته من
عمر، وتقديمه له من صغره، وتحريض العالم تلميذه على القول بحضرة من
هو أسن منه إذا عرف فيه الأهلية لما فيه من تنشيطه، وبسط نفسه، وترغيبه
في العلم» (٣). والشاهد هنا هو تشجيع الولد على الإقدام، وإعطاؤه
الثقة في نفسه، وهذا كان واضحاً من فعل عمر رضي الله عنه رغم وجود كبار
الصحابة في مجلسه.

والأب المسلم الواعي يحاول قدر المستطاع أن يعطي الفرصة لولده
ليبرز قدراته لحل مشكلاته الصغيرة في عالم الطفولة، فلا ينبري دونه لحل
كل ما يواجهه من المشكلات المختلفة، فإن شخصية الولد الصغير تنمو
بشكل أفضل من خلال مواجهة الولد للصعوبات المختلفة وتغلبه عليها (٤)،

(١) الأحزاب ٧٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أبود أحدكم أن تكون له جنة...﴾
إلى قوله ﴿تتفكرون﴾، ج ٦، ص ٣٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٧، ص ٥٩.

(٤) سترانج، روث، مساعدة الأطفال على حل المشكلات، ص ١٦.

فيكون ذلك دافعاً له إلى مزيد من الجهد والعطاء. وليس معنى هذا أن يترك الولد وشأنه في مواجهة جميع المشكلات؛ بل يساعد ويؤخذ بيده للوصول إلى أفضل حل للمشكلة، خاصة إن كان حلها صعباً عليه لصغر سنه، وقلة خبرته.

ويمكن للوالد أن يبدأ في تحميل ولده المسؤوليات في وقت مبكر، خاصة عندما يُظهر الولد الرغبة في ذلك، فيشجعه عليها، ولا يمنعه أو يثبطه لصغر سنه، فإنه لا توجد سن معينة يبدأ فيها بتحميل الطفل المسؤوليات^(١).

ويمكن للأب أن يدرّب ابنه بعد سن التمييز على تحمل المسؤولية من خلال تكليفه إدارة ما يملك من النقود، كأن يتولى شراء بعض الحلوى مثلاً من دكان قريب من المنزل، فيتعلم حسن إدارة ما يملك، فيتأهل لواقع الحياة الاقتصادي، إلى جانب أنه يحس بنشوة عظيمة حيث تولى هو بنفسه شراء ما يريد، فترتفع معنوياته وتزيد ثقته بنفسه^(٢).

أما الطفل الصغير دون التمييز فيمكن تدريبه على تحمل المسؤولية من خلال أمر الأم بإعطائه فرصة تولي الأكل بنفسه مثلاً، فإن كثيراً من الأولاد يحاولون أن يتولوا هذه المهمة بأنفسهم كالكبار، فإذا طلب الولد أن يتولى إطعام نفسه فلا بأس بإعطائه الفرصة في بعض الأحيان وتدريبه على ذلك مع أخذ الاحتياطات اللازمة لضمان عدم اتساخ ملابسه، والمكان من حوله، فإن الولد الذي يتدرب على الأكل بنفسه منذ صغر سنه؛ يمكن الاعتماد عليه في ذلك بعد فترة قصيرة من الزمن، فيسبق أقرانه من الأولاد الذين لم تؤهلهم أسرهم لذلك، فتكون تلك ميزة له، وتفوقاً يعتز به على أقرانه.

أما في مجال تحمل الولد أعباء أخطائه ليتدرب على تحمل مسؤولية ما

(١) الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل، ص ٩.

فoster، كونستانس، تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال، ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، ص ٨٢.

سروري، نادرة أحمد، «أطفالنا أمام الشعور بالتملك»، مجلة: رسالة المعلم، العدد (٥)، ص ٥٢ - ٥٣.

يقوم به من أعمال ليؤهل للجزاء، فيستيقن أنه مجازى بما يعمل: فيمكن أن يبدأ معه من خلال تحميله مسؤولية تنظيف الموقع من السجادة الذي لطخه بالعصير أو الحلوى مثلاً، فيؤمر الولد بتنظيف ذلك المكان بكل جدية وحزم ويعطى الصابون والماء والليفة ليتولى ذلك بنفسه، فيتعلم أن أعماله التي يقوم بها هو المسؤول الأول عنها، فإذا قيل له مستقبلاً إنه مسؤول عن أعماله أمام الله، وأنه سوف يسأل عنها، سهل عليه اعتقاد ذلك والتيقن به، فإنه قد تدرب عليه من قبل في أمور سهلة بسيطة فكيف بالأمور العظام الجسام؟

كما يمكن تحميل الولد المميز أعباء خطئه فيشعر بالمسؤولية، ويحس بها من خلال تحميله مسؤولية تنظيف ألعابه وأدواته التي تركها في فناء المنزل فأصابها المطر، وأتلف بعضها، كما يتحمل تكاليف كسره لزجاج النافذة بالكرة حيث أهمل ولم يلعب في المكان المخصص لذلك.

ويلاحظ الأب في تحميل الولد تبعات أخطائه أن يكلفه ويحملة الأخطاء التي ارتكبها عمداً، أو بتفريط منه، أما الأخطاء التي وقعت له بدون قصد، أو سابق إرادة، فإنه لا يعاقب على ذلك؛ بل يشرح له ويبيِّن، ويؤمر بأخذ الاحتياط في المستقبل. كما يحاول الأب أن يثب الولد بعد اعترافه بخطئه وتحمله لتبعاته ونجاحه في ذلك، فيعطيه هدية، أو يظهر له الشاء على عمله، وأنه راض عنه؛ وذلك لثلا يشعر الولد بأن والده يكرهه، أو يحقد عليه؛ بل يتعلم أن خطأه هذا هو الذي جر عليه غضب والده، وأن تحمله أعباء خطئه وإصلاح ما أتلفه أعاد له رضا والده عنه مرة أخرى.

ثانياً: البخل:

ذم الله سبحانه وتعالى البخل وتوعد عليه بالعذاب، وذلك لما فيه من خساسة في طبع صاحبه، وأنانية في نفسه، وعدم مبالاة بالمحتاجين وأصحاب الحقوق، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنهَمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١)،

(١) آل عمران ١٨٠.

ويقول أيضاً: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١).

كما جاءت السنة بمثل ما جاء به القرآن الكريم من ذم البخل والبخلاء، فقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة ففجروا وأمرهم بالفجور ففجروا»^(٢). فنهاية الاسترسال في البخل وعدم إخراج الحق الذي عليه يسوق صاحبه إلى الفجور وغضب الله سبحانه وتعالى.

لهذا فإن محاربة هذا الطبع القبيح منذ الطفولة أمر هام خشية أن يتأصل في نفس الطفل - إذا ظهرت علامته عنده - ويتشربه فيصعب تخلصه منه في الكبر، فالمحافظة على الطفل وحمایته من هذه الصفة واجب على الأب.

ومن الأسباب التي تسوق الطفل إلى اعتياد هذا الطبع القبيح: التعود على ادخاره لكل ما يملك دون أي إنفاق، فالطفل الذي لا يتعود العطاء والبذل منذ صغره يصعب عليه تعوده في كبره، ويمكن للوالد تعويد ولده الإنفاق عن طريق حثه للتبرع للجمعيات الخيرية، والهيئات الإسلامية - مثلاً - فتنمو عنده روح المسؤولية تجاه المجتمع، ويتدرب على الإنفاق^(٣). فإن علاج أمراض القلوب - أياً كانت - إنما يكون بالمدائمة على ضدها، فالبخل يعالج بضده من الإنفاق والبذل^(٤).

كما يمكن للوالد إشراك ولده في الإنفاق على بعض مشتريات البيت واحتياجاته البسيطة، فيتدرب على الإنفاق ويتعود البذل. ويحاول الأب أن يذم أمامه البخل والشح ويمقته؛ ليتكون عند الولد التصور النظري لقبح هذه العادة وأهلها. والولد يمكن أن يتعلم الإنفاق عندما يشاهد والده في بعض

(١) الحشر: ٩.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الزکاة، ج ١، ص ٤١٥. والحديث صحيح الإسناد.

(٣) سروري، نادرة أحمد، «أطفالنا أمام الشعور بالتملك»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٥)، ص ٥٤.

(٤) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٥٩.

الأوقات يخرج من جيبه نقوداً فيعطيها فقيراً أو محتاجاً، فربما قلد أباه في ذلك، ولا بأس أن يعطي الوالد ولده بعض النقود ويكلفه بالتصدق بها على بعض المحتاجين في المسجد مثلاً أو الجيران، ويحاول الأب في كل هذا أن يظهر لولده أن هذا الإنفاق وإعطاء المحتاجين من الناس واجب وليس فضلاً من المنفق، وذلك لحماية الولد من الشعور بالزهو والافتخار لإنفاقه، فإنه إن خرج من صفة البخل بإنفاقه دخل في صفة الكبر الذميمة بزهو وافتخاره.

فإن ظهر من الولد شيء من علامات البخل وحب جمع المال، فإن دور الأب في ذلك التخفيف من حدة هذا الحب شيئاً فشيئاً حتى يستأصله بالكلية من نفسه، فيذم عنده البخلاء، ويمتدح عنده المنفقين، كما تقدم. ولو فعل ذلك بطريقة غير مباشرة كان أفضل، كأن يمدح أمامه أخاه الأكبر الذي أخرج بعض نقوده تبرعاً للمجاهدين في سبيل الله، أو أن يذكر عنده ابن الجيران الذي أعطى أحد الفقراء بعض مصروفه اليومي، أو يقص عليه قصة ولد أعطى إخوته بعض ألعابه وهكذا، فهذه القصص والوقائع إذا ذكرت أمامه دفعته لأن يسلك سبيلهم ويقتدي بهم. فإن أظهر الولد شيئاً من الكرم - ولو كان بسيطاً - فإن الوالد يثيبه عليه، ويمدحه عند أقاربه وأقرانه، فيحس الولد أن هذا العمل حسن، فيتعوده ويواظب عليه.

ولتشجيع الأولاد على أعمال الخير والإنفاق يمكن للأب في بعض الأحيان عندما يجلس لأولاده ويحدثهم أن يسألهم: «من تصدق منكم اليوم على مسكين؟». ربما في المرة الأولى لن يجيبه أحد منهم، ولكن عندما يعلمون أن أباهم سوف يسألهم ثانية فإنهم عند ذلك يسارعون للإنفاق والبذل والعطاء.

والرسول ﷺ قد ثبت عنه انتهاج هذا الأسلوب مع أصحابه الكرام فقد سأله يوماً فقال: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: ما

اجتمعن في امرىء إلا دخل الجنة»^(١). ويمكن للوالد استعمال هذا الأسلوب مع أولاده ليس فقط في جانب الإنفاق والتخلص من البخل؛ بل في جميع أعمال الخير والبر التي نص الرسول ﷺ عليها في هذا الحديث وغيرها ليعودهم فعل الخير.

ويلاحظ الوالد في حث أولاده على الإنفاق أن لا يدفعهم ذلك إلى التبذير الممقوت والمنهي عنه، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٢). فكلا الطرفين قبيح؛ بل يؤدبه بأدب القرآن الكريم في قول الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^(٣).

ولا يقتصر تعويد الأب ولده على الإنفاق أن يكون فقط على الفقراء والمحتاجين؛ بل يعود السخاء في جميع أحواله كأن ينفق على نفسه بشراء ما يحبه من الحلوى مثلاً، ولا يقتصر على ما يؤمنه الأب منها، كما يشمل إعطاء الإخوة والأخوات مما يملك من النقود أو الألعاب والحلوى وغيرها، فتعويد الولد السخاء في هذا يهذب نفسه ويحصل له الاعتدال، فلا يكون أنانياً لا يفكر إلا في ملذاته ونفسه، ولا يكون أيضاً مهملاً لذاته غافلاً عنها.

كما يعمل الأب قدر الإمكان على تركيز جانب الإخلاص لله في تعويد أولاده على الإنفاق، فيذكرهم دائماً بأن العمل يجب أن يكون لله خالصاً، حتى وإن طلب منهم أن يخبروه عن أعمال الخير التي عملوها؛ إذ أن ذلك لطلب التنافس بينهم وليس للرياء. فإذا تعود الولد فعل الخيرات، وعلم بعد ذلك أن أفضلها ما كان في الخفاء بعيداً عن أعين الناس، اجتهد في سترها وإخفائها، فيورثه ذلك حلاوة، ولذة إيمانية يجدها في قلبه، وتظهر على

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، حديث رقم (٨٧)،

ج ٢، ص ٧١٣.

(٢) الإسراء ٢٧.

(٣) الفرقان ٦٧.

سلوكه، إذ أن فعل العمل الصالح أو اقرار السيء لا بد أن تظهر معالمه على صاحبه، فقد قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم يعمل في صحرة صماء ليس لها باب ولا كوة*» لخرج عمله للناس كائناً ما كان»^(١).

ثالثاً: حب التملك:

زين الله في نفوس البشر حب الملذات من مختلف الطيبات، فقال سبحانه وتعالى مبيناً ذلك: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾^(٢). فهذه الشهوات زينت في النفوس، ولا مجال لانتزاعها، وليس صحيحاً ما يقال بأن حب الامتلاك ليس غريزياً، بل هو مما تحدثه البيئة في نفس الفرد^(٣)، فالآية واضحة في رد هذا الزعم، ولا يعني هذا إغفال دور البيئة في تقوية حب التملك وتنميته، أو تضعيفه وتخفيف حدته، ولكنها ليست الموجد الأصلي لهذا الميل والحب عند الإنسان.

وهذا الميل الفطري في نفس الإنسان يمكن أن يكون خطيراً إذا لم يحد بحدود، ويقيد بقيود، فلربما تمنى الإنسان ملك كل شيء، وانطلق في ذلك يبتلع من كل صوب حقاً وباطلاً دون ما عقل أو روية.

ولهذا المعنى يشير عليه الصلاة والسلام محذراً الاسترسال وراء هذه الرغبة النفسية الجامحة، فيقول: «لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»^(٤). فهذا الاندفاع وراء إشباع

(* الكوة: هو الخرق في الجدار يدخل منه الهواء والضوء. انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٨٠٦.

(١) أحمد، المسند، ج ٣، ص ٢٨.

(٢) آل عمران ١٤.

(٣) انظر: نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، ص ٣٩ - ٤٠ فقد ذهب إلى هذا الرأي.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لا بتغى ثالثاً، حديث رقم (١١٦)، ج ٢، ص ٧٢٥.

هذه الشهوة لن يتحقق فيشعر صاحبه بالغنى، حتى يصل إلى قبره فيمتلىء جوفه بالتراب. ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام واصفاً حقيقة الغنى: «ليس الغنى عن كثرة العرض. ولكن الغنى غنى النفس»^(١)، وذلك لأن المندفع وراء حب التملك بدون عقل ولا روية، لن يشعر بالغنى والاكتفاء، بل يطلب المزيد بلا حدود فهو في حقيقة الأمر فقير مع كثرة ما يملك. أما من رضي بما قسمه الله له عاملاً وأخذاً بأسباب الرزق في غير تكلف وحرص، فإن قلبه يمتلىء بالغنى والاطمئنان لما كتب له وما رزق. أما الآخر فلن يشعر بذلك، ولو ملك كنوز الدنيا؛ لأن الشعور بالفقر قد تأصل في نفسه، وصعب تخلصه منه بعد ذلك؛ لهذا كان تأصيل الوالد لمفهوم الملكية وحدودها في نفس ولده منذ الطفولة أمراً غاية في الأهمية، فكما هو يعلمه ويدربه على الإنفاق، ويكره إليه البخل والشح بما عنده، كذلك يقنعه ويُعرفه بحدود ملكيته، ويؤدبه على احترام ملكيات غيره.

فالولد الصغير في بداية نشأته، خاصة دون سن السادسة لا يميز بين ما هو له وما هو لغيره^(٢)، فتراه يندفع يطلب كل ما ترغب فيه نفسه، فيأخذ لعبة هذا، ويطلب بثوب أحد إخوته زاعماً أنه ثوبه، وربما وجد قطعة نقدية على الأرض فأخذها ونسبها لنفسه، فلا يستطيع الولد بدون التوجيه والتربية الصحيحة أن يعرف كيف يضبط ميوله ورغباته الجامحة.

والأب يبدأ مع ولده في تأصيل مبدأ تحديد الملكيات من خلال تحديد ملكيات الولد أولاً؛ ليعرف ما له من أشياء، وما لغيره من ممتلكات فيحترمها ولا يتعدى عليها^(٣)، فيُعرف الأب ولده ما يخصه من حاجيات كالملابس والألعاب وغيرهما من خصوصياته، ويحاول أن يفهمه أن هذا له يتصرف فيه كيف شاء. ويفضل أن تكون تلك الممتلكات في حجرة خاصة به دون غيره، أو في خزانة تخصه وحده. وبهذه الخطوة يكون الأب قد حدد للولد وأفهمه

(١) المصدر السابق، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، حديث رقم (١٢٠)، ج ٢، ص ٧٢٦.

(٢) ليونارد، شارلز، لماذا ينحرف الأطفال، ص ٣٠.

(٣) عبد الصمد، محمد كامل، طفلك الصغير هل هو مشكلة، ص ١٢٧.

حدود ملكياته الخاصة، ويكون الولد نفسه قد فهم ذلك، حيث قد وضعت أدواته وما يخصه في مكان يعرفه ويمكنه التصرف فيها كما يجب. فإن حدث أن تعدى أحد إخوته على ممتلكاته، وحاول أن يأخذ منها شيئاً، فبرز له الولد ومنعه فإنه بذلك يكون قد علم فعلاً حدود ممتلكاته وحاجاته الخاصة، وأنه ليس لأحد أن يأخذ منها إلا بإذنه وموافقته: فإن حاول هو نفسه أن يتعدى على خصوصيات أحد إخوته فمُنِع، فإن ذلك يكون بمثابة درس عملي يعرف به الولد حدود ممتلكاته، ويعلم أنه ليس له حق في ممتلكات غيره، كما أنه ليس لغيره حق في خصوصياته وما يملك، ويحاول الأب قدر المستطاع أن لا تكون ألعاب الأطفال مشاعة بينهم دون تحديد أصحابها؛ لئلا يفقد الطفل معرفة ما له وما ليس له^(١).

ويمكن للوالد أن يشبع رغبة ولده في حب التملك بأن يعطيه بعض النقود، أو المصروف اليومي ويوجهه إلى أفضل السبل للإنفاق، ويتركه يشتري بعض ما يحب من ألعاب، أو حلوى، أو غير ذلك ليحس الولد بأن له ممتلكاته الخاصة، ولديه القدرة على التصرف فيها، فإذا رأى ممتلكات غيره من الأطفال لم يعبأ بها، ولم يكثر لها، وعلم أنها لا تخصه، وليس له فيها حق.

ولا بأس أن يُعطى الولد فرصة للادخار، وجمع بعض المال، ولكن يُفهم ويُفَرَّق له بين الادخار المحمود، والشح المذموم^(٢)، ثم يسمح له باستغلال بعض ما جمع في شراء ممتلكات جديدة، فيشبع بذلك رغبته في حب التملك.

رابعاً: الحياء:

جاءت السنة المطهرة بمدح الحياء والثناء على أهله، فقد روى

(١) المرجع السابق.

(٢) سروري، نادرة أحمد، «أطفالنا أمام الشعور بالتملك»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٥)، ص ٥٤.

البخاري رحمه الله في صحيحه أن رسول الله ﷺ مر على رجل يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان»^(١)، وفي حديث آخر امتدح عليه الصلاة والسلام الحياء، فقال: «لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء»^(٢)، وهذا المدح دليل على أن الاتصاف بهذا الخلق أمر محبوب، ومندوب إليه، كما أن من تجرد من هذا الخلق «ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُقر الضيف، ولم يُوف بالوعد، ولم يُؤد أمانة... ولا ستر له عورة، ولا امتنع عن فاحشة»^(٣). فالاتصاف بخلق الحياء يدعو صاحبه إلى التحلي بالفضائل، وترك الرذائل والقبائح، وذلك لما يشعر به الإنسان في نفسه من الاستحياء من الله، أو من الناس، وكراهة أن يشاهد في حال غير لائقة به. ويُعرف الإمام الجنيد الحياء، فيقول: «الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء، وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق»^(٤)، فالذي يرى تقصيره في جنب الله عز وجل، ويرى ويشاهد نعمه التي لا تحصى مع وجود هذا التقصير فإن الحياء يحصل هنا بسبب هذا النظر والتفكير، فيمنع صاحبه من مواجهة القبائح والرذائل استحياء من الله المنعم المتفضل.

لهذا يستدل مسكويه على نجابة الصبي بكثرة حيائه وأدبه مع الكبار، وعدم التحديق في وجوههم بطرفه؛ بل تراه مطرقاً نظره إلى الأرض^(٥). وينصح ابن الحاج الفاسي الأب أن يستغل هذه الفرصة الجيدة في طبع الولد، فيأدبه مستعيناً على ذلك بكمال حيائه وتمييزه^(٦)، وفي هذا يقول بعض

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، ج ١، ص ١٢.
(٢) مالك، موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، ما جاء في الحياء، حديث رقم (١٦٣٥)، ص ٥٠٤.

(٣) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ج ١، ص ٣٤٥.

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٥) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٦٩.

(٦) ابن الحاج، المدخل، ج ٤، ص ٢٩٦.

الحكماء: «الحياء في الصبي يدل على العقل»^(١). وهذا الصنف من الصبيان ينفع معهم الكلام والذم عند الإساءة، فسرعان ما يخجلون ويقلقون عن الأمر القبيح، ويندمون على فعله. أما الصنف الآخر من الصبيان الذين جُبلوا على الاستخفاف بالكرامة، وقلة الحياء والأدب، فإن تربيتهم تكون صعبة يحتاج معها المربي إلى التخويف والعقاب بالضرب وغيره عند الإساءة إذا تطلب الأمر^(٢).

وينبغي أن يفرق بين الخجل المذموم الذي يحجب صاحبه عن ملاقاته الناس والاختلاط بهم ومعاملتهم والمهابة منهم لغير سبب، وبين هذا الحياء المحمود الذي ذكر آنفاً، والذي كان من خلق المصطفى عليه الصلاة والسلام ومن طبعه وسجيته حيث كان «أشد حياء من العذراء في خدرها»^(٣).

ويمكن للأب أن يبدأ في تنمية جانب الحياء في ولده منذ الطفولة، حيث تظهر على الولد علامات الحياء منذ الشهر الرابع تقريباً، ويكون واضحاً في طبعه عند اكتمال السنة^(٤). فإن أظهر الولد أدباً أمام الكبار، وحياء من التحدث بحضرتهم لغير حاجة أقره الوالد على ذلك وحثه عليه وكافأه. أما إذا ظهر على الولد إحجام عن مجالسة الناس، وخوف منهم لغير سبب، وتهرب من مخالطتهم، فإن هذا السلوك يحتاج إلى علاج، وليس هو من الحياء المحمود؛ بل هو من الخجل المذموم، ويكون دور الأب في معالجة ذلك من خلال تدريبه على مخالطة الناس شيئاً فشيئاً دون جبر، وأن يتجنب في أول الأمر أن يكون الولد هو محور الحديث في المجلس فيزيد من خجله؛ بل ينبغي التغافل عنه بعض الشيء حتى يشعر بالأمان والاطمئنان، ويتعود وجود الناس، ويحاول الأب أن ينه زواره وجلساءه أن لا يكثروا مع الولد الحديث،

(١) ابن العديم، الدراري في ذكر الدراري، ص ٢٩.

(٢) ابن الجزار، سياسة الصبيان وتدريبهم، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ، حديث رقم (٦٧)، ج ٤، ص ١٨٠٩.

(٤) انظر: الغيرة، نبيه، المشكلات السلوكية عند الأطفال، ص ١٥٢.

فيسوقونه إلى مزيد من الخجل . ولا بأس أن يعطوه بعض الحلوى أو الهدايا البسيطة ليشعر بالأنس . ولو أحضر بعضهم ولده ليجالسه ويصادقه لكان ذلك حسناً .

وينبغي للأب أن يحاول عدم تدليل الولد أمام الناس، خاصة في طفولته المتأخرة، كأن يعانقه أمامهم، أو يناديه بأسماء الدلع المرخمة، فإن الولد يكره ذلك ولا يتقبله^(١). أما إن فعل ذلك في خلوة مع الولد، أو بحضور من لا يخجل منهم فلا بأس إن شاء الله .

والوالد يوطن ولده على التزام الأدب والحياء دائماً حتى عند الإساءة، فإن سابه أحد أقرانه، أو شتمه لم يرد عليه بالمثل؛ بل يشعره بأنه ولد مؤدب لا يمكن أن يتلفظ بمثل هذا، ويعمل الأب قدر الإمكان أن يجنب ولده مخالطة الصبيان غير المؤدبين، والذين يمكن أن تصدر منهم أعمال تدل على سوء الأدب، وقلة الحياء، فإن أهمل ذلك تأثر الولد بهم .

خامساً: الخوف:

الخوف كغيره من الأحوال التي يتلبس بها الإنسان في حياته، فمنه ما هو محمود مرغوب فيه، ومنه ما هو مذموم منهي عنه، ومنه ما هو طبيعي فطري، فالخوف المحمود هو الذي يحجب صاحبه، ويمنعه عن محارم الله وتعدي حدوده، دون أن يصل إلى حد القنوط واليأس من رحمة الله^(٢)، وهذا النوع من الخوف جاء القرآن بالأمر به والحث عليه، فقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٣)، وقال أيضاً: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾^(٤)، وامتدح الخائفين منه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ . . .

(١) منصور، محمد جميل وفاروق عبد السلام، النمو من الطفولة إلى المراهقة، ص ٣٧٦ .

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج ١، ص ٥١٤ .

(٣) آل عمران ١٧٥ .

(٤) البقرة ٤٠ .

إلى أن قال: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(١)، فهذا الخوف الذي يحول بين المرء وعذاب الله وغضبه هو الخوف المحمود الذي أمر به الناس أجمعون، وهو من أسباب الفوز والنجاة يوم القيامة، فقد روى ابن ماجه في سننه أن رسول الله ﷺ دخل على شاب عند الموت، فقال له: «كيف تجدك؟ قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد، في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»^(٢)، فهذا الخوف الذي يعمل الوالد على تركيزه في نفس ولده منذ صباه، وينميه مستعيناً بمنهج التربية الإسلامية في ذلك.

أما الخوف الممقوت المذموم هو الخوف من المخلوقات خوفاً يزيد على درجة الخوف من الله أو يساويها، حيث يترتب على ذلك اعتقاد أن لهذه المخلوقات قدرات وإمكانات يمكنها بها أن تضر وتؤذي، دون أن يكون لله شأن أو تدخل؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد نص في كتابه الحكيم أنه هو المتصرف في عباده كيف يشاء، وأن نواصيهم بيده لا يتقدم أحد ولا يتأخر إلا بإرادته وعلمه، قال الله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣)، فالخوف من المخلوق إن بلغ هذا المبلغ كان انحرافاً خطيراً، وضلالاً عن الحقيقة، وجهلاً بقدره الله الكاملة في الكون وتمام سلطانه وقهره لكل شيء.

وهذا الصنف المذموم من الخائفين عابهم الله في كتابه، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾^(٤)، فهم يخافون أذى الناس وبطشهم ويساؤون ذلك ببطش الله ومقته يوم القيامة، فاستحقوا بذلك المقت والذم.

(١) المؤمنون ٥٧ - ٦١.

(٢) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم (٤٢٦١)، ج ٢، ص ١٤٢٣.

(٣) هود ٥٦.

(٤) العنكبوت ١٠.

أما الصنف الثالث وهو الخوف الطبيعي الفطري، وهو ما يحسه الإنسان من خوف بطبيعته وميله نحو الحفاظ على نفسه مما يمكن أن يؤذيه، كأن يخاف من العقرب أن تلدغه، أو من الأفعى أن تنهشه، أو من الرجل الشرير أن يضره أو يؤذيه، ونحو ذلك، فهذه المخاوف وما شابهها هي طبيعية فطرية لا يكاد أحد أن ينفلت من الاتصاف بها، فهذا نبي الله موسى يخاف من بطش آل فرعون، فيقول عنه الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَاتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾^(١)، وعندما ألقى عصاه وصارت حية تسعى، قال له الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾^(٢)، وفي موضع آخر حكى عن موسى عليه السلام عندما نازل السحرة حيث أتوا بما عندهم من السحر، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾^(٣)، فهذه مخاوف طبيعية تصدر حتى عن رسول من أولي العزم فضلاً عن إنسان من سائر الناس، فهي أمر طبيعي فطري لا يُلام الإنسان عليه. والمقصود: أن هذه المخاوف الناتجة عن اعتقاد حصول ضرر أو أذى، مع الاعتقاد الجازم أن الله هو المتصرف في عباده، وأنه قادر على أن يمنع حدوث ذلك الضرر ويرده، فإن هذا الخوف غير مذموم؛ بل هو خوف طبيعي فطري يمكن أن يحدث لأي إنسان من البشر.

ومن خلال هذه المفاهيم فإن الخوف الذي يظهر على الولد الصغير من القطة مثلاً، أو من الشخص الغريب، أو النظر من المكان المرتفع، أو غير ذلك من مخاوف الأطفال، فإنها تكون في نطاق الخوف الطبيعي، الذي يمكن إزالته أو التخفيف منه عن طريق المران والممارسة والتدريب، ولا ينبغي أبداً للأب أن يقابل ابنه الصغير عند خوفه من شيء ما بالسخرية أو الاستهزاء أو الضحك، فإن الذي يراه الوالد وهماً يراه الطفل حقيقة، وربما

(١) القصص ٣٣.

(٢) طه ٢١.

(٣) طه ٦٧.

أحس الولد من خلال عدم المبالاة بمخاوفه بفقدان الاطمئنان والاستقرار والواجب على الأب أن يقابل ذلك الخوف بالحنان على الولد واحتضانه وتكوين عاطفة طيبة عنده تجاه ذلك الشيء الذي خاف منه^(١).

فلو كان خوف الولد مثلاً من أحد الأقارب، فإن الوالد يحاول أن يقرن وجود ذلك القريب بشيء من محبوبات الولد، كأن يقدم ذلك القريب للولد شيئاً من الحلوى، أو أن يعطيه لعبة أو هدية صغيرة تناسب سنه، وإن لم يتمكن من هذا ألقى إليه سلسلة مفاتيحه يلهو بها، فإن الأطفال خاصة الصغار منهم يميلون إلى الألعاب التي تصدر بعض أصوات الخشخشة كالتي يمكن أن تصدر من سلسلة المفاتيح، وبهذا تخف حدة الخوف من الغرباء عند الولد.

أما إن كان خوف الولد من الظلام الذي يعتبر «أعظم مظاهر الخوف في الطفولة»^(٢) فإن دور الوالد أن يوجه أهل البيت منذ ولادة الطفل أن يعود النوم في الظلام، وعند كبره يمكن أن يوضع له في غرفته مصباح صغير يضيء له طرفاً من الغرفة، على أن يحاول الأب قدر الإمكان إفهام الولد وإقناعه أن النوم في الظلام ضروري لراحة الجسم وأنفع له^(٣).

وعلى الوالد أن يلاحظ ويحذر من كثرة خوف الولد مما حوله من البيئة من أشياء وأشخاص، فإن كثرة مخاوفه تدل على جبنه وهلعته^(٤)، فيعمل قدر الإمكان على تجنبه ما يؤذيه ويخوفه، كالتخويف بالبيع، أو الحرامي، أو الغول، أو المدرسة والأستاذ، أو تخويفه من الدم إذا جرح، فإن أهمل الوالد ذلك نشأ ولده خوفاً رعديداً^(٥).

(١) محمد، محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، ص ١٨٦.

ماكريد، و.ج.، الخوف، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٤) ابن العديم، الدراري في ذكر الدراري، ص ٢٩.

(٥) السباعي، مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، ص ١٥٩ - ١٦٠.

كما ينبغي للوالد أن ينبه أهل البيت أن يجنبوا الولد الشعور بالخوف من احتمال السقوط من مكان مرتفع، أو الصراخ أمامه، فإن الطفل يولد مزوداً بكراهية هذه الممارسات والخوف منها^(١). ويتجنب الأب ما اعتاده بعض الناس من قذف الطفل في الهواء ثم التقاطه مرة أخرى، فإن هذا النوع من اللعب يثير في نفس الولد الخوف، إلى جانب احتمال سقوطه على الأرض^(٢).

ويضاف إلى هذه المخاوف الحذر مما يمكن أن تحدثه القصص والروايات المرعبة التي تدور أحداثها حول الشياطين والجن ونحو ذلك مما يوقع في نفس الولد الرعب والفرع^(٣).

ومن أعظم ما يؤثر في نفوس الأطفال، ويجلب إليها المخاوف المتنوعة، خوف الآباء أنفسهم، وسلوكهم وانفعالاتهم أمام أطفالهم تجاه مخاوفهم الخاصة. فإن كثيراً من المخاوف تنتقل من الآباء إلى الأبناء عن طريق الإيحاء والمشاهدة^(٤)، فالوالد الذي يخاف الوزغ، أو الصرصور، أو الفأرة، أو غيرها من الحشرات والزواحف المهملة، ويظهر ذلك لأولاده عن قصد أو عن غير قصد، فإن أولاده سوف يخافون ويهابون هذه الحشرات بلا شك، وسوف يكون سلوكهم تجاهها نفس سلوك الوالد أو أشد.

والحل الصحيح لهذه القضية هو أن يزيل الوالد من نفسه هذه المخاوف المتوهمة ويتشجع - ولو أمام الأولاد على الأقل - ويضبط نفسه قدر الإمكان عند مشاهدتها، ويهون ذلك في نفس أولاده، ويأمر أحد الموجودين بقتلها أو طردها، ولو تولى ذلك بنفسه لكان أفضل وأنفع للأولاد، ويكون بذلك قد حماهم من خوف جديد كان يمكن أن يقع في نفوسهم فيتأذون به في حياتهم المستقبلية.

(١) انظر: ماكبريد، و.ج.، الخوف، ص ١٦.

(٢) لادل، ر.م.، مشكلات الطفولة، ص ٢٤.

(٣) جرجس، ملاك، مخاوف الطفل وعدم ثقته بنفسه أسبابها والوقاية منها وعلاجها، ص ٢٦.

(٤) محمد، محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، ص ١٨٥.

انظر أيضاً: ماكبريد، و.ج. الخوف، ص ٢٠.

سادساً: الغضب:

يتصف الإنسان بطبيعته البشرية الضعيفة بصفة الغضب في بعض الأحيان، فكما أنه يتصف بالحياء والخوف وغيرهما من الصفات والأحوال، فكذلك يتصف بالغضب، فتظهر علامات الغضب على صاحبه من ارتفاع في الصوت، وحمرة في العينين والوجه، وانتفاخ للأوداج.

والغضب كغيره من الأحوال لا يذم كله، ولا يحمده كله، «فلو أعيق الغضب بالكلية ما استطاع الإنسان أن يدافع عن نفسه، ولا عن شرفه، ولا عن وطنه»^(١)، فهو في بعض الأحيان يكون محموداً، خاصة عند انتهاك حرمت الله، وظهور المعاصي والمنكرات، فإن الغضب لله محمود وغير ممقوت في هذه المواطن.

أما الغضب الممقوت المذموم هو الذي يكون لغير الله، أي لحظ النفس والهوى، فهذا النوع هو الذي جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالنهي عنه، والأمر بكظمه، وعدم إظهاره، قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، فعدم إظهار الغضب والغيظ في غير رضى الله وسبيله أمر مندوب إليه، ومستحب يتصف به المحسنون.

وقد استفاضت السنة المطهرة بتوضيح هذا النوع من الغضب المذموم، فقد روى الإمام أحمد في المسند من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟، فإذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالأرض الأرض. ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب، سريع الرضا.

(١) الشرقاوي، حسن، «التربية النفسية في المنهج الإسلامي»، مجلة دعوة الحق، العدد (٣٥)، ص ٧٩.

(٢) آل عمران ١٣٤.

وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا^(١)، ففي الحديث إشارة إلى تحول منظر الغضبان من الحُسن إلى القبح، إلى جانب تلك الحرارة التي يصفها الرسول ﷺ بالجمرة تشتعل في داخل الإنسان، فتظهر حرارتها على بدنه من حمرة في العينين، وانتفاخ للأوداج، كما أن في الحديث مدحاً للحكماء قليلي الغضب، سريع الرضا، من الذين لا يثارون لأقل سبب دون أن يكون لذلك حاجة شرعية أو دينية، ومصلحة راجحة متوقعة.

والرجال الكبار الذين لا يملكون أنفسهم عندما يثارون هم في حقيقة الأمر لم يحصلوا على تدريب عملي صحيح لضبط انفعالاتهم في صغرهم، فإن الولد الذي يتعود منذ صغر سنه على ضبط نفسه وانفعالاته مثل ما يتعلم ضبط إفرزاته، فإنه يمكن أن يستخدم أسلوب الضبط هذا في جميع مراحل حياته في المستقبل^(٢).

والغضب موجود عند الأطفال يبدأ منذ الستة أشهر تقريباً، والأطفال الذكور خاصة أكثر ميلاً إلى الغضب من الإناث حيث يعتبر الغضب عاملاً جيداً لتحقيق الرغبات وتأكيد الذات^(٣).

والغضب يظهر على الأطفال بصور مختلفة ومتنوعة حسب السن، فالطفل في الثالثة مثلاً يظهر غضبه أحياناً بكثرة البكاء، والضرب على الأرض بالأقدام، وربما قذف أغراضه... أما الطفل في التاسعة فيتخذ موقفاً سلبياً عند الغضب فيرفض الأكل، وينزوي في غرفته مع ظهور علامات عدم الرضا والتسخط عليه^(٤). ولا ينبغي للأب أن ينجرف وراء العاطفة، فينصاع لرغبات ولده عند غضبه، فيلبي له كل ما يشاء، فلا يعرف الولد سوى الصراخ

(١) أحمد، المسند، ج٣، ص١٩. والحديث حسن. انظر: البغوي، شرح السنة كتاب الرقاق، باب التجافي عن الدنيا، حديث رقم (٤٠٣٩)، ج١٤، ص٢٤٢.

(٢) عبدالله، عبد الرحمن صالح، المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية، ص٢١٠.

(٣) زيدان، عبد القادر، «الغضب عند الأطفال»، مجلة التوثيق التربوي، العدد (١٠)، ص١١-١٢.

(٤) الحاج، فائز محمد، بحوث في علم النفس العام، ص٢١٨.

والعويل إذا أراد أن يتحقق له أمرٌ ما، فإذا تعود الولد هذا السلوك أصبح من الصعب عليه مستقبلاً أن يحتمل فوات ملذاته، وعدم تحقق رغباته فيصطدم بمشكلات الحياة المتنوعة، فيما أن ييأس وينحرف، وإما أن يبدأ في التعود والتدريب على هذا النمط الجديد من الحياة، وهذا صعب بعد النضوج.

ودور الأب في هذه القضية هام جداً، إذ أن الولد يتعلم من الوالدين وأفراد الأسرة الباقيين السلوك الانفعالي، فيقلدهم في ذلك^(١)، والذي يجب على الوالد هو حماية الولد من مشاهدة أشخاص في حالة الانفعال الشديد، خاصة من هم قدوة له مثل الأب والأم والإخوة والأخوات، فسرعان ما يلتقط الولد سلوكهم ويقلده، فيعمل الأب قدر الإمكان على أن يظهر أمام الأولاد بمظهر لائق منضبط الانفعال، وأن يأمر بذلك باقي الأسرة، وأن يعمل قدر المستطاع على تجنب الولد ما يثيره ويغضبه مثل الجوع والعطش والمرض، ويحاول أن يكون له جو من الهدوء والسكينة. فإن حدث وأثير الولد كان الحل هو تسكين غضبه بكل هدوء، دون أن يثور الأب معه، فيتخذ تدابير السنة المطهرة في ذلك، فيأمر الولد أولاً بالسكوت إذا غضب، وعدم الاسترسال، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إذا غضب أحدكم فليسكت»^(٢)، وبعد أن يسكت يأمره بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، فقد قال عليه الصلاة والسلام عندما غضب رجل في مجلسه: «إني لأعرف كلمة لو قالها هذا لذهب عنه الذي يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»^(٣)، فيأمره بهذه الكلمة المباركة، فإن قالها ذهب عنه ما يجد من الإثارة والانفعال بإذن الله تعالى، ثم يحاول الوالد بعد ذلك أن يستأصل من ولده ذلك الغضب في تلك الساعة فيأمره بالجلوس، أو الاضطجاع، ليلوذ بالأرض ويكون ذلك أدعى لسكونه، وضماناً لعدم حدوث حركة خاطئة بيده، كأن يقذف بقارورة،

(١) محمد، محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، ص ١٧٦.

(٢) أحمد، المسند، ج ١، ص ٢٣٩. والحديث صحيح. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين،

صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٧٠٦)، ج ١، ص ٢٤٩.

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، حديث رقم (٤٧٨١)،

ج ٤، ص ٢٤٩.

أو يضرب أحداً أو غير ذلك، فقد وردت السنة بذلك حيث قال عليه الصلاة والسلام: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»^(١). فإن بقي عند الولد شيء من الغضب والانفعال، أمر بالاعتسال أو الوضوء فإن الماء يبرد البشرة الساخنة بحرارة الغضب، فيهدأ ويسكن، والسنة قد وردت بهذا - أيضاً - حيث قال عليه الصلاة والسلام: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»^(٢). وهكذا السنة المطهرة تضع الحلول المناسبة لكل ما يواجهه الإنسان المسلم في حياته من مشكلات نفسية واجتماعية وغيرهما. . .

ويجب أن يفهم جيداً أن «الغضب والشهوة لو أردنا قمعها وقهرها بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه»^(٣)، فالأب يحاول عبثاً إن ظن أنه يمكن انتزاع الغضب بالكلية من نفس ولده، فإن هذا لا طائل وراءه؛ بل يعمل جاهداً على تهذيب نفس الولد وتربيته بالتدرّج، وتدريبه على ضبط انفعالاته والتحكم فيها، فإن أفضل وقت يمكن فيه تدريبه على ذلك هي مرحلة الطفولة، وذلك لأن هذه الانفعالات لم تتأصل بعد في نفسه؛ بل هي في مرحلة التعود والتبني^(٤). وعليه أن يعرف أن الجبيلات والطبائع مختلفة ومتنوعة منها ما هو سريع الاستجابة والقبول، ومنها ما هو بطيء^(٥)، فلا يمل من متابعة ولده وتوجيهه، والصبر عليه، وإن طال ذلك، على أن يلاحظ أن

(١) المصدر السابق، حديث رقم (٤٧٨٢). والحديث صحيح، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٧٠٧)، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، حديث رقم (٤٧٨٤)، والسند حسن. انظر: هامش البغوي، شرح السنة، كتاب البر والصلة، باب الوضوء عند الغضب،

حديث رقم (٣٥٨٣)، ج ١٣، ص ١٦١.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٥٤.

(٤) الهاشمي، عبد الحميد محمد، أصول علم النفس العام، ص ١٧٦.

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٥٤.

هناك درجة لا يمكن أن يتعداها الإنسان في بلوغ مراتب الأخلاق والصفات الحسنة، فإن الأخلاق مقسمة بين الناس حسب الحكمة الإلهية، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم»^(١)، والأب الفطن يمكن أن يعرف حدود إمكانات ولده وقدراته، فلا يُحمّله من الآداب والأخلاق ما لا يطيق، فإن صدر عنه بعض الزلات في ساعات غضب وانفعال صبر عليه ووجهه دون أن يفعل هو لئلا يزيد من سوء الموقف.

ويمكن تلخيص الأسباب الهامة التي تبعث الغضب في الأطفال، وهي على النحو التالي^(٢):

- ١ - الغيرة من الزملاء والإخوة.
 - ٢ - الفشل في الدراسة والتحصيل.
 - ٣ - القسوة المفرطة من الوالدين في التربية.
 - ٤ - عدم إشعار الطفل بالحب.
 - ٥ - التدليل المفرط الذي يسوق الطفل إلى تحقيق رغباته كلها دون ممانعة.
 - ٦ - تقليد الطفل لوالده إذا كان كثير الغضب والانفعال أمام الولد.
 - ٧ - إصابة الطفل بعاهة من العاهات الجسدية.
- فيستحسن للأب المسلم أن يراعي هذه الجوانب والأسباب التي تدفع ولده إلى الغضب والانفعال، ويحاول حمايته من الوقوع فيها.

سابعاً: الكذب:

يعتبر الكذب من الأعمال القبيحة التي كثيراً ما يتصف بها الأطفال، فيتعلمون ذلك من البيئة حولهم، فيحصلون على بعض الفوائد من وراء

(١) أحمد، المسند، ج ١، ص ٣٨٧.

(٢) الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل، ص ٦٤ - ٦٥.

الكذب، إما على الوالدين، أو الإخوة، أو الأقارب، أو غيرهم.

والكذب من الأعمال المذمومة في الإسلام حيث قال الله تعالى مادحاً عباده الأتقياء بأنهم يتجنبون الكذب: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾^(١)، والزور هو الكذب كما فسره ابن جريج رحمه الله^(٢)، وفي الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک قال عليه الصلاة والسلام: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار»^(٣).

ولما كان الكذب من الأخلاق المذمومة، فإن اهتمام الأب المسلم بتخليص ولده من شره يعتبر أمراً هاماً جداً، خاصة وأنه يتنافى مع طبيعة المؤمن، وأساس تكوينه، فلا يمكن أن يتصف المؤمن الحق بخلق الكذب والخيانة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»^(٤)، فالإنسان في أساس فطرته وتكوينه مفطور على الخير وحب الحق فلا يكون خائناً ولا كذاباً، وإنما يتصف بهذه الصفات المذمومة عن طريق الاكتساب من البيئة حوله، ومن مؤثرات الشهوات والأهواء وغيرها^(٥).

والأب المسلم يعود ولده الصدق من أول حياته، ويجنبه الكذب في جميع الأحوال فإن «الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها»^(٦)، فلو تعود الولد الصدق كان له أساساً لباقي الحسنات والأعمال الصالحة، وأعظمها الإخلاص لله تعالى، ولو تعود الكذب كان له

(١) الفرقان ٧٢.

(٢) انظر: البغوي، معالم التنزيل، ج ٣، ص ٣٧٨.

(٣) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب العلم، ج ١، ص ١٢٧. والحديث صحيح الإسناد.

(٤) أحمد، المسند، ج ٥، ص ٢٥٢.

(٥) الميداني، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسئها، ج ١، ص ٤٨٤.

(٦) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ٢، ص ٧٤.

أساساً وقاعدة لجميع السيئات والقبائح، وعلى رأسها النفاق الذي يقوم على الكذب والخيانة.

ويلجأ الولد إلى الكذب لأسباب تسوقه إلى ذلك، فالولد الذي لم تشبع غريزته من امتلاك الألعاب والأدوات، ولم تتمكن أسرته من تحقيق الإشباع لهذا الجانب في نفسه، فإنه يلجأ إلى الكذب، وادعاء ما ليس له؛ ليشبع رغبته وميله هذا^(١). ولا شك أن هذه القضية مهمة، خاصة في العائلة الفقيرة التي لا تستطيع أن تحقق لأولادها جميع متطلباتهم، وربما يكون أمثل حل لهذه المشكلة حفاظاً على الولد من اللجوء إلى الكذب، هو قيام الأب حسب استطاعته بتأمين بعض احتياجات الأولاد - خاصة من الألعاب - البسيطة والقليلة التكلفة، مع الجودة في الصناعة والمتانة، بحيث يمكن أن يحتفظ بها الولد أطول مدة ممكنة، فيوزع هذه الألعاب والاحتياجات على الأولاد، مخصصاً لكل ولد منهم لعبة أو حاجة تخصه دون غيره، فيكون بذلك قد أشبع شيئاً من هذه الرغبة في نفوس أولاده دون أن تضر بميزانية الأسرة أو ترهقها، ويراعي قبل هذا الإجراء وبعده أن يركز في أولاده مفاهيم القضاء والقدر^(*)، وأن ما خصهم الله به من الفقر وقلة ذات اليد هو خير لهم، ورافع لمنزلتهم في الآخرة، مستعيناً في ذلك بما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من الأقوال المباركة المطمئنة للنفس في هذا الجانب.

وهناك نوع آخر من الكذب يستخدمه الأطفال يهدف إلى حب الظهور أمام الأقران^(٢). وهذا الكذب مذموم أيضاً، ودور الوالد هنا هو أن يواجه ولده بالحقيقة - إن أحس وشعر بأن ولده يفعل هذا - وأن هذا السلوك من الكذب، والادعاء غير الصحيح، ثم يحاول بعد ذلك أن يلفتته إلى الصفات الحسنة في نفسه والتي ربما خفيت عليه، ويلفتته إلى ما لديه من ممتلكات

(١) الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل، ص ٦٠ - ٦١.

(*) راجع المبحث الأول، الفقرة (خامساً) من هذا الفصل لمعرفة طرق الاستفادة من مفاهيم القضاء والقدر في مسألة الفقر.

(٢) المرجع السابق.

والعاب وغير ذلك، ويشعره بأنه لا داعي للكذب، ويلزمه إن أراد أن يقص على أصدقائه ويخبرهم بما عنده أن يخبرهم بالحقيقة دون كذب، وإن ترك إخبارهم بذلك كان أفضل وأحسن؛ ليتعلم الإخلاص والبعد عن الرياء والسمعة.

ونوع آخر من الكذب يستخدمه الولد ليحمي نفسه من العقاب فإن أخبر والده بالحقيقة ربما عاقبه وعنفه^(١)، فإن حدث أن كسر الولد زجاج النافذة حاول أن يخفي آثار فعلته، ويتعد عن المكان، فإن سئل عن الفاعل نفى التهمة عن نفسه خشية أن يعاقب.

هذا النوع من الكذب والغش لا يفعله الولد إلا إذا علم أن العقاب الذي ينتظره أليم وعنيف، وأنه إذا قال الحقيقة لن ينجو، بل ربما كان الكذب أقرب إلى النجاة؛ لهذا فإن الولد يكذب، ولو أن الأب الفطن حاول أن يعلم أولاده أن الصدق نجاة لهم من العقاب، فإن الأولاد يسارعون إلى الصدق ويتعودونه إذا أيقنوا أنه سوف ينجيهم من العقاب.

وعلى الأب أن يوطن نفسه على أن يلتزم بما وعد به الأولاد، فلا يعاقبهم إن صدقوا القول واعترفوا بالخطأ - مهما كان الجرم كبيراً - بل يبين لهم أن ذلك خطأ لا يحبه الله ولا الوالدان، وأنهم بصدقهم قد نجوا من العقاب، ويحذرهم من العودة لمثل هذا الخطأ مرة أخرى^(٢).

وإن رأى الأب أنه لا بد من العقاب مراعيًا في ذلك التوسط والحكمة، فإنه يشعر الأولاد بأن العقوبة هي - مثلاً - خصم نصف المصروف اليومي لمدة أسبوع لمن كسر زجاج النافذة، والتعهد بعدم العودة، فإن اعترف أحدهم بذلك طبق العقوبة عليه دون زيادة ولو سامحه لسرعة اعترافه وتأسفه وندمه كان ذلك حسناً. وبذلك يؤصل الوالد في نفس أولاده حب الصدق، وذم الكذب، وأن الصدق منجاة، وأن الكذب مهلكة ولا فائدة من ورائه.

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: جرجس، ملاك، لماذا يكذب الأطفال وكيف يتعلمون الصدق، ص ٤٠.

ولا ينبغي للأب أن يُسهّل لولده الإفلات بكذبه دون أن يشعره بذلك، ويفهمه أنه قد كذب، وأن والده علم بذلك؛ وهذا لأن نجاح الولد بالكذب يشجعه على المزيد منه، ويحمسه على تعاطيه.

ويحاول الأب أن يتجنب قدر الإمكان أسلوب الاتهام بمجرد الشك^(١)، فلا ينسب إلى الولد عملاً يشك في أنه قد اقترفه، حتى يتقن بأنه هو الفاعل؛ لأن اتهام الولد مع إمكانية براءته، ولو بنسبة بسيطة يؤدي إلى إحساس الولد بالظلم والجور، وعدم الثقة في والده؛ بل ربما دفعه ذلك إلى الكذب ليتخلص من العقوبة الظالمة. فلو حدث أن عاد الأب إلى البيت فوجد صنبور الماء مفتوحاً، أو علبه دهان الجدار ملقاة، وقد سال منها الدهان في فناء الحديقة، ولم يكن في البيت سوى الولد، فإنه لا ينبغي اتهام الولد باقتراف هذه الأعمال، خاصة إن سئل عنها وأفاد بأنه لم يعملها، فربما أن الخادمة قبل خروجها نسيت إغلاق الصنبور، وربما أن قطعة مرت على علبه الدهان فعبثت بها وأسقطتها فسال الدهان، والاحتمالات في هذا كثيرة، والمقصود هو أن لا يتهم الولد بمجرد الشك دون دليل قطعي لا يحتمل التأويل.

وإن صدر عن الولد كذب في مواقف مختلفة، وكاد أن يصبح الكذب له عادة، فإن «علاج هذا المرض أن يعلم عقوبة الله للكاذب، وأن يتقن أنه مع استدامته الكذب لا بد أن يطلع على حاله... فيربو حياؤه وخجله، واحتقار الناس له، وتكذيبهم إياه في الصدق، وقلة ثقتهم به على ما اكتذبه»^(٢). فإن علم الولد ذلك وتيقن به خاف من الله وهاب احتقار الناس له، وتكذيبهم له حتى وإن صدق، ويحاول الأب أن يطبق ذلك مع ولده عملياً، فإن أخبره بشيء لم يصدقه وإن كان صادقاً، بل يخبره أنه تعود منه الكذب، وربما أنه في هذه المرة قد كذب أيضاً. فيحس الولد ويعاني ألم

(١) الشيخي، زينب، «الكذب عند الأطفال»، مجلة التربية والتعليم، العدد (٤)، ص ٤٤.

(٢) ابن الجوزي، الطب الروحاني، ص ٢٢.

هذا الصد، فيتجنب الكذب، ويجاهد نفسه في ذلك. ويساعده الأب ويشجعه ويكافئه إن نجح والتزم الصدق، ويحذر الوالد كل الحذر من المعاقبة العاجلة بالضرب والتعنيف، فإن هذه الطريقة غير مجدية؛ بل ربما زادت الولد مكرماً وكذباً؛ فيتعلم النفاق ويتظاهر لسوالده بالمظهر الذي يريده الأب، دون أن يكون الولد نفسه مقتنعاً بهذا المظهر^(١).

والأب يراعي في قضية كذب الأطفال قضية هامة جداً، وهي: إن الطفل لا يدرك الكذب إلا بعد الخامسة من العمر^(٢)، وسيطر على الطفل قبل بلوغ السنوات الثلاث خيال واسع، فيكون كذبه في هذه الفترة غير مقصود أو متعمد^(٣)، وهذا النوع من الكذب يسمى «الكذب التخيلي»، ولا خطر فيه، بل يمكن استغلال خصوبة خيال الطفل في هذه الفترة بتوجيهه نحو الروايات الخيالية المفيدة لإشباع هذه الرغبة عنده، كما أن الطفل الصغير في بعض الأحيان لا يفرق بين الخيال والواقع، فربما رأى مناماً، أو سمع قصة خيالية فظنها حقيقة واقعية حدثت فعلاً. وهذا النوع من الكذب يسمى «الكذب الالتباسي»، ويزول مع نمو الطفل وكبر سنه^(٤).

وهذان النوعان من الكذب لا ينبغي معاقبة الولد عليهما، خاصة الأولاد دون الخامسة فهم لا يدركون الحقيقة، ولا يقصدون الكذب، ولا بأس على الأب أن يوضح للولد - إن صدر منه شيء من هذا الكذب - أن هذا من الخيال، أو أن هذه القصة أو الرواية غير صحيحة، بل هي خرافية وهكذا، فإن كبر الولد وزادت خبرته انتهى عن هذه العادة بطبيعته.

وكما أشير من قبل أن خلق الكذب يكتسب من البيئة، وأن الطفل لا يولد كذاباً فإن أول طريق وأعظم طريق يتعلم الولد ويكتسب من خلاله الكذب ويعتاده: هو عن طريق الوالدين والإخوة، وكل من يحتك به ويعايشه

(١) انظر: الشيخ، زينب، «الكذب عند الأطفال»، مجلة التربية والتعليم، العدد (٤)، ص ٤١.

(٢) الغيرة، نبيه، المشكلات السلوكية عند الأطفال، ص ١٦٨.

(٣) الجندي، سامي، طفلي في سنواته الثلاث الأولى، ص ١٤٢.

(٤) الشيخ، زينب، «الكذب عند الأطفال»، مجلة التربية والتعليم، العدد (٤)، ص ٤١-٤٢.

يومياً، فالوالد الذي لا يفي بوعوده للولد ولا ينجزها له يتعلم الولد منه الكذب ويقتدي به في ذلك؛ لهذا حذر رسول الله ﷺ من هذا فقال: «إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له»^(١)، وذلك لأن الولد يعتاد الكذب ويقتدي بوالده في ذلك. وأعجب من هذا أن يُعد الرسول ﷺ التمويه للطفل بأي شيء لاجتذابه دون أن يُعطي من الكذب حيث قال: «من قال لصبي تعال هالك ثم لم يعطه فهي كذبة»^(٢)، وهكذا تعاليم الشريعة العظيمة تحتاط من الكذب حتى على الصبي الصغير الذي لا يعقل، وما ذلك إلا لاستئصال هذه الصفة القبيحة، وعدم تعويد الطفل عليها. فإن حدث أن اضطر الوالد إلى عدم الوفاء للولد بوعد ما سارع إلى توضيح القضية له والمبررات، وذلك لئلا يقع في نفسه أن والده يكذب عليه.

ومن الكذب التمويه الذي يعمل به بعض الآباء وله أثر سيء على الولد يظهر أحياناً عندما يتظاهر الوالد بمعاينة أحد الأولاد لأنه ضرب أحاه الصغير، فيمثل الأب أنه يضربه وهو في الحقيقة لا يضربه، فهذا السلوك الخاطيء من الأب يعلم الولد المشتكي الكذب والغش، إذ أنه يعلم أن والده يكذب عليه^(٣)، إلى جانب أن الولد المُعاقب هو أيضاً يتعلم مشروعية الكذب بهذه الطريقة، وبهذا الأسلوب الخادع.

ويراعي الأب مع الولد الكبير أن لا يُكذبه فيما يروي له بل يصدقه، فإن تيقن من كذب رواية ما واجهه بذلك في غير اتهام قائلًا: «هل أنت متأكد من هذه القصة يا بني؟ فإن الله يراك ويسمعك»، وبهذه الطريقة يعلق الأب الولد بجانب العقيدة والغيب، فيعلم أن هناك رقيباً عليه يحصي كذبه وصدقه، فيكون ذلك مدعاة له للالتزام الصدق وتجنب الكذب.

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب العلم، ج ١، ص ١٢٧. والحديث صحيح.

(٢) أحمد، المسند، ج ٢، ص ٤٥٢.

(٣) القطان، أحمد، واجبات الآباء نحو الأبناء، ص ٤٥.

ثامناً: السرقة:

تعد السرقة من الأعمال القبيحة التي نهى الشارع الحكيم عنها، وتوعد أصحابها بالعقاب الشديد في الدنيا بقطع الأيدي، أما الآخرة فعذابها أشد وأعظم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، وذلك لأن في السرقة إضراراً بالآخرين، وامتلاكاً لمتاع الناس بغير حق، إلى جانب ترويع الناس وإضاعة الأمن.

ولما كان الأمر كذلك فإن تربية الولد وتركيز مبدأ الخشية من الله في نفسه، واحترام حقوق الآخرين وممتلكاتهم، وعدم السطو عليها يعتبر أمراً في غاية الأهمية، فإن الذي يتعود السرقة صغيراً ربما اقتترفها كبيراً، لهذا وجب على الأب أن يتولى تدريب ولده منذ نعومة أظفاره على احترام خصوصيات إخوته وأقربائه والجيران متخذاً في ذلك الأساليب التربوية المختلفة في إفهام الولد حدود ملكيته^(*)، وأن الأغراض والألعاب الموجودة في غير غرفته، أو الموجودة في غير خزنته لا تخصه ولا يجوز له أخذها إلا بإذن صاحبها ورضاه، فيدرّب الأولاد على أن يستأذنوا من بعضهم البعض عند رغبة أحدهم في الاطلاع على قصة أخيه، أو اللهب بدراجه، أو أخذ شيء من خصوصياته وألعابه. فإن أخطأ أحدهم فلم يستأذن نبهه وأرشده، وأمره بالاعتذار وعدم العودة.

والسرقة عند الأطفال الصغار تعد من أكثر مظاهر الانحراف حدوداً^(٢). خاصة عند الأطفال دون السادسة من العمر، فهم لا يعرفون الأشياء التي تخصهم دون الأشياء التي لا تخصهم^(٣)، كما أن الطفل لا يدرك شناعة ما

(١) المائدة ٣٨.

(*) راجع الفقرة (ثالثاً) من هذا المبحث لمعرفة طريقة تعريف الولد بحدود ممتلكاته.

(٢) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) ليونارد، شارلز، لماذا ينحرف الأطفال، ص ٣٠.

أقدم عليه من السرقة وقبح فعلته إلا بعد العاشرة^(١).

وتعتبر معرفة الأب لأسباب السرقة عند الأولاد ودوافعها أمراً هاماً؛ إذ أنه بمعرفته لهذه الأسباب يمكنه أن يضع الحلول المناسبة والكفيلة لحماية الولد من الوقوع في هذا السلوك المنحرف، ومن أهم أسباب السرقة عند الأطفال رغبتهم في إشباع شهوة البطن بأكل الحلوى، فحب الحلوى عند الأطفال كثيراً ما يدفعهم إلى السرقة سواء كانت سرقة الحلوى ذاتها، أو سرقة النقود التي تمكنهم من شرائها^(٢). والحل لهذه المشكلة عند الأولاد هو توفير ما يرغبون فيه من الحلوى، والمأكولات الشهية، ليزهدوا فيما عند غيرهم، على أن يراعي الأب في ذلك الحكمة في الإنفاق وعدم الإسراف في المأكول والمشرب، وتعويد الأولاد كثرة الأكل، خاصة من السكريات والنشويات التي تورث السمنة والبدانة المذمومة، ويراعي الأب إذا حدث أن أخذ الولد شيئاً من الحلوى أو غير ذلك بغير إذن صاحبها أن يعظه وينبهه، ولا يشتد عليه، خاصة إن كان قبل سن العاشرة، إذ أنه - كما أشير من قبل - لا يدرك قبح فعلته؛ بل على الأب أن يعمل بالحكمة، ويتخذ من منهج الرسول ﷺ وأسلوبه في هذا المجال قدوة، فقد روى الإمام أحمد في المسند أن غلاماً كان يرمي النخل ويأكل منها، فشكوه إلى الرسول ﷺ، فسأله عن ذلك، فاعترف أنه يأكل منها، فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن مسح رأسه، ودعا له، ونهاه أن يعود لذلك، وأمره أن يأكل مما يسقط من النخل دون أن يرمي^(٣). ففي هذه الرواية يجمع الرسول ﷺ بين العاطفة على الولد والحنو عليه فيمسح رأسه، وبين الأمر بترك هذا السلوك القبيح دون زجر شديد أو تقييح، رغم أن أناساً شكوه إليه، إذ كان المتوقع أن تصدر عقوبة بحقه، أو بحق وليه، وغرامة على ما أتلف من النخل. لكنها الرحمة النبوية التي عمت الكبير والصغير، والقدوة الصالحة الحسنة في منهج تربية الولد في الإسلام.

(١) عمر، المختار، أطفال اليوم كيف نربهم، ص ١٦٩.

(٢) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) انظر: أحمد، المسند، ج ٥، ص ٣١.

ومن أسباب تعاطي الولد السرقة أيضاً: تكليفه الكسب والتجارة، وإلزامه بدخل معين رغم صغر سنه وقلة عقله وخبرته، فقد نهى عن ذلك الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث قال: «لا تكلفوا الصغير الكسب، فإنه إذا لم يجد سرق»^(١).

فالوالد الفقير المحتاج إلى الاستفادة من طاقة ولده في طلب الكسب عليه أن يراعي عدم إلزام الولد بمدخول معين، ولا يشترط عليه تحصيل مبلغ معين يومياً؛ بل يلتزم بحسن التوكيل على الله، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين، فإن لم يفعل ذلك ربما ساق ولده إلى الانحراف ليرضيه إما بالسرقة، أو الغش، أو غير ذلك من السلوكيات المنحرفة.

وسرقة الأطفال من الجيران كثيراً ما تحدث، وربما سببت قطيعة أو خصاماً وشجاراً بين أولياء الأمور. فإن ثبت لدى الأب أن ولده أخذ شيئاً من ممتلكات الجيران، أو من أطفالهم، فإن أفضل حل لهذه القضية لتستأصل من أصلها هو إلزام الولد بإرجاع ما أخذ بنفسه، والإلحاح عليه في ذلك؛ لأنه سوف يستفيد ويتعلم من هذا الدرس الصعب فلا يعود لمثله^(٢). فإن خشى الأب بطش جاره، أو توقع سوء مقابلته لولده عند إرجاع ما أخذه منهم، فيستحسن أن يتفاهم مع الجار أولاً، معترفاً عما بدر من ولده، ومخبراً أنه سوف يأتيه معترفاً، فلا يزرجه ولا يشتد عليه، بل يحسن مقابلته وينثني عليه حسن اعتذاره، وإصلاحه لسوء فعلته. وهذا يعد درساً عملياً جيداً للولد وتهديباً لنفسه فلا يعود إلى السرقة بعد ذلك.

ومن أسباب سرقة الأطفال أيضاً: قلة ذات اليد، فالطفل الفقير الذي لا تؤمن له حاجاته ومتطلبات طفولته كثيراً ما يلجأ إلى السرقة ليشبع هذه الرغبة

(١) مالك، موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، الأمر بالرفق بالمملوك، حديث رقم (١٧٩٥)، ص ٥٣٧. (بتصرف).

(٢) عدس، محمد عبد الرحيم، «الحسن الأخلاقي عند الأطفال»، مجلة التربية، العدد (٨٠)، ص ٦٥.

في نفسه . ودور الوالد في هذا الجانب هو تركيز قضية القضاء والقدر(*)، وأن يُصبر ولده وأهل بيته مبيناً فضائل الفقر، وأن لهم بذلك عند الله خيراً وأجرأً عظيماً، فيذكرهم بقوله عليه الصلاة والسلام: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»^(١)، كما يُبين لهم أن حياة الفقر وشظف العيش عاشها عليه الصلاة والسلام، ورضي بها رغم قدرته على أن يملك الدنيا، ولكنه قنع بالقليل لعلمه بأنه أفضل وأحسن، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما واصفاً طبيعة حياة الرسول ﷺ، وكيف كانت عيشته مع أهله، فقال: «كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير»^(٢). وبهذا التذكير الدائم للأولاد ينمو عندهم حسن التوكل على الله، والرضى بما قسمه وقدره، فلا يلجأون إلى السرقة لإشباع رغباتهم وحاجاتهم.

أما الأسرة التي منحت سعة من الرزق ولها مدخول جيد. فإن تخصيص مصروف يومي للولد يتناسب مع مدخول الأسرة يعتبر إجراء جيداً، خاصة إذا كان الولد عارفاً بالقطع النقدية؛ إذ يفضل أن يُعطى الولد بعض النقود يومياً ليصرف منها، فتغنيه عن الانحراف والسرقة المتوقعة من الأطفال الذين لا يملكون ذلك المصروف اليومي.

ويضاف إلى أسباب السرقة ودوافعها عند الأطفال قضية قلة حب الوالدين للطفل وعطفهما عليه؛ إذ أن الطفل الذي لا يحصل على هذا العطف والحب من أهله، فإنه ربما لجأ إلى تعويض هذا النقص بالحصول على أكبر قدر ممكن من الممتلكات^(٣)، فتراه يأخذ ألعاب إخواته، وربما

(*) راجع المبحث الأول، الفقرة (خامساً) لمعرفة أسلوب الاستفادة من مفهوم القضاء والقدر في إرضاء الولد بما قسم الله لأسرته من الرزق.

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، حديث رقم (٢٣٥٣)، ج ٤، ص ٥٧٨. والحديث صحيح.

(٢) المصدر السابق، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، حديث رقم (٢٣٦٠)، ج ٤، ص ٥٨٠. والحديث حسن صحيح.

(٣) مونتاجيو، اشلي، كيف تساعد أطفالنا على تنمية قيمهم الخلقية، ص ٨٦.

أخذ بعض حاجات أطفال الجيران، وينسب كل هذا لنفسه وأنها أغراضه. ولحماية الطفل من هذا الانحراف يعمل الأب جاهداً على إبراز عواطفه الأبوية تجاه الأولاد. ويشعرهم بذلك، وأنه يحبهم، ويكون ذلك من خلال ملاظفتهم، وعناقهم، وتقديم الهدايا لهم، والجلوس معهم، والتحدث إليهم في أوقات مختلفة، وعدم تعنيفهم وزجرهم وضربهم إلا عند الضرورة، وتجنب التقييح والسخرية منهم واستنقاصهم في جميع الأوقات. فإن هذه المعاملة العنيفة بعيدة كل البعد عن منهج التربية الإسلامية(*) .

تاسعاً: الكبر:

يعد الكبر كغيره من الصفات القبيحة التي يتصف بها بعض الناس وذلك لما فيها من التعالي، والشعور بالتميز على الخلق، وقد قال الله تعالى ذاماً للمستكبرين: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾^(١)، وفي إبليس الذي عصى الله مستكبراً عن السجود لآدم. قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَأَهْطِ مَنَهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾^(٢)، فطرد من رحمة الله وأهبط الأرض بسبب التكبر والاستعلاء، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»^(٣)، ففي هذا الحديث تشبيه للعز والكبرياء باللباس، ومعروف أن لباس الإنسان إذا ارتداه لا يشاركه فيه أحد. فكذلك العز والكبرياء إزار الله ورداؤه لا يشاركه فيهما أحد من خلقه^(٤)، ومن تجرأ كان مصيره مصير إبليس وهو الطرد من رحمة الله عز وجل، إلا أن يتوب توبة نصوحاً.

(*) راجع الفصل الأول، المبحث الرابع، الفقرة (ثانياً)، لمعرفة الأسلوب الصحيح في إيقاع العقوبة عند الحاجة إليها.

(١) النحل ٢٣.

(٢) الأعراف ١٣.

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، حديث رقم (٤٠٩٠)، ج ٤، ص ٥٩.

(٤) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، في الكبر والعجب، حديث رقم (٨٢٠٧)، ج ١٠، ص ٦١٣ - ٦١٤.

وحقيقة الكبر على العباد: استعظام النفس، واستحقار الآخرين، والترفع عليهم وعدم الانقياد لهم، واستصغارهم، وعدم الرضا بالمساواة بهم^(١). وهذا لا شك من غفلة الإنسان بحقيقة نفسه، وضعفه، وحقارة أصله، وما يحمله في بطنه من العذرة، ونهايته العفنة في التراب.

وللكبر مظاهر يعرف بها المتكبرون، وأهمها ما وصفهم به رسول الله ﷺ عندما سئل عن الرجل يجب أن يظهر في ملبسه بمظهر جميل حسن هل هذا من الكبر؟، فقال: «لا، ولكن الكبر من بَطَرَ الحق وغمَطَ الناس»^(٢)، فمن رد الحق على أهله، ولم يسمع منهم فهو المتكبر، وغمط الناس استحقارهم وعدم الاعتداد بهم^(٣).

ومن مظاهره المذمومة أيضاً: التبختر في المشية، وذلك لما قد وقع في نفس المتكبر من التميز، والاستعلاء، والاعتقاد بالأفضلية، إما للجاه، أو المال، أو السلطان، أو النسب، أو العلم، أو الجمال، أو غير ذلك^(*).

وهذا المظهر قد ذمه الله عز وجل في كتابه، فقال: ﴿وَلَا تَمَشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٤)، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٥). أي لا تمل خدك للناس في استكبار واستعلاء عليهم. أما المشي في الأرض مرحاً، فهو: السير في اختيال وقلة مبالاة بالناس^(٦)، وقد جاء في

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، حديث رقم (٤٠٩٢)، ج ٤، ص ٥٩.

(٣) انظر: ابن الأثير، جامع الأصول من أحاديث الرسول، في الكبر والعجب، حديث رقم (٨٢١٠)، ج ١٠، ص ٦١٥.

(*) انظر كيف يعالج الغزالي هذه الآفات النفسية في كتابه «إحياء علوم الدين»، ج ٣، ص ٣٣٤ - ٣٤٣.

(٤) الإسراء ٣٧.

(٥) لقمان ١٨.

(٦) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٧٩٠.

السنة ذم هذه المشية المختالة حيث قال عليه الصلاة والسلام: «ما من رجل يتعاطم في نفسه ويختال في مشيته إلا لقي الله وهو عليه غضبان»^(١).

ولما كانت قضية الكبر على هذا النحو من الذم والمقت، فإن تربية الولد منذ حداثة سنه على كرهها، وعدم الاتصاف بها، أمر هام؛ لأنه إن تعود الولد ازدراء الناس، والتكبر على أقرانه، والتعالي عليهم، في صغره فإن هذه الخصلة الممقوتة لن تتركه عند كبره وبلوغه سن التكليف.

ومسؤولية الأب في متابعة ولده ومراقبته ومعرفة أمراض قلبه وعلاجها أن لا يقف عند حدود التعريف بالمرض والتوجيه بالعبارة فقط؛ بل يسلك معه الأسلوب التربوي العملي الذي يستأصل الداء من داخل النفس حتى لا يبقى له أثر يحرمه من دخول الجنة فإن الكبر - وإن قل - يحرم صاحبه الجنة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»^(٢). فإذا كان الولد ممن يميل إلى رأيه ولا ينصاع للحق إذا جاء على لسان أقرانه أو إخوته أو أصدقائه، بعد أن يكون قد عقله وفهمه، خاصة إن كان الولد قد تعدى سن العاشرة، فإن الوالد يحذره من هذا السلوك مبيناً أن الله يمقته إن فعله، وأنه من الكبر الذي يحرم صاحبه الجنة، ويلزمه بأن ينصاع للحق، وأن يعلن ذلك أمام أصدقائه، وأنه قد أخطأ برده الحق، ويسوقه إلى ذلك سوقاً ويلج عليه، فإن اعتذر أمامهم، وقبل الحق، كان له درساً عملياً جيداً لا يظن بعده اقترافه لمثله، فإن عاد أعيد معه الدرس حتى يتدرب فلا يعود لمثله أبداً.

والولد الذي يحب أن يتصدر زملاءه، ويكون قائداً لهم دائماً ولا يرضى بغير القيادة، ولا يقبل إلا الصف الأول، والسير أمام الأولاد والأقران، فإنه يدرّب على ترك هذا السلوك بضده، فيؤمر بالتزام التوسط في المجلس والسير

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الإیمان، ج ١، ص ٦٠. والحديث صحيح الإسناد.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، حديث رقم (٤٠٩١)، ج ٤، ص ٥٩.

بين الزملاء أو خلفهم، وأن يقدمهم على نفسه، فإن دعاهم إلى البيت أمر بالقيام على خدمتهم، وقدم لهم بنفسه الطعام والشراب، في تواضع دون كبر، أو إحساس بالفضل، وأجلسهم في صدر المكان، وإن ظن الولد أنه أفضل من أصحابه وزملائه وإخوته وأنه متميز عنهم، فإن الأب يحاول استئصال هذا الاعتقاد بأن يبين للولد مميزات زملائه وإخوته، وأنهم متفوقون عليه في كذا وكذا، ويعدد بعض هذه المميزات التي اتصف بها زملاؤه وإخوته مدلاً على ذلك بالوقائع المختلفة، كأن يقول له: «أتذكر يوم كذا وكذا كيف أن أخاك سبقك في العدو، وكيف أن ابن الجيران كان أحفظ منك لسورة كذا وكذا»، فيحاول أن يبين له أنه كغيره من إخوته لديه مميزات ولديه نواقص، وأن غيره ربما تفوق عليه في بعض صفاته ومميزاته.

ويحذر الأب عند استخدام هذا الأسلوب أن يتعدى حدود الاعتدال في بيان قدرات وطاقات الولد، إذ أن التماذي في استنقاص الولد، والتطرف في هذا الأسلوب ربما ساق الولد إلى الشعور بالنقص، وهذه آفة أخرى تحتاج إلى علاج جديد؛ بل يعطيه من البيان ما يحتاج إليه لتستقيم نفسه، وتعتدل تصرفاته.

كما يمكن للأب أن يوضح للولد المغرور بقوته - مثلاً - أنه ضعيف أمام ابن الجيران، فيعمل لهم لقاء للمصارعة وإظهار القوة، فإن صرع الولد كان له درساً جيداً، يتعلم من خلاله أنه يوجد من هو أقوى منه، فلا يغتر ويفتخر بقوته على أقرانه. وفي هذا الدرس ينبغي أن يكون الأب على يقين من أن ابن الجيران سوف يصصره ويتغلب عليه، فإن حدث العكس ازداد الولد غروراً إلى غروره، وكبراً إلى كبره، ولم ينفعه الدرس؛ بل أساء إليه.

وكثيراً ما يخجل الأولاد ويترفعون عن الخدمة، خاصة أطفال الأغنياء، فلا يرى أحدهم حاملاً مشتريات لأهله، أو خارجاً بالنفايات من البيت ليضعها في المكان المخصص في الشارع؛ بل يوجد في حالة من الترفيه وعدم تحمل المسؤوليات مما يسوقه إلى التعالي والكبر على غيره. وعلاج ذلك يكون أيضاً بضده. فإن كان يتعالى عن نزول السوق والشراء وحمل الحاجيات أمر بذلك

ودرب عليه . ولا بأس في أن يشارك الناس بالبيع والشراء، فقد أقر الرسول ﷺ عبدالله بن جعفر رضي الله عنه على أن يبيع في السوق بيع الصبيان ولم ينكر عليه ذلك، بل دعا له . علماً بأن عبدالله بن جعفر شريف من الأشراف وأبوه ابن عم الرسول ﷺ فلم يمنعهم ذلك من الاشتغال بالبيع والشراء كعامّة الناس، ولم يستح الرسول ﷺ من فعله^(١).

وإذا كان عند الولد إحساس بالترفع عن الفقراء والضعفاء والمساكين : أمر بالجلوس معهم في بعض الأوقات ليذهب عنه ما يجده في نفسه في الترفع، فيصطحبه الأب في زيارة لأحد الجيران من الفقراء فيجلس عنده بعض الوقت، ويأمر الولد بالجلوس ومحادثة أولاد الجار، فيعتاد الولد ذلك دون خجل أو إحساس بالمهانة . وفي بعض الأحيان يدعو الوالد بعض فقراء الحي وأولادهم على الطعام، ويأمر جميع أولاده بالجلوس معهم وخدمتهم .

وإذا كان عند الولد كثرة مباحة بنفسه، وإعجاب بها، بدون مبرر، أي أنه لم يأت بأعمال تدفعه إلى هذا العجب، فإن الوالد يحاول أن يكلفه ببعض الأعمال والمهام البسيطة لينجزها، ومن ثم يشكر ويمدح على ذلك . وهذه الطريقة ربما خففت من إعجاب الولد بنفسه كذباً وزوراً^(٢).

والأطفال الذين يفتخرون على أقرانهم بمميزات خَلْقِيَّة كالجَمال، أو الطول، أو القوة، أو فكرية كالذكاء، فإن دور الوالد في علاج هذا هو أن يوضح للولد أن هذه الصفات وغيرها من نعم الله التي أكرمه بها، وليست هي من كسب الولد، فالله سبحانه وتعالى قدرها له في الأزل، وركبها فيه، دون أن يكون للولد أدنى فضل فيها، كما أن من أصيب بعاهة في جسده، أو بلاهة في طبعه، أو غير ذلك هي من أمور القضاء والقدر التي ليس للإنسان فيها دخل، فلا يذم بسببها ولا يستنقص؛ بل الواجب هو الرضا بما قسم الله،

(١) انظر: سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ١٣٧ .
(٢) عدس، محمد عبد الرحيم، «الحس الأخلاقي عند الأطفال»، مجلة التربية، العدد (٨٠)، ص ٦٤ .

فإن كان المقسوم محبوباً كالذكاء والقوة والجمال، شكر الله عليه بمزيد من الطاعة والاعتراف بفضلته ومنته، والتواضع لمن لم يؤت مثل ذلك، وإن كان المقسوم مكروهاً كالبلهة أو الفقر أو الضعف أو غيرها، فإن الواجب هنا هو الصبر على البلاء واحتمال تبعاته، والرضا بما قسم الله، فهو الحكيم الخبير.

ويسلك الوالد مع ولده هذا الأسلوب مدلاً ومرشداً ومبيناً نعم الله سبحانه وتعالى المتنوعة، وأن الفضل له وحده دون سواه، فإذا تيقن الولد بذلك ذهب عنه ما يجده في نفسه من الكبر والتعالي والغطرسة.

ولمزيد من تدريب الولد على التواضع ودم الكبر فإن الوالد يكلفه أحياناً لبس الرديء من الثياب، وأكل الخشن من الطعام، والنوم على الحصير. فلا يحس بالتميز على غيره من الأولاد، ولا يستنكر أو يزدري نعم الله عليه.

المبحث الرابع

الأخلاق مع المسلمين

- أولاً: الأخلاق مع العلماء
- ثانياً: الأخلاق مع الوالدين
- ثالثاً: الأخلاق مع الإخوة والأخوات
- رابعاً: الأخلاق مع الأقارب
- خامساً: الأخلاق مع الأصدقاء
- سادساً: الأخلاق مع الخدم
- سابعاً: آداب الطريق
- ثامناً: آداب المجلس

المبحث الرابع الأخلاق مع المسلمين

في المباحث الثلاثة الماضية تم بيان الأخلاق والآداب مع الله سبحانه وتعالى، ومع أنبيائه وملائكته عليهم السلام، ومع النفس، وفي هذا المبحث نلقي الضوء على الأخلاق العامة مع جميع الفئات المسلمة، وأولهم العلماء ثم الوالدان، والأقارب، والإخوة، وباقي الناس من المسلمين، وذلك ليقف الوالد المسلم على بينة من واجباته نحو الأولاد، ودوره في تكوين أنماط من السلوك المتنوعة عندهم تجاه أصحاب الحقوق المختلفة في الأسرة والمجتمع المسلم؛ ليتكون لدينا النموذج الإسلامي في واقع الحياة المعاصرة اليوم.

أولاً: الأخلاق مع العلماء:

العلماء هم ورثة الأنبياء^(١) ومشاعل النور للناس، وسادتهم، من اتبعهم على هدى كان من الناجين، ومن خالفهم على جهل وكبر كان من الضالين الهالكين.

وقد جاء عن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مدحهم ورفع منزلتهم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)، وقال سبحانه وتعالى مفرقاً بينهم وبين غيرهم من الجهلاء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)، ووصفهم سبحانه وتعالى

(١) انظر: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، حديث رقم (٣٦٤١)، ج ٣، ص ٣١٧.

(٢) المجادلة ١١.

(٣) الزمر ٩.

بالخشية، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(١).

فالعلماء هم أولياء الله وأحبابه، وأعلم الناس به، وهم أهل خشيته، ولا بد أن يكونوا كذلك. فإن من زاد علمه بالله، وعرف عظمته وقدره، وقعت في نفسه الخشية منه، والمهابة لجلال قدره وعظيم شأنه. ويقول الرسول ﷺ في بيان فضل العلماء على غيرهم، وكيف أن الله اختارهم وفضلهم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٢). فهم موقع رحمة الله وفضله ومنتته. ويقول ابن رجب رحمه الله مبيناً منزلتهم وقدرهم: «إن لم يكن العلماء والفقهاء أولياء الله فليس لله ولي»^(٣).

ومن هذا البيان يتضح فضل العلماء ومنزلتهم عند الله. فإذا كانوا هم أولياء الله وخاصته وأحبابه، فإن حبهم وموالاتهم واجبة، كما أن مخالفتهم، والوقوع في أعراضهم، وعدم الاكتراث بهم، حرام لا يجوز في حق غيرهم من العامة فكيف بهم؟، لهذا يقول عليه الصلاة والسلام أمراً للمسلمين بتعظيم حق العالم وتوقيره ومعرفة منزلته: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا»^(٤). أي يعرف قدر وفضل العالم، ففي العلماء اجتمعت خصلتان من الحديث: العلم وكبر السن، ففي العادة يكون العلماء من كبار السن.

وفي الأمر بطاعتهم واتباعهم يقول الله تعالى: ﴿ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٥). وأولوا الأمر هم الفقهاء والعلماء كما قال الضحاك رحمه الله تعالى^(٦)، فطاعتهم في حدود طاعة الله وما أمر به سبحانه وتعالى: واجبة ولازمة. قال سهل بن عبد الله رحمه الله:

(١) فاطر ٢٨.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين، حديث رقم (٢٦٤٥)، ج ٥، ص ٢٨. والحديث حسن صحيح.

(٣) ابن رجب، ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء، ص ١٣٣.

(٤) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب العلم، ج ١، ص ١٢٢.

(٥) النساء ٥٩.

(٦) انظر: القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ج ٥، ص ٢٥٩.

«لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله ديناهم وأحراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد ديناهم وأحراهم»^(١).

ولما كان الأمر كذلك فإن طاعتهم واتباعهم لا تتم إلا بكمال محبتهم وموالاتهم؛ لهذا فإن مسؤولية الأب في إيجاد هذا الحب والتوقير للعلماء في نفوس الأولاد أمر في غاية الأهمية. وتكون بداية الوالد في إيجاد هذا الحب عند أولاده: بذكر فضائل العلماء عند الله، ومحاسن أفعالهم، حتى يقع في نفوس الأولاد حبهم، ويذكّرهم الأب بأسمائهم ليحفظوها، ويتعرفوا على العلماء.

وتعد صلاة الجمعة من أفضل المناسبات المتكررة التي يلتقي فيها العلماء مع عامة الناس ليعظوهم ويصلوا بهم، وهي فرصة جيدة للأب يعرف ولده على الخطباء من علماء المسلمين، فيقول له: «يا بني هذا الخطيب هو العالم الفلاني الذي أخبرتك عنه»، فإذا انتهت الصلاة أخذ ولده وتقدم إلى المحراب وسلم على الشيخ مقبلاً رأسه توقيراً له، ويأمر ولده بذلك أيضاً، ولو أمره بتقبيل يده فلا بأس فقد ورد ذلك عن السلف. فعن عبد الرحمن بن رزين عن سلمة بن الأكوع قال: «بايعت النبي ﷺ بيدي هذه فقبلناها فلم ينكر ذلك»^(٢). وقد نقل أن ابن عمر قبل يد النبي ﷺ وأن بعض اليهود قبلوا يده ورجليه^(٣). ولكن لا يجعل الأب من تقبيل الأيدي عادة عند الولد، فتندثر شخصيته وتضمحل؛ بل يكون تقبيله لأبيه أو أمه أو العالم في الرأس أو اليد من باب التكريم وتعريف الناس بقدرهم ومنزلتهم، خاصة في زمن قل فيه توقير العلماء وتبجيلهم.

ويوقع الأب في نفس الولد المهابة للعالم، فهذا منهج السلف في توقير

(١) المصدر السابق، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الأدب، باب قبلة اليد، ج ٨، ص ٤٥، ورجال الحديث ثقات.

(٣) انظر: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الرجل يقبل يد الرجل، حديث رقم (٣٧٠٤) و(٣٧٠٥)، ج ٢، ص ١٢٢١.

العلماء والفضلاء، فقد روى أن ابن عباس رضي الله عنهما هاب أن يسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن مسألة حتى مر عليه عام، ثم سأله عندما حانت فرصة مناسبة لذلك^(١).

ويعمل الأب جاهداً على إحضار ولده لدروس العلماء ومواعظهم في المساجد، أو الأندية الثقافية، ويحاول أن يربطه بهم في هذه الدروس، فيتعود على حضورها ولا يمل من الجلوس. وإذا بدا للولد سؤال وجهه الوالد لأن يسأل العلماء، فإن كان في المسجد أمره بأن يسأل الخطيب، وإن كان في البيت أمره أن يتصل بأحد العلماء بالهاتف، ولا بأس أن يعوده المراسلة في ذلك، فملازمة العلماء في مجالسهم ومزاحمتهم هي نصيحة لقمان لابنه حيث قال له: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله يحيي القلوب بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر»^(٢).

وتعتبر اللقاءات بين العلماء وعامة الناس مهمة جداً، وذلك ليعيش العلماء مشاكل الناس، ويتعرفوا عليها عن كثب، ويصفوا لها الحلول المناسبة. كما أن العامة يستفيدون من خلال لقاءهم بالعلماء علوماً جديدة، إلى جانب أنهم يشاهدون قدواتهم من فضلاء الأمة تعيش بالإسلام منهجاً وسلوكاً واقعياً، فيوقنون أن هذا الدين صالح لكل مكان وزمان، خاصة وأن بعض الناس يظنون صعوبة، أو استحالة العيش بالإسلام في جميع شؤون الحياة، وأن هذا الدين قد انتهى، ولم يعد له دور في الحياة.

لهذا ينظم الأب مع أولاده زيارات لبعض العلماء في البلد، فيشعر العالم أو الشيخ بهذه الزيارة ويحدد معه موعداً، ويفضل أن تكون في بيت الشيخ، أو في بيت الأب، وذلك لتحصل الفرصة للأولاد ليتحدثوا مع عالمهم، ويتصلوا به مباشرة، فيسألوه ما بدا لهم، وهو بدوره يرشدهم ويعلمهم ما يناسبهم من العلوم البسيطة الموافقة لسنهم.

(١) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٦.

فإن قرر الوالد ورغب الولد في ملازمة عالم من علماء البلد يدرس على يديه كتاباً، أو تفسيراً للقرآن، أو غير ذلك من العلوم في وقت الفراغ، فإن الوالد يستأذن الشيخ أولاً فإن وافق شجع ولده على ذلك، وأديه وعلمه أصول مصاحبة ومرافقة العلماء، فقد جمع الغزالي رحمه الله شيئاً من ذلك فقال:

«يسدؤه بالسلام، ويُقل بين يديه الكلام، ويقوم له إذا قام(*)، ولا يقول له: قال فلان خلاف ما قلت، ولا يسأل جلسه في مجلسه، ولا يبتسم عند مخاطبته، ولا يشير عليه بخلاف رأيه، ولا يأخذ بشويه إذا قام، ولا يستفهمه عن مسألة في طريقه حتى يبلغ إلى منزله، ولا يكثر عليه عند مله»^(١).

فهذه آداب جيدة لو التزمها الولد مع شيخه، فإنه سوف يحبه ويتعلم الولد منه الكثير.

ثانياً: الأخلاق مع الوالدين:

حب الوالدين واحترامهما ومعرفة قدرهما أمر واجب على الأبناء، فكما أن للعلماء حقوقاً واجبة على المسلمين، فكذلك على الأبناء حقوق واجبة للأباء، وذلك امتثالاً لأمر الله عز وجل حيث يقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا. إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢)، وفي موضع آخر يقول الله

(*) بشرط ألا يكون في ذلك تعظيم وإطراء، بل يكون من باب الاحترام والتوقير، ولو ترك القيام أفضل لما ورد في السنة من كراهية ذلك.

(١) الغزالي، الأدب في الدين، ص ١٦ - ١٧.

(٢) الإسراء ٢٣ - ٢٤.

عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾^(١). والآيات في الأمر ببر الوالدين كثيرة^(*)، تبين عظم حقهما ومنزلتهما؛ فهما اللذان قدما كل شيء في سبيل سعادة الأبناء، فلو أصابت الابن شوكة تمنيا أنها فيهما وليست فيه، يتألمان بألمه، ويسهران لسهره في مرضه، ولا تقرأ أعينهما إلا بسعادته وراحته؛ لهذا فإن حقهما كبير وعظيم، ولا يمكن للأبناء مجازاتهما وإن حاولوا، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»^(٢). وأنى له أن يجده مملوكاً فيشتريه ويعتقه، فهذا هو الشرط الوحيد الذي يمكن أن يكون جزاء للوالدين يقابل فضلهما وكرمهما، كما أن جميع الأعمال، أو الخدمات التي يمكن أن يقدمها الولد لوالده لا تكون جزاء يكافئ ما قدم من التضحيات، وقد سئل معاذ بن جبل رضي الله عنه عن حق الوالدين على الولد، فقال: «لو خرجت من أهلك ومالك ما أدبت حقهما»^(٣)، فحقهما عظيم لا عدل له.

وقد جاء التحذير الشديد من عقوق الوالدين وإغضابهما، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق بوالديه، والدَيُّوث، ورجلة النساء»^(٤). لهذا كان لزاماً على الأب المسلم أن يحمي أولاده من هذا العقاب الشديد عند الله، بأن يربهم تربية حسنة، فيعرفهم حدود الله، وأسباب غضبه ومقتته، ويساعدهم ويعينهم على بره، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «رحم الله والداً أعان ولده على بره»^(٥).

ويضع الإمام الغزالي رحمه الله للوالد بعض الضوابط في تربية الأولاد

(١) العنكبوت ٨.

(*) انظر: النساء ٣٦، الأنعام ١٥١، لقمان ١٤-١٥.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب العتق، باب فضل عتق السوالد، حديث رقم (٢٥)، ج ٢، ص ١١٤٨.

(٣) أحمد، كتاب الورع، ص ١٠٥-١٠٦.

(٤) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الإيمان، ج ١، ص ٧٢. والحديث صحيح.

(٥) ابن أبي شيبه، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الأدب، ما جاء في حق الولد على والده، ج ٨، ص ٣٥٧. والحديث ضعيف. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٣١١٨)، ج ٣، ص ١٨٦.

ومساعدتهم حتى يكونوا بارين به غير عاقين له، فيقول: «يعينهم على بره، ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم، ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم، ولا يمنعهم من طاعة ربهم، ولا يمنن عليهم بتربيتهم»^(١)، فالوالد لا يشتد مع ابنه ويختبر طاعته له بالامتحانات الشاقة، كأن يمنعه النوم في بعض الأوقات لإتمام عمل غير هام، أو يكلفه من أعمال البر والملاطفة وخفض الجناح ما يلغي شخصية الولد ومكانته، كأن يغضب إذا نسي الولد أن يقبل يده، أو سها أن يهنيء له مجلسه، أو يقرب له حذاءه؛ بل يحاول الأب أن يتغافل عن بعض زلات الولد، ولا يعاقبه إلا على الواجبات إن قصر فيها، أو الأخطاء الكبيرة، كأن يُسيء الأدب معه، أو يرفع صوته في وجهه، أو يقلل أدبه مع الأم أو الجد أو الجدة.

وهذا هو منهج السلف رضوان الله عليهم، فهذا خارجة بن مصعب رحمه الله ينصح الأب أن يسوق ولده إلى البر سوقاً رقيقاً، فيقول: «يعطيه ويحسن إليه حتى يبره»^(٢)، وقال أبو الليث رحمه الله واصفاً حال بعض السلف في رحمتهم بأولادهم وحمائيتهم من العقوق: «كان بعض الصالحين لا يأمر ولده بأمر مخافة أن يعصيه في ذلك فيستوجب النار»^(٣). وهذا فقه عظيم من رجال السلف رضوان الله عليهم إذ أن نظرهم أبعد من حدود هذه الدنيا، وحبهم لأولادهم وإشفاقهم عليهم يتطلب مساعدتهم وعونهم على النجاة في الآخرة قبل كل شيء، فلا يكلفونهم ما لا يطيقون من الأوامر؛ بل يفكر أحدهم قبل الأمر: «هل سوف يطيق الولد ذلك أم يعجز عنه فأسوقه بنفسه إلى التهلكة؟». وبقدر ما يجاهد الوالد نفسه في مساعدة أولاده وتوفيقهم إلى البر؛ بقدر ما يجني في المستقبل من إحسانهم له وبرهم به؛ فإن الآباء عادة لا يتكلفون الإحسان لأولادهم لأن القضية فطرية مركوزة في قلوبهم. «أما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل

(١) الغزالي، الأدب في الدين، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) الوصايا، البركة في فضل السعي والحركة، ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق. (بتصرف).

المضحى المدبر المولى الذاهب في أدبار الحياة، بعد ما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة^(١)، لهذا جاءت التوجيهات القرآنية أمرة الأبناء ببر الآباء والإحسان إليهم.

أما الآباء فما وقر في نفوسهم من العواطف الجياشة، والميل الفطري كافٍ لتوجيههم ولفتهم لرعاية أبنائهم، فقلّت بناء على ذلك التوصية ببر الأبناء.

ومما جاء في السنة من تعظيم حق الوالد أن مال الولد لأبيه، وأن للأب أن يأكل منه، قال عليه الصلاة والسلام: «إن أطيّب ما أكلتم من كسبكم. وإن أولادكم من كسبكم»^(٢). وقال لمن شكّا أباه: «أنت ومالك لأبيك»^(٣). ففي الحديث دليل على أن للوالد الحق في أن يأخذ من مال ولده فهو من كسبه، وهذا جائز حتى وإن كان الأب غير محتاج إلى المال، على أن يراعي عدم مضرة الولد بأخذ بعض المال، وأن لا يأخذه فيعطيه غيره من الناس. كما أنه لا حدّ على الوالد لولده مطلقاً لعظم حق الأب ومنزلته، فإن سرق مال ولده لم تقطع يده، وإن كان للولد على أبيه دين لم يطالبه به، وإن قذف الأب ولده لا يُحد ولا يُجلد، ولو أن الوالد قتل ابنه فإنه لا يقتل به. أما لو حدث العكس فقتل الابن والده قُتل الولد حداً لعظم حق الأب ومكانته^(٤). وهذا الفقه مبني على قوله ﷺ: «لا يقاد مملوك من مالكه ولا ولد من والده»^(٥).

ومما سبق يتضح عظم حق الوالدين، ومنزلتهما في الشريعة الإسلامية، وأنهما غير متهمين في أولادهما، فمهما فعلا مع أولادهما يؤخذ على حسن

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٧٨٨. (بتصرف).

(٢) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، حديث رقم (٢٢٩٠)، ج ٢، ص ٧٦٩.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم (٢٢٩١). وإسناده صحيح.

(٤) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ٦، ص ٢٨٨ و ٢٩١، ج ٩، ص ٣٥٩ و ٣٦٥ - ٣٦٦، ج ١٠، ص ٢٠٨.

(٥) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الحدود، ج ٤، ص ٣٦٨. والحديث صحيح.

النية وسلامة الطوية، إذ أن عاطفتها كفيّلة بمنعها من قصد الإضرار بهم أو إيذائهم؛ فإن قصد إيقاع الضرر بالأولاد لا يمكن أن يحدث إلا عند فساد الفطرة وانحرافها بالكلية(*).

وهذه القضايا والحقوق لا يمكن أن يفهما الولد الصغير، ويدرك أبعادها من خلال التوجيه والإرشاد النظري فقط، خاصة إن كان الولد دون سن التمييز؛ بل إن الإرشاد العملي التطبيقي أمام الولد أكبر تعليم، وأفضل بيان؛ فالوالد الذي يقبل والده ووالدته في يديهما ورأسيهما أمام نظر الولد، يُعلّم الولد هذا الفعل ويدربه عليه عملياً. كما أن الظهور أما الوالدين بمظهر الذل والخضوع لهما، وتنفيذ أمرهما وتوقيرهما، كل هذا يوقع في نفس الولد عظم منزلة الوالدين ومكانتهما.

كما أن تعريف الولد بحق والديه، وأن رضاهما من رضا الله عز وجل، وأن غضبهما من غضبه سبحانه وتعالى؛ يُحيي في قلبه الخشية من العقوق، كما أن تعريف الولد واطلاعه على أجر بر الوالدين ومنزلته عند الله، وأن جزاءه الجنة، وأن عصيانهما سبب لمقت الله ودخول النار، له دوره أيضاً في تركيز معاني بر الوالدين في نفسه، فيعيش الولد بين الخوف والرجاء والترغيب والترهيب، فإن عصى أو عاند ذُكر بذلك، ليراجع نفسه، ويقطع عن خطئه.

ولتعريف الولد جهد والديه معه، وما قدماه من الخدمات الجليلة له في حضانه وتربيته عندما كان صغيراً لا يعقل، فإن الأب يلفت نظره إلى المعاناة التي يلقاها الوالدان مع أخيه الرضيع، وكيف تسهر الأم تطعمه وتنظفه، وإن مرض لم تفارقه حتى يبرأ، وكيف أن الوالد يسارع بحمله إلى المستشفى لعلاجها عندما يشعر بوعكة أو ألم. كل هذه المواقف يُشعر بها الولد المميز ليدرك عظم حق والديه، والجهد الذي قدماه له، فيحس في نفسه بواجب الشكر والتقدير على هذه الفضائل الأبوية العظيمة.

(*) ظهر في أوروبا من يقتل أولاده ويتخلص منهم بكل وحشية وهمجية. انظر: المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، ص ١٠٦ - ١١٠.

وللقصة وقعها في نفس الولد، فإن الأطفال يحبونها ويتأثرون بها، فيمكن للوالد اختيار بعض القصص التي تبرز جانب بر الوالدين، وكيف كانت عاقبة العاق لوالديه حيث قِيضَ الله له من ولده من يعقه عند كبره فلقِيَ جزاءه بالمثل، كما أن الولد الطائع لوالديه، البار بهما سخر الله له من ولده من يبر به، ويطلب رضاه، فكان جزاؤه بالمثل للمحسن الإحسان، وللمسيء الإساءة. وعند سرد القصة يكثر الأب من الثناء على الطفل البار، ويذم الطفل العاق؛ ليقع في نفس الولد حب هذا، وبغض الآخر.

ولما كانت منزلة الأم عظيمة تفوق منزلة الأب، فإن توجيه الولد لأخذ رضا الأم أمر هام، فيأمره الأب أن يقبل يدها في كل صباح ويسلم عليها، وفي بعض الأوقات والمناسبات يقترح عليه أن يهدي والدته هدية مناسبة، فيعطيه بعض النقود ليختار لها هدية تناسبها، ويحاول الأب أن يوجد في نفس ولده التعظيم للوالدة ويبين له حقها ومنزلتها، وينبهه على ذلك دائماً، كأن يقول له: «هل أغضبت أمك اليوم؟». «ماذا فعلت اليوم لتكسب رضاها؟» هل دعوت لها؟، وهكذا، يتابعه في ذلك ليشعر ويحس بمنزلتها.

ولا شك أن الوالدة أيضاً مأمورة ومدعوة لتعظيم حق الوالد في نفس الأولاد، وإبراز دوره، وإيجاد المهابة له في قلوبهم على أن يكون ذلك في غير رعب أو شدة أو قسوة، فإن قصرت في ذلك ذكرها الأب ونبها.

ويحاول الأب قدر المستطاع أن يجنب أولاده سماع النزاع أو الشجار بينه وبين الأم، فإن هذا يؤلمهم، إلى جانب أنه يُضعف الثقة بهما، لما يرونه من التناقض بين التوجيهات التي يسمعونها منهما، وبين سلوكهما تجاه بعضهما البعض (*).

(* لمعرفة المزيد من أضرار الشقاق بين الزوجين وخطره على الأولاد، انظر: الفصل الخامس، المحبب الخامس، الفقرة (ثالثاً).

ثالثاً: الأخلاق مع الإخوة والأخوات:

يتمتد دور الأب ومسؤوليته مع الأولاد ليشمل تقوية أواصر المحبة والتآلف بينهم، ونبذ الشحناء والتباغض إذ أنه كثيراً ما تحدث الشحناء، والغيرة، والتنافس، والحسد بين الإخوة والأخوات.

وقد جاء في السنة المطهرة ذم الحسد وبغضه، فقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال العشب»^(١). فالولد الذي يتربى مع إخوته في جو مليء بالتنافس الشديد، والحسد، والبغض، يصعب عليه عند كبره أن يتخلص من هذا الوصف المذموم، فربما تأصل فيه هذا الداء، فيأكل حسناته ويفنيها، وتتعذب نفسه وترهق؛ لهذا كان دور الأب هاماً في التخفيف من حدة التوتر والغيرة بين الأولاد؛ إذ أن إزالة الغيرة والحسد بالكلية من الأطفال لا يمكن أن يتم، وذلك لأن الحسد مخلوق وموجود في أعماق النفس لا يمكن استئصاله بالكلية. يقول الحسن البصري فيما نقله عنه ابن الجوزي رحمهما الله: «ليس من ولد آدم أحد إلا وقد خلق معه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا فعل لم يتبعه شيء»^(٢)، فلا يمكن إزالة الحسد والغيرة من نفوس الأولاد بالكلية، إنما دور الأب التخفيف من حدتهما، أخذاً بالوسائل والأساليب التربوية الجيدة في ذلك.

ويعتبر نجاح الأب في تدريب الأولاد على العيش معاً في جو من الوثام والتآلف مؤشراً جيداً لإمكانية نجاح هؤلاء الأولاد في العيش مع غيرهم في المجتمع عندما يخرجون للحياة العامة، فالأسرة مجتمع صغير يتدرب فيه الأولاد على أنماط مختلفة من السلوك، والممارسات، والعلاقات بين الأفراد.

(١) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحسد، حديث رقم (٤٩٠٣)، ج ٤، ص ٢٧٦.

(٢) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٣٦١.

ولما كان للمولود الأكبر أهمية في إصلاح باقي الأولاد^(١)، فإن اهتمام الأب به يجب أن يكون كبيراً، فلا يجعله محط تجارب يمارس معه أساليب مختلفة من التربيّات - كما هو الحال في كثير من الأسر - بل يُوطّن نفسه في بداية الأمر على اتخاذ المنهج الإسلامي في تربيته وتنشئته.

وكثيراً ما يبدأ بغض الولد الكبير لأخيه الصغير عندما يجد أن الاهتمام من الوالدين قد اتجه نحو أخيه الصغير، ولم يعد هو محط نظر أو اعتبار، فيلجأ إلى الانطواء على النفس، أو البكاء، أو التبول غير الإرادي، أو ربما ادعى المرض والألم؛ ليجذب نظر والديه إليه^(٢). فهذه الأحوال لا ينبغي أن يُساق الولد إليها؛ بل ينبغي أخذ الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث مثل هذا، فيذكر له أثناء الحمل محاسن الطفل الجديد، وأنه قادم ليلعب معه إذا كبر، وأنه يحبه...، فيحاول الأب أن يشعر دائماً بموالاتة الطفل الجديد وحبّه له، فإذا وُلد بالمستشفى وقرر جلبه إلى البيت يستحسن ألا يكون الولد الكبير موجوداً في البيت وذلك لئلا يصطدم بالاهتمام البالغ الذي يلقاه أخوه عند قدومه، خاصة وأن الوالدين مرتبكان بتجهيزه وتهيئة مكانه^(٣). ولكن يؤتى بالولد الكبير بعد استقرار الوضع وسكونه، فلا يشعر بالتغيير.

ومن أساليب تحبيب الولد الأكبر في المولود الجديد عند أول لقاء بينهما توضع في يد المولود قطعة من الحلوى، فيقال: «انظر ماذا يعطيك أخوك»، «إنه يعطيك حلوى، إنه يُحبك...»، وبهذا الأسلوب تبدأ علاقة الولدين بداية حسنة يرجى بعدها أن لا تحدث بينهما مصادمات كبيرة، أو شقاق دائم.

ولا ينبغي أبداً الاطمئنان لسلوك الولد الأكبر مع أخيه، حتى وإن لم

(١) انظر: علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢، ص ٦٦٢.

(٢) الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل، ص ٦١.

الطراونة، ساهرة النابلسي، «الغيرة عند الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٤٢.

(٣) سروري، نادرة أحمد، «حماية أطفالنا من الغيرة»، مجلة رسالة المعلم، العددان (٥)،

(٦)، ص ٤٢.

تصدر عنه مظاهر تدل على غيرته؛ لأن الغيرة موجودة فيه، بل إن بعض رجال التربية يعد عدم إظهار الطفل لغيرته من إخوته أمراً يحتاج فيه الطفل إلى معالجة ومساعدة^(١).

وإذا أظهر الولد غيرة من أخيه الصغير، وحاول إيذائه، أو الانتقام منه، وجب تحذيره من ذلك، وإفهامه أنه سوف يعاقب إن أضر بأخيه، فإن هذا الأسلوب يخفف من حدة غضب الولد الأكبر وغيرته^(٢).

ولا بد أن يُفهم «أن الطفل، سواء أكان المولود الأول أم المولود الثامن، بطبيعته يريد أن يستحوذ على كل شيء، إن الأطفال يريدون كل العطف، وكل اللعب، وكل الامتيازات، وكل الاهتمام»^(٣). فإذا رأى الطفل أن بعض الاهتمام والامتياز انصرف إلى غيره من الإخوة غار وغضب. وليس أمام الأب المسلم لحل هذه المشكلة سوى الاجتهاد في توزيع حبه وعطفه على جميع الأولاد بالتساوي، وقبولهم جميعاً على علاقتهم، ولا يفرق بينهم، حتى وإن أظهر بعضهم أدباً أكثر من الآخرين، ولا يعقد بينهم المقارنات؛ إذ أن عقد المقارنات بين الأبناء يزيد من تنافسهم وغيرتهم من بعضهم البعض، ويربي فيهم الأحقاد والضغائن، ولا فائدة من وراء ذلك^(٤).

والحل الصحيح لتنفيس غضب الأطفال، ومشابغاتهم، هو عقد المنافسات البريئة بينهم، مثل المسابقات الثقافية، أو الرياضية، أو غيرها من مجالات التنفيس النفسي، فيُعد لهم الأب أسئلة ثقافية توافق أعمارهم وي طرحها عليهم، ويكافئ الذي يجيب. كما يمكنه عقد المباريات في كرة القدم، أو الطائرة، أو العدو، أو غيرها من الألعاب الرياضية المنشطة والمنمّسة للطاقت. وتكون هذه المسابقات والألعاب بصورة مستمرة وفي أوقات منتظمة يومياً.

(١) المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) بوتر، هيلين، كيف نعاون الإخوة والأخوات على التفاهم، ص ٢٧ - ٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٣١.

وبهذه الوسيلة يكون الأب قد استنفذ طاقات الأبناء فيما يعود عليهم بالفائدة، ويكفهم عن المشاغبات والمشاكل، فإن السلوك العدواني عند الأطفال يظهر عندما تُكبت وتُقيد الحركات البدنية، خاصة وأن الأطفال لديهم طاقات جسمية كبيرة^(١).

وكثيراً ما يتنازع الأولاد على الألعاب، فليس من الحكمة أو الصواب أن يُفرض على الولد السماح لأخيه باللعب معه خاصة إن كان الولد غير راضٍ بذلك؛ إذ أن هذا الفرض يزيد من أنانية الولد وحقده، على أخيه، وربما سبب له رد فعل سيء؛ والمفروض أن تنبعث الرغبة في المشاركة واللعب من نفس الولد دون فرض أو قهر، فتكون عادة مستقرة في نفسه لا تكلف فيها^(٢).

ويضاف إلى موضوع الألعاب عدم اختيار ألعاب للأولاد من نفس النوع، فكثير من الآباء يظنون أن اختيار الألعاب من نفس النوع للأولاد يجعلهم راضين مقتنعين بذلك ويحسون بالعدل والمساواة. وفي الحقيقة فإن هذا الاختيار المتشابه والمتساوي للألعاب ربما دفع الولد إلى محاولة معرفة الفرق بين اللعب حتى وإن كان بسيطاً لا يلاحظ إلا بالدقة، فينتج من جراء هذا نزاع وفرقة. والأفضل في هذا أن يختار لكل ولد لعبة تناسب سنه، مع إفهامه أنها تناسبه أكثر من غيرها، ويُقنع بذلك^(٣).

وتكون الغيرة على أشدها في السن دون الخامسة، وذلك لأن الطفل لا يزال معتمداً على الأبوين ومحتاجاً لهما^(٤). أما بعد سن التمييز في الطفولة المتأخرة، فإن الطفل يكون أقدر على فهم المعاني المجردة حول مراتب الأخوة، وصلة الرحم، ونبذ الخلافات والتقاطع.

(١) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، ص ٤٣.

(٢) سروري، نادرة أحمد، «حماية الأطفال من الغيرة»، مجلة رسالة المعلم، العددان (٥) و(٦)، ص ٤٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٦.

وفي هذا السن يعمل الأب جاهداً على إبراز معاني الأخوة في الله، والحب فيه، إلى جانب أخوة الدم والمنشأ، فيعلمهم التأدب مع بعضهم البعض، واحترام الأخ الأكبر، وتقديمه عليهم، وينشر بينهم السلام، فإن السلام يزيد من الحب وعاقبته المحبة الموصلة إلى الجنة ورضوان الله، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»^(١)، فإفشاء السلام بين الأولاد، ومتابعتهم في ذلك هو الطريق إلى التآليف بينهم وترابطهم.

وتعتبر الغيبة والنميمة من الأعمال الممقوتة، وكثيراً ما يلجأ إليها الأولاد فيذمون بعضهم بعضاً عند الوالدين، وواجب الأب هنا هو كفهم عن ذلك، وعدم الاستماع إلى شيء من هذا الباطل، ويذكّرهم بالله ويعرفهم بالغيبة، وما ورد في القرآن والسنة من مقتها وذمها حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، فهذا من أعظم الزجر عن هذا العمل القبيح والسلوك المنحرف، وفي الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»^(٣)، فهذه الآية وهذا الحديث وغيرهما إذا عُرِضت على الأولاد وشرحت لهم، فإنهم سوف ينفرون من هذا السلوك ويكرهونه، خاصة إن شعر أحدهم أنه يأكل لحم أخيه ويأتي يوم القيامة يخذش وجهه في منظر قبيح مرعب.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، حديث رقم (٩٣)، ج ١، ص ٧٤.

(٢) الحجرات ١٢.

(٣) أحمد، المسند، ج ٣، ص ٢٢٤. والحديث صحيح. انظر: هامش ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، في الغيبة والنميمة، حديث رقم (٦٢١٥)، ج ٨، ص ٤٤٨.

فإن حدث من الولد - بعد التنبيه والزجر - أن اغتاب أحد إخوته، أو ذكره بسوء، أمر بأن يعتذر له، ويتأسف لما بدر منه، فإن هذا الأسلوب ينتزع الغيبة انتزاعاً من الولد، لما في ذلك من الجهد النفسي الكبير الذي يقدمه الولد عندما يعتذر لأخيه عن خطئه. كما يؤمر بالإضافة إلى الاعتذار أن يدعو لأخيه ويستغفر له حتى يحس أنه كفّر عن هذا الجرم. ولا بأس في بعض الأحيان أن يؤمر الولد بالصدقة إذا أخطأ أو أذنب. ويراعي الأب في كل هذا أن يكون هو قدوة صالحة لأولاده فلا يسمعون منه غيبة، أو ذكراً سيئاً عن أحد.

وليس من المستحسن أن يبقى الأولاد طول الوقت مع بعضهم البعض في مكان واحد، فإن هذا - بلا شك - يزيد من منازعاتهم ومشاكلهم؛ بل الأفضل هو تفريقهم في بعض الأوقات ليشتاقوا إلى بعضهم البعض، فهذا سلوك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أولاده، فقد كان يقول لهم: «إذا أصبحتم فتبددوا، ولا تجتمعوا في دار واحدة، فإني أخاف عليكم أن تقاطعوا، أو يكون بينكم شر»^(١). وهذا من فقه عمر رضي الله عنه، وبعد نظره، إذ فهم أن بقاء الأولاد في دار واحدة يكون مدعاة للتناحر والتقاطع لكثرة تنازعهم، فأمرهم بالانتشار والتبديد. والأب المسلم يمكنه أن يأخذ بهذه الوصية ويطبقها على أولاده، فيجعل لكل واحد منهم غرفة تخصه، فإن لم يتمكن من ذلك قسم الغرفة بطريقة هندسية إلى عدة أقسام، حتى وإن تطلب الأمر جعل الغرفة دورين مستعملين الخشب أو غير ذلك من المواد، ثم يخصص لكل واحد منهم مكانه وزاويته التي تخصه.

كما يمكنه في بعض الأوقات اصطحاب بعضهم دون بعض عند الخروج للسوق، أو في زيارة بعض الأقارب، فإذا غاب بعضهم عن بعض في بعض الأحيان اشتاقوا ونسوا ما كان بينهم من خلاف وشجار.

(١) الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حديث رقم (٤٥٩٤٨)، ج ١٦، ص ٥٨٣.

رابعاً: الأخلاق مع الأقارب:

بعد الحديث عن دور الأب التربوي مع الإخوة والأخوات الذين يعدون من الرحم الواجب صلتها، فإن للأقارب حقاً من حقوق صلة الرحم أيضاً، والإحسان إليهم حق واجب على المسلم، فالأب يُنميه في نفوس أولاده ويربهم عليه، والأمر بذلك في القرآن الكريم واضح، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١)، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢)، فهذا أمر واضح من الله عز وجل بالإحسان للقرابة، ومراقبة الله فيهم، والحذر من إيقاع الأذى بهم عن طريق مقاطعتهم أو هجرهم.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»^(٣)، وقال أيضاً: «لا يدخل الجنة قاطع»^(٤). وفي هذا تحريم واضح، وزجر وترهيب لقاطع الرحم المسمى بالأقارب، الصاد عنهم والمجافي لهم، وفيه أيضاً بيان فضل المحسن إليهم، والموصل خيره إليهم، وصلة الله للواصل وتأييده وتوفيقه له.

وهذه المعاني المباركة يجب أن تقدم للأولاد في قوالب عملية بجانب التوجيهات النظرية؛ لتكون أكثر رسوخاً وتمكناً في نفوس الأولاد، فإن الولد في طفولته المتأخرة تزيد عنده القدرة على التكيف الاجتماعي، ومشاركة الآخرين في مسراتهم وآلامهم مشاركة وجدانية^(٥). فلو استغل الوالد هذه القدرة في

(١) النساء: ١.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم (١٧)، ج ٤، ص ١٩٨١.

(٤) المصدر السابق، حديث رقم (١٨).

(٥) الحاج، فائز محمد علي، بحوث في علم النفس العام، ص ٢٢٢.

الولد لينمي جوانب صلة الرحم المختلفة، فإنه لا يبلغ مبلغ الرجال إلا وقد تأصل هذا المبدأ العظيم في نفسه وضميره، فلا ينفك عنه أبداً، ولن يصدر منه في الغالب ما ينافي المعاني التي تربي عليها من الإحسان للأقارب والأرحام والبر بهم.

ويمكن للأب المسلم في هذا المجال أن ينتهج مع أولاده أساليب شتى، وطرقاً متنوعة، تؤصل مبدأ صلة الرحم. ومن أهم هذه الأساليب والوسائل: الزيارات بين الأقارب، فيتخير الأب الوقت المناسب لزيارة الجد والجدة - إذا لم يكونا معه في نفس السكن - ويصطحب معه الأولاد، خاصة المميزين منهم، ويحاول أن تكون زيارة الجد والجدة زيارة دائمة متكررة، لا تفصل بينها فواصل زمنية طويلة، إذ أن حقهما كبير، وشأنهما عند الله عظيم خاصة بالنسبة للأب نفسه.

ويحاول الأب أن يشوق الأولاد لزيارة الجد والجدة بالآيات والأحاديث والآثار، ويذكرهم بفضل هذه الزيارات، وأجرها عند الله، ولا يغفل مكافأتهم إن أحسنوا التأدب في الزيارة، فإن كبار السن لا يحتملون عادة إزعاج الأطفال، وكثرة حركاتهم.

ولو أحس الأب بملل الأولاد من الزيارة، وخشي أن يتبرموا من الجلوس مع الكبار، والاستماع إلى حديثهم الذي لا يفهمونه، فإن الأب يأمر الأولاد باصطحاب بعض ألعابهم البسيطة المسلية ليلتفوا بها حتى نهاية الزيارة، أو يؤمن الأب بعض الألعاب في بيت الجد والجدة ليتسلى بها الأولاد أثناء الزيارة، وهذا إذا كان الأولاد لا يستمتعون بحديث الجد والجدة، أما إن كانوا يرغبون في حديثهما، ويتشوقون إليه وللزيارة؛ فإنه من العبث وقلة الحياء أن يُلْتَهَى عنهما بالألعاب أو غيرها.

ولا يقسو الأب على أولاده ويجبرهم على هذه الزيارة، خاصة إن كانت مملة فعلاً؛ بل يحاول أن يأخذ بعضهم دون بعض بالترتيب، ويكثر من مكافأتهم وترغيبهم بالأجر والمثوية، ويلحق هذه الزيارة ببرنامج ممتع مثل الخروج إلى النزهة، أو الذهاب إلى حديقة الحيوان، أو غير ذلك من المرغبات

التي تسهل على الطفل القيام بهذه الزيارة المملة في نظره وموازينته.
أما زيارة الأعمام والعَمَّات والأخوال والخالات وباقي الأقارب فهي دون منزلة زيارة الجد والجدة.

وهذا النوع من الزيارات يرغب فيه الأولاد عادة، وذلك لأنه في المعتاد يكون لدى العم أو العمة، أو الخال أو الخالة، أطفال في سنهم وعمرهم يتشوقون لرؤيتهم واللعب معهم، فلا يحتاج الأب في هذا النوع من الزيارات إلى كثير جهد في ترغيب الأولاد.

كما أن هذا النوع من الزيارات لا يكون عادة متكرراً، ومنظماً في أوقات معينة؛ بل يحتاج إلى تنسيق مسبق مع المضيف قبل الزيارة. ويحاول الأب أن يوجه الأولاد إلى إحسان النية والقصد قبل القيام بالزيارة والخروج لها؛ بأن تكون نيتهم لله خالصة، فيسألهم: «لماذا تزور العم فلاناً؟» فيقولون: «لأن الله أمرنا بذلك»، ويركز الأب على هذا الجانب ليقوي صلتهم بالله عز وجل، ويدربهم في نفس الوقت على تحسين القصد والنية، خاصة وأن مقصد الولد في هذه الزيارة يكون للعب مع ابن عمه فلان، أو لركوب دراجته الجديدة، أو للعب بالكرة، أو لغير ذلك من المقاصد.

وليتجنب الأب وقوع شغب من أولاده، أو إزعاج للمضيف يفضل أن يأخذ على الأولاد الموثيق والعهود، بأن يلتزموا الأدب والاحترام، وأن يتجنبوا الإزعاج والمشاغبات، ويذكرهم بأنهم ما يجدونه عند أبناء عمهم من الألعاب هو ملكهم، وخاص بهم، فإن سمحوا لهم باللعب لعبوا معهم، وإن منعوهم لم يصروا عليهم، ولم يجبروهم.

فإن صدر من أحد الأولاد مخالفة ومشاغبة مع أولاد العم، عاقبه الأب بما يستحق، ومنعه من الزيارة المقبلة؛ ليعتبر هو وباقي الإخوة.

وللزيارات الرسمية بين الأقارب مثل الولائم، والدعوات، والعقيقة، وغيرها من الدعوات الرسمية دورها في تقوية أواصر المحبة بين الأقارب، لهذا فإن الوالد يجتهد في حضورها، وأخذ الأولاد إليها، وذلك لإجابة الدعوة،

وصلة الرحم، والتقاء الأولاد مع الأقارب من الصغار والكبار، وليتعارفوا عليهم، ويعتادوا رؤيتهم، فقد أقر الرسول ﷺ هذه الزيارات وحث عليها، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «أبصر النبي ﷺ نساء وصبياناً مقبلين من عرس، فقام ممتناً، فقال اللهم أنتم من أحب الناس إلي»^(١)، فهذا إقرار منه عليه الصلاة والسلام بمشروعية اصطحاب الأطفال إلى الأعراس، وحضورهم اجتماع الناس والأقارب.

ويُقترح أن يتولى الأب إقناع الأقارب وعلى رأسهم الجد والجدة بأن يكون لهم لقاء في كل شهر، أو في كل شهرين، أو أكثر، يجتمع فيه جميع الأقارب من نسل الجد والجدة، يلتقون على عشاء أو غداء في بيت الجد، فيحصل من هذا اللقاء زيادة ألفة بين الأقارب، وتعارف الأولاد الصغار بعضهم مع بعض، وقضاء وقت ممتع.

ويراعي الأب تنبيه أولاده على الأخطاء التي يمكن أن يشاهدوها عند أقاربهم من الذين لا يعتمدون منهج التربية الإسلامية الصحيح، فإن سألوه عن بعض الممارسات التي شاهدوها، فإنه لا بد من إقرار الحق، وبيان الخطأ إن وجد.

ولا تقتصر صلة الأرحام على الزيارات فقط؛ بل يدخل فيها كل خير يمكن إيصاله إليهم من مال، أو هدية، أو معروف، أو كلمة طيبة، أو غير ذلك من البر حتى السلام، فقد ورد في الحديث: «بلُّوا أرحامكم ولو بالسلام»^(٢).

ومن الأساليب التي يستخدمها الأب لتحقيق مبدأ صلة الرحم عند الأولاد قضية استخدام جهاز الهاتف، فيعلم الولد كيف يستخدم هذا الجهاز، ثم يكلفه الاتصال بالأقارب والأرحام والسؤال عنهم، وعن أحوالهم، خاصة المقيمين منهم خارج المدينة. وهذا الأسلوب يمكن أن يكون ناجحاً هذه الأيام، خاصة

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس، ج ٧، ص ٣٢.

(٢) الترمذي، الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، ص ١٩١. والحديث حسن، انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٢٨٣٥)، ج ٣، ص ٩.

وأن أكثر الناس قد انشغل بنفسه، وأصبح اجتماع الأقارب وزياراتهم من الصعوبة بمكان، فلو تدرّب الولد على الاتصال بالأقارب، خاصة في المناسبات للسؤال عنهم وإبلاغهم السلام فإن ذلك نفعاً كبيراً، وتدريباً عملياً للولد على صلة الرحم.

كما يمكن للأب استخدام أسلوب تدريب الولد على كتابة الرسائل، وهذا يكون مع الولد الكبير القادر على الكتابة، فيشجعه الأب على كتابة الرسائل الحاملة للتهاني في المناسبات الشرعية المختلفة، ويكافئه على ذلك، ويشني عليه.

خامساً: الأخلاق مع الأصدقاء:

يتأثر الإنسان - رجلاً كان أو طفلاً - بالأصدقاء والقرناء، ولا يمكن أن يُظن عدم حدوث هذا التأثير، ودليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام واصفاً أثر المجلس الصالح، وأثر مجلس السوء: «إنما مثل المجلس الصالح والمجلس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»^(١)، ففي كلا الحالتين يتأثر المجلس بجليسه، إما بالسوء، وحرق الثياب، وأقله الريح الخبيثة، وإما بالخير والفائدة والعطر الحسن.

ولما كان تأثير صاحب المجلس بهذه الدرجة، فإن تأثير الأطفال بعضهم في بعض أكثر تحقّقاً ومضاء، إذ «تعتبر جماعات الرفاق من أشد الجماعات تأثيراً على تكوين أنماط السلوك الأسناسية لدى الطفل»^(٢)، وقد تفتن العلماء المسلمون الأوائل لهذه القضية، فحذروا ونبهوا، فهذا الإمام ابن الجوزي رحمه الله يقول: «أما تدبير الأولاد فحفظهم من مخالطة تفسد... وليحمل على صحبة الأشراف والعلماء، وليحذر من مصاحبة الجهال والسفهاء».

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة

قرناء السوء، حديث رقم (١٤٦)، ج٤، ص٢٢٦.

(٢) الشرقاوي، أنور محمد، انحراف الأحداث، ص١١٦.

فإن الطبع لص»^(١). وينقل رحمه الله عن إبراهيم الحربي قوله: «أول فساد الصبيان بعضهم من بعض»^(٢).

وأشار الإمام الغزالي رحمه الله إلى أن تكوين الأخلاق الحسنة يمكن أن يكون عن طريق مصاحبة الأخيار والصالحين، وكذلك الأخلاق السيئة، فقال رحمه الله: «الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً»^(٣)، ويذهب رحمه الله إلى أبعد من هذا، ولا يكتفي بالتحذير من قرناء السوء فقط؛ بل حتى من المترفعين والمتنعمين من الصبيان، فيقول: «ويُحفظ الصبي من الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة»^(٤).

ولا يقصد من هذا التحذير والتنبيه عزل الولد مطلقاً عن قرنائه من الأطفال، والحجر عليه للحفاظ على أخلاقه وسلوكه، فهذا النهج المستبعد الوقوع يعد سلبية وتشاؤماً؛ إذ أن وجود الطفل - في بعض الأوقات - في محيط من الأطفال يعد من العوامل الأساسية والهامة في التربية^(٥)؛ إذ يتعلم الولد من خلال الجماعة كيف يعامل غيره، ويتدرب على تقديم التضحيات المختلفة مسيطرة لإرادة الجماعة، وليكون مقبولاً عندها^(٦). وهذه الفوائد التربوية وغيرها مما يتحصله الولد عن طريق أصدقائه وقرنائه، لا يمكن أن يتحصل عليه بدونهم، فيكون القصد إذاً من هذا التحذير هو حفظ الولد من قرناء السوء الذين يضررونه ويؤذونه، وفي الجانب الآخر ربطه بقرناء الخير من الصالحين الذين يمكن أن ينفعوه ويعينوه على الخير، ويحضوه عليه.

ولا شك أن تكوين محيط اجتماعي صالح خير للولد في مثل هذه الظروف التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم يعد أمراً صعباً شاقاً، ولكنه ليس

(١) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٢٢٠.

(٢) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٩٧.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٥٨.

(٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٠.

(٥) فينكس، فيليب، فلسفة التربية، ص ٣٢٦.

(٦) رحاحلة، سليمان فياض، «السلوك العدواني عند الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (١)،

ص ٩٠.

بالمستحيل المتعذر الوقوع والتحقق؛ إذ يمكن للأب المسلم أن يجعل من بيته، وبيوت بعض أقاربه، وأصحابه، مجتمعاً صالحاً يمارس فيه الأولاد السلوك الإسلامي السوي، حتى يشتد عودهم، وتقوى إرادتهم، ويملكوا القدرة على التمييز بين الخبيث والطيب، ثم يمكنوا بعد ذلك من الدخول والمشاركة في المحيط الاجتماعي العام الذي لا بد لهم منه^(١).

ولا يعني هذا أنهم لن يتأثروا ببعض سلبيات وانحرافات المحيط الخارجي، فإن التأثير به لا شك واقع، ولكن مع وجود هذا المجتمع الصغير الصالح، يكون التأثير ضعيفاً ليس بالقوي، وذلك لقلّة الاحتكاك به، وقيام أفراد ذلك المجتمع الصغير الصالح بإزالة ما يقع في نفوس الصغار وعقولهم من الأفكار، والأخلاق المنحرفة أولاً بأول، فلا يسمحون لها بالتراكم والتمكن.

ويسعى الأب جاداً في تكوين ذلك المجتمع والمحيط الصغير الصالح من أقربائه وجيرانه وأصدقائه الصالحين، الذين انتهجوا المنهج الإسلامي اعتقاداً وسلوكاً، فيعمل على توطيد العلاقات معهم، والإكثار من الزيارات واللقاءات. ويمكن أن يُحقّق ذلك من خلال الاتفاق على تنظيم زيارات دورية أسبوعية منتظمة يلتقي فيها الكبار على حدة، ويمارس الأطفال معاً نشاطاتهم وألعابهم على حدة، بعيداً عن ضغط الكبار وتوجيهاتهم المباشرة، فيعيشون بعض الوقت في جو من الحرية والانطلاق.

ويمكن أن تتولى كل عائلة أسبوعياً استضافة باقي العوائل في منزلها إذا توفر المكان المتسع، والقدرة على ذلك، فإن لم يتوفر ذلك، ووجد عند أحدهم مكان متسع، وفناء كبير، فإن ذلك أنسب للقاء، خاصة إذا تجنب الجميع المبالغة والتكلف في الإكرام، فإن تعذر هذا وذاك التقوا في الخلاء، وأماكن النزهة البريئة.

ويحاول الأب أن ينسق مع زملائه من الآباء المشاركين معه في هذه اللقاءات: أن يعدوا للأولاد برنامجاً ثقافياً دينياً، وآخر رياضياً. فيتوزّعوا مهام

(١) انظر: الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، ص ١٩.

الإعداد بصفة دورية، ويكون إعداد البرنامج الثقافي عن طريق كتابة أسئلة وإجابات في بطاقات صغيرة، مع مراعاة أعمار ومستويات الأولاد المختلفة، ومراحلهم الدراسية، في اختيار المعلومات والأسئلة.

وتتضمن هذه البطاقات أسئلة من القرآن الكريم، وأخرى من الحديث، والسير، والثقافة العامة، وغير ذلك، مع مراعاة التركيز على المفاهيم الإسلامية العامة، كشمول الإسلام لكامل نشاطات الإنسان، ومفهوم العبادة، والأخوة في الله، وحب الصالحين، وبغض الفاسقين، وغير ذلك من المفاهيم العامة التي يمكن أن يدركها الأطفال، حيث تُبسَّط لهم وتقدم في صورة جميلة سهلة ميسرة.

كما يمكن إعداد مسابقات تنافسية بين الأولاد في حفظ بعض السور القصيرة، أو حفظ بعض الأحاديث النبوية الشريفة، أو حفظ بعض الأناشيد الإسلامية الهادفة، والقصائد الشعرية.

ولا ينبغي أن يُغفل جانب الجوائز، فإن تأثير الجائزة كبير، خاصة عند الأطفال، فيُعد لذلك جوائز تقديرية مناسبة لأعمار الأولاد، دون تكلف مراعين رخصها وفائدتها وذلك مثل الأقلام، والمراسم، والكراسات، وعلب أدوات الهندسة البسيطة، وغيرها من الأدوات المكتتبية المفيدة الرخيصة. كما يمكن اختيار بعض الهدايا من الألعاب البسيطة مثل الكور، أو العربات، والسيارات الصغيرة للأطفال صغار السن.

أما ما يخص النشاط الرياضي فيفضل أن يكون موعده سابقاً للبرنامج الثقافي، وذلك لشغف الأولاد وتعلقهم به، إذ أن علم الأولاد بوجود برنامج رياضي بعد البرنامج الثقافي: يقلل من إقبالهم وتفاعلهم الكامل مع البرنامج الثقافي.

ويفضل أن يتولى الإشراف على النشاط الرياضي أحد الآباء من ذوي الخبرة الرياضية والميل إلى الحركة والنشاط، فيعد لهم برنامجاً منظماً يمارس فيه الأولاد معاً أنواعاً مختلفة من النشاطات الرياضية، فإن كان عددهم كبيراً جعلهم في مجموعات تمارس كل مجموعة لعبتها المفضلة.

ويراعي الأب التنوع بين كرة القدم، والطائرة، والركض، واللعب بالرمل، والسباحة - إن تيسر - وتسلق الحبال ذات العقد، وغير ذلك من الألعاب المتنوعة المختلفة، والتي تعود على الأولاد بالفائدة الجسمية والنفسية.

ويحاول الأب بين فترة وأخرى أن يذكّرهم بأن هدف الرياضة ليس من أجل الرياضة فحسب؛ بل هو تقوية الجسم، والمحافظة عليه، ليتقوى على طاعة الله، والقيام بالواجبات الشرعية التي كلف بها المسلم.

ويلاحظ الأب في اختيار الألعاب الرياضية بعدها عن العنف والخطورة، كاللعب بالأخشاب وضرب بعضها ببعض، أو الملاكمة، أو استعمال الآلات الحادة، أو الحديد، فقد جاء النهي عن ذلك، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلغنه. حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه»^(١)، ففي الحديث نهي عن ترويع المسلم وتخويفه بحديدة أو نحوها، فربما أخطأ الولد وزلّت يده وأوقع الحديدة، أو الآلة الحادة على أخيه أو زميله، فأذاه وآلمه وعكّر جو المرح والأنس.

كما يؤدّب الأب أولاده ويعلمهم كيف يلاعبون ويخالطون زملاءهم، فيعلمهم المصافحة والسلام، ويعرفهم أجر ذلك عند الله، ويوطنهم على تقديم الخير لهم بنفس سخية، وأن لا يدخلوا عليهم بما عندهم، ويعلمهم الترفع عن الأخذ منهم، إلا أن تكون هدية، فقد نصح بذلك ابن الحاج رحمه الله حيث قال: «ويُمنع أن يأخذ من الصبيان شيئاً... بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ»^(٢). ويعلم الأولاد أن لا يأخذوا من أحد شيئاً دون رضاه حتى وإن كان ذلك من باب المزاح والمداعبة، فقد ورد النهي عن ذلك حيث قال عليه الصلاة والسلام: «لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لاعباً ولا جاداً فإذا أخذ أحدكم عصا صاحبه، فليردها عليه»^(٣)، والحديث لم يترك

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلوة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، حديث رقم (١٢٥)، ج ٤، ص ٢٠٢٠.

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج ٤، ص ٢٩٧.

(٣) البخاري، الأدب المفرد، باب ما لا يجوز من اللعب والمزاح، حديث رقم (٢٤١)، ص ٩٥.

حتى العصا التي لا يلتفت إليها، فالألعاب والملابس والأمتعة الأخرى من باب أولى يكون التحذير من أخذها أشد وأبلغ.

وفي سبيل تقوية أواصر المحبة بين الأولاد وأصدقائهم من الصالحين، يبحث الأب أولاده على دعوة زملائهم إلى المنزل في بعض الأحيان لتناول طعام العشاء مثلاً، ويحاول الأب أن يدخل عليهم جميعاً السرور مظهراً بهجته بحضورهم، وأنه سعيد بقدمهم، مراعيًا عدم الإطالة في الجلوس معهم، إذ أن ذلك يقلل من حريرتهم وانطلاقهم، ويبحث أولاده على تقديم الهدايا لزملائهم إذا زاروهم فإن للهدية وقعاً طيباً في النفس، كما أنها تذهب ما يقع في الصدر من غل أو حقد، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «تهادوا فإن الهدية تذهب وقر (*) الصدر»^(١).

وإن حصل أن وجدت علاقة بين الولد وأحد الأولاد من غير الصالحين، وخشي الأب أن يؤثر على ولده سلبياً، وعجز عن توجيهه إلى الخير، أو لم يتمكن من ذلك. فإن عليه أن يسارع بتربيته ولده إلى وجوب قطع علاقته به وأن لا يخالطه مبيتاً له ضرر ذلك الولد عليه، فإن تعذر ذلك لشدة تعلق الولد بزميله عمل الأب على تنفير الآخر بسوء استقباله وإظهار الاستياء لحضوره، وإن احتاج الأمر إلى إشعار أهله بذلك فحسن، إذ أنهم إن علموا بعدم رغبة الأب في مخالطة ولدهم لابنه أخذتهم العزة والأنفة، وحجزوا ولدهم ومنعوه عنه. أما ما يخص الصداقات والزمالة في المدرسة، فإن الأب يحاول أن يوجه ولده للانخراط في نشاطات المدرسة اللاصفية، وأهمها النشاط الكشفي؛ لما فيه من برامج تدرب على الجدية، والرجولة، والإقدام، إلى جانب تعلم الانضباط واحترام القيادة، وخدمة المجتمع، ويضاف إلى النشاط الكشفي نشاطات اللجان الطلابية مثل: لجان التوعية الإسلامية، واللجان الثقافية والاجتماعية. وعادة يكون الطلاب الملتحقون بهذه النشاطات جيدين

(*) الوغر: هو الغل. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٠٨.

(١) أحمد، المسند، ج ٢، ص ٤٠٥.

ومثقفين أكثر من غيرهم، فلو تكوّنت بعض العلاقات والصدقات بين الولد وبعض هؤلاء الطلاب فلا بأس إن شاء الله .

سادساً: الأخلاق مع الخدم:

يتأثر الأولاد بالأسلوب والطريقة التي يُعامل بها الخدم في البيت، فإن كان أسلوب التعامل معهم هو الاحتقار والسخرية والاستعلاء عليهم لفقرهم وحاجتهم أو لاختلاف جنسياتهم، فإن الأولاد قطعاً يسلكون نفس الأسلوب والطريقة في معاملتهم، إذ أن تعصب الآباء على من يختلف عنهم وإظهار ذلك أمام الأطفال، ولو بكلمة عابرة، أو استهزاء، فإن الأطفال يكتسبون ذلك ويدركونه سريعاً^(١)، فيرى الطفل غير المؤدب يشتم الخادم، ويستهزئ به، ولا يقيم له أي احترام أو تقدير، حتى وإن كان كبيراً في السن .

وقد اهتم الإسلام بموضوع الخدم، خاصة المماليك منهم، ووضع الضوابط الشرعية والأخلاقية للتعامل معهم وحفظ حقوقهم . فإن كانوا مسلمين فهم إخوان لهم في العقيدة، ولكنهم تحت إمرة أصحاب البيوت، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم . فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(٢)، فصاحب البيت مأمور بأن يطعمهم ويكسوهم، ويتلطف في تكليفهم بالأعمال . وإن من أعظم الأعمال تكليفاً الصبر على الإساءة والإهانة، وسوء المعاملة، فإن الرسول ﷺ نهى عن ذلك، بل وأمر من لطم خادمته أن يعتقها^(٣) . وعندما رأى أبا مسعود يضرب مملوكه قال له: «لله أقدر عليك منك عليه»^(٤)، ولا يكتفي عليه الصلاة والسلام بذلك؛ بل

(١) ويتزمان، الياس، التربية الاجتماعية للأطفال، ص ٧٦ .

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، حديث رقم (٣٨)، ج ٣، ص ١٢٨٣ .

(٣) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب النذور والإيمان، باب ما جاء في الرجل يلطم خادمه، حديث رقم (١٥٤٢)، ج ٤، ص ١١٤ - ١١٥ . والحديث حسن صحيح .

(٤) المصدر السابق، كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الخدم وشتيمهم، حديث رقم =

عندما سئل كم يتجاوز الرجل عن خادمه؟ أجاب عليه الصلاة والسلام فقال: «كل يوم سبعين مرة»^(١).

وهذه التوجيهات النبوية وردت في الممالك الذين يُعدون من متاع الرجل وأملاكه، حيث يتصرف بهم في البيع والشراء كيف يشاء، ويعاشر الإناث منهم معاشرة الأزواج فيطؤها دون عقد أو خطبة. فإذا كانت التوجيهات النبوية بهذه الصفة في حق هؤلاء الممالك الذين هذا حالهم، فإن خدم اليوم ليسوا كذلك؛ بل هم من الأحرار، وحق الحر أعظم بلا شك من حق المملوك؛ لهذا كان الاعتناء بخدم اليوم، ومعرفة حقوقهم يعد أمراً هاماً.

ولا يعني الاهتمام بهم التباسط معهم ورفع الكلفة؛ بل المقصود رحمتهم، والمحافظة على كرامتهم، ودعوتهم إلى الخير بالقُدوة والتوجيه.

والأب المسلم يقتدي برسول الله ﷺ في معاملة الخدم ليكون لأولاده قدوة صالحة في ذلك، فهذا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يصف معاملة الرسول ﷺ له، فيقول: «... فخدمته في الحضر والسفر، فوالله ما قال لي لشيء صنعت: لم صنعت هذا هكذا، ولا لشيء لم أصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا؟»^(٢)، وهذا لا شك مستوى عال رفيع في أسلوب معاملة الخدم، ومثال عظيم يحتذى به.

كما أن هذه الرحمة بالخدم لا تعني السكوت عن أخطائهم وانحرافات بعضهم، فإن صدر عنهم شيء محل بالأخلاق أو الآداب، وُعظُوا ونُبِّهوا وأُخذ على أيديهم، وهذه من مسؤوليات رب الأسرة، فلا ينبغي له أن يهمل أو يقصر في ذلك، إذ أن الخدم يعيشون معهم في البيت، وسلوكهم يؤثر سلباً أو إيجاباً على الأولاد، فالخادم غير المؤدب، قبيح الألفاظ يُعلم الأولاد سوء الألفاظ، وقبيح القول، كما أن الخادم الحسن السيرة والمؤدب في سلوكه

= (١٩٤٨)، ج ٤ ص ٣٣٥. والحديث حسن صحيح.

(١) المصدر السابق، باب ما جاء في العفو عن الخادم، حديث رقم (١٩٤٩)، ج ٤، ص ٣٣٦. والحديث حسن غريب.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من استعان عبداً أو صبيّاً، ج ٩، ص ١٥.

وأقواله يؤثر على الأولاد تأثيراً طيباً، وذلك لأن الخدم عادة يقضون وقتاً طويلاً مع الأولاد، خاصة إن كان الخادم صغيراً في السن.

ويفضل للأب أن يقلل من احتكاك الولد بالخدم قدر المستطاع، فإن الخدم عادة يقل بينهم الصالحون، ويكثر فيهم الجهل، وتكون الفائدة من الاحتكاك بهم قليلة جداً، إن لم تكن معدومة، لهذا يُنصح الأب بعزل الولد عنهم قدر الإمكان، خاصة الإناث منهم، وعليه أن يستبعد الفاسد منهم، ولا يتهاون في ذلك، فخطرهم - كما تقدم - على الأولاد كبير(*)، ولا يعتذر بأنه جيد الخدمة وملتزم لعمله فإن احتمال إفساده لأخلاق الأولاد أعظم بكثير من الإخفاق الذي يمكن أن يحصل في المنزل بسبب إخراجهم، والاستغناء عن خدماتهم.

ويُعلم الأب أولاده أسلوب التعامل مع الخادم، فإن كان كبيراً نادوه بـ«يا عم»، وإن كان صغيراً نادوه باسمه، ولا يسمح لهم بأن يستخدموه في شؤونهم البسيطة: كجلب الماء للشرب، أو حمل الحقيبة إلى المدرسة، أو خلع النعال، أو غير ذلك من الشؤون التي لا يليق قيام الخادم بها مع الولد الصغير الذي يمكنه أن يتولاها بنفسه. وهذا الإجراء يؤدي الولد على احترام غيره، حتى وإن كان الخادم، ويعلمه أيضاً الاعتماد على النفس.

ويراعي الأب عند اختياره للخدام أن يكون كبيراً في السن، فالكبير أعقل وأكثر ضبطاً لأفعاله وسلوكه، ويراعي أيضاً تدينه، وأدائه للصلاة، واستقامته، وأن يكون من المتزوجين. ولا بأس أن تعمل زوجته خادمة(**) لأهل البيت إن كانت هي الأخرى من المستقيمات، والمتقييدات بالأحكام الشرعية، والحجاب، فيُخصَّص لهما الأب مكاناً منعزلاً في المنزل.

(*) انظر: الفصل الخامس، المبحث الأول، الفقرة (أولاً)، (١)، لمعرفة خطورة بعض الخدم المنحرفين على الأولاد.

(**) انظر: الفصل الخامس، المبحث السادس، لمعرفة خطر الخادمة الأجنبية على الولد، وضوابط اختيار الخادمة المناسبة.

سابعاً: آداب الطريق :

يطلب دين الإسلام أفراده المسلمين بأن يلتزموا في سلوكهم تجاه بعضهم البعض بآداب وأخلاق رفيعة، مع التحذير من الشحناء والبغضاء، والإيذاء، والتكبر الافتخار، وغير ذلك من ذميم الأخلاق. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(١)، فتشير الآيتان الكريمتان إلى آداب عامة مع الناس في حسن المخاطبة، وترك الكبر، واحتقار الناس، والأمر بالتوسط في السير، وخفض الصوت بقدر الحاجة، وذلك ليعيش الناس في جو من الأناقة بعيداً عن التوتر والبغض، الذي يقع في النفوس من جراء الاتصاف بهذه الصفات المذمومة.

وفي هذا المجال يقول عليه الصلاة والسلام لأبي ذر: «يا أبا ذر اتق الله حيث كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٢). أي عاملهم معاملة طيبة ولا تُسيء إليهم بقول أو فعل.

وهذه التوجيهات الخلقية المباركة يجب أن تجد لها متنفساً اجتماعياً واقعياً تمارس فيه، فالأخلاق لا يمكن أن تكون تصورات ذهنية لا واقع لها ولا تطبيق، فإنها بذلك تتفلت وتندثر، ولا يمكن أن تثبت إلا بالممارسة والمداومة عليها.

لهذا كان لزاماً على الأب أن يوجه ولده إلى هذه الآداب، والكليات الخلقية، ويهيئ له فرصة عملية للممارسة والتطبيق، لترسيخ المفاهيم، ولتنصيح خلقاً في النفس لا تنفك عنه ولا تنفصل، فالطريق، وأماكن تجمعات الناس يمكن أن تمارس فيها كثير من هذه الأخلاق والآداب. فإذا كان الأب

(١) لقمان ١٨ - ١٩.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الإيمان، ج ١، ص ٥٤. والحديث صحيح.

مع الولد في الطريق وشاهد فقيراً رث الثياب، حافي القدمين، تظهر عليه علامات المسكنة والضعف، هنا يسأل الأب ولده - بعد أن يلتفت نظره إلى هذا المسكين - ويقول له: «ما رأيك يا ولدي في هذا الرجل؟»، فيجيبه الولد: «هذا رجل فقير وسخ الثياب»، فيقول له الأب: «أما تعلم يا ولدي أن رسول الله ﷺ قال: «رب أشعث مدفوع بالأبواب، ولو أقسم على الله لأبره»!!^(١)، يا بني ما يدريك أن هذا الفقير له عند الله منزلة عظيمة، وما يدريك أنه لو سأل الله شيئاً لا استجاب له!!»

هذا الأسلوب التوجيهي للولد يعلمه عدم احتقار غيره، حتى وإن كان من الخاملين الضعفاء، ويعلمه أيضاً أن الميزان عند الله التقوى والإخلاص، لا المظهر وحسن الثياب، كما أن تفضيل الناس بعضهم على بعض غيب لا يعلمه إلا الله .

ويُعلم الوالد ابنه الدعاء المأثور عن النبي ﷺ عند رؤية المصابين بالعايات، مثل: الأعمى، والأعرج، والمريض، وغيرهم، فإن شاهداً مصاباً، أو مبتلياً ذكّر ولده بالدعاء الذي يقول فيه الرسول ﷺ: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً»^(٢)، ويطلب منه ترديده ليحس الولد بنعمة الله عليه وفضله، بأن جعله سويّاً في خلقه، معافئاً في بدنه وصحته .

وأكثر الأطفال يهابون القرب من المصابين بالعايات خوفاً منهم، فلو حاول الأب أن يثبت لولده أنه لا داعي لهذا الخوف فقد أحسن، ويمكن تطبيق هذا عن طريق القرب من أحدهم ومصافحته أو حمله في السيارة ليصل إلى بيته، فيرى الولد أنه لا داعي للخوف منهم، بل يجب العطف عليهم، ومواساتهم وتقديم العون لهم قدر الإمكان .

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين، حديث رقم (١٣٨)، ج ٤، ص ٢٠٢٤ .

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلياً، حديث رقم (٣٤٣٢)، ج ٥، ص ٤٩٤ . والحديث غريب .

وللسلام منزلة مرموقة في الإسلام، فهي شعار خير، وتأليف للقلوب، ونشر للمحبة، خاصة وقد جاء الأمر من الله سبحانه وتعالى ببرد السلام حيث قال: ﴿وَإِذَا جِئْتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(١)، فإذا سلّم المسلم وجب رد السلام عليه بمثل ما قال أو يزيد، فإن إلقاء السلام سنة مستحبة، أما رده ففريضة واجبة^(٢).

ويؤدب الأب ولده ويعلمه هذه السنة المباركة، فإذا شاهد الكبير أمره بالسلام عليه، وإذا مر بالقاعد أو الجمع من الناس أمره بالسلام عليهم، ويكون الأب نفسه قدوة في ذلك، يحرص على إلقاء السلام ورده متأدباً مع الكبير والقاعد والجمع الكثير، فيبدأهم بالسلام، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام منظمًا لهذه السنة، وواضعًا أصولها وآدابها: «يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير»^(٣)، ويحاول الأب أن يرغب ولده في السلام عن طريق تعريفه بأن السلام طريق الجنة وأن له بالسلام أجراً عند الله تعالى.

ومن آداب الطريق البسيطة والميسرة، والتي رتب عليها هذا الدين أجراً كبيراً، قضية إزالة الأذى عن طريق المسلمين، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخذه فشكر الله له فغفر له»^(٤). إن هذا العمل في ظاهره بسيط وسهل ولكنه يدل على تلك النفس الطيبة الزكية التي تحب لغيرها من المسلمين ما تحبه لها، فإفراط ما يؤدي المسلمين عن الطريق يدل على حبهم، والسعي في خيرهم، وتجنبيهم ما يضرهم، لهذا كان أجر هذا المحسن كبيراً عند الله تعالى.

وهذا التوجيه النبوي المبارك يمكن أن يتعلمه الولد عن طريق التوجيه

(١) النساء ٨٦.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٥٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم الصغير على الكبير، ج ٨، ص ٦٤.

(٤) المصدر السابق، في المظالم والغصب، باب من أخذ الغصن وما يؤدي الناس في الطريق فرمى به، ج ٣، ص ١٧٧.

المباشر من الأب، بالإضافة إلى المشاهدة والقُدوة. فإذا شاهد الأب شيئاً يمكن أن يؤذي المارة من حجر أو قشرة موز، أو قطعة خشب، أو غير ذلك أزالها من الطريق وأمر ولده بذلك، وإذا كان في سيارته وشاهد سقوط حجر أو غصن شجرة من سيارة النفايات وخشي سقوط كميات أخرى على الطريق لحق بقائد السيارة وأشعره بذلك، فإن لم يتمكن من اللحاق به أوقف سيارته ونزل هو والولد وحملا الغصن أو الأحجار عن الطريق، موضحاً لولده أن هذا واجب المسلم، وأن الأجر عند الله على ذلك المغفرة والجنة، وبهذا العمل البسيط يتعلم الولد درساً عظيماً في معاني الأخوة وحب المسلمين.

وفي هذا المجال يحذر الأب كل الحذر من إلقاء النفايات في الشارع، أياً كانت صغيرة أو كبيرة، فإن كان في البيت وضعت النفايات في الأوعية المخصصة لذلك، وإن كان في السيارة وضعت النفايات في أكياس صغيرة ثم تلقى في الأماكن المخصصة لها، وإن كان يسير على الأقدام وضعها في جيبه. وهكذا لا يلقي شيئاً أمام الولد في أي مكان، فإن فعل خطأ وشاهده الولد سارع بالاعتذار بالنسيان والخطأ. والأب إن لم يفعل هذا ويحتاط، ويكون قدوة في هذا المجال، فإن كل ما بناه في ذهن الولد نظرياً من آداب الطريق والمحافظة على نظافته، يمكن أن يهدم بواقعة واحدة من أخطاء الأب في التطبيق العملي.

وربما يخطيء الولد في بعض الأحيان - بعد التوجيه والبيان - ويتغافل عن هذه الآداب. فإن حصل أن رمى بشيء من نافذة البيت، أمر بإعادته، وإن رمى بشيء من السيارة في الطريق العام أعاد الأب السيارة إلى الموقع وأمره بإعادة ما رمى. هذه الدروس - وإن كان فيها بعض العنت على الأب - إذا تلقاها الولد مرة أو مرتين فإنه لن يتجراً بعد ذلك ولن يتهاون في هذا الأدب الإسلامي الرفيع.

وحول آداب الطريق يُعلّم الأب ولده الأسلوب الصحيح في اجتياز الشارع، إذ أن كثيراً من الآباء يغفلون هذا الجانب الهام فيما يتعلق بالطريق. وإن جهل الولد بهذه المعرفة، وعدم تدريبه عليها ربما كلف ذلك حياة الولد،

أو إصابته إصابة لن يبرأ بعدها. فإن حوادث السيارات في العادة عنيفة، ونتائجها قاسية خطيرة؛ لهذا يدرّب الأب الولد على حسن اجتياز الشارع، ويدربه على فهم رموز وألوان إشارات المرور، وكيف يستخدمها.

أما ما يتعلق بالسلبات التي يمكن أن تؤثر على الولد في طريقه، وما يشاهده في الشارع، فإن العالم الإسلامي اليوم قد خالطه كثير من الشر والانحراف، فكثير من البلاد الإسلامية امتلأت شوارعها بالنساء المتبرجات، ومحلات الخمور وبيوت الدعارة، وأماكن اللهو المحرم من المراقص والنوادي الليلية، وشواطئ العري، وغيرها من مظاهر الانحراف، إلى جانب منكرات القول، وسوء الألفاظ، والغيبة، والنميمة، والغش، وترك الصلاة في المساجد، وغير ذلك. هذه المنكرات والمسالب لا بد للأب المسلم أن يكون له مع ولده موقف واضح منها؛ إذ أن الولد يسمع من أبيه كلاماً جميلاً عن الإسلام وآدابه، وحسن السيرة والمعاملة، فإذا خرج إلى الشارع وجد تناقضاً تاماً بين ما يسمع وما يرى، فلو قُدِّر أن عاش الولد فترة من الزمن على هذا الحال دون توضيح أو إرشاد من المربي، وقع في نفسه جواز مخالفة القول للعمل، وأن هذه المثاليات التي تقال ليست للتطبيق في الشارع، وأن هؤلاء الناس ليسوا مطالبين بهذه الآداب والأحكام الشرعية. وهذا التصور المنحرف إن وقع في نفس الولد كان كافياً لانحرافه بالكلية وضياع جهد التربية والتعليم، وما هلك أكثر المسلمين وضلوا إلا لمخالفة أقوالهم ومعتقداتهم لواقع حياتهم وأفعالهم.

والحل في هذه القضية لا يكون بعزل الولد عن المجتمع بالكلية، فهذا أمر لا طائل وراءه، ولا يمكن تحقيقه، وليس هو بالحل السليم، حتى وإن أمكن تحقيقه (*). ولكن الذي يطالب به الأب ويسعى لتحقيقه هو: حماية الولد من تأثير الشارع قدر المستطاع، وفي حدود الإمكانيات البشرية المتاحة، دون تكلف أو تفريط، فيحاول دائماً تعريف الولد بالنماذج الصالحة التي يصادفها في الطريق، وتعريفه أيضاً بالنماذج المنحرفة التي يراها، ويعلمه

(* راجع الفقرة (خامساً) من هذا المبحث لمعرفة الحل المقترح لهذه القضية.

ويدربه على ذلك بالتكرار حتى تصبح لديه القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، وبيّن من يُمثل الإسلام واقعاً في حياته، وبيّن المُفَرِّط المسيء، ويحاول أن يغسل ما يقع في ذهن الولد من تصورات، أو أفكار منحرفة، أو شبهة مما تلقىه الجاهلية في داخل المجتمع المسلم، فيرد على هذه الشبهات، ويرد تلك التصورات الخاطئة مستعيناً في كل هذا بقوة الله وعونه، ومتمبرئاً من حوله وقوته، فإن هذه المهمة الشاقة لا يقدر عليها إلا من وفقه الله تعالى، وأراد به وبذريته الخير^(١).

ثامناً: آداب المجلس:

كما أن للطريق آدابه فإن للمجلس أيضاً آداباً وأخلاقيات ينبغي مراعاتها والاعتناء بها، وذلك لينشأ الأولاد متشبعين بالخلق الحسن والأسلوب الرفيع، فما أن يكبروا إلا ويقبل عليهم الناس محبة فيهم، وأنساً بقربهم، ورغبة في مخالطتهم.

ومن أهم هذه الآداب: حسن الضيافة والاستقبال، فإن كثيراً من الأولاد الكبار لا يحسنون استقبال الضيف، أو التفاهم معه، ومعرفة طلبه، وذلك لأنهم لم يتدربوا عملياً على هذا السلوك. والواجب على الأب المسلم أن يُعرّف أولاده كيفية استقبال الضيوف، وكيف يكلمونهم، وبأي أسلوب يحدثونهم، وذلك تحقيقاً لأمر رسول الله ﷺ إذ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٢). وهذا يبدأ نظرياً بالبيان والتعليم، ثم يمارس عملياً، فيترك الأب للولد فرصة لتطبيق ما أرشده إليه في هذا المجال، فإن كان الأب في انتظار شخص ما، أو قريب ما، أو كل إلى الولد استقباله بعد أن يكون قد عرفه الأسلوب الحسن والطريقة المثلى في ذلك، مع إرشاده إلى المكان المراد استقبال الضيف فيه.

ويحاول الأب أن يراقب الولد عن كثب؛ ليعرف مدى نجاحه في

(١) انظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٨٢ - ١٩٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ج ٨، ص ٣٩.

التطبيق، ويرشده إلى الأخطاء التي عملها إن وجدت مع مكافأته. وبهذا الأسلوب يتدرب الولد على مخالطة الناس، وتتكون لديه القدرة على التفاهم والجرأة، فلا يهاب الغريب، ولا يخجل من الضيف.

كما يُؤليه أمر خدمة الضيف من تقديم المرطبات والماء، أو الأكل، أو مساعدته للوصول إلى دورة المياه، وغير ذلك من الخدمات. ولا ينبغي أن يفهم الأب من ذلك أنها مهانة للطفل، أو تحقير له، أو هضم لحقوقه وإلغاء لشخصيته، بل يجب أن يعرف أن هذا هو نهج خير الخلائق محمد ﷺ فقد كان يقوم بنفسه أحياناً فيخدم الضيوف وذلك مع جلالته قدره وعظيم منزلته ومكانته، وكذلك نبي الله إبراهيم عليه السلام(*).

ويعود الأب ولده أدب المجلس فإذا حضر الكبار استمع إلى حديثهم، فلا يتكلم إلا إذا طلب منه^(١)، وهذا نهج أبناء الصحابة إذا حضروا مجالس الكبار، فقد روى البخاري في صحيحه أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم توتي أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها فوقع في نفسي النخلة فكرهت أن أتكلم ثم أبو بكر وعمر^(٢)». ويظهر من هذه الرواية أدب الصغير في مجالس الكبار، فلا يتكلم إلا عند الحاجة وإذا طلب منه، وهذا الأدب يُعلمه الأب لولده، وينبهه عليه، فلا يكثر الكلام واللغظ في المجلس، فهذا من قلة الحياء.

ومن آداب المجلس أيضاً تعويد الولد وتدريبه على آداب العطاس والتثاؤب، فإن الولد إن لم يتعلم تلك الآداب والسنن، ويتدرب عليها ربما فتح فاه أمام الناس داخل المجلس بصورة قبيحة، وربما عطس أو سعل في وجه أحد الجالسين فأصاب بعضهم من الرذاذ المتطاير إلى جانب رفع

(*) راجع سورة هود ٦٩ - ٧٠، وسورة الذاريات ٢٤ - ٢٧.

(١) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٧٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير وابدأ الأكبر بالكلام والسؤال، ج ٨، ص ٤٢.

الصوت بتركه تخمير وجهه، وهذا لا شك من سوء الأدب، وقبح التصرف. والولد لا يُعاتب في ذلك إن لم يكن قد أدب ووجه إلى الأسلوب الصحيح عندما تعتره هذه الأحوال البشرية الطبيعية، إنما يُعاتب المرابي. والسنة في العطاس هي تغطية الوجه باليد، أو بالثوب، أو نحوهما، وذلك لما روى عن رسول الله ﷺ أنه «كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته»^(١). والأفضل هو تغطية الوجه عند العطاس بمنديل، إن وجد، أو بالثوب، أما باليد فلا يفعله إلا إذا عدم المنديل، أو لم يتمكن من وضع ثوبه على وجهه وذلك لأنه يخرج مع العطاس عادة رذاذ ومخاط فلا يكون لائقاً أن يصيب يده ثم يمسحه في ثوبه، أو في الأرض، ثم يصافح الداخلين إلى المجلس، والأليق هو تعويد الولد على حمل المنديل في الجيب فإن احتاج إليه أخرجته وتنظف به.

ويُعود الولد على كظم صوته عند العطاس ولا يلفت الأنظار إليه لشدة الصوت الذي يخرج، ويُعلم حمد الله بعده، ويُذكَر إذا نسي كأن يُنظر إليه، أو يقول له الأب: «ماذا يقول المسلم إذا عطس؟»، وهكذا حتى يتعود على هذا الأدب ولا ينساه.

أما التثاؤب فهو مكروه، ومن فعل الشيطان، والأدب الإسلامي في ذلك هو ما جاء عن رسول الله ﷺ في هذا الشأن حيث قال: «التثاؤب من الشيطان، فإذا تئأب أحدكم فليكظم ما استطاع»^(٢)، وذلك لأن التثاؤب من الكسل وثقل البدن، والميل إلى الاسترخاء، وهو يعكس العطاس الذي يدل على النشاط والخفة، وقد ذكر العلماء سبب تغطية الوجه ووضع اليد على الفم ذلك لئلا يضحك الشيطان من الإنسان بتشويه صورته ودخوله في فمه^(٣). وهذا الأدب يلزم به الأب ولده بالتكرار والتنبيه، مع إفهام الولد أن

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس، حديث رقم (٢٧٤٥)، ج ٥، ص ٨٦.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب تسميت العاطس وكراهة التثاؤب، حديث رقم (٥٦)، ج ٤، ص ٢٢٩٣.

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٨، ص ١٢٢-١٢٣.

التشاؤب من الشيطان، وأنه يضحك عليه إن تئاب ولم يغط فمه، ويحاول الأب أن يريه شكل المثناب الذي لا يتأدب بهذا الأدب النبوي الرفيع، كيف أن فاه قد فتح بصورة بشعة تدل على خفة العقل وبساطته، فيرشده إلى النظر في المرآة، وكيف أن المثناب قبيح المنظر بشع الصورة، وبذلك ينفر الولد من هذا السلوك، ويعتاد ذلك الأدب.

ومن آداب المجلس أيضاً شكر المضيف والدعاء له فإنه «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١)، فشكر الناس على حسن صنيعهم مهم ومطلوب. وهذا الأدب يُعوّده الأب ولده عن طريق القدوة والتوجيه، فيأمره قبل الانصراف من المجلس أن يقول لصاحب البيت: «جزاك الله خيراً»، أو نحو ذلك من عبارات الدعاء والثناء، فيتعلم الولد أدب التعامل مع الناس، ويخفض الجناح، وتقدير المعروف، ورده لأصحابه.

ويذكر الإمام الغزالي رحمه الله بعض الآداب التي ينبغي للأب تعويد ولده عليها وإلزامه بها في المجلس، فيقول: «وينبغي أن يعود ألا يبصق في مجلسه، ولا يمتخط، ولا يتئاب بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره، ولا يضع رجلاً على رجل، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل، ويُعلم كيفية الجلوس، ويُمنع لغو الكلام وفحشه»^(٢). وهذه الآداب التي ذكرها الغزالي رحمه الله لو تمكن الأب من تعويد ولده عليها لكان الولد وأبوه قدوة حسنة لغيرهم، ونموذجاً إسلامياً يُحتذى.

وعندما يدعى الأب وابنه إلى وليمة، أو عشاء، أو نحو ذلك يحاول قدر المستطاع أن يلصق ابنه به، ولا يترك بينهما فرجة لإمكانية جلوس أحد بينهما، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس»^(٣). ولعل السبب أن هذا يحزن الولد وأباه، كما أن هذا

(١) البخاري، الأدب المفرد، باب من لم يشكر الناس، حديث رقم (٢١٨)، ص ٨٨.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٧٠ - ٧١.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الآداب، باب لا يجلس بين الرجل وولده،

ج ٨، ص ٦٤.

التفريق بين الأب وولده في المجلس يحرم الأب فرصة مناسبة لتوجيه الولد عند صدور خطأ منه، أو سوء تصرف في المجلس، خاصة إذا كان الولد صغيراً، كما أن هذا التصرف من الجالس بين الأب وولده يعد من سوء الأدب إن كان عالماً بذلك، وعلى الأب أن يمنعه من هذا المجلس بحسن التصرف، ومن أفضل الوسائل عدم ترك فرجة بينه وبين ولده.

ولا ينسى الأب تحفيظ ولده الدعاء المأثور عند ختام المجلس وقوله عليه الصلاة والسلام: «من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»^(١)، وهذا التعويد يكون بالقدوة، فلا يقوم الأب من مجلس في البيت أو غيره إلا ويقول هذا الدعاء، رافعاً به صوته ليتعلمه الولد ويقتدي بأبيه، فإن نسي الولد ذكره.

ولا بد من ملاطفة الأولاد في المجلس، خاصة الصغار منهم، وعدم تحقيرهم، أو طردهم من المجلس، فقد كان بعض الأطفال الصغار يحضرون مجلس الرسول ﷺ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يعطف عليهم، ويدخل عليهم السرور بإعطائهم ما يحضره من فاكهة وغيرها عندما يؤتى بها في أول الثمر والإنتاج^(٢). والأب يقتدي في هذا بالرسول ﷺ، فيحسن على الأولاد في المجلس، ويعطيهم من الطعام والفاكهة والحلوى ما يفرحهم ويدخل عليهم الأناج والسرور، ولا يمنعهم من الجلوس مع الكبار.

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، حديث رقم (٣٤٣٣)، ج ٥، ص ٤٩٤. والحديث حسن غريب صحيح.

(٢) انظر: المصدر السابق، باب ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر، حديث رقم (٣٤٥٤)، ج ٥، ص ٥٠٦. والحديث حسن صحيح.

المبحث الخامس

الأخلاق مع غير المسلمين

أولاً: الولاء والبراء

ثانياً: الاختلاط بالكفار

ثالثاً: التشبه بالكفار

رابعاً: التعريف بكيد الكفار

خامساً: التعامل مع المرتدين

سادساً: الدعوة إلى الله

المبحث الخامس الأخلاق مع غير المسلمين

ينظم الإسلام حياة المسلم في جميع الشؤون ويحدد له طبيعة السلوك الذي ينتهجه مع غيره من الناس، فكما أنه يضع للمسلم الأصول الخلقية والآداب الاجتماعية في تعامله مع أبناء دينه من المسلمين، فإنه أيضاً يضع معالم الأخلاق وأسلوب التعامل مع غير المسلمين من أهل الكتاب، والمرتدين، وغيرهم، فيحدد الإسلام القنوات والمجالات التي يمكن أن يتعامل من خلالها المسلم مع من يخالفه في العقيدة والدين.

ولا شك أن الأب المسلم في حاجة لمعرفة هذه الأخلاق والسلوكيات التي ينبغي أن يبثها في نفوس أولاده تجاه غير المسلمين من الطوائف المختلفة التي قد اختلطت بالمسلمين في معظم بلادهم، وأصبح وجودهم لا يخفى على أحد.

وفيما يلي من خلال هذا المبحث نستعرض بعض الأخلاق والتصورات التي يقدمها الأب لولده، وكيف يدربه على النهج الصحيح، والأسلوب الأمثل في التعامل مع غير المسلمين.

أولاً: الولاء والبراء:

إن من أعظم مظاهر الإيمان بالله وبرسوله والانقياد لهذا الدين تحقيق معاني الولاء والبراء ومتطلباتهما من الحب في الله، والبغض في الله. وقد تضمن القرآن الكريم، والسنة المطهرة توجيهات مباركة حول هذا الأصل العظيم من أصول الدين الحنيف، ومن هذه التوجيهات قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وقول

(١) النساء ١٤٤.

الله تعالى في حق أهل الكتاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (١) هاتان الآيتان، وغيرهما كثير توجبان على المؤمنين معاداة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وتوجبان أيضاً بغضهم وكرههم، وتحذر من موالاتهم والركون إليهم، فإن هذا الدين يدور حول هذا المعنى من الحب والبغض، وإلى ذلك أشار عليه الصلاة والسلام حيث قال: «وهل الدين إلا الحب والبغض» (٢).

والولاية هي ضد العداوة، وأصلها المحبة والقرب، أما العداوة فأصلها البغض والبعد (٣)، لهذا فإن تحقيق التوحيد هو: «البراءة من الشرك وأهله واعتزالهم والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم» (٤)، ومن جهة أخرى حب المؤمنين وموالاتهم. فمن زعم الإيمان، ومحبة الله عز وجل، ومحبة رسوله ﷺ، طولب ببغض الكفار، وحب المسلمين، فإن من أحب لسبب لا بد أن يبغض لضده، وفي هذا يقول الإمام الغزالي رحمه الله: «إن كل من يحب في الله لا بد أن يبغض في الله... ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لضده، وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر» (٥).

وإذا علم هذا المبدأ العظيم، وعُرفت معالمه وحدوده، فإنه لا بد أن تتأصل في النشء الجديد معانيه ومتطلباته، وهذا دور الآباء الذين يدركون أهمية هذه القضية وأبعادها، وخطر التفريط في تحقيق متطلباتها وشروطها.

وقد تفتن أعداء الإسلام من المنصرين وغيرهم، إلى خطورة هذا المبدأ الإسلامي العظيم، فحاولوا جاهدين إشعار المسلمين أن النصارى ليسوا أعداء لهم، وأنهم يمكن أن يكونوا أصدقاء لهم (٦). وبالغش والخداع

(١) المائدة ٥١.

(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر، ج ٢، ص ٢٩١. والحديث صحيح الإسناد وخالف ذلك الذهبي.

(٣) ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٦.

(٤) آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٤٧.

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ١٥١.

(٦) انظر: شاتليه، أ. ل.، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٢٩.

يمكن أن يقتنع البسطاء من المسلمين الذين لم يدركوا أهداف أعداء الإسلام، ولم يدركوا مفاهيم دين الإسلام وبديهياته. ولا شك أن هذا يعود سببه إلى انحراف منهج التربية الذي تلقوه منذ الصغر ونشؤوا عليه.

لهذا فإن تعريف الولد بمن يجب عليه حبه، ومن يجب عليه بغضهم من خلال آيات الله في كتابه الكريم، ومن خلال السنة المطهرة، والواقع الذي يعيشه الكفار يعتبر هو الطريق الوحيد والأمثل لتركييز هذه المعاني في نفس الولد.

ويتحقق هذا من خلال تعريف الولد بأحوالهم، وما هم عليه من الشرك، إذ أنهم يعبدون مع الله غيره، وينسبون إليه الولد والشريك، ويقولون على الله الكذب. وفي بيان هذا الموضوع يحاول الأب أن يعرض على ولده تلك الآيات وبعض الأحاديث في هذا الجانب، مع شرح وجيز لها ليقف الولد على حقيقة هذا الأمر ويدركه إدراكاً جيداً.

ويضيف الأب في هذا الجانب تعريف الولد بمظاهر انحراف الكفار في السلوك، والأخلاق، والآداب العامة، فيبين له ما هم عليه من التفكك الأسري، وكيف أن الأب الكافر لا يحب أولاده؛ بل يبغضهم ويطردهم، وكيف أن الأب المسلم على عكس ذلك يحب أولاده، ويرعاهم، ويقدمهم على نفسه، ويحافظ عليهم. ويشير أيضاً إلى انحرافاتهم في الجانب السلوكي وانتشار الفواحش بينهم، وشرب الخمر، وتسلب بعضهم على بعض، وكثرة السرقات بينهم، وغير ذلك من أعمالهم ومخازيهم حتى يقع في نفس الولد كرههم وبغضهم وعداوتهم*).

ومن خلال القصص ينقل الأب إلى ولده صورة حية لطبيعة عداوتهم للمسلمين وانحرافهم، ومن هذه القصص ما ورد في سيرة الرسول ﷺ مع

(*) انظر: ما كتبه الشيخ أبو الأعلى المودودي عن واقع الانحرافات والضياع الذي يعيشه الغرب وذلك في كتابه «الحجاب» ص ٦٦ - ١٢٩، وانظر أيضاً ما كتبه الأستاذ مختار خليل المسلاتي في كتابه «أمريكا كما رأيتها» ص ٩٩ - ٢٤٦، وانظر أيضاً كتاب «أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب» للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.

اليهود، وكيف أنهم خانوه وأذوه وتأمروا على قتله، رغم العهود والمواثيق، ففي هذه القصص كفاية لإظهار قبيح طبعهم وخسة نفوسهم.

ولا يغفل الأب عن تعريف الولد ببغض الله لهم وأنهم أعداؤه، وأن أوليائه هم المتقون، الذين يقومون على حدود الله، يفعلون ما أمروا به، ويتنهيون عن المحرمات. ويصف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أولياء الله وأعداءه، فيقول: «أولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا على المقدور، فأحبهم وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه، وأعداؤه أولياء الشيطان، وإن كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ويبغض عليهم ويلعنهم ويعاديهم»^(١)، وبهذا البيان من شيخ الإسلام يتضح الميزان الذي يقيس ويفرق بين أولياء الله وأعدائه، فمن قام على حدود الله وعمل بالأوامر وانتهى عن المنهيات والمحرمات كان من أولياء الله، ومن وقع في الشرك والمحرمات وخالف المأمورات فهو من أعداء الله الذين يلعنهم ويبغضهم.

وهذا الحب للطاعات وأهلها، والبغض للمحرمات وأهلها لا بد من وجوده في قلب المسلم، فإنه بقدر ما يضعف الحب والبغض في القلب بقدر ما يضعف الإيمان ويضمحل، ويحدد هذا المفهوم ويشرحه ابن تيمية فيقول: «وكذلك من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي يوجبه الله عليه، فإن لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً»^(٢).

وإذا عرف الأب خطورة هذه القضية، وأهمية الحب والبغض، وأنها من الإيمان وجب عليه أن يجاهد في توعية ولده بهذه المسألة، وأن يركز في نفسه وقلبه حب الخير وأهله، وبغض الشر وأهله، مستغلاً كل الوسائل المشروعة في هذا المجال.

(١) ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ١٢٠.

(٢) ابن تيمية، كتاب الإيمان، ص ٥٨.

ثانياً: الاختلاط بالكفار:

ومن مستلزمات الولاء والبراء ترك الاختلاط بالكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، إذ أن كثرة الاختلاط بهم، ورؤيتهم الدائمة، خاصة في هذه العصر حيث يتسبب أكثرهم إلى دول كبرى تعتبر في عرف بعض الناس منارة للحضارة، ومثالاً رائعاً للتقدم الصحيح، يعتبر خطراً كبيراً على العقيدة والإيمان، إذ تزول بالتدرج تلك النفرة منهم، وتصبح رؤيتهم أمراً طبيعياً لا يستنكر، وربما تطور الحال حتى يقرأوا على ما هم عليه من الشرك والكفر، فلا يستنكر ذلك منهم.

والناظر في أحوال المسلمين اليوم ودخول هذا العدد الهائل من الكفار إلى بلاد المسلمين، خاصة من نصارى أوروبا وأمريكا، واختلاطهم بالمسلمين، واستحواذهم على بعض مراكز القوى في البلاد، وتمتعهم بمميزات فائقة في أكثر المجالات، مثل رفاهية المسكن، والمركب، وارتفاع المخصصات الشهرية، والظهور أمام المسلمين بأحسن هيئة وقد ارتسمت على وجوههم الابتسامات، إلى جانب استخدامهم اللطافة في تعاملهم مع المسلمين مكرماً منهم ودهاء، هذا الوضع بهذه الصورة يضعف في النفوس بغضهم، بل ربما أوقع في النفوس حبهم، واحترامهم، وتقديمتهم، رغم ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من وجوب الاستعلاء عليهم وعدم ابتدائهم حتى بالسلام حيث قال: «لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه»^(١)، وقد ذهب جمهور علماء الأمة إلى عدم جواز ابتدائهم بالسلام^(٢)، فإن احتاج المسلم إلى ابتدائهم بالتحية قال «أنعم الله صباحك» أو نحو ذلك^(٣). أما لفظ السلام الذي هو اسم من أسماء الله عز وجل فلا يكون إلا للمسلمين إخوان العقيدة والدين. فإذا كان حكم

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب السير، باب ما جاء في التسليم على أهل الكتاب، حديث

رقم (١٦٠٢)، ج ٤، ص ١٥٤.

(٢) سابق، السيد، إسلامنا، ص ٢٥٦.

(٣) الوصافي، البركة في فضل السعي والحركة، ص ١٩٤.

السلام عليهم محظوراً، فكيف بحبهم وتقديمهم على المسلمين؟.

ولا شك أن الأب المسلم يواجه في تحقيق هذه القضية وهذا المبدأ الإسلامي العظيم صعوبة، خاصة بعد انتشارهم في البلاد، فلا يكاد يوجد بلد إسلامي إلا فيه أناس من غير المسلمين يعيشون في بحبوحة تفوق حياة أكثر عامة المسلمين. ورغم هذه الظروف الصعبة فإن الأب لا يعنى من القيام بالمسؤولية، بل عليه أن يضاعف الجهد، ويزيد العطاء ليواجه هذا الضغط الاجتماعي الرهيب على نفس الولد، ويتنهج في ذلك الأساليب والوسائل المتيسرة، ومن أهم هذه الوسائل: اختيار المسكن، فلا يسكن في الأحياء التي يكثر فيها النصارى، أو الكفار، ولا يجاورهم، ولا يأخذ ولده إلى الأماكن التي يشاهدون فيها، مثل الشواطئ، والأسواق، وبعض الإدارات، والمصانع، والورش، فإن حدث أن اضطر الأب لمجاورتهم ومخالطتهم كأن يلتقي بهم في الطائرة، أو في مكان ما، فإن ظهوره أمام الولد بمظهر المستعلي بإيمانه لا يأبه بهم ولا يكثر لوجودهم: يعد أمراً مهماً، مع تعريف الولد بهم، وإشعاره أن هؤلاء ليسوا من المسلمين؛ لتحصل له القدرة على التمييز بينهم وبين المسلمين، خاصة وأن بعض المسلمين تشبه بهم، وأصبح من الصعب التمييز بينهم. وإن سنحت الفرصة للحديث مع أحدهم، كان حديثه معه يدور حول دعوته إلى الإسلام، وتعريفه به، ولا يكون حديثه معه من باب التفكه، أو الملاطفة، فإن هذا يوقع في نفس الولد الاختلال بين الجانب النظري الذي تلقاه من والده، وبين الجانب السلوكي التطبيقي الذي يشاهده أمامه من ملاطفتهم ومجاراتهم، ولا يعني هذا شتمهم أو تقييحهم أو الإساءة إليهم فإن لهم على المسلم حق العدل والمعاملة الحسنة في الحدود الشرعية(*).

وقضية أخرى تعد من أخطر القضايا في هذا المجال وهي قضية السفر إلى بلاد الكفار، فهي أخطر بكثير من مجرد الاحتكاك بهم في بلاد

(*) انظر: في هذا المبحث الفقرة (سادساً) لمعرفة حدود التعامل مع الكفار ودعوتهم إلى الإسلام.

المسلمين، إذ تضعف سلطة المسلم في تلك البلاد، وربما تزول بالكلية. وهنا لا بد أن تكون للأب المسلم وقفة صارمة قوية في هذه القضية؛ إذ أن كل ما يمكن أن يقال للطفل من وجوب بغض الكفار، ومحاربتهم، وغير ذلك من معاني الولاء والبراء؛ كل هذا يمكن أن يزول بمجرد قرار الأب السفر للتنزه في دولة من دول الكفر؛ إذ يعيش الولد حالة من الصراع النفسي بين ما يسمعه من التوجيهات، وبين ما يعيشه من المخالفات. ولا شك أن الجانب العملي والواقع التطبيقي، أكثر تأثيراً في الولد من الجانب النظري الذي لا واقع له ولا تطبيق.

ولا يخفى على المسلم ما جاء عن رسول الله ﷺ في النهي عن العيش مع الكفار ومخالطتهم، ومن ذلك قوله: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»^(١)، وفي رواية قال: «لا تساكنا المشركين ولا تجمعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم»^(٢)، وفي رواية عند الطبراني في الكبير قال عليه الصلاة والسلام: «من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة»^(٣)، فهذه النصوص الزاجرة كفيلة بزجر الأب عن التفكير أصلاً في السفر إلى بلاد الكفار للتنزه وللفرجة. وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية في زمنه في القرن الثامن الهجري عن سفر الرجل بأهله للتنزه، وللفرجة في مكان يشاهد فيه المنكر ولا يستطيع إزالته؟ فأجاب رحمه الله بقوله: «ليس للإنسان أن يحضر الأماكن التي يشهد فيها المنكرات ولا يمكنه الإنكار؛ إلا لموجب شرعي مثل: أن يكون هناك أمر يحتاج إليه لمصلحة دينه أو دنياه لا بد فيه من حضوره، أو يكون مكرهاً، فأما حضوره لمجرد الفرجة، وإحضار امرأته تشاهد ذلك فهذا مما يقدح في عدالته ومروءته إذا أصر عليه»^(٤)، فلا يجوز - بناء على ما تقدم - أن يسافر الأب بالأولاد والأهل إلى هذه البلاد الكافرة التي

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، حديث رقم (١٦٠٤)، ج ٤، ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم (١٦٠٥)، ص ١٥٦.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم (٢٢٦١)، ج ٢، ص ٣٠٢.

(٤) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ٢٨، ص ٢٣٩.

يشاع فيها المنكر ولا يستطيع المسلم إزالته أو إنكاره. أما المضطر فإنه يجوز له بقدر الحاجة دون إفراط، ولا ينبغي له أخذ الأولاد إلا إذا لم يجد له بدأً من ذلك. وعليه قبل أن يقرر سفره المضطر إليه أن يسأل الثقات من علماء بلده عن جواز سفره هذا، وهل له أن يأخذ الأولاد أم لا؟ فإن حدود الاضطرار والضرورة لا يحددها الرجل لنفسه، بل يحددها الشرع من خلال اجتهاد العلماء الموثوق بدينهم وسيرتهم.

فإذا جاز له السفر هيأ الأولاد لذلك، وعرفهم أنه مضطر للسفر بهم، وأوضح لهم بصورة تقريبية أوضاع تلك البلاد، وأن المنكر فيها شائع، ويعطيهم وصفاً لبعض ما يمكن أن يشاهدوه هناك من الانحرافات، وذلك لئلا يصطدموا برؤية تلك الانحرافات الكبيرة فيتأثروا. وعليه قبل السفر أن يسأل الهيئات المختصة في بلده عن المساجد، والمراكز الإسلامية في تلك البلاد، ويتصل بهم قبل سفره ليهيئوا له المكان المناسب ويستقبلوه. وهناك يشغل أولاده بنشاطات تلك المراكز الإسلامية، ولقاءات الطلاب المسلمين فيها، مراعيًا أن يكون سكنه بجوار إحدى هذه المراكز، وبالقرب من العائلات المسلمة في تلك البلاد. وعليه أن يسارع بالعودة إذا انتهت مهمته ولا يطيل البقاء.

ثالثاً: التشبه بالكفار:

من المعروف والمسلم به أن الأمم المغلوبة على أمرها، والمهزومة في بلادها والمنكسرة في نفسها، تتشبه بالأمم المسيطرة وتقتدي بها، ويقرر هذه القضية ابن خلدون رحمه الله إذ يقول: «ترى المغلوب يتشبه أبدأً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه وفي اتخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله»^(١). وسبب ذلك يعود إلى عدم وجود ذلك الاستعلاء الإيماني الذي يعد أفضل عزاء للمسلم رغم انهزامه وسيطرة الكفار على بلاده، حيث يحجزه هذا

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١٠٢.

الإيمان ويعصمه من مسايرة الكفار، أو التشبه بهم، أو اتخاذهم قدوة ونبراساً.

وقد تواتر عن رسول الله ﷺ وجوب مخالفة المشركين من اليهود، والنصارى، والمجوس، وكل من هو على غير دين الإسلام في جميع الشؤون؛ تمييزاً للفئة المسلمة، وحفاظاً عليها من التميع، وإظهاراً لشعار الإسلام^(١).

ورغم ورود النصوص الواضحة في وجوب مخالفة المشركين وجد من بين المسلمين - إن لم يكن الأكثر - من يتشبه بالنصارى في أعيادهم ويحتفل هو وأولاده وأهل بيته بهذه الأعياد، كعيد رأس السنة الميلادية، أو عيد النيروز الفارسي^(*)، أو الاحتفال بأعياد الميلاد، وإشعال الشموع، وشراء الكعك، وجمع الأقارب والأهل في هذه المناسبات غير الشرعية. وقد كان من شروط الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل الذمة أن لا يظهروا شعائرهم وأعيادهم في بلاد المسلمين بل يخفوها، فكيف بمن فعلها من المسلمين، واحتفل بها، وأقامها؟ فإن هذا بلا شك أعظم جرماً وأكبر حرمة، بل ولا يجوز حتى إجابة الدعوة إليها وحضورها فضلاً عن إقامتها والانشراح بذلك وإظهار السرور والسعادة^(٢).

والأب المسلم يواجه في هذا الجانب، خاصة في أعياد الميلاد التي تحتفل بها بعض الأسر المسلمة، والتي يتهج بها الأطفال لسداجتهم وضعف

(١) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، حديث رقم (٥٤)، (٥٥)، ج ١، ص ٢٢٢.

الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجلوس قبل أن توضع، حديث رقم (١٠٢٠)، ج ٣، ص ٣٤٠. والحديث غريب.

أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، حديث رقم (٦٥٢)، ج ١، ص ١٧٦.

(*) هو عيد اليوم الجديد عند الفرس، ويوافق اليوم الأول من السنة الشمسية الإيرانية، انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩٦٢.

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ١٩٩ و ٢٢٧.

إدراكهم، يواجه الأب في ذلك ضغطاً اجتماعياً كبيراً، إذ يطالبه أولاده بأن يقيم لهم عيد ميلاد عند بلوغ أحدهم سن الخامسة، أو السابعة أو نحو ذلك، فيعيش الأب نوعاً من الصراع بين الاستجابة للأولاد وإدخال السرور عليهم، وبين شعوره بتأنيب الضمير وعلمه بأن هذا مخالف لمفاهيم الدين الإسلامي، وتشبهه بالكفار(*) .

والذي ينبغي للأب عمله هو أن يلتزم دينه وعقيدته ولا ييالي بالمخالفين وكثرة الهالكين، ويسعى جاهداً في إقناع أولاده بأن هذا مخالف للدين، وأن الله لا يحب ذلك. ويبدأ في استئصال هذه القضية من جذورها عن طريق إغفال وقت ولادة الطفل، وعدم الاهتمام بهذا الموعد وإعطائه هالة من الجلال والاهتمام. وإذا أحس الأب من ولده اهتماماً بموعد عيد ميلاده، أشغله في ذلك الموعد بقضايا جانبية سارة حتى يمر ذلك اليوم والولد غافل عنه ناسٍ له .

ومن أعظم الوسائل في كف الولد عن الاهتمام بهذا العيد المزعوم: عدم السماح له بحضور أعياد الميلاد التي تقيمها بعض الأسر عالمة أو جاهلة بحكمها، وبهذا لا يرى الطفل هذه الأعياد، وابتهاج الأطفال فيها، وحصولهم على الهدايا والألعاب المرغبة في إقامتها .

ولا يعني هذا أن يعيش الأب مع أولاده حالة من الرتابة دون تغيير أو تجديد، بل يسعى جاهداً في إدخال السرور على أولاده، وتعويضهم هذا. الأُنس في الأعياد المشروعة كعيد الأضحى، وعيد الفطر، وفي المناسبات الشرعية مثل عقود النكاح والزواجات وحفلات العقائق وغيرها، ولا يكتفي بذلك بل يقيم لهم حفلات في غير هذه المناسبات أيضاً دون تقيدها بزمن معين، ودون أن يكون لها أصل يهودي، أو نصراني، أو مجوسي؛ كأن يقيم حفلاً بمناسبة حفظ الولد للقرآن الكريم، أو لبعض أجزاءه، أو لإتمامه حفظ

(*) انظر: ما كتبه الأستاذ منير الغضبان عن بدعة أعياد الميلاد في كتابه «إليك أيتها الفتاة المسلمة»، ص ١٣١ - ١٣٤ .

«الأربعين النووية»، أو يقيم له حفلاً بمناسبة ابتداء قيامه بالتزام الصلاة في المسجد، أو يقيم الحفل لغير مناسبة مطلقاً كأن يطلب منه دعوة بعض زملائه وأقاربه من الأطفال لتناول طعام الغداء، أو العشاء، أو نحو ذلك، فيكون الأب بهذه الوسائل المتنوعة قد كفى ولده الاحتفالات المخالفة للشرع بالاحتفالات المباحة، أو المستحبة، ويحاول في هذه الاحتفالات أن يدخل عليهم المحبة والسرور، فيوسع عليهم في المأكل والمشرب، ويجلب لهم ما يشتهونه من أنواع الأطعمة والحلوى، مع مراعاة الاعتدال في الإنفاق، وتجنب التبذير والإسراف.

ولا يقتصر التشبه بالكفار على قضية الأعياد والاحتفالات، بل يدخل في قضية الملابس والهيئة أيضاً، إذ أن ما هو خاص بهم من الملابس لا يجوز ارتداؤه. كلبس القسيسة، أو الرهبان، كما لا يجوز لبس ما هو علامة لهم ودليل عليهم أو على بعض مشاهيرهم، كلبس القميص، أو ما يسمى «البنطلون» بطريقة معينة، وتفصيل معين، بحيث يعرف الرائي أن هذا اللبس للمغني الفلاني أو الراقص الفلاني، فهذا النوع لا يجوز لما فيه من التشبه والتقليد.

أما لبس «البنطلون» والقميص بالصورة المعتادة، مع مراعاة الشروط العامة لستر العورة فلا بأس به إن شاء الله، خاصة وأنه لم يعد من خصوصيات الكفار، ولا هو علامة لهم لشيوع لبسه بين المسلمين، فليس في لبسه تشبه بهم إذا روعيت الشروط العامة للباس^(١).

كما أنه لا يجوز أيضاً تقليدهم في طريقة تصفيف الشعر وقصه، فقد ابتلي بعض شباب المسلمين وافتتنوا ببعض الساقطين من المغنيين الغربيين وقلدوهم في قص الشعر واللبس، وهذا لا شك في حرمة وعدم جوازه.

وهذا الميل إلى التقليد الأعمى لهؤلاء المنحرفين من شباب أوروبا

(١) انظر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٦)، ص ١٢٤ - ١٢٥.

وأمریکا، وغيرهم ما كان ليحدث ويصدر من شباب المسلمين الذين افترض فيهم أن يؤثروا في غيرهم لا أن يتأثروا بغيرهم، ولكن لما نضبت منابع التربية الإسلامية الصحيحة، ولم يعد هناك توجيه إسلامي واضح المعالم، إلى جانب فقدان القدوة الصالحة في أكثر الآباء، والمعلمين، أصبح الشباب الإسلامي بلا هوية، ولا كيان، تتقاذفهم الأهواء، والتصورات المنحرفة، ولم تعد لديهم تلك المناعة ضد هذا الداء الفتاك، وهذا ما ينبغي أن يتنبه إليه الأب المسلم، فيجعل لدى أولاده المناعة ضد ما يلقي إليهم من أفكار، وتصورات، وعادات، وتقاليد، وذلك لا يحصل إلا بربط الولد بالقدوة الصالحة في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وصحبه الكرام من السلف الصالح، وأن يكون الأب هو أيضاً قدوة له في ذلك، إلى جانب إيجاد الصحب والرفاق من الصالحين، فينخرط معهم ويعايشهم مستعلين جميعاً بإيمانهم، لا يابيهون بالمخالفين لهم، مع حمايتهم من منابع هذه التصورات والأعمال القبيحة، ومن مصادرها الخبيثة، وهذا يحتاج إلى جهد وتربية واستعانة بالله عز وجل الذي يقول في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

ويدخل في موضوع التشبه بالكفار قضية استعمال اللغة الأجنبية غير العربية والتندر بها، والافتخار بالقدرة على التحدث بها، واستعمالها في غير حاجة، فهذا لا ينبغي لأن اللغة تعد أعظم شعائر الأمم التي يتميزون بها على غيرهم، واللغة العربية هي شعار المسلمين الذي لا ينبغي العدول عنه والنطق بغيرها^(٢).

أما تعلم لغة الأعاجم - أياً كانوا - للحاجة خاصة في هذا العصر، وشدة حاجة الناس للغة الإنجليزية خاصة فلا بأس به للاستفادة من العلوم المختلفة، إلى جانب كشف خطط الأعداء ومعرفة مكائدهم من خلال ما

(١) العنكبوت ٦٩.

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ٢٠٣.

يكتبونه ويثونونه بلغاتهم المختلفة، فهذا التعلم جائز للحاجة^(١). فلا بأس على الأب من السماح لابنه أن يتعلم لغة أجنبية ويتقنها لوجود هذه الملبسات الشرعية في هذا العصر، مع تركيز الاهتمام باللغة العربية وإجادتها.

رابعاً: التعريف بكيد الكفار:

لا بد للأب المسلم أن يحيط أولاده علماً بما يحيكه أعداء الإسلام ضد المسلمين، ويحاول أن يسطر لهم الأفكار حسب أعمارهم وسعة إدراكهم، مستعيناً في ذلك بما ورد عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ في فضحهم وتعريتهم، فما ورد عن الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَذَكَرْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِمَّنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾^(٢)، وفي بيان شدة عداوتهم للمسلمين يقول الله تعالى: ﴿ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾^(٣)، وفي بيان هدفهم من السعي في تهويد المسلمين، أو تنصيرهم؛ ليكونوا على ملتهم وطريقتهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾^(٤). هذه الآيات وغيرها كثير تفضح في الجملة أهداف الكفار من أهل الكتاب، وغيرهم من المشركين، وتبين سعيهم الحثيث ورغبتهم الأكيدة في إضلال المسلمين ومن ثم الفتك بهم والتداعي عليهم. أما ما ورد عن رسول الله ﷺ في بيان أحوالهم، وكيدهم، ففي أحداث السيرة النبوية شواهد وقائع كثيرة تبين وتعري أهدافهم وأساليبهم الخبيثة^(*).

(١) انظر: المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٢) البقرة ١٠٩.

(٣) المائدة ٨٢.

(٤) البقرة ٢٢٠.

(*) انظر: كتاب «الرحيق المختوم» للشيخ صفي الرحمن المباركفوري عند الحديث عن اليهود ومكرهم بالمسلمين ونقضهم للعهد والمواثيق، ص ٢١٣ - ٢١٤، ٢٦١ - ٢٦٧، ٢٦٩ - ٢٧٣، ٣٣٠ - ٣٣٣، ٣٣٨ - ٣٦٠، ٤٠٨ - ٤٢٤.

ويبين الأب لأولاده واقع أكثر المسلمين اليوم، وما هم عليه من الانحراف والبعد عن حقيقة الإسلام، وكيف أن الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم كانوا وراء هذا الواقع الأليم، ويبين تسلطهم على رقاب المسلمين في كثير من البلدان، وفي مقدمتها فلسطين المحتلة، وأفغانستان والهند، وفي أرتيريا، وغيرها من بلاد المسلمين التي تسلط عليها الأعداء بالاستعمار أو الغزو الفكري، ويبين لهم ما يعانونه من الآلام، وما يتجرعونه من أصناف العذاب، وكيف أنه تحققت فيهم نبوءة رسول الله ﷺ إذ قال فيما رواه عنه ثوبان رضي الله تعالى عنه: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»^(١). وهذا الذي وقع بالفعل في قلوب المسلمين فلم يعودوا يرغبون في الآخرة كما كان أسلافهم، وأصبح حب الدنيا يعمر صدورهم. فتسلط عليهم الأعداء من كل صوب، حتى إن أضعف الدول الكافرة أصبح لها نفوذ وسلطة في بعض ديار المسلمين.

وليس ثمة حل لهذه المعضلة التي تعيشها الأمة سوى تربية جيل صالح متشبع بالإيمان اعتقاداً وعملاً، لا يهاب الموت في سبيل الله، ولا يكرهه، بل يرغب فيه ويطلبه، وهذا ما يوقع المخافة في صدور الأعداء ويزلزلهم؛ وهذا لا يحصل إلا بالتربية الإسلامية، والمتابعة للأولاد، وتوعيتهم بأحوال المسلمين، وإشعال الحماسة في صدورهم، وإظهار الحزن والأسى على أحوال المسلمين، فإن الاهتمام بأمر المسلمين من الواجبات، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(٢).

(١) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم (٤٢٩٧)، ج ٤، ص ١١١.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الزهد، باب فيمن كانت نيته وهمته للدنيا والآخرة، باب منه، ج ١٠، ص ٢٥١. وفي سند الحديث رجل متروك.

ويمكن توعية الأولاد الكبار بهذه القضية من خلال المجلات الإسلامية المختلفة التي تهتم بشؤون المسلمين في العالم وتعرف بأحوالهم واحتياجاتهم، مثل مجلتي الدعوة والأمة السعوديتان، ومجلة المجتمع الكويتية، ومجلة أخبار العالم الإسلامي التي تصدر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ومجلتي الجهاد والبيان المرصوص المتحدثة بلسان المجاهدين الأفغان، وغيرها من المجلات الإسلامية المهمة بواقع الأمة ومشكلاتها.

ويسعى الأب للاشتراك في بعض هذه المجلات لتصل بصفة منتظمة إلى صندوق بريده، أو إلى المنزل، فلا يحتاج إلى تذكر شرائها، ويضع هذه المجلات أمام أولاده ويشجعهم على قراءتها، ومن حين لآخر يسأل أولاده الكبار عن موضوعاتها ليعطوه ملخصاً عما اطلعوا عليه من موضوعات، وليؤكد أنهم مروا على هذه المجلات أو بعضها.

أما الأولاد الصغار فيلور لهم الأحداث التي تقع على بعض المسلمين في العالم الإسلامي بصورة سهلة يمكن للصغير إدراكها، كأن يقول: «هل تعرفون يا أولاد ماذا حدث لإخوانكم الصغار وآبائهم في أفغانستان؟ لقد جاءهم الكفار الروس وهجموا على ديارهم وهدموا البيوت وأخرجوا الأطفال الصغار أمثالكم وضربوهم وقتلوا بعضهم»، فيسأله الأولاد: «لماذا فعلوا هذا؟» فيجيبهم: «لأنهم كفار لا يحبون المسلمين ويريدونهم ألا يكونوا مسلمين»، ويلهب حماسهم بهذا الأسلوب ويدفعهم إلى التبرع والدعاء لهم ليكون ذلك أدل على تأثرهم بالأحداث والوقائع.

ولمزيد من التوعية للأولاد الكبار يضع الأب بين أيديهم بعض الكتب الإسلامية التي تتحدث عن الغزو الفكري، ومدى تغلغل الأعداء في أجهزة المسلمين وإداراتهم، ويساعدهم على فهمها وقراءتها، وذلك ليقف الولد على صورة حية متكاملة للواقع الأليم الذي تعيشه الأمة الإسلامية، ومن ثم يعرف واجبه ومسؤولياته تجاه هذا الواقع، وكيفية التغيير إلى الأفضل، والأحسن. ومن هذه الكتب: كتاب «الغزو الفكري والتيارات المعادية

للإسلام» للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، وكتاب «الغارة على العالم الإسلامي» لثاتليه، وكتاب «أفيقوا أيها المسلمون» للدكتور عبد الودود شلبي، وكتاب «حصوننا مهددة من داخلها» للأستاذ محمد محمد حسين، وكتاب «وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي» للدكتور حسان محمد حسان، وغيرها من الكتب المؤلفة في هذا المجال.

ولا يكتفي الأب ويقتصر في توعية أولاده على جانب الكتب والمجلات والمعلومات التي يخبرهم بها، بل يسارع في اصطحاب أولاده الكبار خاصة إلى المحاضرات والندوات العامة التي تقيمها بعض الإدارات والهيئات الإسلامية في المساجد، أو الأندية الثقافية، أو قاعات المحاضرات الكبرى في المدينة، حيث يلتقي الولد وعن كذب يشاهد ويسمع بأذنه من علمائه المسلمين العاملين، ويعيش في جو من الألفة مع الحاضرين، ويتزود بزد العلم، ويقف على أخبار وأحوال المسلمين في العالم. وحضور الأولاد في مثل هذه المنتديات الفكرية يلهب في نفوسهم الحماس، ويشعرهم أنهم ليسوا الوحيدين المهتمين بأمور المسلمين في العالم، بل هناك غيرهم كثير يمكن أن يتكاتفوا معهم ويكونوا يداً واحدة على أعداء الإسلام، فتتلج بذلك صدورهم، وتنبعث في نفوسهم الآمال، ويعلمون أن في الأمة خيراً يمكن أن ينمو ويغير الواقع المر إلى ما هو خير وأفضل.

كما يمكن للأب أن يكون لديه في البيت مكتبة صوتية صغيرة بجانب المكتبة الخاصة بالكتب والمجلات الإسلامية، فيضع أمام الأولاد تشكيلة من الأشرطة المسجلة التي تفضح خطط الأعداء، وتعرّي أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، وبذلك تكمل توعية الأولاد بكيد الكفار وأساليبهم الخبيثة.

خامساً: التعامل مع المرتدين:

يبين الله عز وجل في كتابه العزيز موقف المؤمنين الصادقين مع أقربائهم إذا خالفهم في العقيدة والدين، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا

ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
 الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴿١﴾ . هذه الآية قطعت كل حبال الود
 والرحمة بين المسلم والكافر، مهما كانت قرابته ومنزلته، وذلك لأن العقيدة
 الإسلامية، وتوحيد الله عز وجل أعلى، وأعظم من كل هذه القرابات
 والصلات العرقية، فهؤلاء أصحاب النار، وهؤلاء أصحاب الجنة، ولا بد
 للافتراق عنهم في الآخرة، أن يفترق المسلم عنهم في الدنيا ولو بقلبه وشعوره.

والأمة الإسلامية اليوم يعيش بعض أبنائها في بعض جوانب حياتهم ردة
 عن الإسلام بعلم منهم أو بجهل^(٢)، ومن أعظم مظاهر هذا الارتداد عن
 الدين ونبذ: التحاكم إلى غير شرع الله، والرضى بذلك والافتناع به، أو رفع
 الشعارات المخالفة للدين كشعار القومية العربية، أو الوطنية التي تجمع
 وتؤلف بين أبناء الوطن الواحد من مسلم وكافر، أو رفع شعار الاشتراكية
 المخالفة للعقيدة الإسلامية، ويضاف إلى هذا كراهية بعض أنظمة الدين
 وشرائعه مثل الصيام، والحجاب، وغيرهما . أو الاستهزاء بشيء من الدين،
 أو الاستهزاء بالرسول ﷺ، أو وصف الله عز وجل بما لا يليق بجلاله، أو
 موالاتة الكفار وحبهم وتقديمهم على المسلمين، أو جحود السنة المطهرة
 وعدم التحاكم إليها والرضا بها^(٣).

ويضاف إلى هذه المظاهر الخطيرة أيضاً قضية خطيرة جداً وقع فيها كثير
 من المسلمين، وهي قضية ترك الصلاة عمداً تهاوناً وتكاسلاً عن أدائها، فإن
 الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يعتقدون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا
 الصلاة^(٤)، وقد نقل عن بعض السلف أن من ترك فرضاً واحداً من الصلاة
 متعمداً حتى يخرج وقتها فقد كفر وارتد^(٥)، وذلك لقوله عليه الصلاة

(١) المجادلة ٢٢.

(٢) انظر: حوى، سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقاً، ص ٥ - ١١.

(٣) انظر: علوان، عبد الله ناصح، حين يجد المؤمن حلاوة الإيمان، ص ٣٧ - ٤٩.

(٤) الذهبي، كتاب الكباثر، ص ٢١.

(٥) الكتاني، محمد منتصر، معجم فقه السلف، ج ٢، ص ١٧٤.

والسلام: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(١)، وقد ذكر الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث اختلاف العلماء في كفر تارك الصلاة تكاسلاً مع الاعتقاد بوجوبها، كما ذكر إجماعهم على كفر تاركها جحوداً بها وإنكاراً لوجوبها^(٢).

وعلى القول بكفر تاركها تكاسلاً وتهاوناً بها مع الاعتقاد بوجوبها، فإن كثيراً من أبناء المسلمين اليوم يعيشون حالة من الارتداد عن الدين توجب إقامة حكم الله تعالى فيهم بعد إقامة الحجّة عليهم وذلك بضرب أعناقهم لقوله عليه الصلاة والسلام: «من بدل دينه فاقتلوه»^(٣). ولما كان حكم قتل المرتد غير معمول به في أكثر البلاد الإسلامية، واختلاط هؤلاء المرتدين بسواد المسلمين، وتعايشهم معهم دون الإنكار عليهم، أو الهجر لهم، أو بيان حكم الله فيهم على الأقل، فإن الأب المسلم الواعي بهذه القضية يعيش حالة من الشدة والضنك، يخشى تأثير هؤلاء على أولاده، خاصة إن كان بعضهم من الأقرباء، أو الجيران، فإن القضية تكون بذلك عظيمة وشديدة على نفسه، وخطيرة على الأولاد.

ولعل أمثل الحلول لهذه القضية، حفاظاً على الأولاد، أن يقطع الصلة والاحتكاك بين الأولاد وهذه الفئة الضالة من البعيدين من غير الأقرباء، فلا يقيم الأب مناسبة تجمعهم بالأولاد، ولا يأخذهم إليهم في أية مناسبة معتذراً في ذلك بالأعذار الشرعية المناسبة.

أما إن كان بعض هؤلاء من الأقارب فإن استطاع الأب قطع صلته بهم بالكلية وهجرهم في الله بعد إقامة الحجّة عليهم ودعوتهم بالحسنى، فإن فعله هذا حسن، وله أصل في الشرع. وإن احتاج لمصارحة الأولاد الكبار خاصة

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، حديث رقم (١٣٤)، ج ١، ص ٨٨.

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، فصل في التعذيب، حديث رقم (٥٥٧٧)، ج ٧، ص ٤٤٩.

بهذه القضية فلا بأس أن يعرض عليهم القضية بكل جدية موضعاً حكم الله وحكم رسوله في أمثال هؤلاء، أما إن ظن الأب أن أولاده لا يطيعونه في ذلك، وربما جعل في نفوسهم خللاً وتردداً لقصر فهمهم لمثل هذه القضايا ولصغر سنهم، انتهج أسلوباً آخر، وهو قطع الصلة بهؤلاء خفية، كأن يقتصر على السلام بالهاتف، أو تقصد ملاقاتهم في أماكن لا يطول فيها اللقاء، ويقل فيها التأثير مثل السوق، أو الشارع، أو في حفلة كبيرة لا يطول فيها اللقاء بين الأولاد وذلك القريب، ويتجنب زيارته لهذا القريب في بيته مع الأولاد، وإن اضطر إلى ذلك جعلها زيارة قصيرة جداً معذراً بالأعداء المناسبة، ويحاول قدر المستطاع أن لا تتكون علاقة قوية بين أولاده وأولاد ذلك القريب؛ إذ أن هذه العلاقة سوف تجر الأولاد إلى الإلحاح على الأب لإكثار اللقاءات بهم وزيارتهم، ولا شك أن لهؤلاء الأولاد - بكثرة اللقاءات - أثراً سلبياً على أولاده، وذلك لأنهم لم يتربوا على المفاهيم الإسلامية، والآداب الشرعية لكون رب الأسرة منحرفاً.

وكل ما سبق من الإجراءات الوقائية ضد المرتدين من الأقارب تكون في حالة القريب المستتر بذنبه غير المجاهر أو الداعية إلى الضلالة. فإن كان مجاهراً بالفسق، معلناً جحوده، مستهزئاً بالدين وأهله، يدعو إلى شعار من شعارات الجاهلية، فإن هذا القريب لشدة خطورته وإمكانية إضلاله للأب فضلاً عن الأولاد، لا تجوز مخالطته ولا معاشرته، بل يجب هجره في الله، ومعاداته في الله، وتوضيح قضيته للأولاد عند الحاجة، مع قطع الصلة به ابتداءً قبل أن يتعود الأولاد على رؤيته، وللأب في رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام القدوة في ذلك، فقد هجروا الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، رغم أنهم كانوا من خيار المسلمين، ومن أفاضلهم، ولم توجب معصيتهم الكفر، ومع هذا هجرهم الرسول ﷺ وأصحابه(*)، فهجر المرتد المجاهر بالكفر

(*) انظر قصتهم في القرآن الكريم في سورة التوبة آية ١١٨، وانظر أيضاً: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٢٨١-٢٨٨، وانظر أيضاً: ابن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج ٣، ص ٥٥٢-٥٥٧.

والمعصية المعاند لله ولدينه أولى وأحرى. قال الإمام أحمد فيما نقله عنه ابن رجب رحمهما الله: «الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً معلناً بالفسق فإنه لا حرمة له»^(١)، وهذا القريب بهذه الملابس لا حرمة له ولا تقدير.

ويجب أن يفرق بين المرتد وبين الفاسق، فليس كل من عصى الله بعلم أو جهل يعد كافراً، فإن إطلاق الكفر على المسلمين دون روية أو تأكيد يعد جريمة في حد ذاته، إلى جانب أن هذا الفعل لا يعود على المسلمين بخير، بل الواجب أن يكون المسلم مع عصاة المسلمين مبغضاً لهم بقدر معصيتهم، ومحباً لهم لإسلامهم ويقدر طاعتهم لله، فهو معهم بين حبهم بقدر وبغضهم بقدر دون إفراط أو تفريط في جانب من الجوانب^(٢).

سادساً: الدعوة إلى الله:

بعد أن يتعرف الولد على أوضاع الأمة، وما أصابها من نكبات، وجهل، وفقر، وغير ذلك من المصائب، فإن واجب الدعوة إلى الله هو الحل الوحيد والأمثل لهذه المصائب، وباستمرار الأب في توعية الولد الكبير بهذه الأحوال مع توجيهه إلى أهمية التعريف بهذا الدين من جديد: يزرع في نفس الولد حب الدعوة إلى الله، فيسأل أباه كيف يعمل ليغير هذا الواقع؟ وما هو السبيل لإرضاء الله في هذا الجانب؟

وإذا صدر من الولد مثل هذا الميل، وهذا الحماس، وجب على الأب أن يسارع في ربطه بسلك الدعوة والدعاة من علماء الأمة وشبابها، ولا يتهاون في ذلك، فإن إشغال الولد بجانب الدعوة إلى الله والإرشاد والتوجيه للناس يكون فيه ربط له بالناحية الاجتماعية، إلى جانب إشغال وقته بالمفيد النافع^(٣).

(١) ابن رجب، اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ص ٨٥.

(٢) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ١٥٢.

(٣) علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢، ص ٨٧٥.

ولا بد أن ينطلق الأب مع ولده من منطلقات أساسية قوية حول بعض المفاهيم المتعلقة بالدعوة إلى الله، إذ أنه ليس كل من يتحمس للدعوة أصاب الأسلوب الصحيح والمنهج القويم.

وأهم هذه القضايا الأساسية في مفاهيم الدعوة إلى الله بعد إخلاص النية والقصد، وسلامة الطوية، مسألة الحكمة في الدعوة، وتجنب الغلظة والشدة، وذلك لقوله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُم بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، وقد تقدم قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في أهمية الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(*)، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه مبيناً الطريق لأسر قلوب الناس: «جبلت القلوب على حب من أكرمها، وبغض من أهانها»^(٢)، فإذا عرف هذا الأصل العظيم، اهتم الأب بتوجيه ولده نحو الأخذ به، والعمل بموجبه، مع إفهامه أن الغلظة والشدة لا تكون إلا للمجاهر بالفسق الداعية إلى الضلالة بعد إقامة الحجة عليه ودعوته بالحسنى؛ فيترى الولد على المنهج الصحيح في أسلوب الدعوة إلى الله، فلا يبلغ سن الرشيد إلا وقد تمكنت الدعوة إلى الله في قلبه وامتزجت بدمه وروحه.

وينبغي أن يفهم أن التعامل مع أهل الكتاب، أو غيرهم من الكفار المستأمنين من الذين يعيشون بين المسلمين في ديارهم لهم حق في أن يعاملوا بالحكمة أيضاً، وأن يجادلوا بالتتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٣)، فإن لم يكونوا من الظالمين المحاربين وجبت دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة دون غلظة أو خشونة مع الدعاء لهم وإقامة الحجة عليهم رجاء وطلباً لهدايتهم مع دوام بغضهم في القلب لكفرهم، وقد نقل الشيخ عبد الرحمن

(١) النحل ١٢٥.

(*) انظر: الفقرة السابقة.

(٢) الترمذي، الحكيم، نوارد الأصول في معرفة أحاديث الرسول، ص ٣٢.

(٣) العنكبوت ٤٦.

عبد الخالق إجماع الأمة على جواز معاملة الكافر المستأمن معاملة حسنة بقصد هدايتهم إلى الخير، وهذه المعاملة لا تنقض أصل البراءة منهم فيقول: «ومن الأمور التي لا تنقض أصل البراءة من الكفار أيضاً مجاملة الكافر المعاهد والذمي والمستأمن والإحسان إليه، والأصل في هذا هو قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ...﴾^(١)، ويدخل في البر بهم عيادة مرضاهم، واتباع جنائزهم، وقبول هداياهم* والإهداء لهم، وتهنئتهم في الأفراح، وتعزيتهم في الأحزان، ومساعدة فقرائهم والمحتاجين منهم، وزيارتهم في منازلهم، وقبول دعوتهم، والدعاء لهم بالهداية، ونحو ذلك، وهذا مما أجمع عليه المسلمون ولا مخالف لذلك ممن لهم رأي يعتد به»^(٢).

فإذا كانت هذه المعاملة الحسنة جائزة مع الكفار الأصليين، فهي جائزة من باب أولى مع فساق المسلمين حيث تجمعهم الأخوة الإسلامية العامة، فإذا ارتبط الولد بالدعوة وجب أن يكون هذا التصور واضحاً في ذهنه. ومسؤولية الأب متابعته في ذلك، وتوضيح المفاهيم والتصورات، وإزالة ما يمكن أن يقع في نفسه من اعتقادات خاطئة يصعب التخلص منها في الكبر، فإن الولد إذا كبر وقد تشبع بالمنهج الصحيح ومفاهيمه أمن - بعد توفيق الله - من الانحراف والتطرف في أخذ مفاهيم الدين وتطبيقها، خاصة وقد ظهرت طوائف وجماعات في القديم والحديث ليس لها من فقه الدين إلا القليل، فضلت وأضلت**).

(١) الممتحنة ٨.

(*) يشترط لقبول هدايا الكفار أن لا تكون في عيد من أعيادهم أو مناسبة من مناسباتهم الباطلة المتعلقة بالدين. انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ٢٢٧.

(٢) عبد الخالق، عبد الرحمن، الولاء والبراء، ص ٥٢.

(**) انظر: كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني، وكتاب «الفرق بين الفرق» للإسفرائيني، =

والنفس البشرية ضعيفة تمل وتكل من وقت لآخر، خاصة الولد قبل البلوغ فهو محتاج دائماً إلى التذكير والمتابعة والرعاية، فإذا رأى الأب من ولده نوعاً من الخمول والتكاسل عن مشاركة زملائه في الدعوة، والنشاطات الإسلامية المختلفة، حمسه ورغبه دون تكلف أو شدة، كأن يتلو عليه قول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن تكون لك حمر النعم»^(٢)، مع ذكر بعض أحوال السلف الصالح وتفانيهم في الدعوة إلى الله وجهادهم في هذا السبيل، فهذا خير معين على طول الطريق ووعورته^(*).

= وكتاب «الحكم وقضية تكفير المسلم» لسالم البهناوي.

(١) فصلت ٣٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل،

ج ٤، ص ٧٣.

(*) انظر: كتاب «رجال حول الرسول» لخالد محمد خالد للوقوف على بعض القصص والوقائع التي تظهر تفاني الصحابة في الدعوة إلى الله عز وجل.

المبحث السادس

الأخلاق مع الشيطان

- أولاً: التعريف بكيد الشيطان
ثانياً: حفظ الأولاد من مس الشيطان
- (١) - تعويد الأولاد بالأذكار
 - (٢) - تعليم الأذكار

المبحث السادس الأخلاق مع الشيطان

الشيطان عدو الإنسان اللدود، أخذ على نفسه وذريته العهد بأن يضل بني آدم، ويغويهم، وبدأ بتنفيذ ذلك مع أبي البشر آدم عليه السلام وزوجه حواء، فأغواهما وأمرهما بالمعصية، فأهبطوا جميعاً إلى الأرض لتدور معارك جديدة بين آدم وذريته من جانب، والشيطان وذريته من جانب آخر.

وقد جاء التنبيه من الله عز وجل بالتحذر من الشيطان واتخاذة عدواً، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١)، وفي موضع آخر يحذر سبحانه وتعالى من متابعة وساوس الشيطان وما يوقعه في النفس، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٢).

وقد استفاض القرآن الكريم بالآيات التي تحذر من الشيطان ومكره بيني آدم، وهي أكثر بكثير مما يُذكر في التحذير من النفس الأمارة بالسوء، وليس ذلك إلا لعظم خطر هذا العدو الخفي الذي لا يشاهد بالعين، فهو وأتباعه كما قال عنهم القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُ الْهَيْبَةَ مِنْ حَيْثُ لَا تُرَوُّهُمْ﴾ (٣)، وهذه تعد من أعظم صفاته الخطيرة حيث يستطيع من خلالها أن يرصد تحركات الإنسان، ويبث في روعه ما يريد دون أن يشعر الإنسان

(١) فاطر ٦.

(٢) النور ٢١.

(٣) الأعراف ٢٧.

بمصدر هذه الأفكار، أو الخواطر. ولكن المسلم الراعي، المؤمن بالغيب، المدرك لعداوة الشيطان، يستطيع أن يعرف ويميز ما يلقيه الشيطان في قلبه من خواطر وشكوك وزيف. وهذه الخواطر لا يكاد ينجو منها أحد. فالصحابه رضوان الله تعالى عليهم لم ينجوا من مكره ووسوسته، فقد روى أبو هريرة أن بعض الصحابة قالوا يا رسول الله: «إنا نجد في أنفسنا ما يسرنا نتكلم به وإن لنا ما طلعت عليه الشمس. قال أوجدتم ذلك؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان»^(١)، أي: إن رد هذا الوسواس، وكرهه هو صريح الإيمان بالله ورسوله، فإذا كان الصحابة رضوان الله عليهم لم يسلموا من هذا العدو اللدود، فإن غيرهم من الناس أضعف عن رده ومنعه؛ لهذا كان لزاماً على الأب أن يعرف أولاده بهذا العدو، ويعمل جاهداً على حمايتهم من كيده ومكره.

أولاً: التعريف بكيد الشيطان:

لقد قص الله عز وجل علينا عهد إبليس على نفسه - بعد أن أخرجه الله من رحمته - أن يضل البشرية ويغويها، فقال سبحانه وتعالى حاكياً عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَوَيْتُكَ لِأُرْسِنَهُ لَهَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٢). وبعد أن أخذ هذا العهد على نفسه لم يأل جهداً - هو وذريته - في تحقيق هدفهم الخبيث، فهم لا يتركون الإنسان منذ أن يولد حتى تصل روحه الحلقوم، يحضرون معه في جميع أحواله وشؤونه، لا يكادون ينفكون عنه، وقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام بذلك، فقال: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه»^(٣)، فهو مترصد للإنسان لا يتركه، وقد ورد في كيده أشد من ذلك فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن الشيطان

(١) أحمد، المسند، ج ٢، ص ٤٤١.

(٢) الحجر ٣٩ - ٤٠.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى وكراهة مسح اليد قبل لعقها، حديث رقم (١٣٥)، ج ٣، ص ١٦٠٧.

يجري من الإنسان مجرى الدم»^(١)، وفي شرح هذا الحديث نقل الإمام النووي رحمه الله قول بعض العلماء: بأن فهم الحديث على ظاهره، «وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه»^(٢). ورغم هذه القدرات الخارقة التي يتقوى بها الشيطان على بني آدم، إلا أن الله عز وجل وجه المسلم إلى الحصن الحصين من كيده ومكره، إذ أمر بالدعاء والذكر، فإن «الشياطين إنما تسلط على من لا يذكر اسم الله فالذي لا يذكر اسم الله إذا دخل فيدخلون معه، وإن لم يذكر اسم الله إذا أكل فإنهم يأكلون معه، وكذلك إذا ادخر شيئاً ولم يذكر اسم الله عليه عرفوا به، وقد يسرقون بعضه . . . وأما من يذكر اسم الله على طعامه وعلى ما يختاره فلا سلطان لهم عليه، ولا يعرفون ذلك، ولا يستطيعون أخذه»^(٣)، لهذا شرعت الأذكار المختلفة عند الدخول والخروج، والأكل والشرب، والجماع، والنوم، وغير ذلك من الأذكار التي وردت عن رسول الله ﷺ، فالشياطين تخاف وتهاب أهل الإيمان والقلوب المنورة المتصلة بالله المداومة على الذكر، فلا يقربون منهم؛ بل يهربون منهم^(٤).

وإذا عرفت هذه القضية وخطورتها، فإن واجب الأب في مساعدة ولده لرد كيد الشيطان أمر غاية في الأهمية، إذ أن الولد الصغير لا يدرك هذه القضايا، ولا يفهم كثيراً مما يقع في روعه من الأمور والتصورات، ولا يستطيع أن يعرضها على الكتاب والسنة ليعرف هل هي من الحق أم من الباطل؛ لهذا كانت مساعدة الأب له وتحصينه بالأذكار الواردة أمراً مهماً. فإن أهمل الأب ذلك فلربما تسلط الجن والشياطين على الولد ونالوه بالأذى. فإن اتصال الجن بالإنس، وإمكانية صرعهم، والدخول في أجوافهم، والتمثل لهم في صور مختلفة، أمر ممكن، بل هو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة^(٥)، ولا

(١) المصدر السابق، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن روى خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرماً له أن يقول: هذه فلانة ليدفع ظن سوء به، حديث رقم (٢٣)، ج ٤، ص ١٧١٢.

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٤، ص ١٥٧.

(٣) ابن تيمية، كتاب النبوات، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٦٥.

(٥) أيوب، حسن محمد، تبسيط العقائد الإسلامية، ص ١٩٢.

مجال هنا لمناقشة هذه القضايا من الناحية العلمية المخبرية، إذ أن قضايا الغيب تعالج بالوحي، ولا تعالج بالتجارب المعملية.

ولتعريف الأب ولده بكيد الشيطان يبدأ بتعريفه أن ما يقع في نفسه من خواطر، وتصورات غريبة، عن الله، أو الملائكة، أو ما يتعلق بعلم الغيب، أو غير ذلك من الشكوك، فإن كل هذا لا ينبغي تخيله أو تصوره بحال، فإن كل ما يقع في النفس من هذه التصورات والتخيلات لا يشابه الحقيقة، ولا يدانيها، بل هو مما يلقي الشيطان. ثم يوجهه إلى الاستعاذة بالله، وصرف التفكير إلى غير ذلك مع إشغال وقت الولد بالنافع. ويحاول الأب أن يتسبب مع الأولاد فيسمح لهم بأن يخبروه بما يقع في نفوسهم من وساوس ويحاول هو بدوره أن يرد عليها ويدحضها إن كانت مخالفة للكتاب والسنة، ويديرهم على كيفية رد الوسواس بالأذكار الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة(*) .

ويجب التنبيه إلى عدم تضخيم قضية الجن والشياطين في حس الولد فيصبح موسوساً يخاف من ظله ويخشى الظلام وكل شيء حوله؛ بل على الأب أن يقوي عزيمته ويشعره أن الشيطان ضعيف الكيد والمكر مع المؤمنين الذين يذكرون الله على الدوام، أما ضعفاء الإيمان الغافلين عن الله فهم الذين يخافونه ويخشون تسلطه عليهم.

ويمكن للأب أن يراجع بعض الكتب التي ألفت في القديم والحديث والتي اهتمت بعرض مكائد ومداخل الشيطان وأساليبه الخبيثة في إضلال البشرية، مثل كتاب «تلبس إبليس» لابن الجوزي، كتاب «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» لابن القيم، ومن الكتب الحديثة في هذا الجانب، كتاب «عالم الجن والشياطين» لعمر الأشقر، وكتاب «البيان في مداخل الشيطان» لعبد الحميد البلالي، وغيرها من الكتب التي تُعري مكر الشياطين وحيلهم على بني البشر.

(*) انظر: كتاب «الأذكار» للنووي، وكتاب «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم، فقد تضمننا معظم الأذكار الواردة في هذا الموضوع.

ثانياً: حفظ الأولاد من مس الشيطان :

ومما تقدم تتضح للأب أهمية تحصين الأولاد بالأذكار المشروعة والواردة عن رسول الله ﷺ، والتي تحميهم بإذن الله من تسلط الشياطين عليهم، وهذا يتم بطريقتين:

١ - تعويد الأولاد بالأذكار:

في هذه الطريقة يقوم الأب بنفسه بترديد الأذكار و تحصين الأولاد بها، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قيامه بتعويد الحسن والحسين، فيقول: «أعيد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»، ويقول: «عوذوا بها أولادكم، فإن إبراهيم عليه السلام كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق عليهما السلام»^(١)، فيقوم الأب بذكر هذا الدعاء على الأولاد و تحصينهم به، ويضيف إلى ذلك قراءة «قل هو الله أحد والمعوذتين»، ويمسح بها بدن الولد، فإن الرسول ﷺ أمر أحد أصحابه بقراءتها مع المعوذتين، لتكفيه وتحميه من كل شيء^(٢)، ويحاول الأب أن يكرر هذه الأدعية والأذكار يومياً خاصة عند النوم وفي المساء.

وهناك قضية مهمة يغفل عنها كثير من الناس وهي مسألة انتشار الشياطين في أول الليل، واحتمال وقوع الأذى منهم للأولاد، فقد روى البخاري وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «اكتفوا صبيانكم عند العشاء فإن للجن انتشاراً وخطفة»^(٣)، أي: امنعوا أولادكم الحركة في هذا الوقت وضموهم إليكم^(٤). وهذه المسألة مهمة للغاية، فإن بعض الآباء لا يكثر لها، ويترك أولاده في هذه الأوقات يلهون في فناء المنزل، أو الشارع، والواجب الأخذ بنصيحة رسول الله ﷺ، ومنعهم من ذلك، كأن يجعل ذلك الوقت وقت تناول

(١) البيهقي، الآداب، باب ما يعوذ به الأولاد، حديث رقم (٩٩٦)، ص ٤٤٩.

(٢) انظر: النسائي، سنن النسائي، كتاب الاستعاذة، ج ٨، ص ٢٥٠.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، ج ٤، ص ١٥٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٤، ص ٩٠.

طعام العشاء، أو يجعله وقت جلوسه معهم. والمقصود هو كفهم عن الحركة واللعب في ذلك الوقت، والأب يتخذ من الوسائل المناسبة والمفيدة ما يحقق هذا الأمر ويحفظ الأولاد.

أما قضية تعليق الأدعية القرآنية، وبعض الأذكار النبوية الواردة على الولد الصغير قبل أن يعقل، فإن السلف رضوان الله عليهم قد اختلفوا في ذلك^(*)، وكان عبد الله ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما يفعله^(١). والأولى ترك ذلك خروجاً من الخلاف. أما الأذكار غير الواردة في القرآن ولا في الحديث، خاصة غير المفهومة منها، ولا يعلم ما كتب فيها، أو الخرز والخيوط وغير ذلك، فإنها حرام، ولا يجوز تعليقها، وهي من التمايم التي ورد النهي عن استعمالها، فيحذر الأب من تعليقها على الولد، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن الرقى والتمايم والتولة شرك»^(٢). والأفضل والأولى التعويد بالقراءة الواردة دون تعليق، فإن عجز الأب عن القراءة وتعويد الأولاد في بعض الأوقات كلف أهله بهذه المهمة.

ويجنب ابنه الأماكن التي يكثر فيها الشياطين، ويقلل من بقائه فيها، مثل الأسواق، ودورات المياه، وأماكن اللهو المحرم، والمجالس التي لا يذكر فيها اسم الله، ويكثر فيها اللغظ وفاحش القول، ويحبب إليه الأماكن التي يهرب منها الشيطان، وهي: أماكن ذكر الله، وقراءة القرآن، والمساجد لا سيما وقت الأذان والإقامة، فإن الشيطان يهرب منها كما جاء في الحديث: «إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله حصاص»^(٣).

(*) نص على خلاف العلماء في هذه المسألة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في «كتاب التوحيد» ص ٢٢ - ٢٣.

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الدعاء، ج ١، ص ٥٤٨. والحديث صحيح الإسناد.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في تعليق التمايم، حديث رقم (٣٨٨٣)، ج ٤، ص ٩ - ١٠. والتولة هي: ضرب من السحر، التميمية: تعويذة لا قرآن فيها ولا اسم الله.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، حديث رقم (١٧)، ج ١، ص ٢٩١. حصاص: أي ضراط.

والمقصود هو أن يأخذ الأب حيطته بتحسين الأولاد من مس الشياطين وغوايتهم بتعويذهم بالأذكار الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة حتى يكبروا ويعقلوا ويتولوا ذلك بأنفسهم.

ولا شك أن الذكر والدعاء يحصن الولد من مس الجن وإيذائهم، ولكن ربما وقع بقضاء الله وقدره مس من الجن للولد، وظهرت عليه علامات الاضطراب، أو الصرع والتشنج، فإن مسارعة الأب بالتلاوة والذكر على صدر الولد، وإعطائه شيئاً من ماء «زمزم» وقد تلى عليه بعض القرآن، يعد أفضل إجراء في هذه الحالات، وأنجح من أخذه إلى الطبيب، إلا أن يظهر بعد ذلك أن القضية عضوية وليست نفسية، وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام القراءة على من أصابه شيء من مس الجن، فقد أتت النبي ﷺ امرأة، فقالت: «إن ابني هذا به لعم منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين، فقال رسول الله ﷺ: أدنيه، فأذنته منه، فتفل في فيه، وقال: أخرج عدو الله أنا رسول الله»^(١). وإذا لم يكن الأب قادراً على التلاوة أخذه إلى أحد الصالحين، ومن يُظن بهم الخير ليدعوه ويتلو عليه ما تيسر من القرآن، والأذكار النبوية المباركة.

٢ - تعليم الأذكار:

إذا عُرف أن الذكر هو الحصن الحصين ضد مكر الشيطان وغوايته، فإن مسؤولية الأب في هذا الجانب، وواجبه: تعليم أولاده المدركين حفظ بعض الأذكار الشرعية الواردة، واتخاذ السبل المناسبة لضمان استمرارهم عليها، حيث يتولى الأولاد تحسين أنفسهم بهذه الأذكار دون أن يقوم الأب أو غيره بتلاوتها عليهم، وتحسينهم بها.

ويبدأ الأب في تشجيع أولاده على الذكر من خلال إفهامهم أن الجن والشياطين موجودون في كل مكان فيه أناس من البشر، فيحضرون مجالسهم،

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب التاريخ، ج٢، ص٦١٨. والحديث صحيح الإسناد.

وأكلهم وشربهم، ولا يفارقونهم إلا بذكر الله، فمن ذكر الله تعالى حجزهم عنه^(١).

فإذا فهم الأولاد ذلك بدأ معهم بحفظ الأذكار شيئاً فشيئاً، مستخدماً أسلوب الترغيب المعنوي والمادي، فيبدأ معهم مثلاً بدعاء دخول الخلاء، حيث كثرة الشياطين، فيحفظهم قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أعوذ بك من الحُبث والحَبْثِ»^(٢)، وعند الخروج من المنزل يعلمهم قوله عليه الصلاة والسلام: «من قال، يعني إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان»^(٣)، وعند نزول مكان من الأماكن يعلمهم قوله عليه الصلاة والسلام: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»^(٤).

ويحرص الأب على تحفيظ أولاده بعضاً من الآيات التي خصها رسول الله ﷺ بالفضل، كقراءة «آية الكرسي»، فهي تحمي صاحبها من الشيطان^(٥)، وقراءة «خواتيم سورة البقرة»، فقد حث عليها رسول الله ﷺ، فقال: «إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنز الذي تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم فإنها صلاة وقرآن ودعاء»^(٦).

ومجال ذكر الدعوات الواردة في حفظ الإنسان من الشيطان كثيرة، وعلى الأب مراجعتها في مظانها المختلفة، خاصة كتاب «الأذكار» للإمام النووي، وكتاب «الوابل الصيب» لابن القيم ففيهما الكفاية.

- (١) انظر: أيوب، حسن محمد، تبسيط العقائد الإسلامية، ص ١٩٢.
- (٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الخلاء، ج ٨، ص ٨٨.
- (٣) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، حديث رقم (٣٤٢٦)، ج ٥، ص ٤٩٠. والحديث حسن صحيح غريب.
- (٤) المصدر السابق، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، حديث رقم (٣٤٣٧)، ج ٥، ص ٤٩٦. والحديث حسن صحيح غريب.
- (٥) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب فضائل القرآن، ج ١، ص ٥٦٢. والحديث صحيح الإسناد.
- (٦) المصدر السابق، والحديث صحيح.

ولا شك أن الأب سوف يواجه بعض الصعوبات في اتخاذه للوسائل المناسبة لضمان حفظ أولاده لهذه الأذكار، واستدامتهم عليها. وفي هذا المجال يُنصح الأب في أول الأمر أن يكون قدوة لأولاده في استدامة الذكر، فلا يكاد يدخل أو يخرج، أو يأكل أو ينام، إلا وذكر الله على لسانه رافعاً بذلك صوته ليسمعه الأولاد ويرددوه معه، ليحفظوا عنه، فإن الأولاد لديهم قدرة فائقة على الحفظ وسرعة الاستذكار. وجهر الأب بالذكر يساعد على حفظهم لذلك النص دون ما عناه، أو توجيهه مباشر، ومثال ذلك إذا ركب الأب مع ولده السيارة، فقال قول الله تعالى: ﴿سَبِّحْنَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾^(١)، وكرر هذا الدعاء عند كل ركوب، فإن الولد - بقصد أو بغير قصد - يحفظ هذا الدعاء، وربما ذكره أباه إذا نسيه. وهذا الأسلوب يعد من أفضل أساليب تعليم الأولاد الذكر.

وفي بداية الأمر يقتصر الأب في اختياره للأذكار على القصير منها: لأنها أدمى للحفظ، وأيسر للولد، مع انتقاء أسهلها عبارة، وأيسرها لفظاً، ففي أدعية النوم وأخذ المضجع - مثلاً - وردت أحاديث عدة، منها الطويل، ومنها القصير، فالدعاء الطويل كقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك، وألجأت ظهري إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت»^(٢). أما الدعاء القصير، فقوله عليه الصلاة والسلام: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»^(٣). ومما لا شك فيه أن الدعاء القصير أسهل على الولد في الحفظ من الدعاء الطويل، فلو اقتصر الأب في بادئ الأمر على الأدعية والأذكار القصيرة، وتدرج مع أولاده في ذلك؛ بلغ مقصوده دون عناء وجهد كبير إن شاء الله تعالى.

(١) الزخرف ١٣ - ١٤.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم (٣٣٩٤)، ج ٥، ص ٤٦٨ - ٤٦٩. والحديث حسن.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم (٣٣٩٩)، ج ٥، ص ٤٧١. والحديث حسن غريب.

ومن الوسائل التي يمكن أن يستعملها الأب في تشجيع أولاده على حفظ الأذكار والمداومة عليها: إقامة المسابقات بين الأولاد في حفظ بعض الأذكار، ويخصص لذلك بعض الجوائز التشجيعية، فيوجههم لحفظ حديث دخول السوق مثلاً، أو حفظ دعاء الخروج للسفر، أو غير ذلك من الأذكار والأدعية المأثورة.

ويمكن له أن يتخذ وسيلة الكتابة، فيكتب بعض تلك الأدعية على أوراق صغيرة أو كبيرة حسب الحاجة، ويعلقها في المنزل، ثم ينزعها بعد أن يتأكد من حفظ الأولاد لها.

ويستغل الأب وقت جلوسه في البيت مع الأولاد، أو وقت ركوب السيارة لأخذهم أو جلبهم من المدرسة في استذكار بعض هذه الدعوات، فإن الولد في ذلك الوقت عادة لا يكون مشغولاً بلعب أو نحوه، كما أن ذلك الوقت يكثر فيه الصمت فيضيع دون فائدة، علماً بأن الأب يقضي في السيارة مع الأولاد وقتاً ليس بالقصير، خاصة في المدن الكبيرة حيث ازدحام الناس والسيارات. فلو استغله بتعليم الأولاد بعض الأذكار الجديدة، أو استذكار ما حفظوه منها، كانت الفائدة كبيرة إن شاء الله تعالى.

المبحث السابع

الأخلاق مع غير المكلفين

أولاً: الأخلاق مع الحيوان

- (١) - الرحمة بالحيوان
 - (٢) - اقتناء الحيوانات
 - (٣) - طرق التعامل مع بعض الحيوانات
 - (٤) - إدراك الحيوان
- ثانياً: الأخلاق مع الجماد

المبحث السابع: الأخلاق مع غير المكافين

يضع الإسلام للإنسان أطر التعامل مع كل من حوله من البشر بجميع فئاتهم، فينظم أساليب التعامل وحدودها ليعيش المسلم في جو من الألفة والراحة النفسية، لمعرفة الطريق الأمثل في علاقاته بالناس، وهذا لا يكون إلا للمسلم الذي يستمد هذه التوجيهات والأساليب من وحي الله المبارك في كتابه المنزل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ولا يقتصر الإسلام في منهجه الشامل على تنظيم علاقات المسلم بالناس فحسب، بل يتعدى ذلك ليحدد أسلوب وعلاقة المسلم بغير المكلفين من الحيوان والجماد، فيؤمر بقتل بعض الحيوانات والحشرات، ويُنهى عن التعرض للبعض الآخر منها، ويؤمر بعدم شتمها أو تحريقها؛ لما تقوم به من ذكر لربها وتسبيح له، وفي جانب الجماد، تأتي النصوص في القرآن وعلى لسان النبي ﷺ تبين كيف يتعامل المسلم مع ما حوله من ظواهر مختلفة، وكيف أن هذه الجمادات تحيى في جو من التسبيح والتهليل.

إن إدراك هذه القضايا، واستشعارها والعيش معها يوقع في النفس الأنس والطمأنينة، فالكل عابد خاضع لله عز وجل وتحت قدرته ومشيبته. يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي مبيناً أهمية هذا الاستشعار ودوره في تربيته الطفل:

«والأنس بما حولنا من كائنات، وحوادث كونية، كلها مثلنا مخلوقة من مخلوقات الله، هذا الأنس من أهم نتائج تعاليم الإسلام ومن آثار العقيدة الإسلامية... التي يجب رعايتها في نفس الطفل على مر الزمن، فيكسب بذلك الثقة بربه والأنس بمخلوقات الله، ومن ثم يصبح عظيم الثقة بنفسه،

لا يخشى شيئاً من ذلك كالظلام والبحر والشلال والحيوانات والرياح والأمطار والبرق والرعد»^(١).

ومن هذا المنطلق تتضح للأب أهمية إحياء ابنه في هذا الجو اللطيف من حياة التسبيح والتمجيد لله عز وجل، فيشعره أن الجميع منشغل بالذكر والتهليل حتى وإن بدا لنا غير ذلك، فليس هو الوحيد الذي يذكر الله ويعبده، بل غيره كثير من مخلوقات الله لا تفتر عن ذكره وتسبيحه وتمجيده سبحانه وتعالى.

وفيما يلي نستعرض بعض الجوانب الهامة في معاملة الحيوان، مُبينين توجيهات الإسلام في ذلك، وكيف يقوم الأب بتأديب ولده وتوجيهه للأخذ بهذه الآداب، والأخلاق الإسلامية في معاملة غير المكلفين.

أولاً: الأخلاق مع الحيوان:

١ - الرحمة بالحيوان:

شملت رحمة الإسلام الحيوان، فجاءت النصوص والتوجيهات النبوية الكريمة بالمحافظة على حق الحيوان وحمانيته من بطش الإنسان. يقول عليه الصلاة والسلام في المرأة التي حبست الهرة دون أكل: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»^(٢). وهذا هو العدل المطلق الذي يقرب الأب مفاهيمه إلى ولده ويوجهه بعدم الإساءة إلى الحيوانات التي يملكها في البيت، بل يحسن إليها، فإن أساء خوفه من الله وأشعره أن الله سائله عن ذلك.

وفي التحريش بين البهائم قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»^(٣)، وهذا الفعل كثيراً ما يقع من

(١) النحلوي، عبد الرحمن، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، ج ٤، ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في التحريش بين البهائم، حديث رقم (٢٥٦٢)، ج ٣، ص ٢٦.

الأولاد لما فيه من الإثارة والاستمتاع، فيثيرون الخرفان بعضهم على بعض ليتناطحوا، أو يثيرون القطط لتقاتل، أو غيرها من الحيوانات. وبهذا النهي يؤدب الأب أولاده وينهاهم عن ذلك، ويشغلهم بغير هذا النوع من اللعب المذموم، كأن يشغلهم بالنظر إلى عجائب خلق هذه الحيوانات، فيلفتهم إلى طريقة أكلها، وشربها للماء، وكيف تحنو الأم على صغارها وترعاهم، ويأمرهم أن ينشغلوا برعايتها فيهيئوا لها الطعام والشراب، وينظفوا الحظيرة، فينشغلوا بذلك عن الإساءة إليها، ويتدربوا على الإحسان إليها، ورحمتها.

ومن باب الإساءة للحيوان، خاصة الطيور منها اتخاذها هدفاً للصيد، دون الانتفاع بأكلها، وهذا من الأعمال المنهي عنها، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من قتل عصفوراً بغير حقه سأله الله عنه يوم القيامة. قيل: وما حقه؟ قال: أن تذبحه فتأكله»^(١). والأولاد يميلون عادة إلى ألعاب الصيد ويحبونها، ولا شك أن الصيد الحي أحب إلى الولد البارح من التصويب على هدف غير حي، وعلى الأب في هذا الجانب أن ينكر على الأولاد ذلك إن صدر منهم، ويحاول أن يقنعهم باللعب بالأهداف الثابتة دون الأهداف الحية إلا أن يشترط عليهم الانتفاع بما يصيدونه من طيور وغيرها، فإن وافقوا أخذهم إلى المناطق المخصصة لصيد الطيور ملاحظاً أن يكون خارج الحرم لعدم جواز الصيد فيه، وللأب في عبدالله بن عمر رضي الله عنهما القدوة في إنكار ذلك على الصبيان، فقد روى سعيد بن جبير أنه كان معه في الطريق فإذا بصبيان يرمون دجاجة فقال ابن عمر: «من فعل هذا؟ فترقوا فقال: إن رسول الله ﷺ لعن من مثل بالحيوان»^(٢).

وقد ورد عن رسول الله ﷺ في هذا الموضوع النهي عن أقل من القتل والإيذاء البدني، فقد نهى حتى أن يساء إلى الحيوان باللعن أو الشتم^(٣)، ولم

(١) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الأضاحي، باب من قتل شيئاً من الدواب عبثاً، ج ٢، ص ٨٤.

(٢) المصدر السابق، باب النهي عن مثلة الحيوان، ج ٢، ص ٨٣.

(٣) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم (٨٠)، (٨١)، (٨٢)، (٨٣)، ج ٤، ص ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥.

يقتصر عليه الصلاة والسلام على نوع من الحيوان، بل شمل توجيهه هذا حتى الحشرات التي لا يؤبه بها ولا يلتفت إليها، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً لعن برغوئاً عند النبي ﷺ، فقال: «لا تلغنه فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء للصلاة»^(١). وهكذا لا يترك عليه الصلاة والسلام مجالاً للإساءة حتى للحشرات ليضع للمسلم دستوراً ينظم حياته كلها، ويعرف من خلاله علاقاته بما حوله من مخلوقات الله عز وجل.

وهذا النوع من التعامل الراقى الرفيع مع الدواب يكسب الولد أدباً وشعوراً وإحساساً في نفسه وعقله وكأنه يقول لنفسه: «إذا كانت هذه المعاملة الحسنة مشروعة ومطلوبة مع الحيوان فكيف ببني الإنسان؟ بل وكيف بالوالدين، والعلماء، والأساتذة؟» فيكتسب الولد من هذا التدريب على التأدب في معاملة الحيوان شعوراً مرفهاً نحو التعامل مع المسلمين.

٢ - اقتناء الحيوانات:

يميل الأطفال إلى مداعبة الحيوانات الأليفة، حيث تجذب انتباههم، وتمتلك مشاعرهم عند مشاهدتها، والطفل في الفترة من ثلاث إلى أربع سنوات يدرك ويفهم مداعبة الحيوانات، ويحب ملاحظتها ومراقبتها في أكلها وشربها ونومها^(٢). وفي هذه الفترة من عمر الطفل يمكن للأب أن يقتني لولده بعض الحيوانات الأليفة مثل الدجاج، والغنم أو الخرفان، والحمام، وغيرها، فإن لم يتمكن من ذلك لعدم توفر المكان عنده، أو لقلّة ذات اليد، اقتصر على بعض الطيور الجميلة توضع في القفص داخل المنزل أو في غرفة الطفل، فإن حبس الطيور مع الاهتمام بها جائز^(٣)، كما يمكنه اقتناء القطة^(*)، فإن اقتناءها سهل ميسر، ولا تكلف الأب شيئاً من المال، كما أنها

(١) البخاري، الأدب المفرد، باب لا تسبوا البرغوئ، حديث رقم (١٢٤٢)، ص ٤١٠.

(٢) يونس، أحمد السعيد، طفلك في عامه الثامن، ص ٧١.

(٣) انظر: البخاري، الأدب المفرد، باب الطير في القفص، حديث رقم (٣٨٥)، ص ١٣٩.

(*) على أن يكون هذا الاقتناء بغير شراء، فإن ثمن الهر منهي عنه. انظر: الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب البيوع، حديث رقم (٢٧٤)، ج ٣، ص ٧٣.

طاهرة غير نجسة، وهي - كما جاء في الحديث - تعتبر من متاع البيت^(١).

وجود الحيوانات الأليفة في البيت يعتبر وسيلة جيدة لتعليم الأولاد المسؤولية تجاه الأحياء، كما أنها تعلم الولد السلوك الاجتماعي من خلال علاقاتها ببعضها البعض، فتكون مساعدة للولد على عملية التطبيع الاجتماعي^(٢).

ولا بأس أن يعطي الأب أولاده الحرية في تكوين علاقات مع هذه الحيوانات الأليفة كأن يطلقوا عليها الأسماء اللطيفة ليميزوا بين بعضها البعض فإن هذا جائز؛ بل ربما يكون سنة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يسمي دوابه فناقته القصواء، وحماره عفير، وأفراسه اللحيف والظرب واللزاز والمرتجز، وبغلته دلدل^(٣)، فلا مانع من أن يوجه الأب أولاده لهذا النوع من التعامل مع الحيوانات الأليفة، خاصة إن وجد من بعض أولاده خجلاً وعدم الميل لمخالطة الناس، فإن هذا الصنف من الأولاد يميلون عادة ويحبون التعامل مع الحيوانات الأليفة لسهولة ذلك التعامل على نفوسهم أكثر من التعامل مع الأصدقاء والمعارف^(٤).

وإن عجز الأب عن اقتناء بعض الحيوانات في البيت لأي سبب من الأسباب، فإن أفضل الحلول أن يأخذ الأولاد من وقت لآخر إلى البادية خارج المدينة حيث يرى الولد الأغنام والمواشي المختلفة كالبقرة والجمال وغيرها، ويقضي معها بعض الوقت، يراقب سيرها وجلوستها، وأكلها وشربها، ويتعلم أسماء تلك الحيوانات ويميز بينها.

والأب في هذه المناسبات الجيدة لا يقتصر مع أولاده على مجرد

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الصلاة، ج ١، ص ٢٥٤-٢٥٥.
والحديث صحيح الإسناد.

(٢) فينكس، فيليب، فلسفة التربية، ص ٣٠٦.

(٣) انظر: البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب السبق والرمي، باب ما جاء في تسمية البهائم والدواب، ج ١٠، ص ٢٥-٢٦.

(٤) يونس، أحمد السعيد، طفلك في عامه الثامن، ص ٧٢.

المشاهدة، دون الاعتبار بل يوجههم إلى عظيم خلق الله وإبداعه في هذه الدواب، وأنها نعمة من عنده سبحانه وتعالى، نأكل من لحومها، ونشرب من لبنائها، ونركب بعضها، وبذلك يخرج الأولاد من يومهم ذاك بمتعة جيدة بالإضافة إلى المعلومات الجديدة، والزاد الروحي في التعريف بنعم الله عز وجل.

وإذا توفر لدى الأب في مدينته حديقة للحيوان فإنها من الحلول الجيدة أيضاً بالنسبة للأباء، الذين لا يمكنهم اقتناء الحيوانات في البيت، فيأخذهم الأب في بعض أوقات الإجازات إلى إحدى حدائق الحيوان هذه، ويطلعهم على مختلف الحيوانات، يعرفهم بأسمائها، وأماكن وجودها، مبيناً قدرة الله وعجائب خلقه التي تتجلى في هذه الدواب.

وقد يواجه الأب ميل الأولاد لاقتناء بعض الحيوانات المحرم أو المكروه اقتنائها وهذه القضية وهذا الميل لا يحدث في العادة إلا إذا أهمل الأب توضيح هذه المسائل لهم منذ الصغر، فالولد الذي علم حرمة اقتناء الكلب، وكراهية لمسه، وأنه نجس^(١)، لا يمكن أن يطلب من أبيه أن يشتري له كلباً، ولو فكر الولد في هذه القضية ورغب تقليد بعض الأولاد في الأسر التي لا تلتزم منهج الإسلام، فإن دور الأب هنا هو توضيح هذه المسألة، وأن شراء الكلب غير جائز، وأنه نجس ويحمل بعض الأمراض الخطيرة، إلى جانب أن اقتناءه لغير حاجة ينقص من عمل الرجل كثيراً من الأجر الذي يكتسبه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط، إلا كلب حرث أو ماشية»^(٢)، ولا ينبغي للأب أن يلين مع الأولاد في هذه القضية، بل تكون وقفته صارمة مع الإقناع بالحكمة.

وقضية أخيرة يراعيها الأب مع ولده إذا تكونت بينه وبين حيوان من حيوانات البيت الأليفة علاقة قوية، وحب واهتمام، كتعلق الولد بحب

(١) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ١، ص ٤١ - ٤٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ما جاء في الحرث والمزارعة، باب اقتناء الكلب للحرث، ج ٣، ص ١٣٥ - ١٣٦.

الخروف مثلاً. فإن ذبح هذا الخروف أمام الولد، وتقديمه للأكل يسبب للولد إحباطاً نفسياً، وإحساساً بالألم، وربما جره ذلك إلى كره أكل اللحم بالكلية لشدة ما يجده في نفسه من الحزن، فتتكون في نفسه عقدة تُنفّرهُ من لحم الخرفان. لهذا يراعي الأب هذه المسألة فإن احتاج لذبح الخروف الذي تعلق به الولد مهد لذلك، وذبحه بعيداً عن نظر الولد وعلمه، ولو تركه له لكان ذلك أفضل. وعلى الأب أن يفهم أولاده من أول الأمر أن هذه الحيوانات من الأغنام والخرفان خلقت لتذبح وليستفاد من لحمها، ولم تخلق للهو بها، والاستئناس بطول بقائها، فتتكون لدى الولد قابلية نفسية، وتصور مبدئي عن احتمال حدوث شيء من الأذى لحيوانه الأليف، فلا يكون الوقوع على نفسه وشعوره شديداً كالولد الذي لم يشعر بذلك أصلاً.

٣ - طرق التعامل مع بعض الحيوانات:

وقد جاء في السنة المطهرة الأمر بقتل بعض الحيوانات والحشرات، كما جاء أيضاً النهي عن قتل أنواع معينة من الدواب، والأب المسلم يتقيد بهذه التوجيهات ويعلمها أولاده، ويطبق ذلك عملياً معهم.

فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام الأمر بقتل الوزغ ورتب على ذلك الأجر^(١)، كما جاء عنه الأمر بقتل الفواسق الخمس، فقال عليه الصلاة والسلام: «خمس فواسق يقتلن في الحرم الفأرة والعقرب والحديب والغراب والكلب العقور»^(٢).

إن تقيد الأب بالسنة والأخذ بهذه التوجيهات المستحبة، وتدريب الأولاد على ذلك فيه إن شاء الله فوائده كبيرة تعود على الأب والأولاد، إلى جانب الأجر المترتب على اتباع السنة. كما أن ظهور الأب بكامل الشجاعة عند رؤية وزغة مثلاً، أو حشرة من الجائز قتلها، ومسارعة لقتلها يعود الطفل

(١) انظر: الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الأضاحي، باب في قتل الوزغ، ج ٢، ص ٨٩.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، ج ٤، ص ١٥٧.

على عدم الخوف من هذه الدواب، كما يعلمه أن ما ورد في السنة المطهرة ليس لمجرد المعرفة فحسب، بل هو للتطبيق العملي الواقعي، فيقع في نفس الولد تعميم ذلك على كل ما ورد عن الله ورسوله من توجيهات في جميع شؤون حياة الإنسان، فيؤمن بوجوب التطبيق والاتباع.

وليس من الحكمة في شيء أن يظهر الأب خائفاً أمام الأولاد عند رؤية الفأرة مثلاً، أو الوزغة على الجدار، فإن هذا السلوك الذي لا يليق برجل كبير قدوة لأولاده، يُعدُّ سلوكاً خاطئاً؛ إذ أن الأب لن يستطيع أن يطبق سنة المسارعة في قتل هذه الدواب، واكتساب الأجر، كما أن الأولاد - بلا شك - سوف يقتدون به، فيخافون هذه الدواب، فيضرهم الأب بسلوكه الخاطيء، ويجرهم إلى تبني مخاوفه الخاصة.

والذي ينبغي للأب اتخاذه إن كان قد ابتلي بالجزع من هذه الدواب - كما هو الحال مع كثير من الناس - أن يحرص كل الحرص على عدم نقل هذا الخوف والجزع إلى أولاده عن طريق المحاكاة والمشاهدة، بل يحاول أن لا يظهر عليه الارتباك أو الخوف، ويتشغل عن الأولاد بأي شيء، ويأمر من يراه من أهل البيت، أو الولد الكبير بقتل هذه الدابة بالتعاون مع بعض الأولاد، فيكون بذلك قد خرج من المأزق دون أن ينقل للأولاد بطريق غير مباشر مخاوفه وجزعه، وفي نفس الوقت يكون قد شجع الأولاد على المبادرة بتطبيق السنة، والشجاعة في ذلك.

ويعلم الأب أولاده أدب القتل فلا يؤذون هذه الدواب عند قتلها كأن يحرقوها بالنار، أو يحبسوها حتى تموت جوعاً وعطشاً، أو يقتلوها بالتدريج ويقطعوها، ولكن يعلمهم السنة في قتلها مباشرة دون تعذيب.

وليس كل دابة أو حشرة تُقتل، بل قد جاء النهي عن قتل بعض الدواب والحشرات، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربعة: الهدهد والصرد والنملة والنحلة»^(١)، كما ورد عنه ﷺ

(١) ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب قتل الحيوان، =

النهي عن قتل الضفدع^(١)، والحيات التي في البيوت حتى تؤذن ثلاثة أيام^(٢).

فلا يترك الأب أولاده يندفعون متسلطين على كل دابة أو حشرة يصادفونها فيقتلونها؛ بل يؤدبهم بأدب السنة المطهرة ويأمرهم أن يسألوه عن الدواب التي تقتل والتي لا تقتل قبل أن يقدموا على إيذاء بعضها بغير حق، فيتعلم الأولاد أن الإسلام يحكم جميع شؤون حياتهم، ويحدد لهم علاقاتهم حتى بالدواب والحشرات، فيخرج الكبار منهم بدرس عميق، كأن يقول أحدهم في نفسه: «إذا كان الإسلام، وحكم الله ورسوله، يصل إلى تنظيم حياة الإنسان وعلاقته حتى بالدواب، أفلا ينظم الإسلام حياة الإنسان وعلاقته في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة وسائر الشؤون الأخرى؟».

إن هذا الدرس عظيم، والأمة في حاجة ماسة إلى إعادته في أذهان أكثر المسلمين، إذ أن البعض لا يزال يعتقد أنه لا شأن للإسلام بعلاقات الدول أو الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع أو الثقافة؛ بل يظن أن الإسلام لا يطبق إلا في الأحوال الشخصية والأسرة، ولكن عندما يشاهد الطفل بتوجيه من أبيه أن الدين يحكم كل نشاطات الإنسان المختلفة بما فيها هذه الدقائق المهملة في أعين أكثر الناس من تحديد علاقة الإنسان بالدواب والحشرات، فإن الطفل يتعلم أن الدين شامل كامل، ليس هناك قضية إلا والله ورسوله حكم فيها، والمسلم مطالب بها ومحاسب عليها. فينشأ على هذه المفاهيم الجيل الإسلامي المنشود، الذي تتغير به الموازين الحديثة، وتحسن به أوضاع الشعوب الإسلامية المنكوبة.

= حديث رقم (٥٦١٧)، ج٧، ص٤٦٣. والسرور: طائر كبير الرأس والمنقار له ريش كثير نصفه أبيض ونصفه أسود. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص٢١.

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٤٤٦.

(٢) انظر: مالك، موطأ الإمام مالك، ما جاء في قتل الحيات وما يقال في ذلك، حديث رقم (١٧٨٣)، (١٧٨٥)، ص٥٣٥-٥٣٦.

٤ - إدراك الحيوان :

إن لهذه الحيوانات إدراكاً خاصاً، تعرف به ربها وتعبده وتسبحه، ولكن الإنسان بغفلته لا يدرك هذا التسبيح وهذا الخضوع الكامل من الحيوان لربه عز وجل، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى كاشفاً للبشر عن تلك الحقيقة من التسبيح والتهليل والتمجيد لرب العالمين: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١)، ويقول في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾^(٢). ويقول عطاء رحمه الله معلقاً على هذه الآية: «أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة»^(٣)، أي أن هذه الدواب غير العاقلة تحيا حياة فيها الخضوع والذل والعبودية لله عز وجل، كما أنها تعرف خالقها وموجدتها وتسبح له وتمجده.

وقد كان نبي الله سليمان عليه السلام يعرف لغات الحيوانات ويكلمها ويعقل عنها، مما يدل على أن لهذه الدواب لغاتها التي تفاهم بها^(٤)، وقد ثبت عنه ﷺ إخبار أصحابه أن بقرة كلّمت صاحبها، وأن ذبأ كلّم راعي غنم^(٥)، وقد نُقل عنه في موضوع إدراك الحيوانات، ومعرفتها به شخصياً عليه الصلاة والسلام ما هو كثير، فتارة يأتيه جمل يشتكى صاحبه، وتارة يشهد جمل عنده على رجل، وهكذا فقد نقل عنه عليه الصلاة والسلام في هذا الجانب ما يوقع في النفس عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وعجائب صنعه في

(١) الإسراء ٤٤.

(٢) الأنعام ٣٨.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ٩٥.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

انظر أيضاً: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٦٣٤ - ٢٦٣٥.

(٥) انظر: البخاري، صحيح البخاري، ما جاء في الحرث والمزارعة، باب استعمال البقر للحرثة، ج ٣، ص ١٣٦.

هذا الكون^(١). ويخرج الإنسان من كل هذا بأدب مع هذه الحيوانات العجماوات، وعدم إغفالها بالكلية، خاصة وأنها تدرك أسباب البلاء، وتلعن أصحاب المعاصي وتكرههم، فقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(٢)، قال مجاهد رحمه الله: «إذا أجذبت البهائم دعت على فجار بني آدم» وقيل أيضاً: «يلعنهم كل شيء حتى الخنفساء»^(٣)، فهذه البهائم تعرف أن أسباب جذب الأرض، وقلة الخيرات معاصي بني آدم، وانحرافاتهم لذلك تلعن العصاة منهم، كما أنها في نفس الوقت تحب الصالحين منهم، وتستغفر لهم، وتدعو لهم كما جاء في الحديث: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(٤).

فمن هذا المنطلق، ومن هذه المفاهيم الجليلة، يدرك الأب أهمية إشعار الولد بهذا الجو المليء بالحياة، المفعم بالذكر، ليعيش الولد أوقاتاً من الزمن مستحضراً لهذا الخضوع الكوني العجيب لله رب العالمين، ومن ثم يعرف أن هذه الحيوانات، حتى الحشرات، تعرف أهل المعاصي فتبغضهم وتلعنهم ولا تحبهم، فيتجنب أن يكون منهم، أو أن يتشبه بهم، كما أنه في نفس الوقت يعرف أن هذه الدواب تحب أهل الخير وتستغفر لهم، فتراه يتشبه بهم، ويحاول أن يكون منهم.

ومن المستحسن أن يذكر الأب الولد بهذا الشعور من وقت لآخر، خاصة في أوقات الخلوات مع الولد، وعند الأصيل قرب الغروب إذا كانا في

(١) انظر: الهشمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب علامات النبوة، باب في معجزاته ﷺ، ج ٩، ص ٧-١٤.

(٢) البقرة ١٥٩.

(٣) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج ١، ص ١٦٢.

(٤) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٥)، ج ٥، ص ٥٠. والحديث غريب.

نزهة، على شاطئ البحر، أو بين الأشجار، ففي ذلك الوقت تكون النفس مستقرة، ومفتحة لقبول ما يقع فيها من مثل هذه المعاني الروحانية المباركة، فإن شعر الطفل بهذه القضية وأدركها إدراكاً لا شكوك فيه، فإنه يعيش حياة لا ملل فيها فهو ليس الوحيد في عبادة الله، بل غيره كثير من دواب الأرض وحشراتنا فضلاً عن عباد الله الصالحين، الكل منهمك في عبادة الله عز وجل، منشغل بالتسبيح والتهليل والتكبير.

إن دور الأب في هذه القضية هو تركيزها في نفس الولد، وجعله يعيشها وقتاً من الزمن، متجنباً مناقشتها من الناحية العلمية المخبرية، فإن المؤمن بالله المصدق لرسوله ﷺ، لا يحتاج إلى أدلة علمية ليصدق ويؤمن بما جاء عن الله ورسوله، بل يسلم بكل ما ورد عن الله ورسوله، ويحاول أن يفهم ويعقل، فإن وصل إلى بغيته من إقامة الأدلة الشرعية والعلمية التجريبية على قضية من القضايا فهذا حسن، أما إن لم يتمكن من ذلك اكتفى بالإيمان بالأدلة الشرعية دون الأدلة العلمية التجريبية.

إذا فهم الأب هذا المبدأ العظيم فإنه من السهل عليه عندما يحاول ولده أن يدرك هذه القضايا الغيبية إدراكاً تجريبياً، أن يلفت نظره إلى عظيم قدرة الله، وأنه قادر على كل شيء، فلا يعجزه أمر، فإن هذا الإيمان الكامل بعظيم قدرة الله عز وجل كافٍ لأن يصدق المسلم بكل ما يرد عن الله ورسوله من عجائب الغيب، وغرائب الكون.

ويمكن للأب أن يركز هذا المبدأ عملياً في نفس ولده، فإذا رآه مقدماً على إيذاء نملة أو خنفساء، أو غير ذلك من الحشرات غير الضارة، فإنه يزجره زجراً خفيفاً مشيراً له أن هذه الدابة تسبح ربها، وتدعو للصالحين، فيأمره بتركها. وبهذا الأسلوب يستقر في نفسه عملياً إدراك هذه الدواب وخضوعها لله عز وجل، فلا يقدم على إيذائها بعد ذلك.

ثانياً: الأخلاق مع الجماد:

للجماد إدراك خاص، كما أن للحيوان إدراكه؛ إذ أنه مسخر لله يسبحه

ويمجده كما هو الحال مع الحيوان، ولكن إمكانية قبول ذلك وسريانه على الحيوان أقرب وأسهل من التسليم به للجماذ عند ضعف الإيمان، والمسلم يؤمن بكل هذا ما دام أنه وارد عن الله عز وجل، وعن رسوله ﷺ، ولا يحتاج إلى إثباته مخبرياً، بل يكفيهِ الدليل الشرعي، كما تقدم. فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز مشيراً إلى اشتراك الجماد والحيوان في التسبيح له والتمجيد: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَقًّا وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ الشَّجَرَةَ أَطْرَافًا تَلْعَبُونَ فِيهَا وَقَدَّمَ لَكُمْ فِيهَا أَمْطًا كَثِيرًا مِنْ شَجَرَةٍ تُبَلِّغُ أَصْوَابَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١)، وقوله: ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَيْسَ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٢).

فالكل منهمك منشغل بالتسبيح لله عز وجل، وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أن الصحيفة تستغفر لمن يلعبها ولا يذير فيها شيئاً من الطعام (٣)، كما ورد عنه أنه قال: «يغفر الله للمؤذن مد صوته ويشهد له كل رطب ويابس سمع صوته» (٤)، ونقل عنه أيضاً أن حجراً بمكة كان يسلم عليه قبل أن يُبعث (٥)، كما أنه أمر مرة شجرة أن تأتيه إلى مكانه فجاءت وسلّمت عليه، ثم أمرها أن تعود فعادت (٦)، ونقل عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَذُكَّرُ عَنْ أَخْبَارِهَا﴾ (٧) قال عليه الصلاة والسلام: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا، فهذه أخبارها» (٨)، وقد

(١) النور ٤١.

(٢) الإسراء ٤٤.

(٣) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في اللقمة تسقط، حديث رقم (١٨٠٤)، ج ٤، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ والحديث غريب.

(٤) أحمد، المسند، ج ٢، ص ١٣٦.

(٥) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث رقم (١)، ج ٤، ص ١٧٨٢.

(٦) انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب علامات النبوة، باب في معجزاته عليه الصلاة والسلام، ج ٩، ص ١٣. وإسناد الحديث حسن.

(٧) الزلزلة ٤.

(٨) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة إذا زلزلت الأرض، حديث رقم (٣٣٥٣)، ج ٥، ص ٤٤٦ - ٤٤٧. والحديث حسن صحيح.

نقل عنه في هذا المجال الغيبي ما هو كثير مستفيض . والمقصود هو أن يعرف الأب أن قضية إدراك الجماد قضية واقعة في الدين، وإن نقلها إلى الولد وإشعاره بها، وجعله يعيش ذلك الجو الممتلىء بالتسبيح والتهليل، له بالغ الأثر في نفسه وكيانه لما يوقعه من الأنس والاطمئنان . ويعلق سيد قطب رحمه الله على هذه القضية، واصفاً شعور المسلم واستحضاره لهذه المسألة فيقول:

«إنه لمشهد كوني فريد، حين يتصور القلب، كل حصة، وكل حجر، وكل حبة، وكل ورقة . . . كل حشرة، وكل زاحفة، كل حيوان، وكل إنسان، وكل دابة على الأرض، وكل سابحة في الماء والهواء . . . ومعها سكان السماء . . . كلها تسبح لله وتتوجه إليه في علاه . . . إن الوجدان ليرتعش وهو يستشعر الحياة تدب في كل ما حوله مما يراه، ومما لا يراه، كلما همت يده أن تلمس شيئاً . . . سمعه يسبح لله، وينبض بالحياة»^(١).

إن هذا التعليق الذي ذكره سيد قطب رحمه الله من استشعار تلك الحياة في كل شيء مما حولنا، وانشغال الدواب والجماد - على حد سواء - بالتسبيح والتمجيد لله عز وجل، إن هذا الاستشعار بهذا الوصف العميق ينبغي أن ينقل إلى قلب الولد، ويستقر فيه، ويعيشه وقتاً من الزمن، مستحضراً ومستشعراً تلك الحياة العجيبة التي تحياها هذه الجمادات، فإنه بهذا الشعور يشعر بالأنس والاطمئنان لكل ما حوله فلا يخاف من ذلك شيئاً .

إن الطفل يمكن أن يصدق بهذه الحقائق الكونية خاصة الطفل الصغير، فإن خياله فياض، ولديه قدرة بالغة على التصديق بأكثر من هذا، فإن الخيال يشغل جزءاً كبيراً من نشاطه العقلي^(٢)، فهو الذي يمتطي العصا ويقول إنها

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢٢٣٠ - ٢٢٣١ .

(٢) الحاج، فائز محمد، بحوث في علم النفس العام، ص ٢١١ .

الفرس، وهو الذي يصارع الأسد فيصرعه ويغلبه، وهو الذي يعتقد أنه يمكن أن يطير في الفضاء حيث شاء.

إن هذا الخيال الواسع عند الطفل الصغير يمكن أن يستغل في تثبيت مثل هذه الحقائق الربانية الكونية العظيمة، أما الطفل الكبير الذي ناهز الحلم فالتوجيه المباشر يكفيه. وللاب أن يختار الوسائل، والأساليب المناسبة لإشعار ولده بهذه المعلومات، فيختار أوقات السكون والتأمل، حيث يكون المزاج معتدلاً، والنفوس مقبلة على الله، كالأوقات بعد صلاة الفجر، ومع بزوغ أشعة الشمس، وعند الخروج للنزهة. يستغل الأب تلك الأوقات المناسبة ليوجه الولد نحو هذا الجلال العظيم مبيناً له أن هذه الجمادات لها إدراكها الخاص تعبد الله به، كما أنها تعرف الصالحين وتحبهم وتعرف الفاسقين وتبغضهم، فإذا مات المؤمن الصالح بكت عليه السماء والأرض لحبها له لأنه صالح خير^(١)، كما أن الأشجار والأحجار تحب الصالحين وتدعو لهم، فهذا رسول الله ﷺ ينظر إلى جبل أحد فيقول: «هذا جبل يحبنا ونحبه»^(٢)، وتعليقاً على هذا الحديث يقول ابن حجر رحمه الله: «جبل يحبنا ونحبه قيل هو على الحقيقة، ولا مانع من وقوع مثل ذلك بأن يخلق الله المحبة في بعض الجمادات»^(٣).

إن دور الأب هام في تأصيل هذه المفاهيم والمعاني في نفس الولد، وتأديبه عليها ليتعامل مع هذه المتغيرات الكونية المختلفة تعاملاً صحيحاً. فإذا عاين الريح أمر بأن لا يسبها أو يكرهها بل يدعو بالدعاء المأثور الوارد في ذلك^(٤)، وإذا سمع صوت الصواعق أعلم أن هذا من أمر الله، وأن هذه

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٥٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، ج ٤، ص ٤٣.

(٣) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٢، ص ٤٢.

(٤) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الفتن، باب ماجاء في النهي عن سب الريح، حديث رقم (٢٢٥٢)، ج ٤، ص ٥٢١. والحديث حسن صحيح.

الصواعق والرعد والبرق كلها مخلوقة لله عابدة له مسبحة بحمده لن تضر أحداً إلا بإذنه، ويوجهه للدعاء المأثور في ذلك: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»^(١)، وكذلك إذا رأى من آيات الله في الكون ما يعجبه كالهلال مثلاً فإن الأب يعلمه الدعاء المأثور في ذلك: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله»^(٢)، فيستشعر الولد بقوله «ربي وربك الله» كأنه يخاطب الهلال وهو الجماد، فيحس أنه يسمعه ويعقل عنه.

وقد كان من سنته عليه الصلاة والسلام إعطاء تلك الجمادات نوعاً من التكريم وكأنها عاقلة مدركة، فقد كان يطلق على بعض أدواته الأسماء مثل ما كان يفعل مع دوابه فأطلق على سيفه اسم «ذو الفقار»، وعلى درعه «ذات الفضول»^(٣)، فلا مانع أن يترك الأب لابنه الفرصة في أن يعامل أغراضه وأملكه بهذه الطريقة فيسميها بأسماء مناسبة، ويعاملها معاملة العاقل، فإن هذا الأسلوب يقوده إن شاء الله لاستحضار وإدراك الحياة في كل ما حوله، فيتأدب مع كل ذلك. فإن عمل خطأ ذكر بأن الأرض تسمع كلامه وسوف تشهد عليه بأنه أخطأ في يوم كذا وعمل كذا وكذا كما جاء في الحديث المتقدم، فيكون تصوره لهذه الحياة في الجمادات مدعاة لتأدبه وتخلقه بالأخلاق الحسنة خجلاً من إدراكها لقبح عمله.

وقضية أخيرة ينبغي ملاحظتها وهي ما يفعله بعض الناس عندما يصطدم الطفل مثلاً بكرسي أو مائدة في المنزل أو نحو ذلك، فيُلام الكرسي أو المائدة، وربما قام الأب بضرب ذلك الكرسي وشمته لأنه أزعج الطفل وآلمه. إن هذه القضية خطأ لا ينبغي الوقوع فيه وتعويد الطفل عليه؛ فقد ينشأ

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الأدب، ج ٤، ص ٢٨٦. والحديث صحيح الإسناد.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٣) انظر: البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب السبق والرمي، باب ما جاء في تسمية البهائم والدواب، ج ١٠، ص ٢٦.

الطفل لواءً لكل ما حوله ومن معه، يحملهم أخطاءه، إلى جانب أن هذا الفعل فيه إحاء للطفل بكره البيئة من حوله^(١)، فما يقوم به الأب من تحبيب البيئة إلى نفس الولد وإشعاره بحبها له يمكن أن يزول بسبب تكرار مثل هذا التعامل الخاطيء، ولوم البيئة من حول الطفل، فتذهب وتندثر تلك المتعة الروحية عنده فيصبح مبغضاً لما حوله. ولا ينبغي للمسلم أن يتخذ البيئة من حوله عدواً له، فالعلاقة بين المسلم والكون المحيط به علاقة انسجام ووثام، لا علاقة صراع وعداوة.

(١) لادل، ر.م.، مشكلات الطفولة، ص ٣١.

الفصل الثالث

مسؤولية الأب في التربية الفكرية

مقدمة

المبحث الأول: الملكات العقلية عند الولد وتنميتها
المبحث الثاني: معوقات التربية الفكرية
المبحث الثالث: وسائل التربية الفكرية

الفصل الثالث

مسؤولية الأب في التربية الفكرية

مقدمة :

يهتم الإسلام بتربية الفرد في المجتمع من جميع الجوانب، فكما يهتم بتربيته من الناحية الجسمية والروحية والخلقية، كذلك فإنه يولي أهمية كبرى لتربية الفرد المسلم من الناحية الفكرية؛ وذلك ليكمل بناءه من جميع الجوانب.

والتربية الفكرية في الإسلام تسعى إلى تنمية ذكاء الفرد، وقدرته على التأمل، والتفكير، والنظر، وتنمية قدرته على التخيل والتصوير، إلى جانب تقوية ذاكرته، وإعطائه القدرة على التحليل، وإدراك العلاقات بفهم عظام التاريخ، وربطها بواقع الحياة، وربط العلة بالمعلولات، والأسباب بالنتائج، إلى جانب اهتمامها بتنمية القدرة على التعبير، فهي بذلك تشمل جميع نشاط الإنسان العقلي^(١).

وهي إذ تهتم وتُعنى بهذه القدرات العقلية وتنميتها، فإنها تهدف من وراء ذلك إلى الوصول إلى الغاية الكبرى من معرفة الله عز وجل وحبه وعبادته، فليس التفكير في الإسلام لمجرد التفكير فحسب^(٢)؛ لهذا كان العقل أهم وسيلة للوصول إلى معرفة الله عز وجل من خلال آياته «إذ بدون العقل لن نعرف الآية، وبدون الفكر لن يُعرف صاحبها»^(٣).

والتربية الفكرية تهتم أيضاً إلى جانب تثبيت العقيدة في نفس الطفل:

(١) سلطان، محمود السيد، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، ص ١١٣-١١٤.
(٢) أبو العينين، علي خليل، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ص ١٧١.
(٣) حوى، سعيد، الله جل جلاله، ص ١٤.

بناء الفكر الإسلامي في ذهن الطفل، وإعطائه القدرة على تمييز الفكرة الإسلامية من بين التيارات الفكرية الدخيلة المناهضة للتصور الإسلامي، كما أنها تبث روح العزة والأصالة بالفكر الإسلامي عند النشء.

وقد تضمن القرآن الكريم التوجيهات الكثيرة المباركة في الأمر بالتفكير، والتدبر، والتعقل، فمنها قول الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١). وفي موضع آخر قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَائِبَةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢). وهكذا تُختم الآيات بالدعوة إلى التفكير والتدبر. وقد وردت لفظة «تعقلون، يعقلون» في القرآن الكريم ثمانياً وأربعين مرة، كما وردت لفظة «يتفكرون» سبع عشرة مرة، و«يفقهون» ست عشرة مرة^(٣). وفي هذا دليل واضح على أهمية استخدام العقل - الذي هو مناط التكليف - في معرفة الله عز وجل والإيمان به، مما يتطلب ويوجب السعي في مرضاته بكمال الخضوع والذل في عبادته.

ومن خلال مباحث هذا الفصل نلقي الضوء على التعريف ببعض الملكات العقلية عند الطفل وسبل تنميتها والمحافظة عليها، من خلال طلب العلم والحث عليه، مع مراعاة الفروق الفردية عند ممارسة التربية، إلى جانب التعريف بوسائل التربية الفكرية ومعوقاتها، مع بيان دور الأب ومسؤوليته في توجيه ولده نحو الكمال العقلي؛ ليلبغ أقصى ما كُتب له في هذا المجال.

(١) النحل ١٠-١٢.

(٢) الجاثية ٣-٥.

(٣) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ص ١٠٧.

المبحث الأول

الملكات العقلية عند الولد وتنميتها

- أولاً: الذكاء عند الولد
- ثانياً: القدرة على الحفظ
- ثالثاً: طلب العلم
- رابعاً: الفروق الفردية

المبحث الأول

الملكات العقلية عند الولد وتنميتها

حبا الله الكائن البشري بملكات وقدرات عقلية عظيمة كالذكاء، والقدرة على الحفظ والتذكر، والإبداع، والفهم، وغير ذلك. وهذه القدرات وإن كانت مكونة في الطفل عند ولادته، فإنها في حاجة إلى استخراج وتنمية، وما لم نهتم بهذه القدرات العقلية ونميتها بالأساليب الصحيحة، فإنها ربما تضيع وتذهب، أو توجه وجهة غير صحيحة، فتتحرف وتضل. لهذا كان دور الأب في الأسرة مهماً للغاية؛ إذ هو المسؤول الأول عن تربية ولده وتعليمه وتوجيهه، محافظاً على ما حباه الله به من قدرات وطاقات مختلفة وجاداً في تنميتها، وتوجيهها إلى الخير.

ومن خلال فقرات هذا المبحث نتعرض إلى قضية الذكاء عند الأطفال، وقدرتهم على الحفظ والاستدكار، ثم نتحدث عن سبل تنمية هاتين الملكتين من خلال طلب العلم والحث عليه، ومن خلال مراعاة الفروق الفردية بين الأولاد، موضحين مسؤولية الأب في هذا المجال، مع عرض لبعض المقترحات العملية في تطبيق المفاهيم والتوجيهات التربوية في هذا الموضوع الحيوي الهام.

أولاً: الذكاء عند الولد:

الذكاء: هو سرعة الفهم عند سماع القول على الفور، فالذكي هو الذي وُهب القدرة على الفهم السريع^(١).

ولقد أحال كثير من التربويين الذكاء إلى الوراثة، وأنها عامل مهم في

(١) ابن الجوزي، الأذكاء، ص ٣٢.

تحديد ذكاء الذرية، فالأسر المتفوقة يولد لها أطفال متفوقون، والعكس صحيح، فكما أن الولد يرث من والديه سمات جسمية، فإنه يرث أيضاً منهما اتجاهات عقلية* (١).

ويتميز ذكاء الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة بنمو سريع، ففي السنتين الأولى والثانية ينمو الذكاء ويُنْبَى في أكبر صورة ممكنة^(٢)، لهذا كان الاهتمام بالولد في هذه السنوات الأولى من عمره يعد أمراً هاماً لتنمية ذكائه وبنائه، فإن للبيئة المحيطة بالولد تأثيرها على ذكائه إما بالإيجاب، وإما بالسلب.

ويمكن للأب أن يستدل على ذكاء ولده وقوة شخصيته بطلبه لمعالي الأمور، فإذا كان مع رفاقه مثلاً لا يقول: «مع من أنا»، بل يقول: «من معي»^(٣). فهو متميز بشخصيته في غير استعلاء، معتز بنفسه في غير استكبار، لا يرضى بأن يكون إمعة لا رأي له ولا كيان. قال عليه الصلاة والسلام: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت»^(٤). يقول ابن الأثير رحمه الله: «الإمعة الذي لا رأي له، فهو يتابع كل أحد على رأيه... وقيل هو الذي يقول لكل أحد أنا معك»^(٥).

وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عُرَامَةُ الصَّبِيِّ فِي صَغَرِهِ زِيَادَةٌ فِي عَقْلِهِ فِي كِبَرِهِ»^(٦). والعرام بضم العين وفتح الراء تعني القوة

(*) راجع: الفصل الأول، المبحث الأول، الفقرة (أولاً) لمعرفة المزيد عن أهمية الوراثة.

(١) كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول، ص ٢٨٨.

ثيرستون، ثلما جوين وكاترين مان بيرن، القدرات العقلية عند الأطفال، ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) فوازو، برنار، نمو الذكاء عند الأطفال، ص ١٣٠.

(٣) ابن العديم، الدراري في ذكر الدراري، ص ٣٠.

(٤) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، كتاب اللواحق، في أحاديث مشتركة بين

آداب النفس، حديث رقم (٩٣٤٩)، ج ١١، ص ٦٩٩.

(٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٦٧.

(٦) الترمذي، الحكيم، نواهد الأصول في معرفة أحاديث الرسول، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

والشراسة والشدة^(١). فإذا وُجِدَ على الولد شيء من زيادة في الحركة، وزهد في السكون، فإن هذا لا يضر؛ بل هو دليل على فطنته وذكائه. وكثير من الآباء يعتقدون أن كثرة الحركة عند الولد، والشدة في طبعه، دليل على فساده، وهذا غير صحيح، «فقد أكد البحث الحديث الذي قام به علماء النفس أن هناك رابطة لا تنفصم بين الحركة والعقل»^(٢). فإذا كان للحركة هذه الأهمية، تعيَّن على الأب الاهتمام بالنشاط البدني للولد فلا يعيق نشاطه هذا، بل يوجهه إلى أفضل السبل لاستغلال طاقاته الحيوية والاستفادة منها، إلى جانب اتخاذ الوسائل الأخرى المساعدة على تنمية ذكاء الولد ومن أهمها التشجيع. وهذا يكون عادة مع الولد الكبير، إذ يحاول الأب أن لا يكتب جماحه، وطاقاته الفكرية، بل يحمسه إلى مزيد من التفكير والتدبير في الأمور، ويشركه في حل القضايا والمشكلات المختلفة البسيطة، ولا بأس بإشراكه في حل بعض المشاكل المنزلية التي لا يتأثر ولا ينزعج بمعرفتها. وقد كان ابن شهاب رحمه الله يشجع الأولاد الصغار ويقول لهم: «لا تحتقروا أنفسكم لحدائثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل، دعا الفتیان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم»^(٣). فإذا كان عمر بن الخطاب يفعل هذا رغم وجود كبار الصحابة عنده، فيهتم بالأحداث من الفتیان، وعلى رأسهم ابن عباس رضي الله عنهما الذي كان يدخله في مجلس الشورى مع أشياخ بدر رغم صغر سنه^(٤)، فإن هذا الأسلوب التربوي من عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه إحياء للاهتمام بالأولاد، وتشجيعهم على الإقدام، وعدم استصغارهم لقلّة خبرتهم، وحدائثة أسنانهم. وللأب المسلم في خليفة خليفة رسول الله ﷺ القدوة في ذلك، فلا يقلل من شأن أولاده، ولا يستصغروهم، فإن بعض الفقهاء، أجاز وصية الصبي قبل الاحتلام

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٣٩٥.

(٢) خربكوف، أنطونيو، التربية البدنية والنمو العقلي للأطفال، مجلة مستقبل التربية، العدد (١)، ص ٩.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٨٥.

(٤) انظر: أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ٣١٧-٣١٨.

في سن التاسعة، رغم أهمية الوصية في الإسلام، وما يترتب عليها من أحكام وقضايا شرعية هامة. (١).

والأب يتخذ مع ولده الأساليب الجيدة لتنمية ذكائه ومن أهمها: تكليفه بمهام ينمي من خلالها ذكائه، مثل أمره بشراء بعض مستلزمات البيت البسيطة، أو تسخين السيارة - إن كان كبيراً - ، أو الاهتمام بأخيه الصغير، أو التعاون في دهان حائط الحديقة، أو تنظيم المكتبة، أو غير ذلك من المهمات السهلة، ويتدرج معه من الأسهل إلى الأصعب؛ ليتعود وينمو ذكاؤه.

ومن وسائل تنمية ذكاء الولد: إعطاؤه الفرصة للتعبير عن نفسه من خلال الكلام، والإجابة على أسئلته - حتى وإن كانت ساذجة - ، مع تعليمه كيف يسأل، وكيف يختار السؤال. وهذا يمكن تحقيقه من خلال إعطاء الولد الفرصة لمخالطة الناس من الأقارب وأصدقاء العائلة. فلا بأس أن يكلفه استقبال الضيوف، وإدخالهم المنزل، والتحدث معهم ريثما يتجهز الأب للخروج لهم. ويمكن أيضاً توجيهه إلى الكتابة، فيكلف أن يكتب شيئاً من مخيلته كقصة صغيرة، أو نحو ذلك. ولا بأس بالتسجيل الصوتي لما يريد أن يقوله من خطب، أو كلمات، أو قراءة من كتاب.

كما أن تعليم الولد كيف يسأل، ومتى يسأل أمر مهم، ومساعد على تنمية الذكاء عنده. فيعلمه أن يسأل في الوقت الذي لا يكون الأب فيه مشغولاً بالعمل، أو منهمكاً في الحديث. وإذا سأل سؤالاً غريباً علمه الأسلوب الصحيح في اختيار السؤال؛ فإذا سأل عن ذات الله عز وجل: أمره أن يسأل عن آياته وآلائه، وإذا سأل عن السيارة لماذا لا تطير؟، أمره أن يسأل عن الفكرة التي تقوم عليها حركة السيارة، وهكذا حتى يتعود الولد كيف يختار سؤاله.

ولتعويد الولد التفكير قبل إلقاء السؤال: يلتزم الأب قبل الإجابة على أسئلة الولد أن يسأله: «هل فكرت قبل أن تسأل؟» فإن فكر أجابه، وإن لم

(١) انظر: الكتاني، محمد منتصر، معجم فقه السلف، ج ٦، ص ٢٩١.

يفكر أمره بذلك وأعطاه بعض الوقت، ثم يجيبه وقد اختار أفضل عبارة، وأنسب سؤال، فيتعود الولد بهذا الأسلوب التفكير، والتدبر فينمو بذلك ذكاؤه، وتزداد ثقته بنفسه.

ويهتم الأب بإيراد القصص المشوقة على الولد، التي تحمل بعض المعاني الرفيعة، والمعلومات الجديدة، فإن لها دوراً في تنمية ذكائه، وزيادة معلوماته، فإذا كلفه قراءة قصة ما سأله بعد ذلك عنها، كأن يسأله عن أبطال القصة، وعن الفكرة التي دارت حولها أحداث القصة، وما هي العظات المستفادة منها؟ فيعرف الولد أن القراءة للفهم والاستفادة، لا لمجرد القراءة فقط..

ويحذر الأب من أسباب إعاقة قدرات الولد العقلية وذكائه، فيجنبه الخوف الشديد الذي يؤثر على تفكيره، وحسن تصرفه في المواقف المختلفة^(١)؛ فإن التوترات النفسية الحادة تعيق التفكير السليم، وتضعف الذكاء. ويُجنَّب الولد أيضاً الإفراط في الأكل الذي يؤدي إلى السمنة المفرطة المسببة للخمول والكسل، مما يؤدي إلى إضعاف الذكاء، إلى جانب مضارها الجسمية والنفسية الأخرى^(٢).

ثانياً: القدرة على الحفظ:

يمتاز الولد في مرحلة الطفولة بقدرة فائقة على الحفظ والتذكر لصفاء ذهنه وسرعة نمو ذكائه، فالتعليم في وقت الطفولة يكون أسرع، وأكثر رسوخاً من أي وقت آخر من عمر الطفل، يقول ابن خلدون رحمه الله: «التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده»^(٣). فاستغلال هذه الملكة في تعليم

(١) عدس، محمد عبد الرحيم، «بين الفشل والنجاح في المدرسة»، مجلة التربية، العدد (٣٣)، ص ٣٩.

(٢) حمام، سامية، «سمنة الأطفال تسبب التعاسة والمرض»، مجلة التربية، العدد (٧٤)، ص ١٤٠.

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٣٣٤.

الولد أصول الدين، وأساساته يعد غاية وهدفاً هاماً في مجال التربية الفكرية للولد.

وأهم شيء يتعلمه الولد في هذه الفترة هو حفظ القرآن الكريم، أو بعضه، فإن فضله عظيم، ولا يقتصر على المتعلم فحسب؛ بل إن الأب الساعي في تعليم ولده القرآن له من الأجر العظيم عند الله تعالى ما وصفه رسول الله ﷺ إذ قال: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجاً من نور ضوءه مثل ضوء الشمس، ويكسى والديه حُلَّتَانِ لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان بما كُسينا هذا؟ فيقال يأخذ ولدكما القرآن»^(١).

فهذا الحديث وأشباهه من أعظم الأحاديث تشجيعاً للأب على المسارعة في إشغال الولد بحفظ كتاب الله عز وجل، وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام التوجيه المباشر في ذلك فقال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»^(٢) وهذا فضل عظيم لا تقوم له الدنيا ثمناً. والأب المسلم يسارع في مرضاة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ بامتثال أمره في المجاهدة لتحميل الولد كتاب الله في صدره.

ويبدأ مع الولد في الحفظ عن طريق إشراكه مع جمعيات تحفيظ القرآن المنتشرة في المساجد، فيسجله عند أحد الأساتذة الجيدين حفظاً، والمعروفين بالصلاح والاستقامة، فإن استقامة الأستاذ من أعظم أسباب صلاح التلاميذ واستقامتهم. وإذا لم يكن هناك جمعيات لتحفيظ القرآن اتفق الأب مع بعض جيرانه وإمام المسجد المجاور لهم على تكوين جمعية صغيرة لتحفيظ القرآن الكريم، يشرف عليها إمام المسجد أو أحد الأباء المتمكنين والمتقنين للقرآن. فإن لم يحصل ذلك استأجروا من يروونه من الأساتذة لهذه المهمة.

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب فضائل القرآن، ج ١، ص ٥٦٨. والحديث صحيح.

(٢) الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، حديث رقم (٤٥٤٠٩)، ج ١٦، ص ٤٥٦.

وزمن الحفظ يبدأ من سن الخمس سنوات وحتى الخامسة عشرة قبل البلوغ، فإذا بلغ الصبي تشتت همته؛ لهذا كان الاهتمام بحفظ القرآن قبل البلوغ أدعى لثباته ورسوخه في قلب الولد^(١)، ويرى بعض السلف رحمهم الله أن تعلم القرآن يمكن أن يبدأ دون سن الثالثة من العمر^(٢). والصحيح أن القضية تعود إلى الأب ففي أي وقت وجد من ولده إقبالاً، ونجابة، وقدرة على الحفظ، والتعلم، كان ذلك السن هو أنسب الأوقات لبدء التعلم والحفظ.

وفي أول الأمر ينبه الأب معلم ولده أن لا يكثر عليه في الحفظ، بل يلين معه، ويبدأ بالسور السهلة القصيرة، ويشجعه على حفظها ليكون ذلك مدعاة لاستمراره، وحثاً له على الحفظ، ولا يغفل الأب عن مكافأته والثناء عليه من وقت لآخر، فإن لهذا الثناء والمكافآت التشجيعية دوراً هاماً في الرفع من معنويات الولد وإعطائه الثقة في نفسه.

ويحاول الأب تجنب الولد أنواع الانفعالات والتوترات العصبية التي تعيق التعلم، فإن «الانفعالات الشديدة تؤثر تأثيراً بالغ الضرر على مختلف الوظائف والعمليات العقلية للفرد كالإدراك والتذكر والتفكير»^(٣). ويرى الزرنوجي رحمه الله أن أسباب النسيان ترجع إلى: «المعاصي، وكثرة الذنوب والهموم، والأحزان في أمور الدنيا، وكثرة الأشغال والعلائق»^(٤).

فكما أن الأب يجنب الولد الانفعالات النفسية المختلفة، كذلك يجنبه المعاصي بأنواعها، كاللهو المحرم، وفاحش القول، وإهمال الصلاة - خاصة بعد العاشرة -، وغير ذلك من أسباب غضب الله عز وجل، فإن «المعاصي تُفسد العقل، فإن للعقل نوراً والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد، وإذا طفئ ضعف ونقص»^(٥)، فتقوى الله وخشيته من أعظم الأسباب المساعدة على الحفظ.

(١) انظر: ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٢٢١.

(٢) انظر: سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ١٠٣.

(٣) محمد، محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، ص ١٧٤.

(٤) الزرنوجي، تعليم المتعلم في طريق التعلم، ص ٩٧.

(٥) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٦٧.

ويضاف إلى حفظ القرآن الكريم، حفظ بعض أحاديث المصطفى ﷺ من كتب الصحاح، كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وغيرهما من كتب السنن، ويُشجع الولد على ذلك بالهدايا، والنقود والثناء الحسن. ويختار الأب من هذه الأحاديث أقصرها عبارة، وأسهلها معنى، وأنفعها لمرحلة الطفولة، كأحاديث حب الله عز وجل، وحب رسوله ﷺ، وأحاديث الآداب والأخلاق.

ويهتم الأب بتزويد ولده ببعض الأبيات الشعرية والقصائد القصيرة المختارة من الشعر العربي الأصيل، المعتمد على أصول اللغة ومعانيها، مركزاً على الأبيات المتضمنة معاني وأصول الآداب الإسلامية، وبث روح الحماس في النفس نحو الدين والولاء لله ورسوله والمؤمنين، متجنباً شعر «الحدائث»^(*) المبتدع الهدام. فيختار من ديوان الشافعي رحمه الله، أو شعر مصطفى صادق الرافعي، أو يوسف القرضاوي، أو بعض قصائد أحمد شوقي، أو غيرهم.

ولا بأس بحفظ بعض الأناشيد الإسلامية الهادفة المروحة عن النفس مثل: «طلع البدر علينا» أو نحو ذلك، ويمكن للأب الاستفادة من كتاب «الفريد في انتقاء الأناشيد» الذي أصدرته جمعية الإصلاح بالكويت، وكتاب «أناشيد فتية الحق»، وغيرهما من الكتب المؤلفة في هذا المجال.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك حفظ الأمثال الهادفة، ذات المعاني الصحيحة فإن لها فوائد كثيرة، ولهذا فقد اشتمل القرآن الكريم والسنة المطهرة على أمثال كثيرة تقرب المعاني وتعمق الفهم^(**). وقد ورد في القرآن نحو ثلاثة وأربعين مثلاً^(١).

(*) انظر كتاب «الحدائث في ميزان الإسلام» لعوض محمد القرني، ففيه بيان واضح لخطورة هذا المنهج الأدبي المنحرف.

(**) أُلّف ابن القيم في هذا المجال كتاب «الأمثال في القرآن الكريم»، وألّف أبو الشيخ الأصبهاني كتاب «الأمثال في الحديث النبوي».

(١) انظر: ابن الجوزي، المدهش، ص ١٦.

ومن الأمثال قول القائل: «ما تزرع تحصد»، «احذر شر من أحسنت إليه»، «من جهل شيئاً عاداه»^(١). ويشرح الأب معنى المثل للولد ليعرف كيف يستعمله ويستشهد به في المواقف المختلفة.

ولا بأس بحفظ الولد لبعض عبارات السلف الصالح المتضمنة التوجيه نحو أدب معين، أو الوعظ، أو نحو ذلك مثل مواعظ ابن مسعود رضي الله عنه حيث يقول: «من أعطني خيراً فالله أعطاه، ومن وُقي شراً فالله وقاه»، وقوله: «من تناول تعظماً حطَّه الله، ومن تواضع تخشعاً رفعه الله»، وقوله رضي الله عنه أيضاً: «ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان»^(٢)، ونحو هذه من العبارات الصادقة المؤثرة، القصيرة التي يسهل على الولد حفظها، ويمكن الاستفادة من كتاب ابن القيم «الفوائد» فقد حوى كثيراً من هذه الجمل المفيدة، والمواعظ الجامعة، ويمكن أيضاً الاستفادة من كتاب «المجموع المنتخب من المواعظ والأدب» لزامل الصالح الزامل، فقد جمع فيه مؤلفه كثيراً من المواعظ، والأبيات الشعرية الهادفة. كما يمكن الاستفادة من كتاب «أيها الولد» لأبي حامد الغزالي رحمه الله، وكتاب «لفتة الكبد في نصيحة الولد» لابن الجوزي، فهما كتابان مفيدان احتويا على توجيهات كثيرة مباشرة للولد.

ثالثاً: طلب العلم:

بعد الحديث عن ملكتي الذكاء والحفظ عند الولد وأهميتهما وبعض الجوانب المساعدة على تنميتها. تجدر الإشارة إلى أهمية جانب العلم في تنمية هاتين الملكتين، واستغلال طاقة الولد الذهنية فيما يعود عليه بالنفع، فطلب العلم من أعظم وسائل تنمية الذكاء وتقوية ملكة الحفظ، لما يتطلبه من تدريب، وتمارين، واستعمال لجميع ملكات الإنسان العقلية.

وقد حث الإسلام على العلم والتعلم ورُتب على ذلك الأجر العظيم،

(١) المصدر السابق، ص ١٧.

(٢) ابن القيم، الفوائد، ص ١٩٠ - ١٩٤.

ورفع منزلة العلماء فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَسْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١)، وقال: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(٢)، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٣). فهذه الآيات البيّنات توضح - بجلاء - فضل العلم والعلماء، وأن العلم هو مقياس الأفضلية؛ إذ بالعلم بالله وبدينه العظيم تحصل التقوى في القلوب، فتصلح بالتالي الأعمال.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ ما يبحث أيضاً على طلب العلم، كقوله: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٤)، كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «... من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٥). فهذه الأحاديث والآيات السابقة، وغيرها، واضحة في الحث على طلب العلم والتسابق إليه ابتغاء مرضاة الله^(*).

ومن هنا كان الأب هو المُكَلَّف الأول بتعليم ولده، والمحافظة عليه في ذلك، وعدم الاعتماد على المدرسة فقط، فإن المدارس في البلاد الإسلامية في هذا العصر قد أخفقت إخفاقاً كبيراً في تكوين باحثين، أو تخريج أبناء يحملون راية الإسلام، ويجاهدون ويكافحون من أجلها^(٦).

لهذا فإن دور الأب ومسؤوليته ليست بالسهلة اليسيرة؛ بل عليه تبعات ضخمة ومهام شاقة في سبيل تزويد ولده بالمعرفة الصحيحة.

(١) الزمر ٩.

(٢) المجادلة ١١.

(٣) فاطر ٢٨.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث رقم (٩٨)، ج ٢، ص ٧١٨.

(٥) المصدر السابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم (٣٨)، ج ٤، ص ٢٠٧٤.

(*) راجع الفصل الثاني، المبحث الرابع، الفقرة (أولاً)، لمعرفة المزيد عن فضل العلماء.

(٦) المرزوقي، آمال حمزة، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، ص ١٥٤.

ويحذر ابن القيم رحمه الله الآباء من إهمال تعليم الأولاد ورعايتهم، فيقول: «من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينتفعوا آباءهم»^(١).

والولد في مرحلة الطفولة المتأخرة يميل إلى الواقعية، ونبذ الخيال، وتقل مشاكله ومشاكساته، ويميل إلى حب الاطلاع، والكشف عن معالم البيئة من حوله^(٢). كما أنه في الثانية عشر من عمره يرغب ويشغف بحب المشاهير من الرجال، ويميل إلى التعرف على المخترعات والأشياء الميكانيكية^(٣). فإذا وجد الأب في ولده هذا الميل، وهذه الرغبة، كان لزاماً عليه أن يهيئ له جواً مناسباً ليمارس الولد فيه تلك الميول الطيبة. ففي مجال تحقيق رغبته في التعرف على مشاهير الرجال، وأبطال التاريخ، فإن في سجلات الأمة المسلمة من النماذج الفاضلة ما يعجز التاريخ الحديث على أن يلد مثلهم. فيمكن للأب أن يمارس، ويشارك ولده هذه الرغبة، ويساعده على تحقيقها، من خلال سرد بعض هذه النماذج التاريخية من رجال الأمة الإسلامية، في أوقات مختلفة من أيام الأسبوع، كأن يخصص يوماً من أيام الأسبوع لتراجم الرجال. فيعتمد في تحضير الموضوعات على كتب التراجم المختلفة ككتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم، أو كتاب «صفة الصفوة» لابن الجوزي الذي هو اختصار لكتاب أبي نعيم، وكتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر، وكتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي وغيرها من كتب التراجم المعتمدة في هذا الجانب. فإن أحس الأب من ولده رغبة في أن يطلع هو بنفسه في كتب التراجم، فإنه يفضل لصغر سن الولد أن

(١) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ١٦١. (بتصرف).

(٢) عبد العزيز، صالح، التربية الحديثة (مادتها - مبادئها - تطبيقاتها العملية)، ج ٣، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) قاضي، علي، «الإسلام وتربية الطفل»، مجلة التربية، العدد (٣٨)، ص ٦٦.

يوجهه لكتب التراجم الحديثة الميسرة مثل «سلسلة حياة الصحابة» لعبد الرحمن الباشا، أو غيرها من الكتب الحديثة. أما إن وجد الأب في ولده همة ونشاطاً وقدرة جيدة على القراءة في كتب السابقين، فإنها لا شك أفضل وأغزر مادة، وأعظم فائدة فلا بأس أن يُوجَّهه إلى قراءة أجزاء معينة منها، مع الإشراف والتوجيه والبيان عند الحاجة.

ولا يهمل الأب في تكوين مكتبة صغيرة في بيته، فيختار غرفة من المنزل لوضع المكتبة، أو يجعلها في غرفة المعيشة؛ لتكون قريبة من الجميع، ولتعم بها الفائدة، مراعيًا تنوع المصادر والمراجع لتناسب أعمار الأولاد ومستوياتهم. (*)

كما يسعى الأب في إنشاء مكتبة في مسجد الحي - إن لم تكن هناك مكتبة فيه -، وذلك عن طريق مطالبة الجهات المعنية بذلك، أو جمع التبرعات من رواد المسجد وجيرانه، وتكوين تلك المكتبة لتكون مكاناً جيداً لالتقاء الأولاد، وإطلاعهم على الكتب، وتحقيق رغبتهم وإشباع ميولهم العلمية.

كما يفضل أن يلحق الأب ابنه بأحد الأساتذة أو المشايخ الذين يقومون بالتدريس في المساجد، أو في بعض دور العلم، أو البيوت؛ ليكمل بهذا النوع من التعلم النقص الموجود في المدرسة الحديثة، ويحاول الأب أن يتخير باجتهاده من بين العلماء أفضلهم، وأغزرهم علماً، وأكملهم خلقاً وديناً، إلى جانب التأكد من أن الدروس التي يلقيها ذلك العالم أو الشيخ تناسب سن ولده، وقدراته العلمية، وخلفيته الثقافية.

والولد لا شك يمل من كثرة الدرس، فلا ينبغي الإكثار عليه، والإلحاح، دون إعطائه فرصة للعبه واستراحته، فقد أشار الغزالي رحمه الله إلى هذه القضية، ونبه عليها فقال:

(*) يمكن للأب مراجعة كتاب «دور البيت في تربية الطفل المسلم» لخالد أحمد الشتوت، لمعرفة الكتب المقترحة توفرها في مكتبة المنزل، ص ١٦٥ - ١٦٨.

«وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً يميم قلبه ويبطل ذكائه وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً»^(١).

ويتخذ الأب الوسائل المناسبة لترغيب الولد في التعلم وجذبه إليه، ومن ذلك ما يراه الغزالي من وسائل ترغيب الولد في التعلم عن طريق لعب الكرة، والصولجان، وما أشبه ذلك^(٢). ولا بأس بالمكافآت المالية لترغيب الولد في العلم. فقد كان بعض السلف من أمثال إبراهيم بن أدهم يرغب الصبي في التعلم عن طريق المكافآت المالية^(٣). والمقصود هو أن يتخذ الأب الوسائل المشروعة المرغوبة للولد في العلم، فيقبل عليه عن طواعية ورغبة.

أما ما يخص إشباع رغبات الولد وميوله نحو التعرف على المخترعات، والميل إلى الألعاب الميكانيكية، فإن الأب يمكن أن ينمي قدرة الولد العلمية في هذا الجانب من خلال تزويده بالموسوعات العلمية التي تهتم بنشر أخبار المخترعات المختلفة، كما يمكن الاشتراك في بعض المجالات العلمية المهمة بهذا الجانب، على أن يلاحظ الأب أهمية خلوه هذه الكتب والمجلات من الإيحاء الإلحادي الذي يصاحب في العادة المنهج العلمي عند الغرب، فغالب المتوافر من هذه المجالات العلمية هو ترجمة حرفية عن الإنجليزية أو غيرها.

وللجانب العملي أهمية عند الطفل، فإنه لا يكتفي بالاطلاع على المنجزات والمخترعات العلمية فحسب؛ بل يرغب في التعامل مع بعض هذه المنجزات بنفسه، فيميل إلى معرفة كنه بعض أعباء الآلية، والتعرف على

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٧١.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٠.

(٣) انظر: ابن الجوزي، الطب الروحاني، ص ٦٠.

طريقة عمل التوصيلات الكهربائية وأسلاك الهاتف وغيرها. ومن السهل على الأب أن يحقق رغبة ولده في هذا الجانب عن طريق تأمين بعض الألعاب الكهربائية والميكانيكية، التي تهدف إلى تعليم الصغار نظام التوصيلات الكهربائية، أو التدريب على جانب من التراكيب الكيميائية، أو تعليم بعض الأنظمة الميكانيكية. كما يمكن للأب تأمين جهاز مكبر (ميكروسكوب) فيرى الولد من خلال عدساته عجائب صنع الله في الحشرات، أو النباتات، أو غير ذلك من مخلوقات الله، فيكون الأب بذلك قد استغل وقت فراغ الولد بالنافع المفيد، إلى جانب تدريبه على استعمال هذه الأجهزة المختلفة، بالإضافة إلى المعلومات الجديدة التي حصل عليها.

ومن خلال الممارسة الطويلة لهذه القضايا من الاطلاع في الكتب، وعمل بعض التطبيقات العملية التجريبية: يتضح للأب ميول ولده واتجاهاته. فيمكنه بعد فترة أن يوجهه نحو أفضل المهن والمهارات التي تناسب ميوله، فلا يتخبط الولد في اختيار تخصصه ومجاله في المستقبل.

رابعاً: الفروق الفردية:

يهتم الأب ويراعي قضية الفروق الفردية بين الأولاد وذلك ليتمكن من تنمية ملكات الولد العقلية من ذكاء وقدرة على الحفظ وغيرها. . تنمية صحيحة معتدلة بعيداً عن المغالاة والإجحاف. فقد خلق الله الناس بقدرات مختلفة متفاوتة، منهم سريع الفهم، حاد الذكاء ومنهم الغبي قليل الإدراك، وأكثرهم المتوسطون المعتدلون. كما أن بين المعتدلين من هو أسرع فهماً وأذكى من غيره، فالفروق الفردية بين الأطفال موجودة، ولا يجوز إهمالها بحال، «فإن إغفال ما بين الأفراد. . . كبارهم وصغارهم من فوارق جسمية وعقلية ومزاجية واجتماعية. . . له أسوأ الأثر بالفرد نفسه، وبالمجتمع الذي يعيش فيه»^(١).

لهذا كان اهتمام الأب بهذه الناحية - واضحاً هذا المبدأ نصب عينيه عند

(١) راجع، أحمد عزت، أصول علم النفس، ص ٣٠٩.

تعامله وتعليمه للأولاد - يعتبر أمراً غاية في الأهمية، فلا تصدر من الأب عبارات السخرية بولده والاستهزاء به لمجرد إخفاقه في أمر من الأمور كرسوبه في الاختبار، ونجاح إخوته؛ بل إن السلوك السوي الصحيح من الأب مع هذا الولد الذي أخفق في اختباره، أن يخصه بمزيد من الاهتمام والرعاية؛ ليرفع من مستواه ويلحقه بأقرانه وإخوته حسب قدراته وإمكاناته المتاحة. أما أسلوب التقريع والإهانة فلم يكن يوماً حلاً صحيحاً، وحافزاً للاجتهد وتحسين المستوى.

وليس من المنطق تكليف الولد الصغير فهم الأمور الكبيرة، خاصة ما تحتاج الى إدراك للسبب وعلاقته بالنتيجة، فإن هذه القدرات تحتاج الى طاقة عقلية كبيرة، ربما عجز عنها بعض الراشدين، ولهذا يتقبل الأطفال الصغار الخرافات، وكثيراً من التفسيرات والمعتقدات دون نقاش أو تمحيص؛ لعدم قدرتهم على الاستدلال والتركيز لفهم الأدلة واختبارها^(١). ولهذا ينصح بعدم تعليم الأطفال الصغار في المدارس دفعة واحدة في سن مبكرة جداً^(٢). ولعل ذلك لظهور هذه الفروق العقلية بين الأطفال ظهوراً واضحاً في الطفولة المبكرة، وقد نصح بذلك أيضاً التابعي الجليل سعيد بن جبير رحمه الله، فرأى أن يترك الطفل الصغير في أول الأمر مرفهاً ثم يؤخذ بالجد على التدريج^(٣). فمبدأ الأخذ بالفروق بين الأولاد مبدأ صحيح، يجب الأخذ به، ومعاملة الأولاد على ضوءه، فلا يطالب الأب جميع الأولاد بنفس الإنجاز، بل لكل قدرته وطاقته، كذلك لا يحمل الولد الأصغر ما يحمله للكبير، بل يراعي فرق السن والقدرات المختلفة.

(١) انظر: الحاج، فائز محمد، بحوث في علم النفس العام، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول، ص ٣٠٥.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، ج ١٩، ص ١٠٠.

المبحث الثاني

معوقات التربية الفكرية

- أولاً: التقليد الأعمى
- ثانياً: اتباع الهوى
- ثالثاً: انحرافات المدرسة

المبحث الثاني

معوقات التربية الفكرية

تحول دون بلوغ الولد كمال التمتع بما وهبه الله من ذكاء وفطنة، وغير ذلك من الملكات العقلية معوقات تحد من نشاط الفرد العقلي، وتعيق نموه الفكري وسيره العلمي .

ومن أهم هذه المعوقات ما يلي : -

أولاً: التقليد الأعمى :

التقليد منه ما هو حق وواجب، ومنه ما هو مذموم مكروه، فأما التقليد الواجب فهو تقليد الرسول ﷺ بحسن اتباعه والافتداء به، وكذلك تقليد أهل الإجماع من علماء الأمة الأفاضل، فهذا النوع من التقليد ليس مذموماً. أما التقليد المذموم الذي ذم الله أصحابه وشبههم بالبهايم، فذلك التقليد الذي يجعل صاحبه بلا كيان ولا روية، فيقبل قول غيره من العامة بلا دليل ولا برهان^(١). قال الله تعالى في آرياب هذا النوع: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَ نَا أُولَٰئِكَ ءِآبَاءُ هُمُ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ، وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢). فهؤلاء المقلدون لا يعلمون شيئاً، ولا يفقهون سوى أنهم يسرون على طريق آبائهم، دون أن يعرفوا هل هو طريق حق أو باطل، فمقياس الحق عندهم ما كان عليه الآباء، والباطل ما لم يكونوا عليه، فهم يتبعون الناعق دون علم أو روية، فألغوا بذلك شخصياتهم،

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ٢٠، ص ١٥ - ١٧.

(٢) البقرة ١٧٠ - ١٧١.

وجمّدوا عقولهم، ولم يستعملوها فيما أمر الله به من النظر والتدبر والتفكير، ورضوا بأن يضافوا البهائم العجماء فيهنوا أنفسهم، وبذلوا، ومن المعلوم «أن احترام النفس هو حجر الزاوية في التربية الصحيحة»^(١). ولما كان احترام النفس منتفياً مع التقليد الأعمى، كان حرص الأب على تنفير الولد من هذا النوع من التقليد واستهجانها، وإظهار قبحة، يعد أمراً هاماً في التربية، إذ يرفع من معنويات الولد، ويعطي لنفسه مكانتها، ولرأيه وزنه، ولشخصيته احترامها وتقديرها.

ولا يعني هذا أن يقف الولد مع أبيه عند كل قضية، يسأله عن دليله فيها ليقوم بتنفيذها، فإن هذا من قلة الحياء؛ إذ أنه ليس من الصواب أن يطلب الدليل لكل قضية، ولكل أمر من أمور الدنيا، بل إنما يطلب الدليل في الحلال والحرام، والمعتقدات، وما هو مفتقر إلى الدليل الشرعي، أما أمور الدنيا من المباحات فلا دليل عليها سوى أن الولد مأمور بطاعة والده، وطلب رضاه، وطاعته في المباحات من الواجبات. ولكن لا بأس أن يدعّم الأب أمره للولد بحجة منطقية يمكنه ادراكها وفهمها. فإذا طلب الأب من ولده الهدوء ريثما تنتهي المكالمة الهاتفية، يبين له بإيجاز أن رفعه لصوته مزعج وأنه لم يتمكن من سماع الطرف الآخر على الهاتف، والأمر مهم، ولا بد من الهدوء ريثما تنتهي المكالمة، فإن لم يفعل فإن المكالمة سوف تنتهي بدون فائدة، والمتوقع في هذه الحالة إقلاع الولد عن الإزعاج، لأنه اقتنع وفهم، بل ربما تعود الولد هذا الأدب بعد ذلك، فإذا سمع جرس الهاتف التزم الهدوء والسكينة.

أما ما يتعلق بالحرام والحلال مما يتطلب دليلاً شرعياً، فالولد في بادية الأمر لا يفرق بين الأوامر، فلا يعلم ما يفتقر منها إلى دليل، وما لا يحتاج إلى دليل، والأب يبدأ مع ولده في هذا الجانب ويعلمه طلب الدليل والسؤال عن السبب إذا اقترن الأمر بكلمة حرام، أو حلال، أو واجب، أو لا يجوز، أو

(١) الرئيس، سيد، «التربية السليمة واحترام النفس»، مجلة التربية، العدد (٢٧)، ص ٤٧.

نحو ذلك من العبارات . فإذا كان الجواب بأن الله أمر بكذا، أو أن الرسول ﷺ قال كذا، أو أن العلماء أفتوا بهذا، وجب على الولد أن يتأدب بالسمع والطاعة، ويعوده الأب الخضوع لهذه الأحكام عند صدورها عن الله عز وجل، ورسوله ﷺ، وعلماء الأمة .

وبهذا الأسلوب تنمو شخصية الولد، ويشعر بكيانه كفرد في المجتمع له مكانته ومنزلته، كما أنه ينفر من التقليد الأعمى وأسلوب الإمعات . ويضرب الأب لولده مثل المقلد الأعمى كمثّل البعير المقطور رأسه بذنب بعير آخر، فهو لا يعلم، ولا يفقه شيئاً، بل يقوم بحركات مفروضة عليه، وليس له من الأمر شيء، وكذلك المقلد الأعمى الذي لا يميز بين من يقلد ومن لا يجوز تقليده إلا بالدليل، فتراه لا يستفيد من عقله وقدراته الذهنية في تقرير مصيره، واتخاذ القرار الصحيح في المواقف المختلفة .

ثانياً: اتباع الهوى:

وكما أن التقليد الأعمى مذموم، فإن اتباع الهوى واتخاذ معياراً للمحبوب والمكروه مذموم أيضاً . يقول الله سبحانه وتعالى واصفاً حال أصحاب الأهواء: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ النَّهْهَ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١﴾ .

في هاتين الآيتين يصور القرآن الكريم نموذجاً من البشر انفلتت أنفسهم من جميع المعايير الثابتة، والموازن، فأصبحوا يُحكّمون شهواتهم، ولا يعرفون حجة ولا برهاناً، سوى ما تهواه أنفسهم، وبهذا التجرد من الخصائص التي منحها الله للإنسان من الإدراك والقدرة على التمييز انحطت شخصياتهم لتكون أقل من درجة البهيمة العجماء(٢) .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ في ذم اتباع الهوى قوله: «أما المهلكات

(١) الفرقان ٤٣ - ٤٤ .

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٥٦٦ .

فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»^(١)، وقال أيضاً: «ما تحت ظل السماء من إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع»^(٢).

ولما كان الهوى بهذه الدرجة من الذم والقبح، فإن مسؤولية الأب في تكوين الإرادة الصادقة في نفس ولده تعد أفضل حلّ لصدّ الهوى عن التحكم في عقل الولد وعواطفه، فإن «تربية الإرادة، تنمي في الإنسان حرية الاختيار السليم، حيث يختار الخير وينفذه، وحيث تؤثر الإرادة على الفكر والعاطفة»^(٣)، فلا يكون الهوى هو المُسيّر له، بل إرادته القوية المستمدة من التفكير السليم، والاختيار الصحيح هي المُسيّر والدافع الحقيقي. وهذا لا يتحقق إلا بالتربية السليمة، والتوجيه الصحيح؛ إذ يقوم الأب بتقوية إرادة الولد متخذاً الوسائل المناسبة لذلك، فيقوي شخصيته باحترام رأيه، واستشارته في بعض الأحيان، مع تكليفه ببعض المهام، وإثابته على الإنجاز، وتشجيعه من وقت لآخر على حسن تصرفه في المواقف المختلفة^(*). ويتجنب الأب الإهانة، والتحقير، والسخرية، فإنها ذل للولد، وإلغاء لكيانه، وتحطيم لمعنوياته. بل يتخذ لعقابه عند خطئه الوسائل المناسبة من إقناعه بخطئه، ولومه، والتدرج في ذلك متبعاً منهج التربية الإسلامية الصحيحة في إيقاع العقوبات^(**).

ومن أعظم الوسائل المساعدة على قهر الهوى: إشعار الولد بأن اتباع الهوى ذل للنفس، واحتقار لها، إذ أنها تشعر بالذل، والهزيمة أمام الهوى، أما إن انتصرت وخالفت هواها شعرت بالعز والانتصار^(٤). فالولد إن تغلب على نفسه مرة أو مرتين، فإنه يشعر بعلو همته وقوة شخصيته، ويكون ذلك

(١) المنذري، الترغيب والترهيب، الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء، حديث رقم (١٠) ج ١، ص ٨٦.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم (٩).

(٣) أبو العينين، على خليل، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ص ١٩٠.

(*) راجع: الفصل الثاني، المبحث الأول، الفقرة (أولاً) لمعرفة طرق تحميل الولد المسؤوليات.

(**) راجع: الفصل الأول، المبحث الرابع، الفقرة (ثانياً) لمعرفة أسلوب إيقاع العقوبة.

(٤) ابن الجوزي، الطب الروحاني، ص ١٠.

الانتصار حافزاً لمزيد من الجِد والمجاهدة في هذا السبيل. وفي كل هذا لا يتغافل الأب عن ولده؛ بل يساعده، ويكافئه مشجعاً له على مخالفته لهواه وانتصاره على شهواته. ولعل ضرب المثل للولد بالبهيمة العجماء التي لا تعرف إلا شهوتها من مأكَل ومشرب: يعد خير مثال لتنفير الولد من الاسترسال في اتباع الهوى والشهوة.

ولا ينبغي ذم كل هوى في النفس والطبع، فإن «الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح، ما أكل ولا شرب ولا نكح، فالهوى مستحث لها لما يريد. . . فلا ينبغي ذم الهوى مطلقاً، ولا مدحه مطلقاً»^(١)، فإن مخالفة كل أنواع الهوى والميول والقيام بالعقول فقط يخص الملائكة، كما أن اتباع الهوى والشهوات دون عقل أو تفكير من أفعال البهائم، أما الإنسان فهو وسط بين الاثنين فهو عقل وشهوة.^(٢)

إن فهم هذا المبدأ على النحو الذي ذكر يجعل الأب معتدلاً ومتوسطاً في أسلوب تعامله مع الأولاد، فلا يترك لهم العنان فيتبعون شهواتهم وأهواءهم بغير هدى، كما أنه لا يحجم نشاطاتهم ويكبت ميولهم ورغباتهم المباحة. فإن إشباع النفس بالحلال المباح، يكفها عن إشباعها بالحرام المحظور.

ثالثاً: انحرافات المدرسة:

يظن بعض الآباء أن كل ما يتلقاه الأبناء في المدرسة من علوم وسلوكيات وغير ذلك هو خير لهم، وهذا التصور ليس بصحيح؛ إذ بينت بعض البحوث في هذا المجال «أن الطريقة التي تتبع في المدارس في البلاد الإسلامية لا تؤدي إلى تكوين باحثين. . . كما أنها أخفقت في تخريج أبناء

(١) ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص ٤٦٧.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ١٥، ٤٢٨ - ٤٢٩.

يحملون رسالة الإسلام يعيشون في سبيلها، ويناضلون من أجلها»^(١)، فليس كل ما يقال في المدرسة حقاً، كما أن الأساتذة والمعلمين ليسوا كلهم على درجة جيدة من ناحية التخصص، كما أنهم ليسوا جميعاً من أهل الصلاح والتقوى، ممن يعتمد عليهم في توجيه النشء. فالأستاذ الذي لا يصلي، لا يمكن أن يحث الأولاد على الصلاة، والتزام الدين، والأستاذ الذي يستهزئ بالدين وأهله، لا يمكن أن يوجه الطلاب إلى التزام منهج الله عز وجل في واقع الحياة.

ويخطيء من يظن أن رسالة المدرسة تقتصر على الناحية الأكاديمية فحسب؛ بل إنها في الحقيقة تتعداها لتحتوي الاهتمام بالأخلاق الإسلامية في أوسع معنى لها^(٢). فإذا كان هذا هو المفهوم الذي يجب أن تعني به المدرسة، فإن الواقع يخالف هذا،

«فمدارسنا تفتقر إلى التربية التي تقوى الجسم وتوجه طاقاته توجيهاً سليماً، وتكاد تنعدم فيها التربية التي تغذي الروح وتلجم نزوات العواطف، وليس فيها القدر الكافي من النشاط الاجتماعي الذي يعين التلاميذ على تنمية الصفات الخلقية والاجتماعية المرغوب فيها»^(٣).

ومما سبق تتضح مسؤولية الأب المسلم في متابعة ما يتلقاه ولده في المدرسة، فيقوم ما يحتاج إلى تقويم من الأفكار، والتصورات الدخيلة المنحرفة التي تعيق التربية الفكرية الصحيحة. ويجب عليه أيضاً أن يكمل ما قد يحصل من نقص في عمليتي التربية والتعليم في منهج المدرسة، ولا يجوز له بحال أن يهمل ولده في هذا الجانب، أو يشعره أن كل ما يُلقى إليه من معلومات في المدرسة هو صحيح يجب اعتقاده، فهذه خيانة للأمانة، وغش للولد، وتهرب من المسؤولية.

(١) المرزوقي، آمال حمزة، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، ص ١٥٤.

(٢) التوم، بشير حاج، تدريس القيم الخلقية، ص ١٨.

(٣) التوم، بشير حاج، التربية والمجتمع، ص ٣٢.

ومن واجبات الأب في هذا المجال، تخصيص أوقات متفاوتة أثناء السنة الدراسية لزيارة مدرسة الولد، ليتعرف على مديرها، وأساتذتها، ومن خلال لقاءاته المتكررة المستمرة يمكنه أن يعرف مستويات الأساتذة، ومدى التزامهم بالدين، واستقامتهم عليه، فإن تيقن من انحراف أحد الأساتذة، أو انتمائه إلى مذهب فكري منحرف أو متطرف، وجب عليه أن يبلغ عنه المسؤولين والقائمين على التعليم في البلاد، فإن عجز عن ذلك، نقل ولده إلى فصل آخر بالاتفاق مع مدير المدرسة، وإن تطلب الأمر نقله من المدرسة بالكلية، وجب وتعين نقله حماية له من الانحراف المتوقع.

أما في المناهج التي يتلمذ عليها الأولاد، فإن اطلاع الأب المستمر عليها لمعرفة مادتها العلمية، ومدى صلاحها للأولاد، يعد من واجباته التي تساعد على حماية الولد من الانحرافات الفكرية، فإذا وجد فيها ما ينافي مفهوماً من مفاهيم الدين، أو وجد فيها عرضاً سيئاً لقضية من قضايا الدين وتصوراتها، فإن دوره في إنكار ذلك، أن يرفع للمسؤولين عن هذا الخطأ في المنهج ويطلب بتغييره أو تعديله، فإن عجز عن ذلك وجب عليه أن يفهم ولده خطأ تلك الفكرة في المنهج وانحرافها مؤيداً كلامه بالأدلة العلمية الشرعية، وبذلك يكون قد ساهم في حماية ولده من انحرافات المدرسة، وخفف من أسباب إعاقة التربية الفكرية الصحيحة للولد.

ومن القضايا المهمة التي لا بد أن تكون واضحة في ذهن الأب، قضية حسن اختيار المدرسة. إذ يجب أن يكون من بين الشروط التي يضعها لنفسه عند إلحاق الولد بالمدرسة أن يكون مدير المدرسة ومعظم الأساتذة من أهل الخير والصلاح، ولا يكتفي الأب بأن تكون المدرسة قريبة من المنزل، أو جديدة البناء، ومكيفة الفصول، أو أنها تضيف إلى منهجها تعليم اللغات الأجنبية. إن هذه المميزات لا بأس بها بعد التأكد من صلاح القائمين على المدرسة، فإن صلاحهم أهم بكثير من باقي المميزات المادية، وحماية الولد وسلامة فكره من الانحراف أعلى عند الأب والأمة من كل شيء؛ لهذا كان اختيار المدرسة مهماً للغاية.

ولقد تظن أعداء الإسلام إلى أهمية التربية والتعليم ودورهما في توجيه ورعاية النشء الجديد، فقد اهتموا بإنشاء رياض الأطفال، والمدارس، ودور الحضانات، في بلاد المسلمين، وذلك ليشرفوا بأنفسهم على تربية الأجيال من أبناء المسلمين على ما يريدونه من الانحراف الفكري والزيغ عن دين الإسلام. ففي الأردن مثلاً البلد الذي لا يزيد عدد سكانه عن مليونين، أنشأ المنصرون ألفاً ومائة وثلاثاً وثلاثين روضة للأطفال، ومائة وأربعاً وستين مدرسة تنهيرية^(١). فإذا كان هذا اهتمام المنصرين ببلد صغير كالأردن، فكيف يكون اهتمامهم ببلد كبير كمصر، أو الباكستان، أو أندونيسيا . . . ؟ .

إن واجبات الأب في هذه الناحية كبيرة، فيحتاج أن يتأكد من المدرسة قبل إلحاق ابنه بها، فإن كانت تنهيرية، أو منحرفة الإدارة، نبذها واختار غيرها، فإن عجز عن ذلك وكان قادراً على أن يلحقه بمدرسة خاصة، يدفع له مصاريفه السنوية مع ضمان استقامة إدارتها، وخلو مناهجها من الانحراف، فإن هذا الإجراء حسن؛ بل هو الواجب، وله عند الله الأجر والمثوبة، لجهاده ومحافظته على أولاده ورعايته لهم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

ومن المسائل الخطيرة المتعلقة باختيار المدرسة مسألة الاختلاط بين الذكور والإناث في المرحلة الابتدائية، فإن بعض المدارس تعتمد هذا الاختلاط في المرحلة الابتدائية فقط، وبعضها تعمل به في جميع المراحل، والواجب على الأب حفظ ولده من هذا الاختلاط في جميع المراحل، حتى المرحلة الابتدائية، فإن حدوث الإثارة الجنسية والميل إلى البنات واحتمال حدوث الانحراف كل ذلك ممكن خاصة إذا بلغ الولد العاشرة وبلغت البنت التاسعة(*) .

(١) العظم، يوسف، أين محاضن الجيل المسلم، ص ٣١ و٤٤ - ٤٦ .

(٢) العنكبوت ٦٩ .

(*) انظر: الفصل الخامس، المبحث الأول، الفقرة (أولاً)، (٢) لمعرفة الأدلة التي توجب فصل الذكور عن الإناث .

وما يكتبه بعض المهتمين بالتربية^(١)، مؤكدين أهمية وضرورة الاختلاط بين البنين والبنات في المراحل الابتدائية يعد خطأ فاحشاً لا يجوز العمل به. ويحذر الأب من مثل هذه الآراء المنحرفة ويعمل جاهداً على اختيار المدرسة التي تقوم على الفصل بين الذكور والإناث؛ ليحمي ولده من أسباب الانحراف الخلقي.

وقضية أخرى يتنبه إليها الأب وهي عدم الإلحاح على الولد في متابعة دراسته، بعد أن يتحصل على العلم الأساسي الذي لا يستغني عنه أحد، كتعلم القراءة والكتابة والحساب، وذلك لأن إجباره على إكمال الدراسة ربما كان عائقاً له عن تحقيق ميوله، ورغباته، في تعلم حرفه، أو صنعة ما. وليست المدرسة هي الطريق الوحيد للتحصيل العلمي، فإن الاطلاع الخارجي برغبة وشغف، مع الاتصال بالعلماء من وقت لآخر، يعد طريقاً جيداً للتحصيل العلمي، فلا بد من إعطاء الولد الفرصة للاختيار، مع تقديم النصائح والإرشادات الأبوية الخالصة، والمبنية على المعرفة الصحيحة بقدرات الولد وميوله وإمكاناته العقلية والنفسية.

وقضية أخيرة حول المدرسة تتعلق بالسن المناسبة التي يفضل إلحاق الولد فيها بالمدرسة. حيث يميل كثير من الآباء نحو إلحاق الولد بالمدرسة في سن مبكرة رغبة في الفائدة، ومساابقة للزمن، والصحيح ما درج عليه الناس في القديم والحديث، وما اهتمت إليه الخبرات الإنسانية من تعيين سن السادسة لبداية التعليم المنظم المباشر^(٢)، فيفضل للأب التقيّد بذلك حفاظاً على نفسية الولد، ومراعاة لقدراته الطبيعية التي وهبها الله عز وجل.

(١) انظر: زريق، معروف، كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم، ص ١١١ - ١١٢ و ١٢٥.

(٢) انظر: ابن سينا، القانون في الطب، ج ١، ص ١٥٧.

قمبر، محمود، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ص ٣٨١ - ٣٨٢.

المبحث الثالث

وسائل التربية الفكرية

- أولاً: التلقين
- ثانياً: تعليم اللغة والكلام
- ثالثاً: تعليم القراءة والكتابة
- رابعاً: القصص والروايات
- خامساً: التفكير في الكون

المبحث الثالث

وسائل التربية الفكرية

للتربية الفكرية وسائلها التي تهدف إلى تحقيق التكامل التربوي في شخصية المسلم، فكما هو يتربى على حسن الخلق والآداب، فكذلك يتربى على البلوغ بمواهبه العقلية أعلى درجات الكمال البشري الذي منحه الله له، وفيما يلي نستعرض بعض وسائل التربية الفكرية ومهام الأب في ذلك:

أولاً: التلقين:

يميل الطفل في طفولته المتأخرة إلى تقبل الآراء والحقائق عن الكبار، وتكون لديه قابلية كبيرة للاستهواء والانقياد، كما أن قدرته على التفكير المجرد تكون جيدة. فيميل إلى الاحتكاك بالكبار وأخذ القيم والمعايير عنهم، كما أنه في هذه السن يصبح قادراً على إدراك الخطأ والصواب^(١)؛ لهذا كان منهج التلقين المباشر لأساسيات الدين في هذه الفترة هاماً للغاية، إذ أن الولد لا يفهم معظم تصرفات الكبار، فيكون تلقينه المفاهيم الصحيحة وسيلة سهلة جيدة في هذه الفترة، خاصة وأن الولد مستعد للتقبل والافتناع.

ولا يعني هذا أن التلقين للمفاهيم الإسلامية لا يصلح إلا في الطفولة المتأخرة؛ بل إن التلقين في الطفولة المبكرة له أهميته أيضاً؛ فإن «التعليم الديني الذي يتلقاه الطفل في السنوات المبكرة يترك بصماته على عقليته في الطفولة المتأخرة حيث تتكون عنده مفاهيم تصبح أكثر وضوحاً مع تقدمه في

(١) المليجي، عبد المنعم وحلمي المليجي، النمو النفسي، ص ٢٦٣.
الهاشمي، عبد الحميد محمد، علم النفس التكويني (أسسه وتطبيقاته)، ص ١٦١.
زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، ص ٢٤٦.

السن، وبهذا يستطيع أن يفهم النظريات المجردة على نحو أفضل»^(١)، لهذا كان السلف رضوان الله عليهم يبدؤون في تلقين أولادهم أساسيات الدين منذ الطفولة المبكرة عند ابتداء نطقهم، فكانوا يعلمون الأولاد قول «لا إله إلا الله» سبع مرات لتكون أول شيء يقولونه، وكان رسول الله ﷺ يعلم الغلام من بني عبد المطلب إذا أفصح قول الله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ ﴾^(٢) سبع مرات، وكان علي بن الحسن رحمه الله يعلمهم: «قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت»^(٣). وهذا العمل من رسول الله ﷺ، ومن السلف الصالح فيه دليل على أن الطفل يخترن هذه المعلومات في حافظته، وتشرب بها نفسه بالتكرار. لهذا أجمع أئمة السلف على أن نطق الصبي بالشهادة قبل البلوغ كافٍ، فلا يحتاج إلى تجديد ذلك بعد البلوغ^(٤). ولولم يكن هناك فائدة من وراء تلقين الصغير هذه القضايا لكان من العبث قيام السلف الصالح بها، وإضاعة الوقت والجهد.

ومن هنا تتضح أهمية تلقين الولد الصغير هذه الشهادة العظيمة؛ إذ يبدأ الأب بتلقينه «لا إله إلا الله» اقتداء بالسلف رضوان الله عليهم، ويلقنه معناها إذا كبر قليلاً: «إني أعلم وأقر واعترف واعتقد بأن المعبود الحق الذي لا يستحق العبادة غيره هو الله تعالى، وأبين ذلك وأظهره بلساني وأفعالي وسلوكي»^(٥). ولا بأس بتعليمه هذه الجمل حتى وإن لم يفهمها أو يعقلها، فإنه إذا كبر علم معناها وعقلها وكانت أدعى للتطبيق في حياته وسلوكه.

وإذا عقل الولد وبدأ يفهم بصورة أفضل يُلقن: أن الإسلام، هو دين الله الذي لا يقبل غيره، وأنه لا عز إلا بالإسلام، وأن ما أصاب الأمة من هزائم

(١) منصور، محمد جميل وفاروق عبد السلام، النمو من الطفولة إلى المراهقة، ص ٤١٠، (بتصرف).

(٢) الإسراء ١١١.

(٣) ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الصلوات، ما يستحب أن يعلمه الصبي أول ما يتعلم، ج ١، ص ٣٤٨.

(٤) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٥.

(٥) زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، ص ١٧.

ونكبات ماكان ليحصل إلا بسبب تفريط المسلمين في التزام دينهم . كما يُلقن: أنه ما قام المسلمون بدعوة الله والتزام منهجه إلا كان الانتصار في النهاية للإسلام وأهله .

وعلى الأب أن يعلمه أيضاً أحكام الحلال والحرام، ويربطه بأحكام الدين والشريعة، فيفهمه أن هذا حرام، وهذا حلال، في كل قضية من القضايا التي تعرض له، ليستشعر الولد أنه محاط بشريعة وأحكام تنظم كل شؤون حياته . فبعد فترة من هذا المران والتكرار، يصبح عند الولد حاسية خاصة، يحب أن يعرف حكم الله في كل قضية، أو أمر يقوم به فيسأل عن الحكم في كل ما يراه ويسمعه . وهذا الإحساس هو حجر الزاوية الأساسي في استقامة الولد في المستقبل إن شاء الله .

ويضيف الأب إلى هذه القضايا التي يُلقنها للولد، قضية تلقينه وتعريفه بأعداء الإسلام، فيحاول أن يُعرفه بهم حتى لو كان ذلك بالأسماء، والشعارات فقط، وذلك لتُختزن هذه المعلومات في حافظته، وتستقر في نفسه، كأن يقول له دائماً: «أعداء الإسلام اليهود، والنصارى، والمجوس، . . . وكل من هو على غير دين الإسلام». وفي بعض الأحيان يسأله: «من أعداء الله يا بني؟» فيجيبه الولد فوراً كما علمه الأب .

ثانياً: تعليم اللغة والكلام:

اللغة هي القوالب والأوعية التي ينتقل من خلالها الفكر والخلق والاعتقاد، وغير ذلك مما يمكن أن تنقله اللغة، لهذا فإن لها تأثيرها البالغ في العقل والخلق والدين^(١)، «والفرد يتأقلم مع أنماط المواقف والأفكار والقيم التي تشكل ثقافة ما عن طريق اللغة بصورة أساسية، . . . فإن اللغة تساعد على تنشئة وعي الفرد وتشكيله الاجتماعي بصورة قوية»^(٢).

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ٢٠٧ .

(٢) لوكمان، توماس، علم اجتماع اللغة، ص ١٢ - ١٣ (بتصرف).

لهذا «فإن نوعية الكلام الذي يستعمله الوالدان، ودقته، ومغزاه، ونوع العلاقة التي ينشئها كلاهما مع أطفالهما، هي السند القوي للنمو العقلي»^(١). فإذا أراد الأب أن يأمر ولده بالسكوت مثلاً، فإن العبارات التي تفيد المعنى كثيرة، فيمكنه أن يقول للولد: «أسكت»، أو «لا تتكلم»، أو ينظر إليه نظرة حادة يفهم منها الولد وجوب التزام الصمت. وهذا الأسلوب في العادة غير موفق مع الولد الصغير خاصة، بل ربما زاده عناداً وإصراراً، إلى جانب أن الولد لا يستفيد من هذه الكلمة شيئاً جديداً في عالم اللغة، ولكن الأب لو استخدم أسلوب العبارات الطويلة التي تفيد المعنى المطلوب، وتحمل معها شيئاً من الحجة والإقناع، فإن المردود أفضل من ناحية استفادة الولد وسماعه عبارات لغوية طويلة، وكلمات جديدة، إلى جانب اقتناعه بالحجة، وفهمه لسبب الأمر، أو النهي، ومثال ذلك أن يقول الأب للولد: «يا بني أرجو أن تقلع عن الصراخ فلنني لا أستطيع أن أقرأ وأنت تصرخ، وإني محتاج أن أنهى قراءة هذا الكتاب اليوم؛ لتقديم ملخص عنه غداً»، فالفرق بين العبارات واضح، ففي الأسلوب الأول استخدمت كلمة واحدة مكررة ومعروفة عند الولد، أما في الأسلوب الثاني فإن عدد الكلمات أكثر، والأسلوب أفضل وأجمل وأنفع.

ولما كان أمر اللغة بهذا القدر من الأهمية، فإن الأب يستخدم مع ولده، أفضل وأحسن الألفاظ، معتمداً على اللغة العربية مفتاح العلوم، ومتجنباً العامية قدر الإمكان، فإن تعليم الطفل الصحيح من اللغة ابتداءً، أفضل من إعادة تصحيح ما أفسد منها.

ويبدأ الأب في تعليم الولد الكلام منذ ميلاده، فإنه محتاج إلى المناغاة بقدر حاجته إلى الغذاء واللين^(*) (٢)، ف يعود الأب من وقت لآخر ليحدث ولده

(١) فوزو، برنار، نمو الذكاء عند الأطفال، ص ٣٣٥.

(*) لا يرى روسو التحدث للأطفال بغير ما يفهمون قبل أن يعقلوا، إلا من خلال النبرات والأنغام التي تحدثها المرضع أو المربية لتسكينهم. انظر: روسو، جان جاك، أميل، ج ١، ص ٩٢.

(٢) رايبير، فان، مساعدة الطفل على إجادة الكلام، ص ٢٣ و ٣٠ - ٣١.

الصغير، أو يقرأ عليه من كتاب يؤدي إلى تحسينات كبيرة في قدرة الولد على الكلام، وزيادة في اهتماماته اللغوية^(١)، فلو قرأ الأب ورده اليومي من القرآن الكريم بجوار ولده وهو يسمعه، فإن هذه الفائدة تحصل، بجانب حصول البركة بالقرآن، والثواب على القراءة. ويراعي الأب عند القراءة تحسين صوته، فإن الصوت الحسن يجذب النفس، ويرقق القلب، وفي الحديث: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٢).

ويساعد على عملية الكلام عند الطفل وسرعته: اللعب معه ولمس جسمه خاصة الأصابع فإن «مناطق الكلام في المخ تتكون بتأثير انتقال النبضات من الأصابع عن طريق الأعصاب.. هذا بالإضافة إلى أن النشاط الحركي المنظم أثناء حدوث الكلام له تأثير طيب على النمو العقلي للطفل، وهو يساعد على عمليات التفكير والانتباه والتذكر»^(٣). لهذا يتنبه الأب إلى أهمية الحركة عند الولد، وأن لها دوراً هاماً في نموه العقلي، فلا يزجره دائماً على كثرة لعبه وحركته؛ بل يهيئ له الجو المناسب، والمكان المناسب، لاستخراج طاقاته، وتنمية قدراته العقلية والجسمية.

ومن الوسائل المساعدة على تعلم الأولاد للكلام تشجيعهم عليه، والاستماع لهم باهتمام، فإن التشجيع خير حافز على جد الولد في تعلم اللغة والنطق بها، كما أن وجود الولد في مجموعة من الأطفال في سنه يساعده أيضاً على ممارسة الكلام، وتعلم مفردات جديدة، على أن يلاحظ الأب في ذلك حسن اختيار الرفاق، فإن الطفل يمكن أن يتلقى منهم مفردات قبيحة يصعب على الأب بعد ذلك تخليصه منها.

كما أن للروايات والقصص المثيرة دوراً هاماً في مساعدة الولد على

(١) الصالح، محمد أحمد، الطفل في الشريعة الإسلامية (نشأته - حياته - حقوقه التي كلفها الإسلام)، ص ١٤٢.

(٢) النسائي، سنن النسائي، كتاب الافتتاح، تزيين القرآن بالصوت، ج ٢، ص ١٧٩.

(٣) خريكوفا، أنطونيو، «التربية البدنية والنمو العقلي للأطفال»، مجلة مستقبل التربية، العدد (١)، ص ٣. (بتصرف).

تركيب الكلام والقدرة على النطق، فلو خصص الأب فترة قبل النوم - حيث يكون الطفل مركزاً ومقبلاً - في إلقاء بعض هذه الروايات والقصص معتمداً على اللغة العربية الفصحى، مع سهولة العبارة والإثارة العاطفية في القصة، فإن الولد سوف يستفيد من نصوص القصة مفردات جديدة، إلى جانب تعلم كيفية النطق والشجاعة على الكلام، بالإضافة إلى الأفكار، والقيم الجميلة التي يتعلمها من القصة وأحداثها.

أما ما يخص قضية اللعثة والتهتة عند بعض الأطفال الصغار، فإن أسبابها تعود عادة إلى أمور منها: الوراثة: فالطفل المتوسط الذكاء ينطق بصعوبة، إلى جانب أن نطقه يتأخر، كما أن إهمال الولد الأكبر والالتفات إلى المولود الجديد، ولوم الولد عند حدوث اللعثة منه بغير قصد، ووجود المشكلات العائلية التي تهدد بانهيار البيت، كل هذه الأمور تؤثر على الولد، وتضعف عنده القدرة على الكلام بطلاقة^(١)، ولا شك أن اهتمام الأب ومراعاته لحالة ولده النفسية، بإغفال ما عنده من بطة في الكلام واللعثة، ومساعدته على النطق وتشجيعه عليه بالأساليب المختلفة، مع مراعاة أن يكون ذلك بعيداً عن نظر أقرانه وإخوته، يمكن أن يفيد الولد ويحسن من وضعه ونطقه.

ويلاحظ الأب أيضاً أن الإصرار على الولد، وإجباره على تعلم اللغة قبل أن يكون مستعداً لذلك يعد من أسباب وجود هذه التهتة واللعثة إلى جانب التوتر النفسي الذي يحدثه هذا الإجبار والقسر عند الولد^(٢). فإن الطفل يمكن أن يبدأ النطق بكلمات لها معنى في نحو تسعة أشهر من عمره، وقبل هذا السن لا يتجاوز كلامه إصدار أصوات، وأحرف متفرقة أو مجتمعة، دون أن يكون لها معنى مقصود أو مفهوم^(٣)، فيلاحظ الأب هذه المفاهيم، ويراعي قدرات الولد، وإمكاناته العقلية في سن الطفولة.

(١) مجلة التربية، «طفلك حائر بين تأخر النطق واللعثة والثأثة»، العدد (٦٩)، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) المليجي، عيد المنعم وحلمي المليجي، النمو النفسي، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٣) الينجورث، رونالد وسينثيا الينجورث، الرضع والأطفال الصغار، ص ١٣٧ و ١٥٧.

ثالثاً: تعلم القراءة والكتابة:

يستمر تلقين الولد إلى فترة طويلة حتى يتمكن من القراءة، وأخذ المعلومات بنفسه. فإن القراءة تعد من أعظم وسائل المعرفة، إذا لم تكن هي أعظمها، والأمر قد جاء بها من عند الله عز وجل، فقد كان أول التقاء بين السماء والأرض بعد انقطاع طويل، نزول قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١). وفي هذا إشارة إلى أهمية العلم والتعلم، وبيان وسيلتهما ومفتاحهما وهي القراءة.

والأب مكلف بمهمة التعليم، فهو المسؤول عن تعليم أولاده القراءة، والكتابة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً»^(٢).

وإن هذا لا يتحقق في جو فشت فيه الأمية بين المسلمين، وقل الشغف بالقراءة، والاطلاع وطلب العلم، خاصة من المقربين للولد، فإن «الرغبة في المطالعة لا تولد مع الطفل، فالأطفال لا يتعلمون حب الكتب بدافع ذاتي، فلا بد أن يقودهم شخص ما إلى عجائب عالم الكلمة المكتوبة»^(٣)، وهذا الشخص لا بد أن يكون هو الأب، لأنه القدوة، ولأنه المحبوب من أولاده، وكل ما يصدر عنه، فهو جميل وحسن.

ويمكن أن يبدأ الأب في تأصيل حب القراءة عند الولد، عن طريق تأسيس مكتبة علمية في البيت بمجرد ولادة الطفل، فإن إحاطته بالكتب من أول الأمر تجعله يعتادها ولا يستنكرها، فيتعلم كيف يتعامل معها ويحترمها في سن مبكرة من عمره.

ويحاول الأب في هذه الفترة أيضاً أن يقرأ بجوار الولد بصوت عالٍ غير

(١) المعلق ١.

(٢) الترمذي، الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، ص ٢٣٩.

(٣) أبو النصر، جولندا، «تنمية القراءة لدى الأطفال العرب»، وقائع ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية، ص ٢٤.

مزيج، حتى يعتاد على الإصغاء، وسماع صوت القراءة الرتيب^(١)، ولو جعل مختاره من القراءة هو كتاب الله عز وجل، كانت الفائدة أعظم، والأجر أكبر.

والطفل في سن الأربع سنوات يتشكل عنده خمسون بالمائة من النمو الذهني، فتكون المطالعة البسيطة في هذه الفترة تعزيزاً لهذا النمو الذهني عنده^(٢). كما أنه في سن السادسة تقريباً يشعر بالثقة في نفسه، وأنه قادر على اقتحام أي مجال من المجالات، فيكون إشغاله في هذه الفترة بالقراءة استغلالاً جيداً لهذه الطاقة الحيوية عنده. مع ملاحظة أن توجيه الولد إلى الاطلاع في سن مبكرة، لا ينبغي أن يكون إجبارياً، إذ أن إجباره على تعلم القراءة قبل استعداده لذلك يؤثر على الاتزان العاطفي عنده، إلى جانب أنه لن يتعلمها بسهولة ويسر، بل يفقد أولاً بأول ما يتعلمه منها، ويسوقه ذلك فيما بعد إلى كرهها وبعضها^(٣).

وقد جاءت بين توصيات «ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية» والتي عقدت في البحرين عام ١٩٨٥ م، توصية نصت على: «عدم إجبار الأطفال في سن ما قبل المدرسة على القراءة والكتابة، مع توفير المثيرات الموحية لهم بتوفير الكتب المصورة المناسبة لتشجيعهم على التعامل مع الكتب»^(٤)، فهذه التوصية صريحة في التحذير من إجبار الطفل على القراءة قبل دخوله المدرسة، مع اتخاذ الوسائل المناسبة والموحية والمشجعة له للتعامل مع الكتب، فيمكن للأب أخذاً بهذه التوصية، أن يهيئ لولده في حدود سن الرابعة أو الخامسة تقريباً، مثيرات متنوعة، تدفعه للقراءة وحب الكتب، ومن ذلك استخدام بعض الكتب المصورة التي تتضمن صوراً ملونة جميلة لبعض الحيوانات^(*)، والنباتات، والأدوات والأشياء المختلفة، وتعليم

(١) المراجع السابق، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٣) مونرو، ماريون، تنمية وعي القراءة، ص ٤٣ و ٥٢.

(٤) مجلة التربية، «ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية»، العدد (٤٤)، ص ٦٨.

(*) أفنى بجواز الصور الفوتوغرافية غير المجسمة مفتي مصر الشيخ محمد بخيت، انظر: كتاب «الحلال والحرام في الإسلام» للأستاذ يوسف القرضاوي، ص ١١٠.

الولد أسماءها، ثم سؤاله بعد ذلك عنها، فمن خلال هذه الوسيلة يتعلم الولد شيئاً من القراءة، ويتعرف على مضامين هذه الصور، إلى جانب تقوية صلته بالكتب وإشغاله بها.

ويُدرَّب الولد الصغير على القراءة من خلال تعلم الكلمات الكبيرة، كالموجودة في الجرائد، ولافتات المحلات، والإعلانات الكبيرة، ولوحات المرور الإرشادية، وغير ذلك مما يمكن أن يكون سهلاً على الطفل يمكنه قراءته بوضوح^(١).

كما يمكن للأب زيادة تشجيع الولد على القراءة من خلال صناعة بعض الأحرف الهجائية من الحلوى، فيتعلم الولد ويأكل في نفس الوقت، وقد كان بعض القدماء يستعملون هذا الأسلوب، وقد نصح به الفيلسوف «إيراسموس»^(٢). فيأمكن الأب تكليف أهل البيت بأن يصنعوا هذه الحلوى أو البسكويت، على شكل أحرف هجائية، أو أرقام عددية، ثم يجلس الأب من وقت لآخر يداعب ابنه ويلطفه بهذا الأسلوب التربوي الجميل، فيتعلم أن القراءة شيء لطيف يدخل السرور، فتكون هذه خطوة مشجعة للولد لمواصلة المسير في تعلم القراءة نحو القصص والروايات المبسطة، والخاصة بالأطفال الصغار.

ولما كانت الصلة قوية بين القراءة والكتابة، فهما لا ينفكان ولا ينفصلان عن بعضهما البعض فإن الله سبحانه وتعالى بعد أن أمر بالقراءة في أول سورة أنزلها على رسوله محمد ﷺ أشار بعدها في الآية الرابعة عن فضله ونعمته بأن علم بالقلم، فقال: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(٣). يقول قتادة رحمه الله في تفسير هذه الآية: «القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقيم دين، ولم يصلح عيش، فدل على كمال كرمه سبحانه، بأن علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم

(١) نثو، إبراهيم عباس، أفكار تربوية، ص ١٥١-١٥٣.

(٢) عبد الدائم، عبدالله، التربية عبر التاريخ، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) العلق ٤.

الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو^(١). لهذا فإن اهتمام الأب بموضوع الكتابة بجانب القراءة يعد أمراً هاماً، لعظم الصلة بينهما. ويمكن بعد أن يعرف الولد أشكال الأحرف: أن يدرب على الإمساك بالقلم، فإن الطفل يمكنه تعلم طريقة إمساك القلم في الفترة من الثانية إلى الرابعة من عمره^(٢)، فيمكن من الكتابة على بعض الأوراق الكبيرة البيضاء، أو الملونة، مع استخدام الأقلام الملونة الجذابة، أو بالإمكان استخدام اللوح، أو غير ذلك حسب الإمكان. والأطفال في هذه الفترة مشغوفون بالرسم والتلوين، فيتعلمون رسم الأحرف والأعداد وتلوينها. ولا يغفل الأب عن تشجيع ولده ومتابعته والاهتمام بإنجازه، حتى وإن كان تافهاً غير مفهوم. مع ملاحظة قضية عدم إجبار الولد على استعمال يده اليمنى عند الكتابة أو الرسم، إن كانت كتابته باليسار طبيعية، قد جبل عليها، فإن إجباره يؤدي إلى اضطراب نفسي^(٣)، وتركه على طبيعته ليس فيه محذور شرعي، إن لم يستعملها في الطعام أو الشراب.

وكما أن الطفل يفتح عليه أول ما يفصح بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فإنه يُفضّل أن يفتح عليه أيضاً عند أول قدرته على الكتابة أن يتعلم كتابة «لا إله إلا الله» أو «الله». وذلك بدلاً من البدء بكتابة اسمه كما هو الحال مع أكثر الآباء عند تعليم أولادهم الكتابة، حيث يتدثون بتعليمهم كتابة أسمائهم، ولا شك أن الابتداء بكتابة اسم «الله» أعظم وأجل، وأوقع في نفس الولد لتعظيم الله عز وجل، فإذا كان اللفظ «بلا إله إلا الله» والطفل بعد لا يعقل أمراً مستحباً، فإن بدؤه بكتابتها وهو أعقل وأكبر أولى وأحرى.

وإذا التحق الولد بالمدرسة الابتدائية، أو الروضة وحصلت له القدرة على القراءة، فإنه يوجه إلى القصص والروايات والكتب الصغيرة التي تناسب سنه، فيؤمن الأب له في مكتبته الصغيرة مجموعة من هذه المطبوعات

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ١٢٠.

(٢) الصويغ، محمد حمد، «الطفل والتربية الفنية»، مجلة التربية، العدد (٣٧)، ص ٧٣.

(٣) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، ص ٢١١.

الجيدة، مراعيًا شروط اختيارها، ومطلعًا على مضامينها، فيشجع ولده على الاطلاع عليها وقراءتها، ولا بأس أن يشاركه الأب في أول الأمر، ويقرأ عليه بعض الصفحات من وقت لآخر، حتى يضمن شغف الولد بها، وانجذابه إليها، مراعيًا أن يفهم الولد مضمونها وما تدور حوله أحداث القصة، فإن كثيرًا من القراء الكبار - فضلًا عن الصغار - يجدون صعوبة في التقاط الأفكار الرئيسية من الكتاب، أو القصة. فيخرج القارئ بجزئيات حول الموضوع دون الفكرة الرئيسية. وهنا يكون دور الأب المثقف أن يعلم ولده كيف يلتقط الفكرة الرئيسية التي تدور عليها أحداث القصة، أو مضمون الكتاب، وبذلك يكون قد خدم ولده خدمة عظيمة، قد فاتت على الكثير من الناس.

رابعاً: القصص والروايات:

تعد القصة وسيلة تربوية هامة في منهج التربية الإسلامية، حيث لا يقتصر دورها التربوي، وتأثيرها العاطفي والنفسي على الأطفال الصغار فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل الكبار والشيوخ. فهذا كتاب الله عز وجل قد تضمن بين دفتيه المباركتين قصصاً كثيرة تربي عليها الكبار في العهد النبوي، وما بعده قبل أن يتربي عليها الصغار، فأثرت تأثيرها - ممتزجاً بباقي جوانب المنهج الإسلامي - نماذج بشرية فاقت كل جيل قبلها، وأعجزت كل جيل بعدها أن يماثلها أو يساويها.

إن وجود هذا العدد الهائل من القصص(*) في كتاب الله عز وجل، وسرد بعضها بتفصيل دقيق، وذكر بعضها في أكثر من سورة، رغم الإيجاز في توضيح أحكام الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، رغم أنها أركان الإسلام وأساساته. فهذه الشعائر التعبدية العظيمة لم يرد لها تفصيل في القرآن الكريم كما هو الحال في حق القصص القرآني الذي فُصّل تفصيلاً دقيقاً وكثيراً، إن

(*) انظر: نماذج من القصص القرآني في كتاب «القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور» لعبد الكريم الخطيب.

في هذا إشارة بالغة الوضوح في أن لهذا القصص مكانته وأهميته التربوية في منهج التربية الإسلامية .

وإذا كان الأمر كذلك فإن استخدام الأب للقصّة في مجال توجيه الولد وتربيته، يعدّ أمراً موافقاً لمنهج التربية الإسلامية الصحيح، خاصة وأنّ التربويين يكادون يجمعون على أهمية استخدام القصّة في تربية النشء، وأنّ لها أثراً تربوياً جيداً على شخصياتهم، فهي تقوي الخيال عندهم، وتشد انتباههم، وتنمي لغتهم، وتدخّل عليهم السرور والبهجة، إلى جانب أنّها تعلمهم الفضائل والأخلاق من خلال أحداثها المثيرة^(١).

وعند اختيار الأب للقصّة يراعي بعض الأمور:^(٢)

(أ) أن تهدف إلى فوائد خلقية وأدبية وعلمية مع تجنب القصص السخيفة.

(ب) أن تضم جانباً من الفكاهة والمرح لجذب انتباه الولد وإدخال السرور عليه.

(ج) إظهار الانفعالات على الوجه والصوت حسب المواقف المختلفة ليعيش الولد واقع القصّة.

(د) الثناء على أصحاب الفضل في القصّة، وذم أصحاب الباطل والتقليل من شأنهم.

(هـ) تجنب الوقائع التاريخية التي لا يفهمها الأطفال وليس فيها دروس أخلاقية تنفعهم، مثل مقتل عثمان رضي الله عنه، أو موقعه الجمل، أو معركة صفين وغيرها من القصص التي لا تناسب الأطفال.

ويمكن أن يضاف إلى هذه الأمور بعض القضايا الخاصة بالقصص

(١) انظر: سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٣٠٤.

الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، ص ٦٦.

مراد، جوليا، «قصص الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٨٦.

(٢) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، ص ٦٩ - ٧٢.

المقروءة، فيراعي الأب أن تكون القصة مكتوبة بخط كبير وواضح، وبلغته سهلة ميسرة، مع استخدام الصور الزاهية الملونة^(١).

أما ما يخص اختيار القصة نفسها من بين المعروضات المختلفة من قصص الأطفال، فإن الاهتمام بأدب الأطفال، والكتابة لهم، يعتبر من الاهتمامات الحديثة في هذا العصر، وقد أصبح في الآونة الأخيرة في توسع كبير، «إلا أن معظم هذه الكتابات تتم في غياب النقد والرقابة الوطنية التربوية»^(٢)، فالكتب والقصص الخاصة بالأطفال، والتي تُترجم إلى العربية لا تمثل في الحقيقة احتياجات أطفالنا، ولا تعالج موضوعات تخصنا، بل هي بعيدة عن واقع حياتنا الذي نعيشه، إلى جانب أن أكثرها ضعيف الترجمة والنقل إلى العربية، فتصعب على الطفل قراءتها^(٣).

والقصص والمجلات المنشورة مثل: «سوبرمان»، و«لولو»، و«الوطواط»، و«ميكى»، وغيرها تدور أحداثها حول المغامرات، والعنف، وشخصيات خرافية وهمية غير حقيقية، وبعضها شخصيات حيوانات، أو رجال فضاء، كما أن استخدام هذه المجلات للغة العربية العامية مكتوبة ومقروءة، يعد بلا شك أشد خطراً على اللغة العربية الفصحى من كون العامية مسموعة فقط دون كتابة^(٤).

ولا شك أن لهذه القصص بجانب هدمها للغة العربية الفصحى، فإن لها أثرها السيء في توجيه الأطفال، فهي لا تتضمن معاني تربوية رفيعة، كما أنها لا تهدف إلى غرس الأخلاق والقيم، إلى جانب أنها خرافية بعيدة عن الواقع والحقيقة، وأعظم من هذا كله أنها تُغفل وجود الله عز وجل بالكلية،

(١) مزاد، جوليا، «قصص الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٨٧.

(٢) معمر، عيد، «أدب... وأدباء الطفولة»، مجلة التربية، العدد (٦٥)، ص ٥٧.

(٣) أبو النصر، جولندا، «تنمية القراءة لدى الأطفال العرب»، وقائع ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية، ص ٢٦.

(٤) الدسوقي، فاروق أحمد، «مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي»، وقائع ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، ج ١، ص ٣٥٢-٣٥٣.

وإن حدث وذكر جل شأنه، كان بلا دور حقيقي فعال، فإن أبطال تلك القصص والمجالات، هم الذين يتحكمون في الكون ومقدّراته، بما أوتوه من القوة الخارقة، والأجسام العملاقة، والأجهزة الفتاكة. ولا تخفي على الأب المسلم خطورة مثل هذه المنشورات على عقيدة الأولاد وأخلاقهم.

ويضاف إلى هذا النوع من القصص والرويات التي يتجنبها الأب تلك القصص المرعبة التي تدور أحداثها حول الجن والشياطين، فإنها تضر الولد، وتوقع في نفسه الفرع والخوف، إلى جانب أنها لا تحمل قيمة، أو فائدة علمية^(١).

والأب يجد وفرة من القصص القرآني والنبوي الذي يتميز بحقيقته وواقعيته وبعده عن الخيال والخرافة، فيقوى عند الولد صلته بالتاريخ الإسلامي المجيد، إلى جانب ما يتضمنه من تقوية العقيدة بالله، وأنه هو المؤيد للمؤمنين، المخزي للكافرين، كما أن هذا القصص يتضمن إبراز الصراع الدائم بين الحق والباطل، وانتصار الحق في النهاية، وفي القصص القرآني وصل للولد بالأمم المؤمنة السابقة وأنبيائها، فيستشعر الولد أن تاريخه يبدأ من آدم عليه السلام، وينتهي إلى آخر إنسان يقول «لا إله إلا الله» على وجه هذه الأرض، وهذا الاستشعار الهام يوقد في قلبه جذوة الإيمان، ويهبه علو الهمة والشأن، حتى وإن كان ضعيفاً مغلوباً على أمره فهو موصول بكل هذا التاريخ الطويل المجيد الضارب أطنا به في القرون الخالية واللاحقة، أما غيره من الأعداء والمجرمين فهم مبتورون منقطعون عن هذا التاريخ العظيم.

وعرض الأب للقصص القرآني والنبوي على هذا النحو الفريد له بالغ الأثر على نفس الولد، ففي مجال اختيار القصص القرآني يمكن أن يعتمد على القرآن الكريم وكتب التفسير، وفي القصص النبوي، يعتمد على سيرة الرسول ﷺ في كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام، أو كتاب «زاد المعاد» لابن القيم، وبعض الكتب الحديثة، مثل كتاب «فقه السيرة» لمحمد الغزالي، أو

(١) جرجس، ملاك، مخاوف الطفل وعدم ثقته بنفسه أسبابها والوقاية منها وعلاجها، ص ٢٦.

«فقه السيرة» لمحمد سعيد البوطي، أو كتاب «الرحيق المختوم» لصفي الرحمن المباركفوري.

ويكون دور الأب هو التحضير ثم الإلقاء، مع التركيز على العبر والعظات مستفيداً من كتاب «السيرة النبوية» لمصطفى السباعي. أما بالنسبة لاطلاع الأولاد فيكون من الكتب الصغيرة المؤلفة لهم، كسلسلة «قصص القرآن للأطفال» تأليف محمد علي قطب، وكتاب «غزوات الرسول للفتيان» لعبد المنعم الهاشمي وغيرهما. أما إن كان الولد ذا همة عالية، ولديه القدرة على القراءة في الكتب الكبيرة، المؤلفة للكبار فلا بأس مع إشراف الأب لتوضيح ما يخفي على الولد من كلمات، أو عبارات، أو معاني.

خامساً: التفكير في الكون:

لقد بث الله سبحانه وتعالى في هذا الكون من الآيات الباهرات الدالة عليه سبحانه وتعالى ما يعجز العقل البشري على أن يحصى عددها، أو يحيط بجملتها. وقد وجه الله عز وجل عباده إلى التفكير والتدبر في هذه الآيات العظيمة، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١)، ويقول سبحانه وتعالى آمراً الناس بالنظر في الكون بعين التفكير والتبصر: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢). في هذا التوجيه العظيم «يرشد تعالى عباده إلى التفكير في آلائه وما خلق الله في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الأبصار، مما في السماوات من كواكب نُّجُرات، ثوابت وسيَّارات،

(١) البقرة ١٦٤.

(٢) يونس ١٠١.

والشمس والقمر والليل والنهار»^(١)، فهذه الآيات والآثار هي الطريق الصحيح بعد القرآن والسنة لمعرفة الله عز وجل، وإدراك عظمته وقدرته، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا من خلال العقل والفكر والعلم؛ إذ بهم جميعاً يدرك الإنسان الخالق جل جلاله^(٢)، فوجود الحكمة في المخلوقات، دليل على أن الذي خلقها حكيم، كما أن وجود الإعجاز فيها دليل على أن الذي أوجدها قادر، وهكذا يجد المتفكر المتبصر، يد الله عز وجل، ولطفه، وعظمته، قد ارتسمت على كل شيء خلقه وأوجده في هذا الكون، من الأجرام السماوية العظيمة، إلى الميكروبات الصغيرة الدقيقة، كل ذلك لله فيه حكمة وإبداع.

إن إشعار الولد بهذا الإبداع، وهذا الجمال في مخلوقات الله، له أثر بالغ في نفسه وقلبه؛ إذ «يمد القلب والعقل بزاد من المشاعر والتأملات، وزاد من الاستجابات والتأثرات، وزاد من سعة الشعور بالوجود، وزاد من التعاطف مع هذا الوجود. . . وذلك كله في الطريق إلى امتلاء الكينونة البشرية بالإيقاعات الكونية الموحية بوجود الله وبجلال الله، وبتدبير الله، وبسلطان الله، وبحكمة الله، وعلم الله»^(٣).

والأب يتخذ من الوسائل المناسبة ما يقرب إلى ذهن ولده هذه التصورات، وهذا الأسلوب الأمثل في النظر إلى الكون، إذ لا يكون نظر الولد نظراً سطحياً بعيداً عن التأمل والتدبر، بل يكون نظره نظر اعتبار واستمتاع بهذا الوجود العجيب، فإن «الاستمتاع بجمال الكون جزء أصيل مقصود في التربية الإسلامية لماله من آثار في النفس»^(٤)، فمن فوائد النظر إلى السماء وآثاره النفسية، أنه يذهب الخوف والوسواس، ويذكر بالله عز وجل ويوقع في النفس تعظيمه وإجلاله، ويزيل الأفكار الرديئة من الذهن، وينقص الهم^(٥).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٢) حوى، سعيد، الله جل جلاله، ص ١٤.

(٣) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٨٢٢.

(٤) قاضي، علي، «الإسلام والتربية الجمالية»، مجلة التربية، العدد (٤٠)، ص ٧٥.

(٥) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، ص ١٧ - ١٨.

ومن الوسائل التي يمكن أن يتخذها الأب في هذا المجال، إعطاء الولد فرصة مناسبة للنظر في السماء، خاصة في الأوقات التي يكثُر فيها ظهور النجوم، في الليالي غير المقمرة، ويكون ذلك من خلال الخروج للنزهة مساءً، فيخرج الأب مع أولاده إلى الصحراء القريبة، أو في مكان خارج المدينة، حيث الهدوء والسكينة، أو على الأقل على سطح المنزل، كما يمكن اصطحاب المنظار المقرب ذي العدسات التي يمكن أن تقرب البعيد، فيوجهها الأب إلى بعض تلك الأجرام السماوية البعيدة، ويعطي الولد فرصة للنظر والتأمل.

وللخلوة في الخلاء آثار نفسية طيبة إذ يمكن من خلالها تحقيق هذا النوع من التربية الجمالية بالنظر إلى الكون الفسيح. ويمكن للأب تخصيص بعض الوقت لتحقيق ذلك في نهاية الأسبوع مرة أو مرتين في الشهر. على أن يكون الخروج للمبيت، ليتحقق الهدف من هذا الخروج، وتطول مدة الاستمتاع، ويتوفر المجال المناسب للتحدث والتسامر.

ولا بأس أن يُقضى بعض الوقت في المساء على سطح المنزل إن كان الخروج بصفة مستمرة إلى الخلاء متعذراً.

ويمكن للأب أيضاً إفادة أولاده بالجانب النظري في هذا الموضوع، وذلك من خلال تزويدهم بالمنشورات، والكتب المصورة، عن عجائب الكون الفسيح وغرائبه، وعظم أجرام السماء من النجوم والكواكب، وبعض العجائب التي دونها علماء الفلك، ويكون الجانب التطبيقي هو الخروج بالأولاد في هذه النزهة المسائية الجميلة، ويحاول الأب من خلال حديثه إلى الأولاد، إظهار عظمة الله سبحانه وتعالى، مشيراً دائماً إلى قدرته العظيمة، وجميل صنعه، وإبداعه في هذا الكون، فعند استعراضه وشرحه لعجائب خلق الله في أجرام السماء، وضخامتها، يبين لطف الله ورحمته بأن نظم لهذه الأجرام سيرها، فلا تحيد عنه ولا تخطئه، ولولا ذلك اللطف والرحمة منه، لاصطدمت ببعضها البعض، ولهلك الناس، وزالت معالم الدنيا.

ويتنقل الأب مع أولاده من الكون الفسيح وعجائبه، إلى عجائب

مخلوقات الله في الأرض، من حيوانات وحشرات وغيرها، مستعيناً في ذلك بالكتب العلمية المهمة بهذا الجانب، ومستفيداً من كتابات ابن القيم رحمه الله تعالى في هذا المجال في كتابه «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»^(*)، فقد دون فيه كثيراً من عجائب صنع الله عز وجل في الكون، والإنسان، والحيوانات، والحشرات، فإذا راجعه الأب وجد مجالاً خصباً، ومعلومات جيدة، يمكنه شرحها للأولاد والاستفادة منها.

ويحاول الأب أن يظهر في استعراضه لهذه المخلوقات، فضل الله، ونعمته، وحكمته، في كل شيء من خلقه، فيظهر ذلك في خلق الإنسان وهيبته، وتركيب جسمه، وما في ذلك من العجائب، وفي خلق الدواب من الحيوانات والحشرات، في أجسامها، ومعاشها، وغير ذلك.

ففي الحشرات مثلاً يمكن أن يظهر الأب عجائب قدرة الله عز وجل من خلال استعمال جهاز المجهر المكبر، فيضع فيه شرائح من الحشرات، ويترك الأولاد ينظرون إلى تلك الأجزاء بعدما كُبرت، فيرون أشياء عجيبة، لا يمكن أن تُرى بالعين المجردة، فيقع في أنفسهم ذلك التدبر، والتفكير، كما أن هذه المناظر التي رأوها لا يمكن أن ينسوها، بل تدفعهم إلى مزيد من الاطلاع والبحث في هذا الجانب، إذ أن الطفل شغوف بالجدید، محب للاطلاع والاكتشاف بطبعه.

ويترك الأب لأولاده العنان في التفكير والنظر في هذه العجائب، والغرائب من المخلوقات، في كل شيء خلقه الله عز وجل، ملاحظاً عدم تعرضهم إلى عالم الغيب بشيء من التكييف، أو التشبيه، أو التمثيل، ويبين لهم أن «العقل لا يستطيع أن يحكم، ولا يصح حكمه إلا في الأمور المادية المحدودة. أما ما وراءها أي عالم الغيب، فلا حكم للعقل عليه»^(١). ويوضح لهم أن هذا من وساوس الشيطان ومكره بالإنسان، وأن النهي قد ورد عن

(*) انظر: ج ١، ص ٢٣٧ - ٣٥٠.

(١) الطنطاوي، علي، تعريف عام بدين الإسلام، ص ٥٥. (بتصرف).

رسول الله ﷺ بعدم الاسترسال مع هذا النوع من الوسواس فقال: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته»^(١). وهذه المسألة يتنبه لها الأب ويحذّر منها الأولاد.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، حديث رقم (٢١٤)، ج١، ص ١٢٠.

الفصل الرابع

مسؤولية الأب في التربية الجنسية

مقدمة

- المبحث الأول: آداب الأكل والشرب ومحظوراتهما
- المبحث الثاني: النظافة والصحة العامة
- المبحث الثالث: آداب النوم
- المبحث الرابع: اللباس وستر العورة
- المبحث الخامس: اللعب والرياضة

الفصل الرابع

مسؤولية الأب في التربية الجسمية

مقدمة :

يتكون الكائن البشري من جوانب ثلاثة في تكوينه وخلقه: الروح، والعقل، والجسم، ولكل جانب منها أهمية بالنسبة للذات الإنسانية، وهذه الجوانب لا ينفك بعضها عن بعض؛ بل تعمل كلها جنباً إلى جنب في جميع نشاطات الإنسان، فإنه «ليس للجسد استقلال ذاتي عن الجوانب النفسية والعقلية والروحية، وإنما هو مرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، . . . وتأتي أهمية الجسد من أنه يكتسب فاعليته ودوره باتصاله وتلاحمه مع أجزاء الشخصية الإنسانية الأخرى، والعبادات كشعائر دينية تعتمد على الجسد»^(١) فهذه الصلاة - على سبيل المثال - يشترك في أدائها العقل والروح والجسد؛ كل جوانب الإنسان، من أخل بشيء منها فسدت صلاته، أو ضاعت فائدتها المرجوة؛ فمن لم يقيم بجسده في الصلاة، وينظفه بالوضوء، ويؤد تلك الحركات من سجود وركوع وجلوس، أداء صحيحاً: بطلت صلاته. فرغم أن ظاهر الصلاة روحي عقلي، إلا أن للجسد دوره ومكانته فيها لا تقبل الصلاة إلا به - إن لم يكن هناك عذر -، وكذلك العبادات الأخرى يشترك في أدائها الجسم.

ولما كانت أهمية الجسم على هذا النحو، فإن اهتمام الأب برعاية ولده، من الناحية الجسمية، وإعداده لمستقبل الحياة صحيحاً قوياً، يعد خيراً معين لقيام الولد بواجباته الدينية وعبادة ربه. فالأب ملزم «أن يتفقد الصبي في كلامه وقعوده بين الناس وحركته ونومه وقيامه ومطعمه ومشربه، ويلزم في جميع ذلك ما ألزمه العقلاء أنفسهم حتى صاروا وأفعالهم طبيعة من

(١) أبو العينين، علي خليل، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ص ١٥٩ - ١٦٠.

طبائعهم»^(١)، فهو ملزم فيما يخص جسم الولد بالتزام منهج الإسلام في التربية الجسمية.

وتهدف التربية الجسمية إلى توفير الصحة عن طريق النمو السوي للفرد، والمحافظة على الطاقات الجسمية، وتوجيهها وتنميتها للقيام بأعباء الخلافة في الأرض، فهي تخدم الغرض الأساسي الذي وجد الإنسان من أجله على الأرض، وهو عبادة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

والأب يراعي في جانب التربية الجسمية كل ما يؤثر في كيان الولد البدني، فما يضره من أكل، أو شرب، أو نوم، أو لعب، أو غير ذلك حماه منه، وحفظه منه، وألزمه السنة في كل ذلك، أما ما يُفيده ويقيم بدنه وصحته: وجَّهه إليه، وقَرَّبَه منه.

ومن خلال هذا الفصل تتبين للأب توجهات الإسلام فيما يخص التربية الجسمية - من جميع جوانبها -، ودوره ومسؤولياته تجاه هذه التوجهات، وكيفية تطبيقها عملياً من خلال ممارسته في تربية ولده في مرحلة الطفولة.

(١) ابن الجزار، سياسة الصبيان وتدريبهم، ص ١٣٨.

(٢) الذاريات ٥٦.

المبحث الأول

آداب الأكل والشرب ومحظوراتهما

- أولاً: آداب الأكل
- ثانياً: مضار كثرة الأكل
- ثالثاً: آداب الشرب ومحظوراته
- رابعاً: التدريب على الصيام

المبحث الأول

آداب الأكل والشرب ومحظوراتهما

لا بد لقيام البدن من الطعام والشراب . فهما قوامه مع الهواء . والمسلم مأمور بتوخي الطيب الحلال من الطعام والشراب ، فإن الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾^(١) ، فالحلال من الرزق شرط لتمام تحقق الفائدة من المأكل والمشرب في الدنيا والآخرة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت النار أولى به »^(٢) . وتحري الأب للحلال في مأكل ومشرب أولاده وأهله ؛ هو إنقاذ لهم من النار ، وحماية لهم من الضلال والهلاك ، فإن ما يتغذى به الإنسان من الأطعمة والأشربة له تأثير على بدنه وروحه ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه رأى الحسن بن علي قد وضع ثمرة من تمر الصدقة في فمه ، فزجره قائلاً : « كخ كخ ، أما تعرف أننا لا نأكل الصدقة »^(٣) . وهكذا فالرسول عليه الصلاة والسلام لا يعفو حتى عن ثمرة واحدة ، تقع في جوف ابن بنته ، فكيف بالطعام الكثير؟

وكان السلف رضوان الله تعالى عليهم يحرصون غاية الحرص على الحلال من الطعام فهذا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يدخل يده في حلقه ليتقياً لقمة من طعام حرام أدخلها جوفه دون أن يدري ، فعوتب في ذلك ، فقال : « لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها »^(٤) .

(١) البقرة ١٧٢ .

(٢) أحمد ، المسند ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، باب الجهاد والسير ، باب من تكلم بالفارسية والبطانية ، ج ٤ ، ص ٩٠ .

(٤) أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج ١ ، ص ٣١ .

فالحلال من الطعام هو أعظم قضية يهتم بها الأب ويرعاها، أما الآداب الأخرى في الطعام والشراب فتأتي تبعاً لهذه، وهذا تفصيلها: -

أولاً: آداب الأكل:

يعتبر الاجتماع على الطعام من السنة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم»^(١). والأب يتحرى الأكل مع أهله وأولاده، ويحذر من الأكل منفرداً، فيتلطف معهم ويناولهم الطعام، ويلقّمهم الأكل، ويتحدث إليهم في غير إكثار وإفراط، فإن ترك الحديث على الطعام بدعة، والإكثار منه بدعة أيضاً.^(٢)

ويعلم الأب أولاده هيئة الجلوس على الطعام - إن كان على الأرض - فلا يجلس الولد متكئاً؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا آكل متكئاً»^(٣). والسنة في الجلوس للطعام تكون بإقامة الركبة اليمنى ووضع اليسرى، أو إقامة الركبتين معاً، أو الجلوس كجلوس الصلاة، أما غير ذلك من الجلسات - كالتربع مثلاً - فليس من السنة^(٤). أما إن كان الأكل على المائدة فالجلوس على الكرسي يكون بالطريقة المعتادة ولا كراهة في ذلك، وإن كان الأكل على السفرة أفضل^(٥). ويحذر من الأكل قائماً أو منبطحاً على وجهه، فقد ورد النهي عن ذلك^(٦).

والابن عادة يقتدي بأبيه في هيئات الجلوس على الطعام؛ لهذا فإن

(١) ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الأطعمة، باب آداب الأكل، حديث رقم (٥٢٠١)، ج ٧، ص ٣٢٧.

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج ١، ص ٢١٦ و ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئاً، ج ٧، ص ٩٣.

(٤) ابن الحاج، المدخل، ج ١، ص ٢٢١.

(٥) أيوب، حسن، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٣٧٨.

(٦) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائماً، حديث رقم (١١٣)، ج ٣، ص ١٦٠٠.

ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب النهي عن الأكل منبطحاً، حديث رقم

(٣٣٧٠)، ج ٢، ص ١١١٨.

أول أسلوب ينتهجه الأب في تعويد ابنه طريقة الجلوس الصحيحة للأكل، أن يكون هو قدوة في ذلك، متبعاً للسنّة، ولا بأس بالتوجيه المباشر للولد وأمره بالجلوس بطريقة صحيحة إن غفل عن الاقتداء بالأب.

وقبل أن يبدأ الأب مع أولاده الأكل وقد غسل الجميع أيديهم، يسألهم: «من رزقنا هذا الطعام؟» فيجيبونه: «الله»^(١). وهذا الأسلوب يربط الولد بالله دائماً، فيعلم أن كل خير وطيب من الله عز وجل، فيشكره ويحمده على ذلك. ثم يأمرهم أن يبدؤوا باسم الله عز وجل، ويؤدّبهم على أن لا يضع أحدهم يده في الطعام قبل الكبار، ويعلمهم الذكر قبل الطعام: «اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه»^(٢). ويحاول الأب أن يجهر بهذا الدعاء ليتعلم الأولاد ويحفظوا عنه؛ فإنهم سريعوا الحفظ والتعلم، ويخبرهم أن الذي لا يذكر الله على الطعام، فإن الشيطان يأكل معه.

ويعود الأب أولاده الأكل باليد اليمنى؛ فإن الأكل بالشمال منهي عنه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بشماله»^(٣)، ولا يجامل الأب أولاده في ذلك؛ بل يحرص على أن يتبعوا السنّة في الأكل باليمنى، فإن كانت طبيعة الولد استعمال يده اليسرى، فإن سمح له باستعمالها في شؤونه الأخرى، فإنه لا يسمح له باستعمالها في الأكل أو الشرب.

وهذا الأدب الإسلامي يرجع إلى تقسيم أنواع الأعمال بين اليدين؛ فالأعمال الشريفة الحسنة لليد اليمنى، والأعمال المتصلة بالقذارات، وما أشبه ذلك فلليد اليسرى.^(٤) فعلى الأب أن يدرّب ولده على ذلك، ويعوده عليه حتى يجيد الأكل باليمنى.

(١) القطان، أحمد، واجبات الآباء نحو الأبناء، ص ٣٦.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أكل طعاماً، حديث رقم (٣٤٥٥)، ج ٥، ص ٥٠٧، والحديث حسن.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم (١٠٤)، ج ٣، ص ١٥٩٨.

(٤) الميداني، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج ٢، ص ٦٤٢-٦٤٣.

ويجوز الأكل بالملعقة والشوكة وغير ذلك من الأدوات المباحة، وإن كان الأفضل الأكل باليد^(١). فلا يشتد الأب مع أولاده ويلزمهم الأكل باليد، ففي الأمر سعة. وإن رأى الأب أن يعود أولاده الأكل باليد، فيكفيه أن يأكل هو بيده أمامهم، فلن يلبث حتى يراهم قد قلّدوه في ذلك.

وإن لاحظ الأب على أحد الأولاد عدم انضباط أثناء الأكل، وطيشاً في يده، ومضايقة لإخوته، فإنه يؤدبه بأسلوب النبي ﷺ مع عمر بن أبي سلمة، الذي كانت يده تطيش في الصحيفة حيث قال له: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»^(٢). ويحث الولد على هذا الأدب بأن يخبره أن البركة تنزل في وسط الطعام إذا أكل كل واحد من أمامه دون أن يخوض في وسط الطبق، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه»^(٣)، فإذا علم الولد ذلك تأدب بالأدب النبوي، والتزم السنة في أكله.

وليس من العيب أو المكروه أكل الولد للحم من فوق العظم مباشرة دون تقطيع بالسكين، فإن هذا يسمى «الانتهاش»، وهو جائز، وربما كان هو الأولى، وقد نُقل عن النبي ﷺ فعل ذلك^(٤)، فلا ينبغي زجر الولد، أو تعنيفه إن مال إلى هذا النوع من الأكل، ولكن يوجه أن لا يفعل هذا أمام الناس لثلاث ينفروا.

ويحذر الأب من أن يعيب طعاماً أمام الأولاد، فإنهم يتأثرون بذلك، ويقتدون بالأب، فإن حدث وأن كره الأب نوعاً من الطعام، فلا داعي أن يظهر ذلك أمام الأولاد رافعاً بذلك صوته، بل يتظاهر بالأكل؛ لئلا يُزهدهم

(١) أيوب، حسن، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٣٧٨.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم (١٠٨)، ج ٣، ص ١٥٩٩.

(٣) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام، حديث رقم (١٨٠٥)، ج ٤، ص ٢٦٠. والحديث حسن صحيح.

(٤) انظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب النهش وانتشال اللحم وباب قطع اللحم بالسكين، ج ٢٠، ص ٢٤٢ - ٢٤٥.

في الطعام، وقد كانت سنة الرسول ﷺ أنه لا يعيب الطعام «إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه»^(١)، فإن تَرَكَه ينبغي أن يكون تَرَكَه له بدون إظهار للتقذر أو الاشمئزاز؛ فإن هذا لا ينبغي مع الطعام؛ بل إن السنة في اللقمة التي تسقط ويصيبها الأذى، وتكون أدعى للتقذر، ألا تترك؛ بل تؤكل بعد إزالة الأذى عنها^(٢).

ويستحب إذا كان الأكل باليد أن تُلَقَّ الأصابع قبل أن تُغسل، أو تُمسح بالمنديل؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده حتى يلعقها أو يلعقها»^(٣). وينبغي للأب في نهاية الطعام أن يُذَكِّر أولاده بالدعاء المأثور الذي يقول فيه الرسول ﷺ إذا فرغ من طعامه: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»^(٤).

ويسأل الأب أولاده دائماً: «لماذا نأكل الطعام؟» فيجيبونه: «لنتقوى على طاعة الله عز وجل». وفي هذا التذكير المستمر للأولاد يُشعرهم بالعبودية لله، وأن كل عمل يقوم به الإنسان - حتى وإن كان ممتعاً، كالطعام مثلاً - فإنه يكون لله، وطلباً لمرضاته.

ويسعى الأب في أن يسود جو الأكل البهجة والسرور، فإنهما ينيهان الشهية للطعام، ويلاحظ عدم إجبار الولد على الأكل، والتكلف في ذلك؛ حتى لا يتخذ الولد المعاند هذا الأسلوب للسيطرة على الوالدين؛ بل الحكمة في ذلك إن أبدى الولد عدم رغبته في الطعام أن يُحمل من أمامه بكل هدوء وتصميم^(٥)، فإنه إن جاع فسوف يطلبه، وهذا يكون مع الطفل السوي، أما

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعاماً، ج ٧، ص ٩٦.

(٢) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في اللقمة تسقط، حديث رقم (١٨٠٣)، ج ٤، ص ٢٥٩. والحديث حسن غريب صحيح.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب لعن الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمنديل، ج ٧، ص ١٠٦.

(٤) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، حديث رقم (٣٤٥٧)، ج ٥، ص ٥٠٨.

(٥) عبيد، مهدي، التربية النفسية للأطفال، ص ١١٣.

عبد الصمد، محمد كامل، طفلك الصغير هل هو مشكلة، ص ١٩.

إن كانت ممانعته بسبب مرض، أو نحو ذلك عُرض على الطبيب ليعطي بعض المشهيات من الأدوية.

ويوجه الأب أهله بأن لا يلتزموا صنع طعام معين، والاقتصار عليه؛ بل يُنوع الطعام من اللحم والخبز والفواكه وغير ذلك، ولا بأس بالحلوى والعسل فهي من أفضل الأطعمة، وقد كان عليه الصلاة والسلام يحبهما^(١)، وينبغي التركيز على الأطعمة السريعة الهضم فهي أكثر نفعاً^(٢).

وبهذا الأسلوب الجامع بين تنوع الطعام، والملاطفة على المائدة، فإن الطفل تتشرح نفسه للأكل دون عناء، أو جهد كبير، خاصة إن وضع الطعام في الوقت المناسب، ولم يسبقه أكل.

ويدرب الأب الولد الصغير على الاعتماد على نفسه في تناول الطعام، فإن الأطفال يميلون إلى ذلك تقليداً للكبار، فلا بأس بإعطاء الولد الفرصة للقيام بنفسه في ذلك خاصة إن أبدى الولد رغبته في ذلك، مع اتخاذ اللازم حيال ما يمكن أن يحدثه من توسيح للمكان.

أما الإصرار على عدم إعطاء الولد فرصة تغذية نفسه بيده - خاصة إذا كبر - فإن هذا الأسلوب ليس من التربية في شيء؛ بل هو سبب لجعل الولد متواكلاً على والديه معتمداً عليهما، فلا يحسن صنع شيء بنفسه.

ثانياً: مضار كثرة الأكل:

لقد ذم الرسول ﷺ الإكثار من الطعام ويُن أن للمسلم معيَّ واحداً، وأن كثرة الأكل ليست من صفات المسلمين، فقال: «المؤمن يأكل في معيَّ واحدٍ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»^(٣)، فالمؤمن مقتصد حريص على صحته، أما الكافر فهو شره نهم.

(١) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الحلوى والعسل، ج٧، ص ١٠٠.

(٢) انظر: ابن القيم، الطب النبوي، ص ١٦٩ - ١٧١.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء، حديث رقم (١٨٤)، ج٣، ١٦٣١.

أما في حق الأطفال، فلا ينبغي لهم التعود على الإكثار من الطعام، فإن في ذلك أضراراً بسبب فضول الطعام في أبدانهم، والأصح أن يأكلوا دون الشبع^(١)؛ فالأكل الكثير يسبب البلادة، ولا يساعد على التفكير الصحيح، ويحبب إلى صاحبه النوم والكسل^(٢)، وكثرة الطعام والشهه تسبب السممة وزيادة الوزن، فالسممة «إذا زادت عن الحد المعقول كانت بدانة تهدد صحة الطفل وحياته... وهي ظاهرة يعتبرها العالم المتحضر كله ظاهرة مرضية، أو هي مقدمة لحياة مليئة بالأمراض إن صاحبت الصغير في مراحل عمره المختلفة»^(٣). إلى جانب أن الولد البدين يقل أصحابه، ويصعب عليه مشاركتهم في الألعاب لأنه سريع التعب، كما أنه يصبح مكاناً للسخريفة والاستهزاء لبدانته^(٤)، وهذا يسبب له إحباطاً نفسياً سيئاً.

وتعود بعض أسباب الشهه وكثرة تناول الطعام عند الطفل، إلى قلق نفسي يُورقه، أو وجود من ينافس من إخوته الصغار، أو فقدان أحد الوالدين، فإن شعور الطفل بهذا القلق يزيد من تناوله للطعام؛ لعدم شعوره بالطمأنينة والراحة النفسية^(٥)، ويكون علاج ذلك بأخذ الاحتياطات التربوية اللازمة، من إشعاره بالاطمئنان، والعطف عليه، ووجه مع إقامة العدل بين الأولاد، وعدم تقديم أحدهم على حساب الآخر.

أما فيما يخص الضرر المتوقع من فقدان أحد الوالدين بالوفاة، فيعالج من خلال إيمان الولد بالقضاء والقدر، وإن كان بالطلاق فيعالج بالتفاهم مع الولد وإقناعه، بأن هذا الطلاق هو أفضل إجراء للعلاقات الزوجية المنهارة^(*).

(١) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ١٦٦.

(٢) الخولي، محمد عبد العزيز، الأدب النبوي، ص ٢١٢.

(٣) حمام، سامية، «سممة الأطفال تسبب التعاسة والمرض»، مجلة التربية، العدد (٧٤)، ص ١٣٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٥) المرجع السابق.

(*) لمزيد من التوضيح حول العدل بين الأولاد راجع: الفصل الأول، المبحث الثالث، الفقرة =

وإن كان شغف الولد بالطعام بسبب الهوى والميل، وحباً في الأكل والالتهام، دون أن يكون به مرض، أو نحو ذلك؛ فإن علاجه كما رآه مسكويه هو أن يُفهم الولد أن الطعام يؤكل لدفع الجوع وألمه لا للتلذذ، فهو كالدواء لدفع ألم الجوع^(١)، أما الإمام الغزالي فيقول معالجاً لهذه القضية: «يُقْبَحُ عنده كثرة الأكل بأن يُشبهه كل من يكثر الأكل بالبهائم، وبأن يُذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل، ويُمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل، وأن يحجب إليه الإيثار بالطعام، وقلة المبالاة به، والقناعة بالطعام الخشن، أي طعام كان»^(٢). وفي هذه التوجيهات علاج جيد يمكن للأب أن يستخدمه مع الولد الشره؛ فيمثل كثير الأكل بالحيوانات التي لا تفتأ تأكل دائماً، ولا بأس بسرد بعض الروايات بأن الطفل النجيب الذكي لا يتبع شهوة بطنه؛ بل يقوم عن الطعام قبل أن يشبع، ويلام الولد كثير الأكل، ويخوف بالبدانة، وأنها سوف تعيقه عن الحركة واللعب، وتضرب له الأمثلة بأحد الأقارب أو الجيران من السمان؛ ليعرف ضرر ذلك فيتجنبه.

كما يمكن للأب أن يحد من كثرة أكل الولد بأن يوضع لكل طفل طبقه المستقل، فلا يأكل الجميع من الطبق الكبير، فيحدد مقدار الطعام المناسب لكل ولد، ومن أراد الزيادة عن الحد عُرف بذلك، أما أكل الجميع في الطبق الكبير - وإن كان هو الأفضل - فلا يمكن الأب من معرفة مقدار ما أكل كل ولد، كما أن الشره منهم يجد له متنفساً جيداً حيث لا يعرف أحد مقدار ما أكل، كما أن قليل الأكل ضعيف البنية من الأولاد لا يُعرف كم أكل؛ بل ربما قام بدون أن يأكل شيئاً يُقيم صلبه.

= (ثالثاً)، وحول القضاء والقدر راجع: الفصل الثاني، المبحث الأول، الفقرة (خامساً).
وحول الأساليب اللازمة للتخفيف من ضرر الطلاق على الأولاد انظر: الفصل الخامس،
المبحث الخامس، الفقرة (خامساً).

(١) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٧١-٧٢.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٧٠. (بتصرف).

ثالثاً: آداب الشرب ومحظوراته :

للشرب آداب ينبغي للمسلم أن يتحلى بها، ويُعوّد أولاده عليها، ففيها الخير والبركة والصحة .

ومن أهم هذه الآداب ذكر الله بالبسملة عند الشرب، وعدم الشرب قائماً؛ لنهييه عليه الصلاة والسلام عن ذلك، وكراهيته له ^(١) . كما ورد عنه النهي عن الشرب من في السقاء^(٢)، وذلك للحماية من انتقال الأمراض، وليكون ذلك أهناً للآخرين عند شربهم، فلا يقع في أنفسهم الاشمزاز من الإناء الذي شرب من مصبه .

وورد قوله عليه الصلاة والسلام في النهي عن التنفس في الإناء قال: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء»^(٣) . والسنة أن لا يشرب دفعة واحدة؛ بل يجعل شربه على ثلاث دفعات، وهذه هي السنة المشرفة المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام .

والأب يكون لأولاده قدوة في هذا المجال، فإن هذه الآداب يُعود عليها الولد بالمران والقدوة . ويلاحظ الأب نفسه، فلا يحسن أن يصدر عنه ما يخالف هذه السنن - خاصة بعد أن يعرفها الأولاد - فإن مخالفته لها تضر بتصوراتهم، وتترك في نفوسهم خللاً، فإن صدر عنه نسيان في بعض الأوقات، وذكّرهُ الولد، فلا بأس بأن يعتذر بأنه نسي، ثم يتدارك الأمر .

ولبعض السنن صعوبة في التطبيق، فتحتاج إلى قوة في الاعتقاد، وكمال في اليقين، ومنها حديث الذبابة، الذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ثم لينزعه فإن في

(١) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائماً، حديث رقم (١١٢)، ج٣، ص ١٦٠٠ .

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب المناسك، ج١، ص ٤٤٥ . والحديث صحيح .

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب التنفس في الإناء، ج٧، ص ١٤٦ .

إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء». إن تطبيق مثل هذه السنة، بغمس الذبابة في كوب الشاي، أو الحليب، أو الماء، عند وقوعها فيه ثم الشرب بعد ذلك، يحتاج إلى جهد نفسي كبير، كما أن فعله أمام الأولاد - بعد أن يكونوا قد عرفوا وعلموا أن فعل ذلك من السنة - له أثر بالغ في نفوسهم؛ إذ يعلمون أن صلة المسلم بهذا الدين، وما جاء في الكتاب والسنة صلة قوية، والاعتقاد بهما لا يخالطه شك، كما أن عدم استقدار الذبابة بغمسها في الإناء دليل واضح على صلابة الاعتقاد، وتمام المتابعة لرسول الله ﷺ.

أما إن كان الأب ممن لا يستطيع أن يقوم بمثل هذا العمل، فيفضل له أن لا يعلم أولاده هذه السنة، ولا يشعرهم بها، في بادئ الأمر حتى يكبروا ويعقلوا، ويفهموا أن الناس تتفاوت قدراتهم، وإمكاناتهم، وطبائعهم، فيعذرون والدهم في ذلك.

أما إن كان قد أشعرهم بهذا الحديث، وأفهمهم طريقة التطبيق العملي له، وحدث أن وقعت ذبابة في كأسه، وهو يتناول الشاي مع الأولاد، فإن أفضل حل أن يتشاغل عن كأسه، بعمل ما، أو يسقطه من يده وكأنه سقط خطأ، أو يتخذ من الأساليب المناسبة ما يخرجها من هذا المأزق الجرج الذي ربما سبب إضعاف ثقة الأولاد بأبيهم، خاصة إن وجد من بين الأولاد من يمكنه فعل ذلك بكل شجاعة.

وفي اختيار أنواع أواني الأكل والشرب فقد جاء الأمر بتجنب المصنوع من الذهب أو الفضة؛ بقوله عليه الصلاة والسلام: «من شرب في إناء من ذهب أو فضة، فإنما يُجرجر في بطنه ناراً من جهنم»^(٢). وهذا دليل كافٍ للمسلم بأن يتجنب مثل هذا، فلا يأكل أو يشرب في شيء صنع من ذهب أو فضة، ولا يجلب شيئاً من هذه الأواني إلى بيته ولو على سبيل الزينة، فإن

(١) المصدر السابق، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء، ج ٤، ص ١٥٨.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء، حديث رقم (٢)، ج ٣، ص ١٦٣٥.

مشاهدة الأولاد لها تعويد لهم على رؤيتها وتهوين لأمرها في نفوسهم، وربما شربوا فيها مستقبلاً، حباً ورغبة في الممنوع، أو لعدم توفر كأس بين يديه يشرب فيه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، والأفضل والأحرى تجنب ذلك بالكلية، مع إفهام الأولاد أن هذا محرم في الدين؛ لما فيه من التكبر على الفقراء، وإسراف في المال، وغير ذلك من الأدلة التي يفتح الله بها على الأب.

وللحفاظ على صحة الأولاد عند شرب الماء خاصة، يستحسن تجنبهم شربه على الطعام، فقد نصح بذلك كثير ممن له علاقة بالطب؛ لما في ذلك من إضرار بعملية الهضم، كما لا يشرب الماء بعد الجهد الكبير، مثل الرياضة، أو التعب الشديد؛ بل يُعطى الولد الماء بعد أن يستريح ويهدأ^(١). وينصح ابن القيم رحمه الله بإعطاء الولد العسل الممزوج بالماء البارد، فهو أفضل شراب حلو؛ لما فيه من الفائدة للمعدة والكبد والمثانة والكلى، إلى جانب أنه يذيب البلغم^(٢). فعلى الوالد أن يتحرى اختيار أفضل المشروبات النافعة والطازجة لأولاده، وعليه أن يتجنب المشروبات التي لا تفيد الأولاد مثل المشروبات الغازية، وغيرها من المشروبات المعلبة التي يدخل في تصنيعها إضافة المواد الكيميائية.

رابعاً: التدريب على الصيام:

نُقل عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أنهم كانوا يدرّبون أبناءهم الصغار على الصيام، ويعودونهم عليه، وأقرهم على ذلك رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه عن الرُّبَيْع بنت مُعَوِّذ قالت: «أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطراً فليتِم بقية يومه ومن أصبح

(١) ابن القيم، الطب النبوي، ص ١٧٤.

مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٧٢.

ابن سينا، القانون في الطب، ج ١، ص ١٥٧ و ١٦٩.

(٢) ابن القيم، الطب النبوي، ص ١٧٥.

صائماً فليصم . قالت : فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن*، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار^(١) . وجيء بسكران في رمضان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له موبخاً وزاجراً : « في رمضان ويلك وصبياننا صيام^(٢) »، فهذا دليل على أن صيام الصبيان على عهد الصحابة رضوان الله عليهم كان معروفاً غير مستنكر أو مستهجن، كما آل إليه الحال عند بعض الأسر في هذا الزمان من استنكار صيام الصبيان واعتباره من التشدد والقسوة .

ولا يعني تدريب الأولاد على الصيام افتراضه عليهم، فإن جمهور العلماء يفتون بأن الصيام غير واجب على من هو دون البلوغ؛ لكن المقصود من هذه الأحاديث مشروعية تمرين الصبيان على الصيام وتعويدهم عليه^(٣) .

وأعجب من هذا ما كان يفعله عليه الصلاة والسلام عندما كان صيام عاشوراء مفروضاً، حيث « كان يعظمه، ويدعو برضعائه ورضعاء فاطمة فيتفل في أفواههم ويأمر أمهاتهم ألا يرضعن إلى الليل^(٤) » . فإذا كان الرضع يشاركون المسلمين صيام ذلك اليوم المفضل حرمة وتعظيماً له، وتدريباً على الصوم، فإن الأطفال الكبار دون البلوغ أولى بهذا التمرين، خاصة إذا قاربوا الحلم، حيث يكونون أقدر على تحمل الصوم ومشقته .

وقد كان بعض السلف رضوان الله عليهم يُوقِّتُون بداية أمر الصبي

(* العهن: هو الصوف الملون . انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٢٦ .

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، ج ٣، ص ٤٨ .

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، ج ٩، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٤) ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، كتاب الصوم، باب استحباب ترك الأمهات إرضاع الأطفال يوم عاشوراء تعظيماً ليوم عاشوراء، حديث رقم (٢٠٨٩)، ج ٣، ص ٢٨٩ . وتوقف ابن خزيمة في تصحيح الحديث بسبب خالد بن ذكوان رغم أنه محتج به في الصحيحين .

بالصيام إذا أطاقه وهذا منقول عن ابن سيرين وقتادة والزهرى وعروة بن الزبير رحمهم الله^(١).

والأب يقدر بخبرته طاقة ولده ومقدرته على الصوم، فإن رأى فيه قوة عليه، ورغبة فيه، أمره به وحثه عليه مبيناً فضل الصيام وأجره عند الله، ولا يتقيد في ذلك بسن معينة.

كما يمكنه أن يُقسم النهار إلى أجزاء، فليس من الضروري أن يصوم الولد كامل النهار - خاصة الولد الصغير - فيكون الجزء الأول مثلاً من صلاة الفجر حتى صلاة الظهر، والجزء الثاني من صلاة الظهر إلى صلاة العصر، والجزء الثالث من صلاة العصر وحتى المغرب. والولد يصوم من هذه الأجزاء حسب طاقته وقدرته دون إجبار، فيحثه الأب على الصوم ويكافئه على ذلك، مع مراعاة عدم إضرار الصيام به.

كما يمكن للأب أن يقدم لأولاده الألعاب المختلفة، عند الحاجة ليلهيهم بها عن طلب الطعام، اقتداء بالسلف الصالح، ولا بأس أن يخرج بهم للنزهة أو المسجد إذا احتاج الأمر، فإن بعض السلف كانوا يأخذون الأولاد إلى المسجد في يوم عاشوراء، ويجعلون لهم الألعاب من الصوف لينتهوا بها عن طلب الطعام^(٢).

(١) انظر: الكتاني، محمد منتصر، معجم فقه السلف، ج ٣، ص ٥٢.
(٢) انظر: ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، كتاب الصوم، باب استحباب ترك الأمهات إرضاع الأطفال يوم عاشوراء تعظيماً ليوم عاشوراء، حديث رقم (٢٠٨٨)، ج ٣، ص ٢٨٨.

المبحث الثاني

النظافة والصحة العامة

- أولاً: النظافة في البدن والملبس
- ثانياً: المرض والتداوي
- ثالثاً: آداب قضاء الحاجة

المبحث الثاني

النظافة والصحة العامة

المسلم مأمور بالنظافة والمحافظة على صحته، وهو مسؤول عن ذلك؛ لأن الجسد أمانة عنده، ولا يمكن أن يقوم الجسد بالواجبات الدينية، إلا إن كان صحيحاً معافىً، لهذا كانت المحافظة عليه ورعايته من الواجبات الشرعية.

والطفل الصغير لا يعي هذه القضايا، ووليّه هو المسؤول عن حمايته، ورعاية صحته، ونظافته، وتوجيهه إلى ذلك، حتى يكبر ويتكلف ذلك بنفسه. ومن خلال هذا المبحث نلقي الضوء على أهمية النظافة، والتوجيهات النبوية في الحث عليها، مع توضيح لأداب قضاء الحاجة، والتداوي وطلب العلاج، ومسؤولية الأب في تعليم الولد هذه الآداب وتوجيهه إليها.

أولاً: النظافة في البدن والملبس:

لقد كان رسول الله ﷺ القدوة الحسنة للمسلمين في كمال هيئته، ونظافة بدنه، وملبسه؛ فهو أكمل بشر خلقه الله عز وجل. يقول ابن الجوزي رحمه الله: «كان النبي ﷺ أنظف الناس وأطيب الناس، وفي الحديث عنه ﷺ يرفع يديه، حتى تبين عفرة إبطيه، وكانت ساقه ربما انكشفت فكأنها جمارة (باطن الجذع)، وكان لا يفارقه السواك، وكان يكره أن تُشم منه ريح ليست طيبة»^(١). وفي وصف آخر لنظافته عليه الصلاة والسلام، واهتمامه البالغ بذلك، يقول الحكيم الترمذي رحمه الله: «وكان رسول الله ﷺ يربط الحجر على بطنه من الجوع، ولا يترك الطيب، ويعاهد أحوال نفسه، وكان

(١) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ١٠١.

لا يفارقه المرأة والسواك والمقراض في السفر والحضر، وكان إذا أراد أن يخرج إلى الناس نظر في ركوة(*) فيها ماء فُيَسْوَى من لحيته وشعر رأسه ويقول: إن الله جميل يحب الجمال^(١). فكان عليه الصلاة والسلام لا يشغل عن النظافة حتى بالجوع الذي في العادة ينسي الإنسان كل شيء إلا الطعام. وفي هذا توجيه عملي منه عليه الصلاة والسلام للاهتمام بهذا الجانب، ولم يكتف بذلك؛ بل كان ينكر على من أهمل نظافة بدنه وملبسه، فقد روى أنه رأى رجلاً تآثر الرأس فقال: «لم يشوه أحدكم نفسه»^(٢). ورأى رجلاً وسخ الثياب فقال: «أما يملك هذا أن يغسل ثيابه»^(٣). وجعل غسل الجمعة واجباً فقال: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»^(٤). ووقت عليه الصلاة والسلام أطول مدة يقيم فيها الرجل دون غسل أن لا تزيد عن أسبوع واحد، فقال: «لله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً»^(٥). وإن كانت هذه النصوص لا تعم الأطفال إلا أنه يستحب الغسل لمن أتى الجمعة من الصبيان وغيرهم ممن لا تجب عليهم^(٦)، فعلى الأب أن يعود أولاده غسل يوم الجمعة، ولبس أحسن الثياب؛ لمشروعية ذلك، ولتكون النظافة والطهارة شعار المسلم، خاصة في العبادات وبشكل أخص في يوم الجمعة فهو عيد للمسلمين.

ولا يقتصر على غسل الجمعة، فإن الاقتصار عليه أدنى الكمال؛ بل

(*) الركوة، هي الإناء الصغير المصنوع من الجلد ويشرب فيه الماء، أو هو الدلو الصغير. انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣٧١.

(١) الترمذي، الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، ص ٣٤٨.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب اللباس، باب ما جاء في الشعر واللحية، ج ٥، ص ١٦٧. والحديث ضعيف.

(٣) الترمذي، الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، ص ٣٤٨.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور وحضورهم الجماعة والعديد والجنائز، ج ١، ص ٢١٧.

(٥) المصدر السابق، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، ج ٢، ص ٦-٧.

(٦) ابن قدامة، المغني، ج ٢، ص ٢٠٢.

يعود أولاده كثرة الاغتسال، وحب التطهر والنظافة من غير إسراف أو وسوسة، فإنه لا ينبغي التشدد في موضوع النظافة مع الولد إلى أن يصل إلى حد الأشمئزاز منه إذا اتسخ، فإن هذا ربما أدى إلى مبالغة الولد في النظافة مستقبلاً، وربما ساقه إلى غسل يده بعد مصافحة الناس؛ بل يكون سلوك الأب في ذلك وسطاً بين النقيضين^(١)، محافظاً على ولده من الإفراط أو التفريط، خشية أن يقع في الوسوسة الممقوتة.

ومن الوسائل المشجعة للولد الصغير على حب الاغتسال، إدخال السرور عليه أثناء الاستحمام، كأن يؤمن له بعض الألعاب البلاستيكية التي لا تتأثر بالماء، فتوضع له في مكان اغتساله ليلهو بها، ريثما ينتهي الأهل من تنظيفه وتطهيره، مع مراعاة حسن اختيار نوع الصابون، حيث يفضل النوع الذي لا يضر بالعين عند فتحها أثناء الغسل، ولا بأس بالتوجيه المباشر للولد وحثه على النظافة، مع امتداح الأطفال النظيفين، وذم الأطفال القذرين أمامه، وعلى مسمع منه. فإن في هذا تفييراً له من القذارة.

أما الولد الكبير فيكون توجيهه من خلال تعريفه بأهمية النظافة في البدن والملبس، وأن الدين اهتم بها، والرسول ﷺ هو القدوة في ذلك فهو أنظف الناس وأحسنهم ريحاً، مع ضرب المثل له بالنظيف كيف يميل الناس إليه وإلى القرب منه، والوسخ كيف ينفر الناس منه ومن ريحه. ويحاول الأب أن يصله بعالم الغيب، عالم الملائكة الأطهار، الذين يحبون الريح الطيب، ويكرهون الريح الخبيث؛ ففي حديث النهي عن إتيان المسجد بريح الثوم والبصل قال عليه الصلاة والسلام: «فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس»^(٢). فكل ريح، ومنظر، يتأذى منه الناس، فإن الملائكة تكرهه وتتأذى أيضاً منه، فلا بأس أن يشير الأب إلى هذه القضية الغيبية، ويعرف ولده بهذا الحديث، فيحفزه إلى النظافة والتزام الطهارة.

ويعود الأب ولده على الاهتمام بنظافة ثوبه، وملبسه، فيكون في

(١) العادلي، فاروق محمد، «التربية وغرس القيم»، مجلة التربية، العدد (٧٢)، ص ٧٨.

(٢) النسائي، سنن النسائي، كتاب المساجد، من يمنع من المسجد، ج ٢، ص ٤٣.

البيت، وعند الأقارب، وفي الأماكن العامة، حسن المنظر، نظيف الثياب. ولا يمنع من أن تكون له ملابس أخرى ثخينة، داكنة الألوان، يمارس فيها لعبه ورياضته، وهذه الملابس لا ينبغي معاقبته على توسيخها، أو تفتق بعض أجزائها من جراء اللعب. أما ملابس الخروج والجلوس في البيت فينبغي متابعة الولد وتوجيهه للمحافظة على نظافتها وطهارتها، مع معاقبته عند الإهمال، ولا بأس بتكليفه تنظيف الجزء الذي أتلفه، أو وسخه، ليتحمل مسؤولية خطئه إن كان قد أخطأ.

ويعود الأب ولده حمل المنديل في جيبه؛ ليتنظف به عند الحاجة، خاصة عند الامتخاط، فلا يلوث ثيابه بمخاطه كما يفعله بعض الصبيان. ويعلمه السنة في استعمال اليد اليسرى للامتخاط دون اليد اليمنى^(١)؛ فإن اليد اليمنى تستعمل للأمور الشريفة الطاهرة.

وليس من العيب أو الحرج أن يتولى الأب بنفسه تنظيف ولده، وتطهير أنفه من المخاط، أو إزالة الأذى عنه في بعض الأحيان، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها واصفة حال النبي ﷺ واهتمامه بشأن أسامة بن زيد عندما كان صغيراً، قالت: «أراد النبي ﷺ أن ينحي مخاط أسامة. قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا الذي أفعل. قال: يا عائشة أحبيه، فإني أحبه»^(٢). فهذا الاهتمام بالأولاد ورعايتهم من قبل رسول الله ﷺ فيه دليل واضح على أن من سواه من الرجال أولى أن لا يترفعوا عن القيام بمثل هذا الأمر، وقد روت السيدة عائشة أيضاً قصة أخرى لأسامة بن زيد، ولكنها كانت أبلغ من هذه، وأعمق بياناً وتوضيحاً، فقالت رضي الله عنها: «إن أسامة عشر بعتبة الباب فدمي قالت: فجعل النبي ﷺ يمصه ويقول لو كان أسامة جارياً لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها»^(٣). فهذه الرواية البليغة توضح - وبجلاء - أن

(١) انظر: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الأدب، كيف يتمخط الرجل وبأي يديه، ج ٨، ص ٣٧١.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنه، حديث رقم (٣٨١٨)، ج ٥، ص ٦٧٧ - ٦٧٨. والحديث حسن غريب.

(٣) أحمد، المسند، ج ٦، ص ١٣٩.

قيام الأب بمهام رعاية بعض شؤون الأولاد - خاصة في جانب نظافتهم ورعايتهم الصحية - أمر مشروع بل مستحب لفعل النبي ﷺ وقيامه بذلك على جلالة قدره ومكانته.

ومن الجوانب التي ينبغي أن يهتم بها الأب أيضاً في موضوع النظافة: الاهتمام بالأسنان، فقد ابتلي كثير من الأطفال بتلف الأسنان المبكر، الذي يؤثر على الهضم، إلى جانب الآلام التي يحدثها تسوس الأسنان خاصة بالنسبة للأطفال الصغار. وتعود معظم أسباب ذلك إلى إهمال العناية بها ونظافتها، إلى جانب كثرة أكل الحلوى والسكريات خاصة عند الأطفال.

والحل الأمثل لا يكون بمنع الأطفال من تناول الحلوى، فهذا لا طائل وراءه، فالأطفال مشغوفون بحبها والميل إليها. ولعل الحل الصحيح والأمثل لهذه القضية هو تعويد الولد على استعمال الفرشاة، وعدم مفارقتها، فإن طلب الحلوى أعطي معها الفرشاة^(١)، خاصة قبل النوم، فإن بقاء بعض الأطعمة، والحلوى على الأسنان أثناء النوم تسبب تعفنها السريع، وبالتالي يوجد التسوس الذي يفتك بالأسنان.

والإصرار على الولد في استعمال الفرشاة أمر مهم، فلا ينبغي مجاملته في ذلك أبداً؛ بل يعود استعمالها بعد كل أكل؛ بل وحتى بعد كل شيء يتناوله من الأطعمة - إن أمكن - فلا يبقى على أسنانه شيء من الطعام طول الوقت.

ويُحفظ الولد من تناول المشروب البارد بعد المشروب الحار، أو العكس، فإن هذا أيضاً من أعظم أسباب تلف الأسنان، كما يُجنب استعمال أسنانه في كسر الأشياء الجافة القاسية، ويحفظ من أكل العلك الحلوى^(٢). ويعود قدر الإمكان على استعمال السواك^(*)، فإن الرسول ﷺ حث عليه، وبين أنه طيب للفم، وطاعة للرب، فقال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة

(١) القطان، أحمد، واجبات الآباء نحو الأبناء، ص ٤٩.

(٢) انظر: ابن سينا، القانون في الطب، ج٢، ص ١٨٤.

(*) انظر: فوائد الاستياك يعود الأراك في كتاب «الطب النبوي» لابن القيم، ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

للرب»(١). وقد كاد عليه الصلاة والسلام أن يأمر به، ويوجهه على المسلمين؛ لعظم فائدته ومنفعته، فقال عليه الصلاة والسلام: «لولا أن أشق على أمتي أو على المؤمنين لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»(٢). وقد ثبت مؤخراً «أن في المسواك أملاحاً معدنية، ومواد عضوية، ومضادات حيوية تطهر الأسنان، ومواد تقوي جدار اللثة»(٣). وهذا البيان العلمي الحديث لفوائد المسواك لا يزيد الأب المسلم إلا يقيناً بصدق كل ما جاء عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل، وإن كان المفترض في المسلم أنه لا يحتاج إلى دليل علمي تجريبي؛ لإثبات صحة ما جاء عن رسول الله ﷺ إلا أن مثل هذه الحقائق العلمية، تقوي اليقين خاصة عند ضعاف الإيمان.

ويمكان الأب تعويد أولاده على استعمال المسواك، من خلال القدوة أولاً، ثم عن طريق التوجيه المباشر، وتقديم قطع من أغصان شجر الأراك الرقيقة إليهم. ويحاول من وقت إلى آخر جلب مجموعة منها إلى البيت وتوزيعها باهتمام عليهم، أما إن كان في بلد لا يتوفر فيه هذا النوع من الشجر، ولا يُجلب إليه، أو أن بيته بعيد عن موقع بيعه، فيمكن تأمين كمية منه، وحفظها في الثلاجة داخل كيس من الورق وآخر من البلاستيك، فإن التجربة(*) أثبتت إمكانية بقاءه بهذه الاحتياطات في حالة جيدة. وليس من الضروري أن يعرف الأولاد الطريقة الصحيحة في استعمال السواك بادئ الأمر؛ فإن هذا يحصل لهم بالمران والتعود، وإن لم يكن في استعمال السواك سوى الاقتداء بالرسول ﷺ لكفى الأب دافعاً ومحركاً للاهتمام به، والمجاهدة في جلبه، وحفظه، وتعويد الأولاد على استعماله.

ومما يلاحظ على بعض الأطفال في مسألة النظافة: إهمال تنظيف اليد

(١) ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، كتاب الوضوء، باب فضل السواك وتطهير الفم به، حديث

رقم (١٣٥)، ج ١، ص ٧٠.

(٢) أحمد، المسند، ج ٢، ص ٣٩٩.

(٣) الشافعي، مدحت محمد، «من هدى الرسول في الوقاية من المرض»، مجلة البحث العلمي،

العدد (٣)، ص ٢٣٨.

(*) التجربة الشخصية.

والفم بعد الأكل، وخاصة قبل النوم، ووجود شيء من الدسم أو الدهن على يد الولد أو ملابسه أثناء النوم، يؤدي في بعض الأحيان إلى جلب بعض القوارض والدواب إلى فراش الولد، وربما لدغ من بعضها، وقد كان يكفي توجيه الولد إلى غسل يده وفمه بالصابون قبل النوم، وإزالة الأوساخ وبقايا الطعام، وقد جاءت السنة المطهرة بهذا التحذير والتنبيه؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إذا نام أحدكم وفي يده ريح غمر(*)، فلم يغسل يده، فأصابه شيء، فلا يلومن إلا نفسه»^(١).

ولا يضر الأب أن يمر على أولاده كل ليلة في غرفهم قبل أن يناموا، ويتابع نظافتهم واهتمامهم بذلك، ولا بأس أن يشم أيديهم، فمن وجد في يده رائحة بقايا الطعام أمره بغسلها، ومن لم يستك، أو يستعمل الفرشاة، أمره بالمسارعة بتنظيف أسنانه قبل النوم، وهذا العمل لا يكلف الأب أكثر من بضع دقائق يقضيها في هذه المتابعة الشيقة، خاصة وأن الأولاد يتنافسون في كون كل واحد منهم أنظف من أخيه، وأن رائحة يده أطيب من غيره، ويضفي الأب على هذه المتابعة جواً من الملاطفة والمداعبة، متجنباً السخرية والتعنيف.

ويجب الأب إلى أولاده الطيب، كالعود، والورد، والعنبر، والمسك، وغيرها مع تجنب العطور المصنعة والممتزجة بالكحول، لأن أكثر أهل العلم يقولون بنجاستها^(٢)، والأب يحتاط لأولاده في جميع القضايا، ومن تعود استعمال هذه العطور الطبيعية في صغره، فإنه في العادة لا يميل إلى غيرها في كبره. وهذه هي العطور التي كانت على عهد رسول الله ﷺ، وكان يحبها ويقول: «حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة»^(٣).

(*) الغمر: هو الدسم والزهومة من اللحم. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٣٨٥.

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب من بات وفي يده ريح غمر، حديث رقم (٣٢٩٧)، ج ٢، ص ١٠٩٦.

(٢) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ١٠، ص ٣٤١.

(٣) أحمد، المسند، ج ٣، ص ١٢٨.

وقد وُقِّت رسول الله ﷺ مدة أربعين ليلة كحد أقصى لتقليم الأظفار والأخذ منها^(١)، والأب يحرص على تعهد ولده، وأمر الأهل بتنظيف أظفار الولد، والأخذ منها أولاً بأول، خاصة بالنسبة للرضيع، فإنه في العادة يخذش وجهه بأظفاره. أما الولد الكبير إذا أهملت أظفاره حُشيت تحتها الأوساخ، والقاذورات حتى تتعفن؛ فتضره، وتؤذيه.

ثانياً: المرض والتداوي:

جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر بالتداوي واستجابته، فقد سئل رسول الله ﷺ عن التداوي، فقال: «نعم تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء»^(٢). وعادة يكون التداوي وطلب العلاج بعد الإصابة بالمرض، أما الوقاية فتكون قبله، لهذا جاء الأمر بالوقاية من المرض أولاً، وتجنب أسبابه، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يورد ممرض على مصح»^(٣).

وحماية الأولاد من الأمراض المعدية وغيرها أمر مطلوب، على أن لا تكون هذه الحماية من باب الوسواس والشكوك؛ بل تكون من باب أخذ الحيطة والأسباب، دون إفراط أو تفريط. فيراعي الأب نظافة الأولاد في أبدانهم، وملابسهم، ونظافة ما يأكلونه ويشربونه، وصحة المسكن، ونقاوة الهواء، ودخول أشعة الشمس إلى البيت، وتحري اختيار السكن في المناطق المتسعة المنبسطة، قليلة الازدحام، فإن اتخاذ هذه الأسباب ومراعاتها - بعد توفيق الله - له دور فعال في حماية الأطفال من الأمراض، لهذا يُلاحظ أن أطفال السواحل والأرياف أسرع نمواً من أطفال المدن، وذلك لنقاوة الهواء ووفرة أشعة الشمس وتعرضهم لها^(٤).

(١) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب في التوقيت في تقليم الأظفار وأخذ الشارب، حديث رقم (٢٧٥٨)، (٢٧٥٩)، ج ٥، ص ٩٢.

(٢) أحمد، المسند، ج ٤، ص ٢٧٨.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٤) السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، ص ٦٧.

وعند نزول المرض بأحد الأولاد، فإن المسارعة إلى علاجه أمر هام لتدارك الخطر، على أن يكون ذلك في غير هلع وارتباك؛ بل الهدوء والسكينة في ذلك وتطمين الولد بأنه لم يصبه شيء خطير: له أثر جيد في سرعة شفائه، وإدخال الأمل إلى قلبه.

وليس من الضروري المسارعة إلى أخذ الولد إلى الطبيب عند حدوث أعراض مرض ما، بل إن استعمال الأب للأدوية المفردة دون المركبة لمعالجة الولد هو السنة التي كان عليها رسول الله ﷺ، وهذا إذا كان للأب خبرة في هذا المجال، «وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل إلى الدواء؛ ومتى أمكن باليسيط لا يعدل إلى المركب. قالوا: وكل داء قدر على دفعة بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية»^(١). والأطباء المعاصرون يميلون في العادة إلى الأدوية المركبة المصنعة، وهذه تضر بالبدن، إذا لم تكن موافقة للداء، أو كانت كميتها أكبر من المحتاج إليه^(٢). والأب يختار من الأطباء من لديه خبرة بالأدوية غير المركبة، بالإضافة إلى العلم الحديث في الطب وسياسة الأبدان، فإن اجتماع هذين العلمين، وتقديم أحدهما على الآخر عند معالجة المرضى، له بإذن الله بالغ الأثر في سرعة الشفاء، وذهاب الداء.

وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة تحث على المعالجة بالعسل^(*)، وتبين عظم فائدته ونفعه، يقول الله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٣). ويقول عنه الرسول ﷺ: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكي»^(٤).

(١) ابن القيم، الطب النبوي، ص ٥ - ٦.

(٢) المصدر السابق.

(*) انظر فوائد العسل وطرق استعماله في كتاب «الطب النبوي» لابن القيم، ص ٢٥ - ٢٨.

(٣) النحل ٦٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، ج ٧، ص ١٥٩.

وبناء على هذه النصوص ينبغي للأب المسلم أن يسارع إلى تأمين العسل في بيته بصورة مستمرة، خاصة الأنواع الجيدة منه، وإن كان لا يستطيع شراؤه لغلائه وارتفاع سعره، اشترى منه قرصاً أو قرصين في السنة، واستعمله بطريقة اللعق ثلاث مرات في الشهر، فإن ذلك بإذن الله يكفي ويحصل به المطلوب؛ فقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من لعق العسل ثلاث غدوات، كل شهر، لم يصبه عظيم من البلاء»^(١)، وبهذه الطريقة يمكن للأب الفقير، أن يستعمل العسل مع أولاده، ويحصل لهم الشفاء به بإذن الله، مع حصول الترشيد في الإنفاق، ومراعاة دخل الأسرة.

وقد وردت السنة أيضاً بتعيين أنواع من المأكولات والحبوب فيها شفاء وفوائد للجسم، فمنها الحبة السوداء^(*) التي يقول عنها الرسول ﷺ: «الحبة السوداء شفاء من كل داء»^(٢)، كما جاء ذكر العجوة وفضلها في قوله عليه الصلاة والسلام: «من اصطحب كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل»^(٣).

والمقصود أن السنة جاءت بتفضيل بعض الأدوية البسيطة المعروفة، وبيان أن لها فوائد في حماية البدن، وذهاب المرض، وحصول الشفاء، فعلى الأب أن يحرص على استخدامها بالطرق الصحيحة مع سؤال أهل الخبرة والمعرفة في ذلك.

وفي القرآن الكريم شفاء لما في القلوب من الشك والأمراض النفسية وغيرها، كما أن فيه شفاء للأبدان من الأمراض الحسية الظاهرة، باستعمال الرقي والتعوذ^(٤).

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب العسل، حديث رقم (٣٤٥٠)، ج٢، ص ١١٤٢. والحديث ضعيف. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٥٨٤٣)، ج٥، ص ٢٤٨.

(*) انظر فوائد الحبة السوداء وطرق استعمالها في كتاب «الطب النبوي» لابن القيم، ص ٢٢٩ - ٢٣١.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، ج٧، ص ١٦٠.

(٣) المصدر السابق، باب الدواء بالعجوة للسحر، ج٧، ص ١٧٩.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ٣١٦.

ويكون ذلك بقراءة المعوذات والمسح على كامل البدن بها وقول: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد» مع المسح باليد اليمنى سبع مرات^(١). وإذا كان الولد صغيراً لا يعقل ولا يستطيع قراءة هذه الأذكار، فإن الأب يتولى ذلك بنفسه، فيقرأ في يده ويمسح بها على الولد كما فعلت السيدة عائشة رضي الله عنها عندما مرض النبي ﷺ مرض موته، إلا أنها كانت تقرأ في يده وتمسح بها عليه لبركتها^(٢).

والرقية من العين مشروعة، فإن العين حق، وقد ورد أن النبي ﷺ أمر بها لابني جعفر بن أبي طالب عندما علم أن العين تصيبهما^(٣). وقد ورد عن ابن مسعود القراءة على المريض، فقرأ ذات مرة على مبتلى قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا...﴾^(٤) إلى نهاية السورة فعافاه الله^(٥).

أما تعليق شيء من القرآن على الولد فقد اختلف السلف في ذلك^(٦)، والأولى تركه احتياطاً.

ولا ينبغي إجبار الولد على تعاطي الدواء وغصبه عليه وإدخاله في فمه بالقوة، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك في مرضه الذي مات فيه^(٧). والأفضل هو سياسة الولد وترغيبه في الدواء، بالوسائل المختلفة دون إجبار، ولا بأس بوضعه له في الطعام إن كان هذا لا يضره، مع عدم قسره على الأكل أيضاً؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب». فإن

(١) مالك، موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، التعوذ والرقية من المرض، حديث رقم (١٧٠٩) و(١٧١٠)، ص ٥٢٠.

(٢) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات، ج ٧، ص ١٧٠.

(٣) انظر: مالك، موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، الرقية من العين، حديث رقم (١٧٠٣)، ص ٥١٩.

(٤) المؤمنون ١١٥ - ١١٨.

(٥) انظر: أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، ص ٧.

(٦) ابن عبد الوهاب، محمد، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على عباده، ص ٢٢.

(٧) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب اللدود، ج ٧، ص ١٦٤.

الله يطعمهم ويسقيهم»^(١). وسبب النهي عن إكراههم على الأكل والشرب: لأن فائدة البدن لا تحصل في الحقيقة من الأكل والشرب؛ بل القوة والعافية من عند الله عز وجل، فهو الذي يحفظ لهم قوتهم، ويمدهم بما يماثل فائدة الطعام والشراب^(٢).

ثالثاً: آداب قضاء الحاجة:

المسلم محكوم في جميع شؤونه بمنهج الإسلام، فكما أنه يلتزم بآداب للأكل والشرب وغيرهما، فكذلك يلتزم آداباً وواجبات لقضاء حاجته، والتخلص من الفضلات.

ومن أهم هذه الآداب تعويد الولد على حب الاستتار عن أعين الناس، وهذا يبدأ معه من سن مبكرة جداً، ويكون بأمر الأهل بعدم إظهار عورته أمام الناس، حتى ولو كان لتنظيفه وهو رضيع؛ ليعود على هذا الأدب من صغره، كما أن كشف عورة الصغير ليست بالأمر المستحب.

ويُعلم الولد أن استعمال اليد اليمنى في الاستنجاء لا يجوز، بل تستعمل اليد اليسرى، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يمس أحدكم ذكره بيمينه ولا يستنجي بيمينه»^(٣)؛ وهذا لأن الأعمال الشريفة - كما تقدم - تستعمل لها اليد اليمنى، والأعمال المتصلة بالقدارات تختص بها اليد اليسرى. ويكلف الولد بتنظيف نفسه متى عرف الطريقة، وتمكن من الجلوس لقضاء حاجته، وتدرّب على استعمال الحمام. وتوقيت ذلك عندما يطلب الولد، أو عندما يرى أهل البيت أنه قادر على تولي هذه المهمة بنفسه، ولا يمكن تحديد سن معينة لذلك، إلا أنه لا ينبغي أن تتجاوز السابعة كحد

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب لا تكروها المريض على الطعام، حديث رقم (٣٤٤٤)، ج ٢، ص ١١٤٠. والحديث حسن.

(٢) انظر: المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، أبواب الطب، باب ما جاء لا تكروها مرضاكم على الطعام والشراب، حديث رقم (٢١١٢)، ج ٦، ص ١٩٣.

(٣) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الصلاة، باب النهي عن الاستنجاء باليمين، ج ١، ص ١٧٢.

أقصى، لأنه في هذا العمر يستطيع الولد أن يتولى كثيراً من شؤونه الخاصة البسيطة كالملبس والمأكل، ولا يحتاج في العادة إلى من يساعده. ولا ينبغي أن يدرّب الولد على التحكّم في إفرازاته قبل السنة والنصف من العمر، فإن ذلك يضره، ويؤذيه، وله عواقب سيئة على نفسه^(١).

ويُعلّم الأب ولده دعاء دخول الحمام، ويُحفظه إياه وهو ما كان يقوله عليه الصلاة والسلام عند دخول الخلاء: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»^(٢). ويُعلّمه معنى هذا الدعاء وأنه التجاء إلى الله من شر ذكور الشياطين وإنّهم^(٣)، وأن الحمّام أحب مكان إليهم، وكذلك الأماكن المقدرة التي توافق أحوالهم الخبيثة. ويمكن للأب - زيادة في الحرص - وضع بطاقة لاصقة بالقرب من دورة المياه مكتوب عليها هذا الدعاء، فيتذكر الولد الدعاء عند دخوله الحمام.

وكذلك يحفظ الدعاء عند الخروج من الحمام بعد قضاء الحاجة، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: «كان إذا خرج من الغائط قال: غفرانك»^(٤).

والأب يتابع ولده دائماً ويسأله عند دخوله الحمام، وعند خروجه منه: «ماذا تقول يا بني عندما تدخل الحمام؟»، وكذلك عندما يخرج يسأله: «ماذا تقول يا بني عندما تخرج من الحمام؟»، ويتعقّب في ذلك حتى يتعود ولا يهمل.

وإذا لاحظ الأب إهمال الولد في تنظيف نفسه وتطهيرها، فإن التوجيه، والوعظ مطلوب هنا، إذ أن الطهارة، وإزالة النجاسة من القضايا الهامة، وذلك لما يترتب عليها من عبادات في المستقبل لا تتم إلا بها. والولد سائر إلى

(١) انظر: جرجس، ملاك، اضطراب النوم والتبول الإرادي عند الأطفال، ص ١٩.

(٢) أحمد، المسند، ج ٣، ص ٩٩.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٦.

(٤) أحمد، المسند، ج ٦، ص ١٥٥.

التكليف، وإن لم يتعود إجادة الطهارة منذ الصغر، فإنه ربما أهملها في كبره. وقد جاء التحذير والإنذار من رسول الله ﷺ في هذا الشأن فقال: «أكثر عذاب القبر في البول»^(١)؛ أي في إهمال التطهر والتنزه منه، فنبه الولد إلى ذلك ويحذر بمثل هذه الأحاديث ليتعود وينزجر.

وهذا التحذير لا ينبغي أن يوجه ليشمل الولد المريض(*) الذي يتفلت عليه بوله، ولا يستطيع أن يحكمه - خاصة أثناء النوم - فإن هذا الصنف من الأولاد يؤخذ إلى الطبيب إن كانت مشكلته عضوية، أما إن كانت نفسية، فيُنظر إلى السبب، هل هو من الغيرة من بعض إخوته، أو لشعوره بالنقص وحبه في لفت الأنظار إليه، أو غير ذلك من المشاكل النفسية. ويراعي الأب الهدوء والسكينة عند المعالجة مع إشعار الولد بأن المشكلة سهلة وبسيطة، ويحاول الأب قدر الإمكان أن يستر عليه؛ لئلا يعرف إخوته بمشكلته فيُعيروه وتزيد العقدة في نفسه. وإن كان الولد ممن يتفلت بوله ليلاً، كُلف دخول الحمام قبل النوم مباشرة، وفي بعض الفترات أثناء النوم في الليل حتى لا يبقى في مشانته شيء من البول. مع ملاحظة تجنبه النوم في الغرف الباردة جداً.

ولحفظ الولد من أن تجرح كرامته بين إخوته؛ لوجود بلل في فراشه، يفضل أن ينام بعيداً عنهم، ولو في غرفة مستقلة، ويتم إيقاظه وطي فراشه قبل استيقاظهم. فلا يعرفون من أمره شيئاً.

(١) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٢٦.

(*) لمعرفة أسباب التبول الإرادي عند الأطفال انظر كتاب: «اضطراب النوم والتبول اللاإرادي عند الأطفال» للدكتور ملاك جرجس، ص ٢١-٢٧.

المبحث الثالث

أداب النوم

المبحث الثالث

آداب النوم

للنوم آدابه التي يحرص الوالد على تعويد ولده عليها؛ ليحصل له اتباع السنة، وراحة الجسم، والاستفادة من أوقات النوم، وحصول المقصود منها، كما أن هناك قضايا ليست من السنة يحرص الأب على حماية ولده منها.

ومن أهم السنن المتعلقة بآداب النوم: مسألة التبكير إلى النوم، وأخذ المضجع، وترك السهر إلا لضرورة. وقد ابتلي المسلمون في هذا العصر بتغيير نظام يومهم، فهم يسهرون إلى ساعة متأخرة من الليل، ثم ينامون طويلاً في النهار، وربما لا يستيقظ منهم إلا القليل لصلاة الفجر^(١). رغم ما ورد عن رسول الله ﷺ في التحذير من الحديث والسهر بعد العشاء، فقد نقل أنه كان «يكراه النوم قبل العشاء والحديث بعدها»^(٢). فكلا العملين مذموم؛ من بكر بالنوم قبل العشاء، ومن تأخر بالنوم إلى ما بعد العشاء بوقت طويل، والسنة دائماً ترغب في التوسط في جميع الأمور.

وقد ثبت علمياً أن النوم في الليل له فوائد كثيرة، والجسم يستفيد منه أكثر مما يستفيدة من نوم النهار^(٣)؛ لهذا يحرص الأب المسلم على الاقتداء بالسنة في هذا الباب، أخذاً بالاحتياطات اللازمة لذلك، وأهمها: تعويد الولد النوم الباكر بأن يتم تناول طعام العشاء في الفترة من بعد المغرب إلى صلاة العشاء، فلا يأتي وقت النوم إلا وقد انهضم أكثر الطعام فيسهل عليه النوم، وإلا فإن سوء الهضم وكثرة الطعام تذهب النوم في الليل وتؤرق

(١) القرضاوي، يوسف، الوقت في حياة المسلم، ص ٢٦.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية النوم قبل العشاء والسمر بعدها، حديث رقم (١٦٨)، ج ١، ص ٣١٣ - ٣١٤. والحديث حسن صحيح.

(٣) دياب، عبد الحميد وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، ص ١٠٤.

الإنسان^(١). ولو استطاع الأب، وباقي أفراد الأسرة أن يناموا جميعاً بعد العشاء مباشرة أخذاً بالسنة، فهذا أفضل أسلوب لتعويد الولد النوم المبكر، ولكن لما كانت حياة الناس في هذا الزمن قد اختلفت وتبدلت، ولا يمكن أن يستقل الأب وينفرد بشؤونه عن الناس، فربما صعب عليه أن ينام مبكراً بعد العشاء مباشرة. أما الأولاد فيمكنه توجيههم، وتقييدهم بالنوم المبكر؛ لعدم وجود ما يمنعهم من ذلك.

ومن أهم القضايا المساعدة على النوم المبكر للأطفال: منعهم من النوم في النهار بالكلية، وذلك لأنه يعود الولد الكسل والسهر في الليل، يقول الغزالي رحمه الله: «وينبغي أن يُمنع من النوم نهاراً فإنه يورث الكسل»^(٢). خاصة النوم بعد صلاة الفجر مباشرة، فإن بعض السلف رضوان الله عليهم كانوا لا يتركون أحداً من أهلهم وأولادهم ينامون بعد الفجر حتى تطلع الشمس^(٣). وذلك لحصول بركة دعوة الرسول ﷺ التي قال فيها: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(٤). وقد ثبت علمياً أن غاز «الأوزون» المنشط للخلايا، والذي يقضي على كثير من الأمراض، لا ينتشر إلا في الفجر^(٥)، فهذه من بركات الاستيقاظ المبكر، وترك النوم نهاراً، خاصة بعد صلاة الفجر مباشرة.

وهذه الفترة بين صلاة الفجر حتى الشروق لا تزيد في العادة عن ساعة، فلو استغلها الأب مع الأولاد في بعض الأعمال والنشاطات الدينية، فإن الفائدة والمردود سوف يكونان جيدين إن شاء الله، خاصة وأن الولد في الصباح وبعد الصلاة يكون صافي الذهن، قادراً على التفكير والتمعن.

ومن أفضل الأعمال في هذا الوقت التسبيح، وقراءة القرآن حتى تطلع

(١) انظر: ابن سينا، القانون في الطب، ج٢، ص ٥٨.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣، ص ٧٠.

(٣) انظر: ابن أبي شيبه، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الأدب، من كان لا يدع أحداً من أهله ينام بعد الفجر حتى تطلع الشمس، ج٩، ص ٣٦.

(٤) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب السير، باب بارك لأمتي في بكورها، ج٢، ص ٢١٤.

(٥) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٢٢٩.

الشمس؛ لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه أنس بن مالك: «من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين: كانت له كأجر حجة وعمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: تَامَّةٌ تَامَّةٌ تَامَّةٌ»^(١). فهذا ترغيب من رسول الله ﷺ في الجلوس بعد الصلاة للذكر، والأب إن وجد من أولاده همة لذلك ساعدهم وحثهم عليه، وإن وجد منهم ضعفاً، فلا داعي أن يجبرهم؛ بل يُقسَّم هذه الساعة، فيخصص منها للذكر وقتاً، ولشيء من الحديث معهم وقتاً آخر، وباقي الوقت يأخذهم بالسيارة إلى مكان قريب مُنْبَسَط لرؤية شروق الشمس، فهذا محبب للأطفال، ثم يعقب هذا بشيء من النشاط الرياضي الخفيف، ثم الإفطار.

ومن القضايا المهمة المتعلقة بأداب النوم: مسألة التفريق بين الأولاد عند أخذ المضجع خاصة الذكور والإناث، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(٢). وذلك للاحتياط في القضايا المتعلقة بالجنس، والولد أثناء النوم وكذلك البنت لا يُدري ما يمكن أن يحدث بينهما من الاحتكاك، أو الاحتضان، أو الالتصاق. ومن باب سد الذريعة أخذ الاحتياطات في هذا الأمر الخطير. وأفضل هذه الاحتياطات تخصيص غرفة للذكور وغرفة أخرى للإناث. وجعل سرير ولحاف مستقلين لكل ولد، فإن لم يتيسر ذلك، فلا بأس بالنوم على فراش واحد، على أن يكون لكل واحد لحافه الخاص به^(٣). ويحذر الأب كل الحذر من نوم الولد بعد السنة الأولى من عمره في غرفة نومه الخاصة مع أهله؛ خشية أن يرى الولد ما يكره من العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة.

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، أبواب الصلاة، باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، حديث رقم (٥٨٦)، ج ٢، ص ٤٨١. والحديث حسن غريب.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم (٤٩٥)، ج ١، ص ١٣٣.

(٣) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٢٤٣.

ويعود الولد النوم على جنبه الأيمن، اقتداء بالرسول ﷺ، مع وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن^(١). وتجنب النوم على البطن، لكراهية الرسول ﷺ لهذه النوم وقوله: «إن هذه ضجعة لا يحبها الله»^(٢). كما أن في النوم على البطن - خاصة للولد الذي قارب الحلم - تهيجاً وإثارة جنسية، وذلك لاحتكاك الأعضاء التناسلية بالفراش^(٣). والأب يحرص على توجيه أولاده إلى الخير في جميع الشؤون ولا يهمل، خاصة في المسائل التي جاءت الشريعة بأحكامها وبيانها.

وعلى الوالد أن يعلمهم ذكر أخذ المضجع وهو: «اللهم باسمك أحيا وباسمك أموت» وكذلك عند الاستيقاظ: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(٤). وأن يُحفظهم هذه الأذكار والدعوات، وأن يتابعهم قبل النوم فيسألهم عنها.

ويُفضل أن يعودهم على قراءة بعض الآيات المأثور قراءتها قبل النوم كآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة. ولا بأس بأن يجهر الأب بهذه الأذكار أمام أولاده؛ ليعلمهم حتى يحفظوا ويعقلوا عنه، أو يوجه الكبار منهم ليعلموا الصغار.

ويجب على الأب أن لا يترك ولده ينام في البيت وحده، فإن الرسول ﷺ نهى أن يبيت الرجل في البيت وحده^(٥)، فكيف بالولد الصغير؟. فعلى الأب أن يأخذ الاحتياطات اللازمة لحماية الولد من الخلوة الطويلة في الليل

-
- (١) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، وباب النوم على الشق الأيمن، ج ٨، ص ٨٥.
- (٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية الاضطجاع على البطن، حديث رقم (٢٧٦٨)، ج ٥، ص ٩٧.
- (٣) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٢٤٤.
- (٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (٥٩)، ج ٤، ص ٢٠٨٣.
- (٥) انظر: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الأدب، في الرجل يبيت في البيت وحده، ج ٩، ص ٣٨.

وحيداً ليس معه في البيت أحد، فلا يجد من يساعده إذا احتاج إلى أمر من الأمور، أو مرض، أو على الأقل لو خاف لا يجد من يؤنسه.

ويفضل أن يكون في غرفة الولد شيء من الضوء، كوضع مصباح كهربائي صغير، أو إشعال ضوء بعيد يصل منه شيء إلى غرفته، وذلك احتياطاً من تعثر الولد إذا استيقظ في الليل لحاجته. وهذا لا يعارض قول الرسول ﷺ: «أطفئوا المصابيح عند الرقاد»^(١)، فإن المقصود بهذه المصابيح تلك التي تُشعل بالنار والفتائل والوقود، وعلّة النهي عن تركها مشتتة أثناء النوم واضحة في باقي الحديث حيث قال عليه الصلاة والسلام: «... فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت البيت»^(٢). فالعلة هي الفأرة، أو ما شابهها من الدواب، تعبت في المصباح فتكون سبباً في إحراق البيت. والمصابيح الحديثة مأمونة في الغالب، وبعيدة عن هذه الدواب، خاصة المعلق منها في الأسقف، كما أنها غير قابلة للإحراق بمجرد السقوط على الأرض.

ومن السنن المستحبة عند النوم أيضاً: الوضوء، والنوم على طهارة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إذا أخذت مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة»^(٣). وذلك لينام الولد طاهراً، نظيفاً، ذاكراً الله عز وجل. ومن نام على هذه الصفة، متوضئاً، طاهراً، ذاكراً، أجزل الله سبحانه وتعالى أجره وثوابه.

وعلى الأب أن لا يُغفل جانب النية الحسنة من مقصد النوم، فيعلم أولاده أن المسلم ينام في الليل ليتقوى في النهار على عبادة ربه، والسعي في مرضاته بالجهد والعمل. وعلى الأب أن يتابع أولاده في هذه السنن والآداب ولا يمل حتى يتيقن حبهم لها، والتزامهم بأدائها.

(١) أحمد، المسند، ج٣، ص ٣٨٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (٥٦)، ج٤، ص ٢٠٨١.

المبحث الرابع

اللباس وستر العورة

- أولاً: اللباس الجائز وآدابه
- ثانياً: اللباس المحظور
- ثالثاً: الزينة ومحظوراتها
- رابعاً: ستر العورة

المبحث الرابع

اللباس وستر العورة

ومن القضايا المتعلقة بالتربية الجسمية للولد: تربيته على آداب اللباس، وما يتعلق به من توجيهات نبوية فيما يخص المباح منه وغير المباح بالنسبة للولد، وكذلك ما يتعلق بستر العورة وأهمية ذلك.

ومن خلال هذا المبحث نستعرض هذه الأمور، ونوضح وظيفة الأب في توجيه ولده إلى أفضل الآداب والأحكام المتعلقة بذلك.

أولاً: اللباس الجائز وآدابه:

اللباس نعمة من نعم الله عز وجل على بني آدم. فقد امتن الله عليهم بها فقال: ﴿يَكْفِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْوِيْكَ مِنَ الْغَرَمِ وَكُلَّ لِبَاسٍ جَمَدٍ مِّمَّا تَشْتَبِهُونَ﴾ (١). فاللباس نعمة من نعم الله، يستتر به الإنسان، ويتزين، ويتنعم بما خلقه الله له من أنواع اللباس، فمنها المخصص للبرد، ومنها للحر، ومنها للربيع. وكل ذلك من تمام فضل الله ومنته على خلقه.

وقد استحَب الرسول ﷺ من ألوان اللباس: الأبيض، وحث على لبسه فقال: «البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب» (٢). كما جاءت الرخصة في لبس الأحمر، والأخضر، والأسود، من الثياب (٣). على أن لا تكون ألواناً داكنة،

(١) الأعراف ٢٦.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في لبس البياض، حديث رقم (٢٨١٠)، ج ٥، ص ١١٧. والحديث حسن صحيح.

(٣) انظر: المصدر السابق، باب ما جاء في الرخصة في لبس الحمرة للرجال، حديث رقم (٢٨١١)، والحديث حسن غريب، وباب ما جاء في الثوب الأخضر، حديث رقم (٢٨١٢)، والحديث حسن غريب، وباب ما جاء في الثوب الأسود، حديث رقم (٢٨١٣)، ج ٥، ص ١١٨ - ١١٩، والحديث حسن غريب صحيح.

ليس معها لون آخر، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يلبس الأحمر، أو الأسود، أو المُصَبَّغ. وإذا لبس الحلة اليمانية الحمراء رُئيت فيها ألوان أخرى مثل البياض والسواد^(١).

ويفضل للأب تعويد ولده لبس الأبيض من الثياب، وذلك اتباعاً للسنّة أولاً، ثم لحسنها ونفائها. وذلك يكون عند خروج الولد للزيارة، أو للصلاة أو لمقابلة الناس.

أما الملابس الملونة - غير المنقوشة - فتكون للبيت واللعب، على أن لا تكون لوناً واحداً داكناً، علماً بأن أكثر ملابس اللعب الخاصة بالأولاد ملونة بغير الأبيض، وذلك لأن الملابس الملونة بطيئة الاتساع، وأكثر تحملاً لما يعلق بها من جراء لعب الأطفال.

أما الملابس الملونة المنقوشة فهذه تخص النساء، يقول مسكويه رحمه الله منفراً الولد منها: «وليعلم أن أولى الناس بالملابس الملونة والمنقوشة النساء اللاتي يتزين للرجال ثم العبيد والخول، وأن الأحسن بأهل النبيل والشرف من اللباس البياض وما أشبهه»^(٢).

ويتعود الولد لبس الأبيض من الثياب بالقدوة، فيحرص الأب على لبس الثوب الأبيض، ويحرص على شرائه لولده ولا يطاوعه في غير الأبيض، إلا في ملابس اللعب واللهو؛ لما تقدم.

ويُحَفِّظ الولد آداب لبس الثوب ونزعه، فعند لبس الثوب الجديد يُعَلِّم قول الرسول ﷺ: «الحمد الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة»^(٣). وعندما ينزع ثيابه يقول: «بسم الله»، وذلك ليستتر عورته عن أعين الجن^(٤).

(١) انظر: ابن القيم، الطب النبوي، ص ١٨٥.

(٢) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٧٠.

(٣) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الاستيذان، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الدعاء، ما يدعوبه الرجل إذا أراد أن يضع ثيابه، ج ١٠، ص ٣٩٥.

ولا بأس بلبس ما يسمى «بالبنطلون» لأنه أنفع لكثرة حركة الأولاد، وأطول بقاء، مع مراعاة أن يكون فضفاضاً غير ضيق واصف لهيئة الجسم، ويُراعى أيضاً أن لا يكون شفافاً، فإذا رُوعي ذلك كان جائزاً^(١).

ويعود الولد على لبس النعال؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «استكثروا من النعال. فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل»^(٢). ويُحث على لبس حذائه خاصة أثناء اللعب خارج البيت، لاحتمال وطئه شيئاً حاداً يجرحه ويؤذيه.

ولا بأس بأن يؤخذ الولد بشيء من الخشونة في بعض الأحيان في ملبسه ومأكله ومشربه وأن يسير على الأرض بغير حذاء^(٣)، فلا بأس بذلك في بعض الأحيان لتعويد الخشونة. فإذا خرج الجميع للنزهة في بعض الأوقات، أمر بخلع نعاله والسير على الأرض أو الصخر بالقدمين حافيتين، مع مراعاة عدم التكلف في ذلك بما يعود على الولد بالضرر والأذى.

ويلاحظ الأب ولده عند لبس النعال، فيأمره بأن يبدأ باليمين ثم الشمال؛ لأنها السنة^(٤). وكثير من الأولاد يبدأون بالشمال، وربما لبس بعضهم حذاء اليمنى في القدم اليسرى، وبالعكس. والأفضل توجيه الولد قبل أن يقوم باللبس، فيشار إلى قدمه اليمنى ليبدأ بها إن كان الولد لا يميز بينهما. وبذلك يتعود تقديم قدمه اليمنى دون شعور؛ لأنه لم يتعود - أصلاً - تقديم قدمه الشمال. ومن الخطأ تركه يبدأ بأي قدم شاء ثم تصويب خطئه بعد ذلك، وأقل ما في ذلك من الخطأ التربوي أن تتعود قدمه الشمال التقدم في بعض الأحيان، إلى جانب أنه يتضايق من كثرة الأوامر خاصة إن أمر بالترع ثم اللبس من جديد، وتزيد المسألة كراهة عند الولد إذا كانت أمام الناس.

(١) انظر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث

العلمية، رقم (١٦)، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب استحباب لبس النعال وما في معناه،

حديث رقم (٦٦)، ج ٣، ص ١٦٦٠.

(٣) الإستانبولي، محمود مهدي كيف نربي أطفالنا، ص ٤٠.

(٤) انظر: مالك، موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، ما جاء في الانتعال، حديث رقم (١٦٥٩)،

ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

ثانياً: اللباس المحظور:

وللباس محظورات يجدر بالأب مراعاتها، وحفظ الأولاد من الوقوع فيها، خاصة ما فيه تخنث وتشبه بالنساء. فلبس الحرير ممنوع على الذكور البالغين بلا خلاف بين الأئمة إلا لعذر، وقد نقل ابن عبد البر رحمه الله الإجماع على ذلك^(١). أما لبسه بالنسبة للصبيان قبل البلوغ: ففيه قولان: والأرجح أنه لا يجوز، «فإن ما حرم على الرجل فعله حرم عليه أن يمكن منه الصغير»^(٢). وقد نقل إنكار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على من لبس الحرير من الصبيان، فرأى مرة ثوباً من حرير على صبي للزبير فمزقه، وقال: «لا تلبسوهم الحرير»^(٣). ونقل أيضاً عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه مزق قميصاً من حرير على أحد أولاده، وقال: «قل لأمك تكسوك غير هذا»^(٤).

وفي هذا الفعل من هذين الصحابين الجليلين، مع عدم إنكار ذلك ممن حضر من الصحابة: دليل على مشروعية نزع ثوب الحرير من أجساد الأولاد، ومنعهم من لبسه. ولا شك أن في لبس الولد للحرير تعويداً له على الميوعة، والخنث، ومشابهة النساء. وواجب الأب ومسؤوليته تهيئة الولد لطبيعة جنسه، من الخشونة، والشجاعة، والإقدام، وغير ذلك من صفات الرجولة، مع تنفيره من جميع ما يخص النساء.

ولتنفير الولد من ثياب الحرير، ينصح الغزالي رحمه الله بأن «يُحِبُّ إليه من الثياب البيض دون الملون والإبريسم^(*)، ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وأن الرجال يستنكفون منه، ويكرر ذلك عليه، ومهما رأى على صبي ثوباً من إبريسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه»^(٥). وفي العادة

(١) ابن قدامة، المغني، ج ١، ص ٦٢٦.

(٢) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ٢٢، ص ١٤٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب اللباس، باب لبس الصغير الحرير، ج ٥، ص ١٤٧، وإسناد الحديث صحيح.

(*) الإبريسم هو: الحرير، انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ٧٩.

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٧٠.

ينفر الولد ويأنف من مشابهة البنات عندما يقرر عنده أن سلوكاً معيناً، أو فعلاً معيناً من أفعال البنات، ففي الغالب يتركه وينزجر، ولا يعود إليه .

ويُمنع الولد من لبس الثياب الشفافة، التي لا تستر العورة؛ لما في ذلك من الميوعة وقلة الحياء، وعدم المبالاة بظهور العورة أمام الناس . ويضاف إلى ذلك المنع من لبس ثياب الشهرة، المتميزة بين الناس، والملفتة للنظر، فإن كلا اللبستين مكروهتان مذمومتان^(١).

والأب يلاحظ ذلك عند شراء الملابس للأولاد، ولا داعي لتخييرهم بين الأنواع المختلفة من الملابس إذا كان اختيارهم في العادة غير موفق؛ بل يعودهم أن يلبسوا ما يختاره لهم . كما عليه أن يتجنب الثياب التي فيها تصاوير أو صلبان فإنها مكروهة^(٢). وقلماً يجد الأب ملابس لأولاده تخلو من صور الحيوانات، أو الحشرات، أو غير ذلك من الأحياء . فعليه الاجتهاد وحسن الاختيار، وإن استطاع أن يكلف من يصنع له ملابس الأولاد بصفة خاصة، فهذا أحسن وأوفر له؛ إذ يختار ما يناسب أجساد الأولاد من أنواع الأقمشة، مراعيًا مطابقتها للسنة المطهرة .

وفي هذا السلوك المرهف من الأب نحو الصور حسم لمادة الشرك من أساسها، والمتضمنة لحب الصور وتعظيمها، خاصة وأن أكثر المصنع من الصور على ملابس الأطفال من النوع البارز، إلى جانب أن هذه الصور لا فائدة منها في التعليم، أو الثقافة؛ بل هي من باب الزينة المكروهة .

وجاءت السنة المطهرة بتحريم إسبال الثوب أكثر من الكعبين للرجال، وقد أجمع العلماء على ذلك^(٣)؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينظر إلى من يجر إزاره بطراً»^(٤). ولا شك أن الولد قبل البلوغ غير مطالب بهذا،

(١) انظر: العاصمي، عبد الرحمن محمد، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ج ١، ص ٥٢٨ .

(٢) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ١، ص ٦٢٨ .

(٣) أبو جيب، سعدي، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، ج ٢، ص ٩٥٣ .

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز =

ولا يَأْتُم بالإسبال، ولكن إعداده للتكاليف وتربيته على هذا الأدب النبوي منذ صغره خاصة بعد العاشرة، يعد أمراً مهماً؛ إذ أن التكاليف التي تلزم البالغين لا تنحط على الولد دفعة واحدة ساعة ظهور علامة من علامات البلوغ(*) عليه، بل يدرّب عليها قبل ذلك بوقت، فلا يحصل له البلوغ إلا وقد التزم بمعظم أحكام البالغين وواجباتهم. أما أن يُبدأ بتعليم الولد أحكام وواجبات المكلفين بعد البلوغ، فهذا ليس من التربية الإسلامية في شيء.

ولا شك أن المجاهدة في إلباس الولد الثوب حسب السنة إلى الكعبين، والكم إلى الرسغ كما هي السنة المنقولة عنه عليه الصلاة والسلام في طول الكم^(١)، فيه مشقة، لا من حيث أن الولد يكره ذلك، فإن الولد الصغير عادة لا يعقل هذا، ولا يتكلف طول الأزار، إنما المشقة في أن الولد في هذا السن سريع النمو، فلا يكاد يلبس ثوباً إلى كعبيه إلا وبعد أشهر، أو سنة يصل إلى أنصاف ساقيه. فلا يُستفاد من الثوب مدة طويلة. إلا أن يكون له إخوة أصغر سناً فيلبس بعضهم ملابس بعض فتحل المشكلة. ولو لم يكن هذا فإن المجاهدة في اتباع السنة أمر مطلوب، والدين يستحق أكثر من ذلك.

ثالثاً: الزينة ومحظوراتها:

للزينة محظوراتها وممنوعاتها، كما أن للباس ممنوعاته، ومن أهم هذه الممنوعات: التحلي بالذهب؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «حُرِّمَ لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم»^(٢). وقد أجمع العلماء على حرمة

= إرخاؤه إليه وما يستحب، حديث رقم (٤٨)، ج ٣، ص ١٦٥٣.

(*) علامات البلوغ خروج المنى، أو الإنبات، أو بلوغ خمس عشرة سنة. انظر: ابن قدامة، المغني، ج ٤، ص ٥١٣-٥١٤.

(١) انظر: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، حديث رقم (٤٠٢٧)، ج ٤، ص ٤٣.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب اللباس، باب ما جاء في الحرير والذهب، حديث رقم (١٧٢٠)، ج ٤، ص ٢١٧. والحديث حسن صحيح.

تحلي الرجال بالذهب، أما الفضة فقد أجمعوا على إباحة التختم بها للرجال^(١). وليس التحريم يخص الرجال دون الصبيان، وكما أشير من قبل في مسألة لبس الحرير أنه: ما حرم على الرجل لا يجوز تمكين الصغير منه. قال الإمام مالك رحمه الله في الذهب للغلمان: «وأنا أكره أن يلبس الغلمان شيئاً من الذهب، لأنه بلغني أن رسول الله ﷺ نهى عن تختم الذهب فأنا أكرهه للرجال: الكبير منهم والصغير»^(٢) فلا ينبغي التهاون في ذلك، ولا وضع صفائح الذهب المنقوش عليها آيات من القرآن الكريم على صدر الولد، أو تختيمه بالذهب، حتى وإن كان رضيعاً، فالأولى ترك هذا كله؛ لما تقدم.

وينصح ويحذر الإمام الغزالي رحمه الله: الأب من ذلك ويأمره بتزهد ولده في الحلبي فيقول: «يُقَبِّحُ إِلَى الصَّبِيَانِ حَبَّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالطَّمْعَ فِيهِمَا، وَيَحْذَرُ مِنْهُمَا أَكْثَرَ مِمَّا يَحْذَرُ مِنَ الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ، فَإِنَّ آفَةَ حَبِّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالطَّمْعِ فِيهِمَا أَضْرَ مِنْ آفَةِ السَّمُومِ عَلَى الصَّبِيَانِ(*)»^(٣). ولعل الآفة التي أشار إليها الغزالي هي: ما يحدثه الميل إلى التحلي بالذهب من مشابهة النساء، في تكسرهن، وميوعتهن. والصبي لا يصلح له شيء من طباع النساء وعاداتهن. والواجب منعه من كل هذا بتمييز الذكور عن الإناث في الملابس، والزينة، والألعاب، ومكان النوم، والاختلاط - إن أمكن - إلا أن يكونوا إخوة وأخوات فلا بأس باختلاطهم جميعاً في اللعب، ومكان الجلوس، لتحصل بينهم المودة والألفة، أما اللباس وأنواع الألعاب والزينة، وغير ذلك مما يخص البنات، فلا ينبغي تشابههم فيه أبداً. وبذلك يحصل

(١) أبو جيب، سعدي، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، ج ١، ص ٣٦٤.
(٢) مالك، موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، ما جاء في لبس المصبغة والذهب، حديث رقم (١٦٤٨)، ص ٥٠٧.

(*) إن كان مقصود الغزالي رحمه الله عدم جواز التختم بالفضة فهذا مخالف للإجماع كما تقدم، أما إن كان مقصوده تقيح الطمع في جمعها، والشغف بها، وتعلق القلب بها، فهذا حسن إن شاء الله.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٧٠. (بتصرف).

للولد قدرة على التمييز بين ما يخص الذكر وما يخص الأنثى، فإذا أُعْلِمَ أن شيئاً ما لا يصلح للأولاد: نبذه وزهد فيه، وأنف أن يعمله، أو يستعمله. وربما تكون هذه أفضل الطرق لتغيير الولد من عادات النساء، وما يتعلق بحليهن، وزينتهن.

ويدخل في باب الزينة المكروهة بالنسبة للصغار: كراهية تعليق الأجراس أو الجلاجل على الولد للزينة، وروى أنها تنفر الملائكة، ونقل عن بعض السلف نزعتها من فوق الصبيان^(١). أما جعلها في يد الولد يلهو بها ساعة ثم يضعها ويتركها، فلا بأس به إن شاء الله؛ إذ أن ما ورد في الباب من الكراهية ظاهره المنع من التعليق، لا المنع من اللهو واللعب بها، فإن هذه الألعاب ذات الأصوات تسلي الولد وتجذب انتباهه وتلهيه عن البكاء.

وقضية أخيرة ينبغي على الأب أن يراعيها ويتبع فيها السنة وهي: النهي عن العبث برأس الصبي فيحلق بعضه ويترك بعضه، والسنة في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «احلقوه كله أو اتركوه كله»^(٢). وهذا يسمى القزع، والسنة بالنسبة لحلق رأس الولد أن يكون كاملاً بعد ولادته^(*)، ويكون أيضاً إذا حج الولد أو اعتمر مع والده، أما غير ذلك من التحليق فلا سنة تتبع فيه، وقد روى كراهية التحليق عن الإمام أحمد بن حنبل، كما روى عنه أيضاً عدم كراهية ذلك، ونقل ابن عبد البر الإجماع على إباحته^(٣) والذي نقل في وصف رسول الله ﷺ أنه كان ذا شعر يضرب منكبيه، أو أنصاف أذنيه^(٤) وهذا

(١) انظر: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب العقيقة، في الجلاجل للصبيان، ج ٨، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الزينة والتطيب، ذكر البيان بأن القزع مباح استعمال ضديه الحلق والإرسال معاً، حديث رقم (٥٤٨٤)، ج ٧، ص ٤١٧.

(*) راجع الفصل الأول، المبحث الثاني، الفقرة (ثامناً)، لمعرفة السنة في حلاقة رأس المولود الجديد.

(٣) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ١، ص ٧٣ - ٧٤.

(٤) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب صفة شعر النبي ﷺ، حديث رقم

(٩٥) و(٩٦)، ج ٤، ص ١٨١٩.

يدل على أن التحليق ليس من عادته عليه الصلاة والسلام، والأولى في حق الولد أن يكون له شعر، حسب عرف أهل البلد، وبما يوافق مفاهيم الإسلام العامة من ترك التشبه بالنساء، والأمر بمخالفة أهل الكتاب وعموم الكفار، إلا أن يضطر الأب إلى الحلق، أو القزع اضطراراً لا اختيار فيه.

رابعاً: ستر العورة:

ومن تمام التنعم بزيينة الله عز وجل التي وهبها لعباده: التحلي باللباس، وستر السوء عن أعين الناس، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ. يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾^(١). الآيتان فيهما تذكير بنعمة الله على خلقه بإنزال اللباس ساتراً وحافظاً لهم من انكشاف عوراتهم وظهور سواتهم، وفيهما تحذير من اتباع الشيطان، والإصغاء إلى وساوسه، التي أودت بأبي البشر آدم عليه السلام وزوجه إلى الشقاء، والعنت بخروجهما من دار النعيم إلى دار التكليف، والاختبار.

وليس التعري ونبد الستر من الفطرة البشرية في شيء، بل «إن العري فطرة حيوانية. ولا يميل الإنسان إليه إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان... والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سواتها الجسدية... وتحرص على سترها ومواراتها»^(٢)؛ بل إن اللباس وستر العورة: يعد من أعظم خصائص الإنسان الظاهرة التي يتميز بها عن الحيوان؛ وقد جاءت أوامر الرسول ﷺ موافقة للكتاب في الأمر بستر العورة وتغطيتها؛ إذ يقول لمن سقط عنه ثوبه: «خذ عليك ثوبك ولا تمشوا عراة»^(٣). ويقول في الأمر بستر

(١) الأعراف ٢٦ - ٢٧.

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٢٧٥. (بتصرف).

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الحمم، باب ما جاء في التعري، حديث رقم (٤٠١٦)، ج ٤، ص ٤٠.

الفخذ: «لاتبرز فخذيك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت»^(١).

بناء على ما تقدم من فضل الستر وأهميته، فإن مسؤولية الأب في بث حب التستر، وعدم إبراز العورة، في روع الولد منذ حداثة سنه، وقبل أن يكون مكلفاً بذلك: يعد من أهم الأسباب التي تركز وتقوي حب التستر في نفس الولد. إذ يُكره إليه التعري، وإظهار قبله أو دبره أمام الناس، أو أمام أقاربه وإخوته. أما عدم المبالاة بإظهار عورته أمام الناس، وسرور الأب والأهل بخروج الولد عارياً أمام إخوته في البيت وأقاربه، وإظهار الرضى عن ذلك، فإن هذا السلوك من الأب وأهله: يعد بذرة سيئة في قلب الولد، تنمو وتتغذى بدوام تكرر مثل هذه المواقف الخاطئة، فتميل نفسه بعد ذلك إلى نبذ الحياء ظاهراً وباطناً، فلا يعود يستحي إذا كبر من انكشاف عورته.

ولا يعني هذا أن انكشاف عورة الولد قبل العاشرة حرام، فإن مذهب الأحناف في عورة الطفل إذا بلغ عشر سنوات كعورة الكبير، أما قبل العاشرة فلا عورة له عندهم^(٢). وعند الحنابلة لا عورة له قبل التاسعة^(٣). وليست المسألة هنا مسألة التزام بقول فقهي معين يوافق هوى في نفس الأب وأهله، فلو كان الأمر كذلك فإن مذهب الشافعي رحمه الله بالنسبة لعورة الصغير غير المميز كعورة الكبير من السرة إلى الركبة^(٤). ولكن المسألة هنا مسألة تربية، وتعليم، وتعويد على الفضائل. فالولد الذي عُوِّد على ستر العورة في صغره قبل العاشرة: سهل عليه بعد العاشرة سترها والالتزام بتغطيتها دون تكلف. ولا شك أن الذي لم يُعُوِّد على ذلك من صغره: صعب عليه التزام الستر دفعة واحدة.

والذي يعمله الأب ويُنصح به هو: حفظ عورة الولد عن الأعين في جميع فترات عمره، لا يظهر منها شيء لغير حاجة أو سبب، مع عدم تركه

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب اللباس، ج٤، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٢) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج١، ص ٥٩٦ - ٥٩٧.

(٣) ابن فدامة، المغني، ج٧، ص ٤٦٤.

(٤) انظر: الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج١، ص ٥٩٧.

عارياً ولو كان خالياً وحيداً. وكذلك يوجه الأب أهله عند الحاجة إلى تنظيف
الولد الصغير، أو تغيير ملابسه أن يكون ذلك في خلوة عن أعين إخوته،
وباقى أفراد الأسرة، فليس ثمة حاجة في النظر إلى عورات الصغار.

المبحث الخامس

اللعب والرياضة

- أولاً : أهمية اللعب والرياضة وفوائدهما
ثانياً : أنواع الألعاب والرياضات
١ - الألعاب المباحة
٢ - الألعاب الممنوعة
ثالثاً : مكان اللعب والرياضة ووقتهما
رابعاً : اختيار اللعبة

المبحث الخامس اللعب والرياضة

يهتم الإسلام بإعداد أفراداً متكاملين من جميع النواحي الخلقية، والفكرية، والجسمية، ولا يقتصر على ناحية منها دون أخرى.

ومن الجوانب التي يهتم بها هذا الدين، ويألوها اهتماماً: القوة في البدن، مع كمال الهيئة، وانتصاب القامة. فالقوة الجسمية - مع العلم - أساس للقيادة والرئاسة، وهذا مستنبط من قول الله تعالى - عند بيان سبب اختيار طالوت للملك على قومه - : ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(١). فلا بد للقيادة من العلم النافع الصحيح، والقوة في الجسم.

وجاء الأمر من الله عز وجل بالإعداد، والاستعداد بكل أنواع القوة حسب الإمكانيات المتوافرة، فقال الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾^(٢). وجاء لفظ «قوة» في الآية نكرة، غير معرفة، لتنفيذ إعداد كل ما يدخل تحت معنى القوة من إعداد جسمي للمقاتلين، أو إعداد فني بالخطط والدراسات، أو إعداد تجهيزي بالسلاح والعتاد. وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام مادحاً المؤمن القوي: «المؤمن القوي خير أو أفضل وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف وكل خير»^(٣).

وبناء على هذه الأهمية الخاصة بالجسم، فإن كل نشاط مشروع يفيد

(١) البقرة ٢٤٧.

(٢) الأنفال ٦٠.

(٣) أحمد، المسند، ج ٢، ص ٣٧٠.

الجسم ويقويه يعد نشاطاً مستحجاً ومطلوباً، فاللعب والرياضة وأنواعهما المشروعة: تصبان في هذا السبيل، وتعدان رافداً جيداً لتقوية البدن، وصلابة العظام، وتنمية العضلات، فإن مقصود الجهاد والإعداد هو نفسه الغاية من الرياضة وممارستها، فإن الرماية، والسباحة، وركوب الخيل، وسائل من وسائل الجهاد^(١).

والأب يحرص على رعاية أولاده من هذه الناحية، ويوجههم إلى أفضل السبل المشروعة للاستفادة من طاقاتهم الحيوية، وقدراتهم الجسمية بما يعود عليهم، وعلى الأمة، بالقوة والمنعة.

ولا ينبغي تذرع بعض الآباء بالخوف على أولادهم، فيمنعونهم من ممارسة النشاطات البدنية، فإن هذا الخوف يجعلهم اتكاليين، ضعيفي الإرادة والقدرة، كما أن تحقق هذا المطلب للآباء بعيد المنال؛ لأن الحركة عند الطفل غريزة قوية، ومن المستحيل التفكير في الحد منها، أو كبتها^(٢).

وقد راعت الشعوب والأقوام المختلفة حاجة الأطفال الصغار إلى اللعب والحركة منذ أقدم العصور؛ فهذه الحفريات تثبت أن الفراعنة كانت لديهم ألعاب للأطفال من طين، وفخار، وخشب، وغيرها^(٣)، وعندما جاء الإسلام، وظهر نوره في المدينة المنورة، أقر رسول الله ﷺ بعض أنواع النشاطات البدنية، كسباق الخيل، وكان يشرف على ذلك بنفسه^(٤). وكان عليه الصلاة والسلام يقوم ببعض النشاطات البدنية الأخرى مع الأولاد، فكان «يصفئ عبد الله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس ثم يقول: من سبق إليّ فله كذا

(١) الدويك، يوسف الشيخ راتب، «الرياضة في الإسلام»، مجلة التربية، العدد (٧٢)، ص ١٢١.

(٢) انظر: عابدين، جمال، «الطفل كيف نهذه في عاداته وميوله»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٢)، ص ٤٢.

(٣) المنسي، محمد أحمد، «تربية الطفل بين الماضي والحاضر»، مجلة التربية، العدد (٥٥)، ص ٨٨.

(٤) انظر: البخاري، صحيح البخاري، باب فضل الجهاد والسير، باب غاية سبق للخيل المضمرة، ج ٤، ص ٣٨.

وكذا، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدرة فيقبلهم ويلزمهم^(١). وهذا من أبلغ ما نُقل عنه عليه الصلاة والسلام في إقرار الرياضة، وممارسة النشاطات البدنية المختلفة مع الأولاد. وقد سبق عليه الصلاة والسلام بفعله هذا رجال التربية الحديثة الذين اعتبروا اللعب ضرورة هامة لنمو الفرد الجسمي والعقلي.

ومن هنا تكون الرياضة واللعب جائزتين في الإسلام، وتجاوز ممارستهما وتأكيد بالنسبة للأطفال؛ لحاجتهم الطبيعية إلى الحركة واللعب.

أولاً: أهمية اللعب والرياضة وفوائدهما:

يعتبر من السهل نقل إجماع أكثر رجال التربية على أهمية اللعب والحركة ودورهما الهام في تنمية قوى الطفل، الجسمية، والعقلية، والخلقية، والاجتماعية. ففي مجال التنمية الذهنية للطفل: «أثبتت الأبحاث أن الأطفال الذين تكون لديهم الإمكانيات والفرص للعب... تنمو عقولهم نمواً أكثر وأسرع من غيرهم ممن لم تتح لهم هذه الفرص وتلك الإمكانيات»^(٢). وفي مجال تنمية القوى الجسمية وتنشيطها، فإن لعب الأطفال يكسبهم مهارات حركية، فالقفز، والجري، والتسلق، والتسابق وغيرها من النشاطات الجسمية يكتسب منها الطفل قدرات حركية، إلى جانب أن اللعب يساهم مساهمة كبيرة مع الغذاء في زيادة وزن الطفل، وحجمه ويساعد على نمو أجهزته الجسمية المختلفة^(٣).

أما في الجانب الاجتماعي والخلقي فإن ممارسة الطفل للعب وسط مجموعة من الأقران، يساعده على التكيف الاجتماعي، وقبول آراء الجماعة، وإيثارها على النفس، والتخلص من الأنانية وحب الذات، إلى جانب ظهور

(١) أحمد، المسند، ج ١، ص ٢١٤.

(٢) درويش، كمال ومحمد الحماحمي، الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، ص ٨٧-٨٨.

(٣) السعود، راتب، «أهمية اللعب في التربية»، مجلة التربية، العدد (٣٤)، ص ٤٠.

القيادات بين الأولاد، وتعلم أساليبها وطرق ممارستها. كما أن المباريات المختلفة بين الأطفال تعتبر مجالاً جيداً لصرف المشاعر العدوانية عندهم. وممارسة الطفل للأدوار الاجتماعية المختلفة كالأب، والأم، والطبيب، والجندي، في لعبة التمثيلي: يجعله يتقلب بين هذه الشخصيات المختلفة، فيكتسب منها أدباً اجتماعياً في كيفية التعامل مع هذه الفئات، والشخصيات الاجتماعية المختلفة^(١).

ومن فوائد اللعب أيضاً: أنه يساعد الطفل على معرفة البيئة من حوله، فيكتشف أولاً غرفته التي يعيش فيها ومحتوياتها، ثم يتعرف على باقي غرف البيت، وما فيها من أثاث، ويتدرج في ذلك ليخرج فيتعرف على ما يحيط بالبيت من منازل، وحدائق. وهكذا فالطفل في نمو مطرد، ومستمر، وظاهر حركته اللعب واللهو، ولكنه لعب مفيد، يزيد في معرفته ومعلوماته.

وقد أشار إلى أهمية اللعب الإمام الغزالي، وتنبه إلى ذلك من جهة حث الولد على طلب العلم، وعدم التنفير منه فقال رحمه الله: «وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائماً يميم قلبه ويبطل ذكائه وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً»^(٢). وهذه لفظة هامة من الإمام الغزالي تبين أثر اللعب في النشاط الفكري للولد، وأن فيه راحة للعقل من كثرة التلقي، كما أن في إهماله إيذاء للولد وتضييقاً عليه في عيشه، ودفعاً له لاتخاذ الحيلة غير المشروعة.

وقال رحمه الله حول أهمية الحركة والرياضة للولد: «ويُعَوِّد في بعض

(١) رحاحلة، سليمان فياض، «السلوك العدواني عند الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (١)، ص ٩٠.

الجراحة، عيسى، «دور اللعب في التطبيع الاجتماعي للأطفال»، مجلة التربية، العدد (٣٧)، ص ٧٦.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٧١.

النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل»^(١)، وقال بعض الحكماء: «الخلق المعتدل، والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة»^(٢)، ولقد أثبتت التجارب ما أشار إليه الغزالي من أن هناك علاقة بين حركة الجسم والعقل، «فالتمرينات العضلية التي تسبق العمل الفكري تؤدي إلى تحسينه غالباً وزيادة نشاطه»^(٣)، كما أنها في الجانب الآخر «تنمي كتلة العضلات، وتزيد من قدرتها على المقاومة، كما تزيد ضخامة العظام، وتيسر سرعة الحركات ورشاقته»^(٤).

ومما تقدم نجد أن الرياضة البدنية ضرورية لإعداد الأفراد اللاتقنين بدنياً، وعقلياً، واكتساب القامة المعتدلة، وإعطاء الجهاز الدوري، والدورة الدموية كفاءة جيدة مع حماية الجسم من الأمراض، ولقد نص الميثاق الدولي للتربية البدنية والرياضية في مادته الأولى على أن الرياضة حق أساسي للجميع، وأنه يجب توفير برامج للتربية البدنية والرياضية للأطفال، في سن ما قبل المدرسة^(٥).

وهذه أدلة كافية وواضحة على أهمية هذا الجانب في حياة الولد، حيث يتحمل الأب المسؤولية الكبرى في إعداد وتكوين الجو المناسب لابنه، لاستغلال طاقاته وقدراته الجسمية في ممارسة الألعاب والنشاطات البدنية المختلفة التي تعود عليه بالنفع.

ثانياً: أنواع الألعاب والرياضات:

تنقسم أنواع الألعاب والرياضات إلى قسمين: ألعاب ورياضات تجوز ممارستها، مع مراعاة الأحكام الشرعية الأخرى، وألعاب ورياضات محرمة أو

(١) المصدر السابق، ج٣، ص ٧٠.

(٢) ابن الجوزي، الأذكياء، ص ٣٤.

(٣) أوبير، رونه، التربية العامة، ص ٣٩٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٩١.

(٥) الحماحمي، محمد محمد، أصول اللعب والتربية الرياضية والرياضة، ص ١٥٧ - ١٥٨ - ٢٤١.

مكروهة لا ينبغي ولا يجوز ممارستها، وفيما يلي نستعرض النوعين: -

١ - الألعاب المباحة:

الأب المسلم ملزم بأن يتقيد في جميع نشاطات وألعاب أولاده بما هو مشروع، ويتجنب ما هو محرم اتخاذه من الألعاب.

ولقد جاءت السنة المطهرة بأنواع من الألعاب الجائزة التي كانت تمارس على عهد رسول الله ﷺ. فمنها ما قام بممارسته شخصياً، ومنها ما أقره، وأجراه، ولم ينكره. وهذه كلها تدخل في باب اللعب المباح. ومن هذه الألعاب والرياضات المباحة التي وردت في السنة: اللعب والرقص بالحراب في الأعياد والمناسبات، فقد أقر رسول الله ﷺ هذا النوع من اللعب في مسجده، وسمح للسيدة عائشة رضي الله عنها أن تستمتع بالنظر إليهم وهم يلعبون^(١). وهذا النوع من اللعب فيه رجولة، وبطولة. فالحجل أو الرقص جائز إذا خلا من الميوعة والتخنث^(٢). وهذا النوع من اللعب يمكن أن يمارسه الأولاد الكبار، مراعين استبدال الحراب الحديدية بأعواد من الخشب الرقيق؛ لضمان حمايتهم من احتمال الإصابة على الرأس، أو الجسم، بضربة مؤلمة. مع توجيه الأب لهم بتجنب الخشونة أثناء اللعب.

ومن الألعاب والرياضات المباحة أيضاً، والتي يمكن أن يمارسها الأولاد الكبار - تحت إشراف الأب - : السباق على الأقدام، فهو جائز بالكتاب والسنة وإجماع الأمة^(٣) فقد ثبت أن رسول الله ﷺ مارسه شخصياً أكثر من مرة، مع السيدة عائشة رضي الله عنها في بعض أسفاره^(٤). وقد

(١) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، حديث (١٩)، ج ٢، ص ٦٠٩.

(٢) البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب من رخص في الرقص إذا لم يكن فيه تكسر وتخنث، ج ١٠، ص ٢٢٦.

(٣) العاصمي، عبد الرحمن بن محمد، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ج ٥، ص ٣٤٧.

(٤) انظر: أبوداود، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، حديث رقم (٢٥٧٨)، ج ٣، ص ٣٠.

تقدم ذكر الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مقدمة هذا المبحث، والمتضمن قيام الرسول ﷺ بصف أبناء العباس رضي الله عنهم ثم أمرهم وحثهم على التسابق إليه، فيستبقون ويقعون عليه فيقبلهم^(١). وهذا دليل واضح على جواز هذا النوع من النشاط، ووضع جوائز تشجيعية له لإثارة النشاط، وبث روح التنافس الشريف بين الأولاد. فيستحسن للأب أن يصطحب أولاده في نزهة، من وقت لآخر فيمارس معهم هذا النشاط الترفيهي البسيط، الخالي من التكلف. ويعطي الفائز من الأولاد جائزة تشجيعية على ذلك.

أما رياضتا الرماية والسباحة، فقد تضمنها الحديث الذي روى عن رسول الله ﷺ حيث قال فيه: «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً»^(٢). وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الرمي منها ما رواه البخاري في صحيحه عندما شاهد رسول الله ﷺ نفرًا من أسلم ينتضلون فقال لهم: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً»^(٣). وفي هذا تحريض، وحث على تعلم الرمي، والتدرب عليه.

ويمكن للأب ممارسة هذه الرياضة الإسلامية مع أولاده عن طريق استخدام القوس والسهام، كما كان الحال على عهد رسول الله ﷺ، فقد أصبح هذا النوع من الرياضة معروفاً اليوم، وله هواة ومحبه.

كما يمكنه استخدام بندقية الصيد التي تعمل بضغط الهواء، فإن خطرها بسيط، سوى أنها تحتاج إلى قليل من العناية والانتباه تحت إشراف الأب. ويستحسن ممارسة هذا النوع من النشاط في الخلاء بعيداً عن المارة، أو على سطح المنزل مع اتخاذ أسباب السلامة اللازمة.

(١) انظر: أحمد، المسند، ج ١، ص ٢١٤.

(٢) الترمذي، الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، ص ٢٣٩. والحديث ضعيف جداً، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٢٧٣١)، ج ٣، ص ١٠١.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، ج ٤، ص ٤٥.

أما السباحة فهي نشاط رياضي حيوي مفيد للبدن، ومن حق الولد أن يتدرب عليها ليتعلمها، ويكون ذلك من خلال اصطحابه إلى أحد الشواطئ النقية الآمنة، أو من خلال المشاركة في أحد الأندية الرياضية المحافظة.

ويخصص الأب يوماً في الأسبوع لممارسة هذه الرياضة الإسلامية العريقة. وإن توفر للأب إمكانية تأمين حوض للسباحة في فناء منزله، فعليه مراعاة أن يكون عمقه مناسباً، وحجمه مناسباً، وأن يأخذ بأسباب السلامة، وأهمها: إشرافه المباشر على نشاط الأولاد في الحوض، وأن يكون الحوض في مكان يمكن إغلاقه، فلا يفتح إلا بإذن الأب، مع مراعاة جوانب السلامة الأخرى المكتملة لذلك من تأمين أطواق النجاة، وطهارة المياه ونظافتها من الآفات.

ولا بأس باللعب بالعرائس، والدمى المصنعة خصيصاً للأطفال الصغار. فقد كان للسيدة عائشة في صغرها لعب من بينها فرس له جناحان تلهو به، وقد أقرها الرسول ﷺ على ذلك ولم ينكر عليها^(١). فاستعمال هذه الدمى المجسمة كلعب للأطفال لا بأس به، ولكن يراعي الأب حسن اختيار نوع اللعبة لولده، فلا يكون اختياره لها عشوائياً؛ فما يصلح لعبة للبنات، لا ينفع دائماً للولد^(*).

ويميل الأطفال إلى اللعب بالأرجوحة، وهو من اللعب الجائز الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، وقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تلعب بها مع صاحباتها قبل دخول النبي ﷺ بها^(٢). ويمكن للأب تأمين أرجوحة للأولاد، يضعها في فناء المنزل، أو على السطح، ويعطي أولاده فرصة للهو

(١) انظر: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في اللعب بالبنات، حديث رقم (٤٩٣٢)، ج ٤، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(*) انظر: الفقرة (رابعاً) من هذا المبحث لمعرفة طريقة اختيار اللعبة للولد.

(٢) انظر: البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب ما جاء في المراجيع، ج ١٠، ص ٢٢٠.

واللعب بها، فإن لم يتمكن من شرائها فإن من السهل تصنيعها من الخشب والحبال، فلا تكلفه إلا اليسير من المال.

ومن الألعاب المحببة للأطفال أيضاً اللهو بالرمل، والشغف والولع به، فلا يكاد يرى الطفل - خاصة الصغير - شيئاً من الرمل في مكان ما إلا وينطلق إليه لاهياً به دون ملل. وهو والله الحمد من اللعب الجائز شرعاً. وقد روى أن رسول الله ﷺ مر على صبيان يلعبون بالتراب فذهب بعض أصحاب النبي ﷺ ينهونهم عن ذلك، فقال: «دعهم فإن التراب ربيع الصبيان»^(١). وهذا الحديث وإن كان غير صحيح إلا أن معناه صحيح؛ لعظم شغف الصبيان بالتراب، وحبهم له، فهو كالربيع عندهم. والخلاف الوارد في موضوع التراب خلاف حول جواز أكله، وليس ثمة خلاف حول جواز لعب الصبيان به^(٢). فإعطاء الولد فرصة في بعض الأوقات ليلهو بالرمل يعد نشاطاً جيداً، خاصة بالنسبة للأطفال الصغار. ومن أفضل أماكن اللعب بالتراب: شواطئ البحار حيث يقل الغبار، ويكون التراب نقياً لكثرة احتكاكه بالماء أثناء عمليتي المد والجزر. واخلط الرمل بالماء لطيف جداً ويحبه الأولاد.

وينبغي أن يتجنب الأب زجر الأولاد عند مبالغتهم في اللعب بالتراب أثناء التزهة على شاطئ البحر، أو في الصحراء. وذلك لأن الوقت وقت ترفيه ولعب وليس وقت انضباط، وليس ثمة وقت ينطلق فيه الأولاد بلا قيود إلا في مثل هذه التزهات البريئة، فلا بد من التغافل عنهم بعض الشيء.

ومن النشاطات الجائزة أيضاً، الرسم والتشكيل، حيث يجوز رسم الأشجار والأحجار، دون ذوات الأرواح^(٣). كما يدخل في ذلك استعمال

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البر والصلة، باب لعب الأولاد، ج ٨، ص ١٦٢. وفي سند الحديث رجل متهم.

(٢) انظر: البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الضحايا، باب ما جاء في أكل الطين، ج ١٠، ص ١١-١٢. وانظر أيضاً تعليق التركماني في الحاشية في كتاب الجواهر النقي من نفس الصفحات المذكورة.

(٣) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك، ج ٣، ص ١٠٨.

التصوير الفوتوغرافي لمعالم الطبيعة وجمالها فهذا جائز بلا خلاف. ومن المفيد أن يتعلم الولد «عملية التحميص»، وكيفية استخراج الصور من الأفلام، فإنها عملية مشوقة ومسلية، وسهلة التعلم، ولا تحتاج إلى خبرة كبيرة.

وقد ازدهرت النشاطات الرياضية اليوم، واتسعت مجالاتها. وأدخلت إليها ألعاب وهوايات كثيرة، ومن هذه الألعاب: رياضة حمل الأثقال، وألعاب القوى الأخرى، وكرة القدم، واليد، والسلة، والطائرة، وكرة المضرب، وتنس الطاولة، وغيرها.

وهذه الألعاب في جملتها لا تتعارض في فكرتها مع التصور الإسلامي العام للألعاب والنشاطات الرياضية. إنما تتعارض يحدث في قضايا فرعية لا علاقة لها بأساس اللعبة وفكرتها. مثل كشف العورة، والتعصب لفريق معين، والخصام والمشادة أثناء اللعب، وضعف الروح الرياضية.

ويامكان الأب التغلب على هذه الأخطاء الفرعية، وتوفير بعض هذه الألعاب لأولاده...، وإعطاؤهم الفرصة للممارسة معها، أو مع بعض أقاربهم، أو أبناء الجيران فيمارسونها في فناء البيت، أو في الزهة. ولا بأس بالانضمام إلى فريق المدرسة الرياضي، أو إلى نادٍ من النوادي الرياضية، إذا تيقن الأب من صلاح القائمين على هذه النشاطات، وأن فائدتها المرجوة للولد أكبر من الضرر المتوقع منها.

وتأمين مثل هذه الألعاب في البيت لمن كان مستطيعاً من الآباء يعد أفضل وأحسن، خاصة وأنها لا تكلف كثيراً. فإن الفناء الذي يبلغ طوله عشرين إلى خمس وعشرين متراً، وعرضه عشرة إلى خمسة عشر متراً، يمكن أن يكون ملعباً جيداً لأكثر من لعبة. فكرة القدم، والسلة، واليد، والطائرة، وكرة المضرب، يمكن أن تمارس في هذه المساحة، كل لعبة في وقت من الأوقات، وذلك لأن شكل المستطيل هو شكل ملاعب هذه الرياضات، فأى مساحة مستطيلة مناسبة الحجم تصلح أن تكون ملعباً لإحدى هذه الألعاب، مع التحكم في عدد اللاعبين بالنسبة للمساحة.

أما بالنسبة لبعض الأجهزة الرياضية مثل أدوات ألعاب القوى فيمكن أن توضع في غرف الأولاد لصغر حجمها، علماً بأن رياضة حمل الأثقال، ومعرفة من يمكنه رفع الأثقل وزناً جائزة^(١).

وبهذا الأسلوب يستغل الأب طاقات الأولاد، وأوقات فراغهم بما يعود عليهم بالفائدة، إلى جانب إشباع نهمهم إلى ممارسة رياضاتهم المفضلة في جو طاهر بعيداً عن التوترات، والمضايقات، والسباب، الذي يصاحب عادة أجواء بعض أندية الأحياء السكنية أو الأندية الرسمية.

ومن الرياضات الإسلامية المعروفة: رياضة ركوب الخيل، وهي رياضة مشهورة على المستوى العالمي في القديم والحديث، وتدريب الأولاد على ركوب الخيل يعتبر نشاطاً رياضياً جيداً. حيث يمكن للأب تسجيل ولده في أحد الأندية المخصصة لهواة ركوب الخيل، فيصطحبه من وقت لآخر لممارسة هذه الهواية.

ولا ينبغي حصر رياضة الركوب والقيادة على الخيول فقط؛ بل يتعداها إلى كل ما يمكن أن يُركب، ويُقاد، ويُتخذ أداة للصيد، أو الحرب، فالسيارات تدخل في هذا العموم أيضاً^(٢).

والأولاد يميلون ويرغبون في اكتشاف طريقة قيادة السيارات، ويتمنى أكثرهم قيادة السيارة، وتحريك عجلة القيادة. وليس ثمة محذور شرعي يتذرع به الأب لمنع تعليم ولده الكبير قيادة السيارة، وإشباع رغبته في هذا الجانب، وحمايته من احتمال إغراء بعض المنحرفين له بقيادة السيارة لينالوا منه مأرباً خبيثاً.

وربما أدى منع الولد من تجربة قيادة السيارة: إلى سرقتها على حين غفلة من الأب، وربما أدى ذلك إلى كارثة لا تحمد عقباه.

(١) ابن قدامة، المغني، ج ١١، ص ١٢٧.

(٢) الدويك، يوسف الشيخ راتب، «الرياضة في الإسلام»، مجلة التربية، العدد (٧٢)، ص

١٢١.

والأولى قيام الأب في بعض الأوقات بتعليم ولده قيادة السيارة من باب تعليمه ركوب الخيل، وإعطائه فرصة إشباع رغبته في ذلك، مراعيًا أن يخرج به للتعليم بعيداً عن تجمعات الناس، وازدحام السيارات.

والمقصود هنا أن الألعاب الرياضية والهوايات المشروعة كثيرة لا تحصر، ويمكن الاستغناء بها عن الألعاب المحرمة أو المكروهة. وهذا من مسؤوليات الأب داخل أسرته مكان سلطانه.

٢ - الألعاب الممنوعة :

جاءت الشريعة الإسلامية بتحريم بعض الألعاب التي كانت على عهد رسول الله ﷺ مثل اللعب بالنرد؛ وهو عبارة عن قطعتين مكعبتين الشكل، على كل وجه من وجوهها رقم، يبدأ من العدد واحد، وحتى العدد ستة. قال عنها عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»^(١)، وفي رواية صحيحة عند الحاكم في المستدرک: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»، وفي رواية أخرى له أيضاً بلفظ: «من لعب بالكعب أو قال بالكعبات فقد عصى الله ورسوله»^(٢). وألفاظ الأحاديث كلها تخص النرد المعروف، والمسمى اليوم بالزهر أو الطاولة^(٣). والنردشير: هو النرد، والكلمة أعجمية معربة^(٤). والكعب: هي أيضاً فصوص النرد^(٥).

وهذه الأحاديث واضحة في تحريم اللعب بالنرد مطلقاً، وقد اتفق السلف رضوان الله عليهم على حرمة اللعب به، ونقل بعضهم الإجماع على

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير، حديث رقم (١٠)، ج ٤، ص ١٧٧٠.

(٢) الحاكم. المستدرک على الصحيحين، كتاب الإيمان، ج ١، ص ٥٠.

(٣) انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩١٢.

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٣٩.

(٥) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٧٩.

ذلك، وهذا لأنه يورث العداوة والبغضاء عند اللاعبين، ويصدهم عن الذكر والصلاة، ويشغل القلب بغير الله عز وجل^(١).

ويقاس على ذلك الشطرنج^(*)، فقد ذهب جمهور العلماء على تحريمه والمنع منه^(٢)، ولعل علة تحريمه كعلة تحريم النرد؛ لما يوقعه في النفس من الشحنة، والبغضاء، والكراهية، والالتفاء عن الذكر والعبادة. وقد ذكر البيهقي رحمه الله أقوال السلف في ذمه وكرهه - بعد أن ذكر أقوال بعض الذين رخصوا فيه - ثم بين أن الأكثر على حرمة، ومعهم من يُحتج بقوله^(٣).

وهاتان اللعبتان المشهورتان، يحذر الأب المسلم من تقديمهما لأولاده، أو السماح لهم باللهو، أو اللعب بهما؛ بل عليه أن يؤمن لهم من الألعاب المباحة - التي تقدم ذكرها أو غيرها - ما يشغل فراغهم، ويسد حاجتهم. ففي ما أباح الله من اللهو كفاية. ولا يلتفت إلى الخلاف في هذه المسألة، فإن الاحتياط في مثل هذه القضايا مطلوب، خاصة وأن مذهب الجمهور التحريم والمنع؛ كما تقدم.

ومن الألعاب المنهي عنها أيضاً، والتي كانت على عهد رسول الله ﷺ: اللعب بالحمام على سبيل تطيورها، وإضاعة الوقت بها. فقد قال عليه الصلاة والسلام عندما رأى رجلاً يتبع حمامة: «شيطان يتبع شيطانة»^(٤). أي يقفو أثرها ويلعب بها، وسُمِّي شيطاناً؛ لاشتغاله بما لا يعنيه، وسُمِّيت

(١) الزرقاني، محمد، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، ما جاء في النرد، ج ٤، ص ٣٥٦.

(*) الشطرنج لعبة هندية، تلعب على لوح من أربعة وستين مربعاً، واثنين وثلاثين قطعة بينها ملكان ووزيران، وكأنها تمثل دولتين متحاربتين. انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٨٢.

(٢) الزرقاني، محمد، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، ما جاء في النرد، ج ٤، ص ٣٥٧.

(٣) انظر: البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب الاختلاف في اللعب بالشطرنج، ج ١٠، ص ٢٢١-٢١٢.

(٤) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في اللعب بالحمام، حديث رقم (٤٩٤٠)، ج ٤، ص ٢٨٥.

شيطانة، لأنها ألتهته عن الحق، وشغلته عما يهيمه في دينه ودنياه. وهذا الفعل من عمل أهل البطالة قليلي المروءة. فيكره اللعب بها. أما اتخاذ الحمام ونحوه للأكل، والتكاثر، والأنس به فلا بأس^(١).

ويجنب الأب أولاده تصوير وتجسيم ذوات الأرواح؛ لورود النهي عن ذلك، ويشغلهم بالرسم والتصوير المباح للحجر أو الشجر^(٢)، ويصرفهم عن هذه الألعاب بالبدائل المباحة.

ويحذر الأب من مشاركة أولاده في بعض الألعاب التي تدخل في القمار، مثل شراء ما يسمى «باليانصيب» المعتمد على الحظ في كسب المال، فهو من الكسب المحرم، إلى جانب أنه يضيع المال^(٣)، وكذلك يمنعهم من جميع أنواع الرهان، إلا ماورد بإباحته في الشرع من أمور الإعداد للحرب؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر»^(٤)؛ فالتسابق بغير عوض جائز في جميع أنواع الرياضات، أما ما وضع له عوض، فإنه لا يجوز، إلا فيما حدده الحديث بالتسابق بين الخيل، والإبل، وفي الرمي؛ لأنها من آلات الحرب المرغَّب في تعلم فنونها^(٥).

وقد جاءت الحضارة المادية اليوم بألعاب كثيرة مباحة في أصلها وفكرتها، ولكنهم أضافوا إليها إضافات منحرفة، وصبغوها بصبغة قبيحة مدمومة. ومن هذه الألعاب المصارعة بين شخصين، فهي في الأصل جائزة^(٦)، إنما الممنوع الذي يخرجها عن كونها جائزة شرعاً: الوحشية، والفوضى التي تُشاهد في حلبات المصارعة في هذه الأيام، إلى جانب محظورات كشف العورة.

(١) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، حديث رقم (٤٩١٩)، ج ٤، ص ١٦٩.
(٢) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك، ج ٣، ص ١٠٨.
(٣) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢، ص ٩٣٢.
(٤) أحمد، المسند، ج ٢، ص ٤٧٤.
(٥) ابن قدامة، المغني، ج ١١، ص ١٢٧.
(٦) انظر: المصدر السابق.

وأما المصارعة الصحيحة والمباحة « تكون في إظهار القوة بالتغلب على الخصم وطرحه على الأرض والتحايل في صد هجمات العدو، وعدم تمكينه من النيل منه، وكل ذلك يتم بمهارة وفن، لا بالضرب واللكم»^(١).

ويدخل أيضاً في المنع رياضة الملاكمة لما فيها من الخشونة، والوحشية المفرطة. وإلحاق الأذى بالخصم، خاصة في الرأس؛ لوقوع الضرب عليه، وربما أتلقت هذه الرياضة الوحشية عين الرجل، أو أنفه، أو سببت له ارتجاجاً في المخ. فالمنع منها وتنفير الأولاد من ممارستها، ومشاهدتها، أمر يتولاه الأب ويحذر من إهماله.

كما أن هذه الأنواع من الرياضة تخالف ما تهدف إليه المواثيق الرياضية المتفق عليها من تقوية البدن، وحمايته من الأمراض، وإكسابه الرشاقة، وتنمية العضلات، وغير ذلك مما نصت عليه هذه المواثيق الرياضية^(*)؛ فإن مباراة واحدة من مثل هذه تذهب بكل ما بناه المصارع أو الملاكم في سنوات، وربما حرمته هذه الجولة من ممارسة الرياضة بالكلية. فلا شك في أن مثل هذه الممارسات الرياضية لا يقرها الإسلام، ولا يجيزها الشرع ولا العقل السوي.

وهناك بعض الألعاب الخطرة التي يمارسها بعض الأطفال دون روية، مثل اللعب بالآلات الحادة، أو الأدوات الحديدية القوية، وتخويف بعضهم البعض بها، وهذا النوع من اللعب جاء النهي عنه على لسان رسول الله ﷺ حيث قال: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه. حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه»^(٢)، وبين عليه الصلاة والسلام سبب المنع في رواية أخرى قال فيها: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح. فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»^(٣). فالشيطان متربص

(١) الوكيل، محمد السيد، الترويح في المجتمع الإسلامي، ص ٥٣.

(*) راجع الفقرة (أولاً) من هذا البحث لمعرفة فوائد الرياضة ومميزاتها.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، حديث رقم (١٢٥)، ج ٤، ص ٢٠٢٠.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم (١٢٦).

بالإنسان أثناء حمله السلاح على أخيه، فيرمي في يده، ويحقق الضربة والرمية، فيناله الدم والخسران^(١). فإذا كان هذا المنع في حق الكبير فكيف بالولد الصغير الذي لا يعقل؟؛ لهذا يحرص الأب على تخلية مكان اللعب من جميع الأدوات الحادة أو القاسية، مثل قطع الحديد، أو الأخشاب القوية الثخينة، أو الأحجار، أو غير ذلك مما يمكن أن يؤذي، ويبالغ في ذم من ثبت عليه من الأولاد ارتكاب هذا المحذور، ويعاقبه إن احتاج الأمر، متخذاً أسلوب التدريج في إيقاع العقوبة^(*).

ومن هذه الألعاب الخطرة أيضاً: اللعب بربط الجبل على العنق ثم شده، أو وضع الرأس داخل كيس من البلاستيك ثم ربطه، أو قذف بعض قطع الموالح في الهواء ثم التقاطها بالفم مباشرة^(٢)، فهذه الألعاب وما شاكلها يمكن أن تذهب بحياة الولد، وتفجع أهله به. وتحذير الأولاد منها، ونهيمهم عن مزاولتها، واجب على الأب يقوم به تجاه أولاده، ويحذر كل الحذر من أن تصدر عنه مخالفة لما يقول، كأن يُشاهد وهو يقذف بقطعة من الفستق في الهواء ثم يلتقطها بفمه أمام الأولاد، فإنهم يقلدونه فوراً، إما بحضوره ووجوده أو في عدم وجوده.

وينبغي أن يعرف أن كل لعبة أو رياضة مباحة إذا عارضت شيئاً من مفاهيم الإسلام كانت محرمة. فالرياضة التي تتسبب في تأخير الصلاة، أو إيقاع الشحناء والبغضاء بين المسلمين، أو الرياضة التي تؤذي الجسم وتلفه، أو الرياضة التي تستهلك جميع وقت المسلم، كل هذه الرياضات وإن كانت من النوع المباح تصبح محرمة لهذه الأسباب التي صاحبت ممارستها. فهذا الهوس الكروي، والتعصب، والمشاتمة، وغيرها من مظاهر الخطأ والانحراف، التي تصاحب عادة المباريات الكروية: لا توافق

(١) انظر: النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٦، ص ١٧١.

(*) راجع الفصل الأول، المبحث الرابع، الفقرة (ثانياً)، لمعرفة الأسلوب الصحيح في إيقاع العقوبة.

(٢) علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ص ٢٤٧.

الإسلام^(١)، لأنها تعارض أبسط مفاهيم الأخوة الإسلامية ومتطلباتها، وربما سببت الفرقة والتناحر، أو القتل، ففي بريطانيا وقع اثنان وأربعون قتيلاً بسبب مباراة في كرة القدم^(٢)، وهذا لا شك ينافي ويعارض مفاهيم هذا الدين الحنيف الذي يأمر بالأخوة بين الأفراد، ونبد الخلاف، والفرقة، والعمل على تأليف القلوب، كما أنها تعارض مفاهيم الإسلام في تحديد القصد والغاية من ممارسة الرياضة، إذ أن الرياضة عند المتعصبين غاية في حد ذاتها، أما عند المسلم الواعي فهي وسيلة لتقوية البدن، والإعداد للجهاد.

لهذا يحرص الأب على بث هذا المفهوم في روع الأولاد، وإشعارهم دائماً بأن الرياضة وسيلة إلى الجهاد بتقوية البدن وإعداده، وليست غاية في حد ذاتها، مراعيًا طبيعة الممارسة، ووقتها وآثارها على الأولاد، ومتجنباً الألعاب والرياضات المخالفة للدين والأخلاق الإسلامية.

ثالثاً: مكان اللعب والرياضة ووقتهما:

يميل الأولاد إلى الحركة واللعب في جميع الأوقات، وفي كل مكان، ومن الصعب المتعذر منعهم من ذلك، فاللعب في مرحلة الطفولة هو مهنة الطفل التي يعبر بها عن نفسه، وكيانه، ويفهم عن طريقها الوجود والبيئة من حوله^(٣)، لهذا لا ينبغي أن يمل الأب من كثرة حركة ولده ونشاطه، فهو ضرورة لنموه، وطبيعة في أصل خلقة وتكوينه.

ولا يعني هذا ترك الولد بلا توجيه وإرشاد في اختيار مكان ووقت اللعب، فإن هذه مسؤولية الأب يحددها مع الولد دون إفراط أو تفريط.

وفيما يخص مكان اللعب فقد ثبت في السنة المطهرة أن مكان لعب الأولاد على عهد رسول الله ﷺ وما بعده في عهد الخلفاء: كان في الطريق،

(١) واصل، عبد الرحمن، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت ضوء الشريعة الإسلامية، ص ١٩٦ - ١٩٨.

(٢) الحماحمي، محمد محمد، أصول اللعب والتربية الرياضية والرياضة، ص ١٧٥.

(٣) زهران، حامد عبد السلام، التوجيه والإرشاد النفسي، ص ٣٤٨.

وكانوا يُقرون الأولاد على ذلك، ولا يُنكرون عليهم، ولا يمنعونهم، فقد روى الإمام أحمد في المسند أن رسول الله ﷺ خرج إلى طعام كان قد دعي إليه مع بعض أصحابه، «فاستقبل رسول الله ﷺ أمام القوم وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي ههنا مرة، وههنا مرة فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه»^(١).

وعن عقبة بن الحارث قال: «صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر، ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي. وعلي يضحك»^(٢). وكان عمر الحسن إذ ذاك سبع سنوات^(٣).

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مر على عبد الله بن الزبير وهو صبي يلعب مع الصبيان ففروا ووقف هو، فقال له عمر: «مالك لم تفر مع أصحابك؟» قال: «يا أمير المؤمنين لم أجرم فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك»^(٤)، ومر ابن عمر رضي الله عنهما مرة في الطريق فرأى صبياً يلعبون فأعطاهم درهمين^(٥).

ومما تقدم من الأحاديث والروايات يتضح أن لعب الصبيان على عهد رسول الله ﷺ، وعهدي أبي بكر وعمر: كان في الطريق دون نكير، أو منع. ولعله كان أنسب مكان للعب في ذلك الوقت.

أما في ظروف اليوم، وأحوال المدن فإن لعب الأولاد في الطريق يعد مخاطرة بحياتهم، لوجود السيارات، والعربات، والدراجات النارية التي تغدو وتروح. أما في ذلك العهد القديم لم تكن هناك خطورة، فوسائل النقل كانت الدواب وخطرها على المارة قليل.

(١) أحمد، المسند، ج ٤، ص ١٧٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ج ٤، ص ٢٢٧.

(٣) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٤، ص ٤٩.

(٤) ابن الجوزي، الأذكياء، ص ٢٤٢.

(٥) انظر: البخاري، الأدب المفرد، باب لعب الصبيان بالجوز، حديث رقم (١٣٠٣)، ص ٤٢٧.

والمستحسن اليوم توفير أماكن مأمونة للعب الأولاد في داخل أحياء المدن المزدهمة، وتسويرها، لضمان حمايتهم من خطر السيارات. كما يمكن تأمين أندية خاصة بالأطفال، أو فروع خاصة بالأطفال داخل الأندية الرياضية الكبيرة ليمارس الأولاد فيها لعبهم.

وإن لم يتمكن الأب من كل هذا، ولم تتوفر هذه الإمكانيات، خصص لأولاده مكاناً في فناء المنزل، أو على سطحه، أو على الأقل خصص غرفة في البيت يمارس فيها الأولاد بعضاً من لعبهم، ورياضتهم البسيطة، ويكمل هذا النقص الحاصل من ممارستهم للرياضة في البيت بأخذهم من وقت لآخر خارج المدينة في نزهة حيث الهواء الطلق، والمكان المأمون لممارسة بعض النشاطات الرياضية الأخرى.

أما إن كان سكن الأب خارج المدينة في قرية من القرى البعيدة عن صخب المدن، وازدحام السيارات، فإن لعب الأولاد في الطريق لا بأس به، مع مراعاة الحقوق العامة، وآداب الطريق.

ويتخير الأب لأولاده وقت اللعب حين اعتدال الجو. ويُخَدِّرهم من اللعب في الشمس أثناء شدة حرارتها في الظهيرة، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما روى عنه: «لا تُطيلوا الجلوس في الشمس، فإن الشمس تُغيِّر اللون، وتقبض الجلد، وتبلي الثوب، وتبعث الداء الدفين»^(١). وربما أُصيب الولد بالضربة الشمسية، لطول مكثه تحت أشعتها الحارة، فيراعي الأب هذه القضية الصحية، خاصة إن كان في بلاد حارة، فيتخذ مظلة في فناء الدار تقي الأولاد أشعة الشمس، أو يلزمهم باللعب وقت اعتدال الجو، ويشغلهم في غير ذلك الوقت باللعب داخل المنزل.

وروي أن رسول الله ﷺ أمر علياً رضي الله عنه أن لا يبقى الحسن والحسين في الحر، فقدرت فاطمة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ أتاها

(١) الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة، ص ٢٧٥.

يوماً فقال: أين ابناي؟ فقالت: ذهب بهما علي. فتوجه رسول الله ﷺ فوجدهما يلعبان في مشربة(*) . وبين أيديهما فضل من تمر. فقال: يا علي ألا تقلب ابني قبل الحر؟^(١). فهذا أمر من رسول الله ﷺ لعلي بأن يحفظ الحسن والحسين رضي الله عنهما من الحر، الذي يمكن أن يضر بهما. وللأب المسلم في رسول الله الأسوة والقُدوة في ذلك رحمة بالأولاد، وإشفاقاً عليهم.

ويحفظ الأب أولاده أيضاً من اللعب في المطر خاصة أثناء الصواعق والبرق، فقد روى أن الحسن والحسين كانا عند رسول الله ﷺ في المسجد أثناء الصلاة، فقال أبو هريرة رضي الله عنه بعد أن انتهت الصلاة: «ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ قال: لا، فبرقت برقة، فقال: الحقاً بأمكما. فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا»^(٢). وفي هذا الحديث تظهر شفقة رسول الله ﷺ وحرصه على سلامة الأولاد من أذى الصواعق والمطر، وأمره بحفظ الأولاد في البيوت في هذه الأوقات، وعدم السماح لهم باللعب خارجها حتى يصفو الجو.

وأفضل أوقات ممارسة الرياضة: عند الصباح قبل تناول الإفطار^(٣). وتنظيم ذلك يكون بعد استيقاظ الولد من نومه فيؤمر بالاستحمام، ثم يُعطى فرصة للعب بعض الوقت، ثم يُطعم شيئاً يسيراً من الأكل، ثم يُعطى فرصة أطول للعب والاستمتاع، ثم يستحم ويأكل^(٤).

وينبغي الحذر من اللعب والرياضة أثناء امتلاء البطن، وقبل انهضام الطعام، فإن أفضل وقت لممارسة الرياضة عندما لا تكون المعدة ممتلئة ولا

(*) المشربة: هي المكان الذي يُشرب فيه، وهو الأرض اللينة دائمة النبات. انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٧٧.

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٦٥. والحديث صححه الحاكم وخالفه الذهبي.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ١٦٧. والحديث صحيح الإسناد.

(٣) الدرغ، محمد خير، التربية البدنية في الإسلام، ص ٨٩ - ٩٠.

(٤) ابن سينا، القانون في الطب، ج ١، ص ١٥٧.

خاوية، وذلك لأن الغذاء يحتاج في انهضامه إلى السكون والنوم، والحركة لا تساعد على حسن الهضم^(١).

وإن مراعاة الأب لهذه القضايا الصحية يعود على أولاده بالفائدة وحسن الاستمتاع باللعب والرياضة، ويحميهم من الأمراض والآلام المتنوعة التي تحصل عادة من مخالفة القواعد والآداب الصحية.

رابعاً: اختيار اللعبة:

يتولى الأب توجيه ابنه لاختيار أفضل اللعب وأنفعها له، والتي يكون لها تأثير طيب على الولد، إذ أن للعبة أثراً إيجابياً وآخر سلبياً على نفس الولد. فالألعاب الميكانيكية التي تعمل بالزملك تثير الخوف عند الطفل الصغير الذي لم يبلغ الخامسة، وسرعان ما يحطمها. واختيار لعبة تجر على العجلات - مثلاً - لطفل الخامسة: يعطيه إحساساً بالشعور بالقوة، إذ أنه هو الذي يُديرها، ويقودها، ويكون التأثير هنا أفضل لنفس الولد^(٢). كما أن القوالب الخشبية تعتبر أكثر الأدوات إثارة وتنبيهاً للأطفال الصغار، لتنوع إمكانية استخدامها، واللهو بها^(٣).

ولا بأس بشراء الألعاب المجسمة لصور الحيوانات، كالقطط، والغزلان، والخيول، والأبقار، والدواجن، وغيرها من المصنعة خصيصاً للأطفال. وذلك لورود جواز اقتناء هذه الألعاب، وإقرار الرسول ﷺ للسيدة عائشة في صغرها على اللعب بفرس له جناحان^(٤). ويحذر الأب عند اختيار اللعبة من هذا النوع: أن يقع اختياره، أو اختيار ولده على صورة خنزير، أو

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٠ و ج ٢، ص ٣٢١.

انظر أيضاً: ابن القيم، الطب النبوي، ص ١٩٢.

(٢) انظر: لادل، ر. م.، مشكلات الطفولة، ص ٣٦.

(٣) سبوك، بنجامين، مشكلات الآباء والأمهات، ص ٩٧.

(٤) انظر: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في اللعب بالبنات، حديث رقم (٤٩٣٢)،

ج ٤، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

كلب، أو نوع من هذه الحيوانات النجسة الخبيثة، وذلك لقطع صلة الولد بهذه الحيوانات المذمومة في الشرع، فلا يقع في نفسه أي ميل لها بالكلية، ولا شك في أن اختيار دمية كلب، أو خنزير، أو فأر، فيه إيحاء للطفل باستلطف هذه الحيوانات والدواب.

ويراعي الأب عند اختيار اللعبة أن يكون لها هدف تربوي مفيد، فالأطفال في السادسة يميلون إلى الألعاب التركيبية القابلة للفك والتركيب^(١)، فيحاول الأب عند شرائه للعبة الولد أن يقع اختياره على هذا النوع من الألعاب، لأنها تثير تفكير الولد واهتمامه إلى مدة أطول، وفائدتها للولد أكبر لاستخدامه عقله في فكها وتركيبها، وهي أكثر إثارة له في هذا السن من الألعاب التي تلف أو ترقص، لأن أثرها يزول سريعاً^(٢).

والأب يستوحي من ميول ولده وتصرفاته: نوع اللعبة التي تناسبه، وتكون أكثر نفعاً له. فالولد الذي يرغب في القفز، وتمارين الرشاقة، يمكن أن يؤمن له السرير الخاص بالقفز. والولد الذي يميل إلى التسلق في أشواب سترة النافذة، يمكن أن تؤمن له ألعاب في هذا المجال، مثل الحبل ذي العقد المخصص للتسلق. فيمارس الولد رياضته ولعبته المفضلة دون إزعاج لغيره. والولد الذي يميل إلى فك الألعاب، واكتشاف بواطنها، تُؤمّن له ألعاب قابلة للفك والتركيب؛ ليشبع نهمه. وهكذا يراعي الأب ميول الولد ورغباته مستوحياً ذلك من مشاهداته له وملاحظاته لسلوكه وتصرفاته.

ويُنصح الأب أيضاً باختيار الألعاب التي تنمي مهارات القراءة والكتابة والحساب عند الأولاد في سن المدرسة، أو ما قبلها بقليل، ليتهيأ للعلم، ويكون لعبه مفيداً هادفاً، مثل الألعاب التي تعتمد على تركيب الكلمات، أو الجمع والطرح، ونحو ذلك.

وبالنسبة للولد الكبير في سن الطفولة المتأخرة، فإنه يميل عادة إلى تعلم

(١) الحسن، علي، أطفالنا (نموهم - تغذيتهم - مشكلاتهم)، ص ٢٨٧.

(٢) ثيرستون، ثلما جوين وكاترين مان بيرن، القدرات العقلية عند الأطفال، ص ٩١.

المهارات اللازمة لشؤون الحياة ومتطلباتها^(١)، فإشراكه في إصلاح الباب، أو النافذة، أو تغيير إطار السيارة، أو الكشف على الماء والزيت فيها، وتعليمه بعض مهارات النجارة والميكانيكا، وتأمين أجهزتها ومستلزماتها الفنية له، كل هذه الإجراءات التربوية الموجهة: يمكن أن تنمي في الولد جوانب شخصيته، وتوجه طاقته الحركية والفكرية المتوقدة نحو ما يعود عليه بالخير والفائدة، ويكون اختيار الأب للنشاط أو اللعبة مبنياً على الوعي الصحيح بحاجات الطفولة، وترسم الأهداف والغايات المنشودة.

وهناك أنواع من الألعاب قد غزت أماكن بيع لعب الأطفال، وهي الألعاب الإلكترونية التي بدأ الاتجاه نحو صناعتها في القرن التاسع عشر، فما أن حل عام ١٩٨١ م حتى أصبح كمبيوتر المنزل والجيب متاحاً للجميع. وتعتمد هذه الألعاب على سرعة الانتباه، والتفكير، والتركيز، والتوافق بين اليد والعين. ومن مميزات أنها تُلعب في أي وقت، ولا تحتاج في بعض الأحيان لأكثر من شخص واحد، إلى جانب أن بعضها سهل الحمل، رخيص السعر^(٢).

وقد اكتسبت هذه الألعاب الإلكترونية شهرة واسعة، وقدرة فائقة على جذب اللاعبين وإغرائهم مما أدى إلى إضاعة كثير من أوقاتهم، وأودت ببعضهم إلى حد الإدمان المفرط مما اضطر بعض الدول إلى تحديد سن الأشخاص الذين يُسمح لهم بممارسة هذه الألعاب في الأماكن العامة، وذلك حفاظاً على الأطفال الصغار من إغراء هذه الألعاب وجذبها^(٣).

والظاهر مما تقدم أن لهذه الألعاب جانبين أحدهما مسلٍ يمكن أن يشغل بعض فراغ الولد، والآخر سيء مضر، لخشية الإدمان وإضاعة الوقت في اللعب، مما يترتب عليه إهمال كثير من الجوانب التربوية الأخرى في

(١) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، ص ٢٣٣.

(٢) انظر: درويش، كمال ومحمد الحماحي، الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، ص ٢١٩ - ٢٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

النشاطات الثقافية، والاجتماعية، والرياضية، التي يمارسها وينظمها الأب لأولاده.

ولعل الحل الأمثل لهذه المسألة هو تعليم الولد وتعويده التوسط في الأمور، وتخصيص وقت لكل نشاط، فيعطى لهذه الألعاب وقتاً ولغيرها وقتاً آخر. ويراعي الأب عند اختيار اللعبة الإلكترونية، أن تكون من النوع الكبير الذي يصعب حمله لئلا يتعود الولد حملها أين ما ذهب، ويراعي أيضاً أن تكون اللعبة ذات أهداف علمية، وثقافية، ويتجنب قدر المستطاع الأنواع التي لا تتضمن أهدافاً تربوية، مثل صراع الطائرات، والدبابات، والجنود، التي تعتمد على سرعة البديهة، والمهارة الحركية فقط. ويختار من بينها ما يمكن أن يلعبه أكثر من شخص ليحصل للأولاد الاجتماع، ونبذ الفردية.

وبهذا يكون الأب قد استفاد من الجانب المفيد في هذه الألعاب، وحفظ الأولاد من إمكانية إضرارها بهم، وأسرها لهم.

الفصل الخامس

أهم العقبات التي تواجه الأب في

طريق التربية الإسلامية

مقدمة

المبحث الأول: الانحرافات الجنسية أسبابها وعلاجها

المبحث الثاني: التلفزيون

المبحث الثالث: الغناء والموسيقى

المبحث الرابع: المخدرات

المبحث الخامس: الطلاق

المبحث السادس: خطر الخادمت الأجنبيات

المبحث السابع: الفراغ

الفصل الخامس

أهم العقبات التي تواجه الأب في طريق التربية الإسلامية

مقدمة :

تواجه الأب المسلم في طريق التربية الإسلامية عقبات خطيرة تضعف عملية تنشئة الولد تنشئة إسلامية متكاملة، فالإعلام بوسائله المختلفة، والشارع، والمدرسة، وغيرها يشاركونه في تربية ولده، وتعليمه، وتوجيهه. ولا شك أن لهذه المتغيرات المختلفة أثراً في تربية الولد، إلا أن التربية في البيت المسلم، الملتزم بمنهج الله عز وجل أثمرها في الولد أكبر وأعمق من كل هذا.

ولا يجوز للأب أن يقصر أو يهمل في المحافظة على ولده، وتربيته على منهج الإسلام معتزلاً بقوة التيار المنحرف، معتقداً أن جهاده في تربية ولده تربية إسلامية صحيحة لن يكون له ذلك الأثر البالغ الذي يمكن أن يقف صامداً أمام قوة الانحرافات وشدتها، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالاستقامة على المنهج الصحيح،^١ والجهاد في تطبيقه، أما النتائج والثمار فلله وحده، إن شاء حقق قطفها، وإن شاء حرمننا ذلك لحكمة هو أعلم بها وأدرى، فلا مجال للأب المسلم في التهرب والتخلي عن واجباته بعد أن أهاب الله بالمؤمنين إنقاذ أنفسهم وأهليهم من النار، حيث قال جل وعلا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^(١).

(١) التحريم . ٦

ووصف عليه الصلاة والسلام المستقيم على منهج الله عز وجل عند فساد الأمة بأنه كالقابض على الجمر، حيث قال: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»^(١). ولعل هذا الزمن الذي تحياه الأمة في هذا العصر هو المقصود بالحديث، فالمستقيم على دينه يواجه عنتاً شديداً في المجتمع المسلم فضلاً عن المجتمعات الكافرة، فقد أصبح الإسلام بين أهله غريباً مجهولاً.

وبناء على ذلك فإن تملص الأب من واجباته التربوية ليس هو الحل الصحيح للمشكلة؛ بل مضاعفة الجهد، والإيجابية هي الحل الأمثل، والطريق القويم لتصحيح الأوضاع المنحرفة. ولا بد أن يعرف الأب أن «أهم أسباب تشرد الأجيال الحديثة من الشباب، وانغماسهم في انحرافات الشذوذ الجنسي، وانحرافات المخدرات، وانحرافات الجريمة، هو غياب سيطرة الأب»^(٢)، تلك السيطرة التي تحول بين الولد ونفسه التي تراوده بالانحراف، وذلك خجلاً وحياء، أو رهبة من العقاب. وهذا الأثر لا يتحقق عادة في نفس الولد من شخصية الأم العاطفية، لهذا كان للأب المسلم ثقله ومكانته الهامة في البيت، حيث يجازي المحسن، ويعاقب المسيء، لتستقيم الحياة وتزدهر.

ومما يحمس الأب المؤمن على المجاهدة في تربية الأولاد، والمحافظة عليهم من الانحرافات: ذلك الأمل في المثوبة عند الله، وحصول الخير بدعاء الولد الصالح للأب بعد الممات، تلك الدعوات المباركات التي يصل ثوابها إلى الأب في قبره، وقد انقطع عن الدنيا، ونسيه كل الأحبة إلا الولد الصالح، الذي جاهد والده في تنشئته وتربيته على الدين، فكان له ذخراً، وفلاحاً في الآخرة، قال عليه الصلاة والسلام: «إذا مات الإنسان انقطع عنه

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الفتن، باب رقم (٧٣)، حديث رقم (٢٢٦٠)، ج٤، ص ٥٢٦. والحديث غريب.

(٢) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج٢، ص ٩٧.

عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

وفي هذا الفصل، ومن خلال مباحثه نتعرض لبعض مظاهر الانحرافات الخطيرة التي تواجه الأب المسلم فتعيق عليه تربية أولاده تربية إسلامية صحيحة، مثل: الانحرافات الجنسية المختلفة، وخطر أجهزة الإعلام، والغناء الماجن، ومشكلة المخدرات، إلى جانب التعرض لبعض القضايا التي يمكن أن تكون سبباً رئيسياً للانحراف مثل مشكلة انفصال الأبوين، وأثر الخدمات المنحرفة على تربية الولد، ونحاول في كل ذلك بسط المشكلة، ثم وضع بعض الحلول الإسلامية لها في ضوء الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، وفتاوى العلماء المسلمين. وذلك ليقف الأب المسلم مزوداً ببعض المعلومات والوسائل التي تساعده على مواجهة هذه المشكلات التي تتعرض لها أسرته في طريق التنشئة الإسلامية في هذا العصر.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (١٤)، ج ٣، ص ١٢٥٥.

المبحث الأول

الانحرافات الجنسية أسبابها وعلاجها

أولاً: مظاهر الانحرافات الجنسية

(١) - اللواط والشذوذ الجنسي

(٢) - الزنا

(٣) - العادة السرية

ثانياً: التربية الجنسية

(١) - الاستئذان وآدابه

(٢) - المعلومات الجنسية

المبحث الأول

الإنحرافات الجنسية أسبابها وعلاجها

يعيش العالم حالة من الإثارة الجنسية العارمة المنذرة بالهلاك والدمار العام، فلا يكاد الإنسان ينظر يمينه أو شماله إلا ويجد تلك الإثارة التي تدغدغ الرغبات الجنسية في الرجل والمرأة، وتلهب نار الشهوة فيهما، فالتلفاز، والإذاعة، والمجلة، والجريدة، كل هذه الوسائل تصب في بحر الإغراء والتحريض على الفواحش. وحتى الإعلانات الدعائية للمنتجات الاستهلاكية المختلفة تحمل الصور الإغرائية، حتى الإعلانات لإطارات السيارات تجدها وقد صُوِّرت بجانبها امرأة شبه عارية، فلا يكاد يُوجد إعلان دعائي بدون امرأة عارية أو شبه عارية^(١). وفي الشارع اختلط النساء المتهتكات المتبرجات بالرجال، فمن وقت لآخر في هذه الشوارع والأسواق تُسمع عبارات الغزل، والإغراء بالفاحشة بين الجنسين، وقد انبطلت عيون الشباب تترقب نظرة، أو حركة من الفتيات المتهتكات حتى يلحقوا بهن أملاً في تحقيق مآربهم الخبيثة.

وإن الناظر في الشارع المسلم يجد هذا واضحاً جلياً لا يخفى؛ بل حتى البلاد التي تقيد نساؤها بالحجاب الموروث المنبثق لبسه عن العادة الجارية، والتقليد الأعمى ظهرت على أكثرهن علامات كرهه، والرغبة في خلعه، والتخلص منه بالكلية. ويظهر ذلك في النساء الكاسيات العاريات، اللاتي وضعن الحجاب ليزيدهن إغراء وغواية، فكثير منهن تبدي بعض شعرها مصففاً بطريقة مغرية، وقد أبدت وجهها وعليه ألوان من المساحيق المختلفة، وربما لبس بعضهن البنطلون الضيق، ومن وقت لآخر تكشف طرفاً

(١) انظر: المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، ص ٧٩.

من عباءتها الرقيقة القصيرة ليظهر بعض ما تخفيه من الزينة الباطنة، إلى جانب استعمال الأحذية المرتفعة التي يتطلب السير بها التكسر والتمايل.

والعجيب أن هذا يحدث بين ظهراي المسلمين دون نكير، فلا يكاد يُرى الرجل في السوق ينهى النساء عن التبرج، أو الشباب عن التميع والتهتك، إلا من بعض رجال الهيئات الرسمية، دون أن يكون لهم من رجال المجتمع معين أو مساعد، بل ربما وجدوا منهم المشبط المنكر عليهم قيامهم بواجباتهم.

وقد ساقّت كثرة الانحرافات الجنسية وشيوعها بعض البلاد المنتسبة إلى الإسلام إلى إباحة الزنا في قوانينها، وتنظيم عملية البغاء، والسماح بفتح دور للدعارة المنظمة، إلى جانب الترخيص بفتح الملاهي، والمراقص، مما يسوق هذه الدول وحكوماتها إلى الكفر، ووقوعها تحت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١). بل إن الفوضى الجنسية العارمة أدت إلى ظهور الشذوذ الجنسي بصورة جديدة، ومنظمة، وقوية، مما جعل قضية الضلال الجنسي باكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء مشكلة خطيرة تنذر بالانقراض، وانتشار أمراض جديدة فتاكة لا علاج لها^(*).

لهذا كان واجب الأب المسلم أن يكون باباً قوياً مغلقاً في وجه هذه الانحرافات، واثقاً بالله عز وجل، ومتعلقاً بحبله المتين، وقد فرغ من قلبه اليأس والقنوط، ووضع نصب عينيه الأمل في الإصلاح، وله في رسول الله والأنبياء من قبله عليهم جميعاً الصلاة والسلام وفي مجددتي الأمة وعلمائهما القدوة في نبذ اليأس، والسعي الجاد وراء بصيص من الأمل في الإصلاح والتغيير.

وفيما يلي نضع يد الأب على بعض أخطر المظاهر الجنسية المنحرفة وسبل علاجها في ضوء الكتاب والسنة، وفتاوى العلماء.

(١) المائدة ٤٤.

(*) انظر: ما كتبه العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله واصفاً مظاهر الفساد والانحرافات الخلقية =

أولاً: مظاهر الانحرافات الجنسية:

١ - اللواط والشذوذ الجنسي:

حكى الله عز وجل في كتابه المنزل قصة قوم لوط، الذين شاعت فيهم فاحشة اللواط، فقال تعالى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ . أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهَلُونَ﴾^(١). ولما كانت هذه الفعلة من أعظم المعاصي والكبائر التي توجب غضب الرب عز وجل، كان عقاب أصحابها من أفظع العقوبات وأشنعها، فقد حكى سبحانه وتعالى كيف عاقبهم بعد أن عتوا واستكبروا فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنِهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ . مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾^(٢). فتنوع عقابهم بين الرمي من علو، والرجم بالحجارة، وذلك لفظاعة جرمهم، وسوء فعلتهم.

ولم تكن هذه الفاحشة معروفة لدى العرب في جاهليتهم، فقد قال الوليد بن عبد الملك رحمه الله: «لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً»^(٣). ورغم هذا فقد حذر الرسول ﷺ من هذه الفاحشة، وكأنه ألهم وقوعها في الأمة، وابتلاء البعض بها حيث قال: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط»^(٤)، وقال أيضاً مبيناً أن هذه الفاحشة إذا اجتمعت ببعض الجرائم الأخرى أوجبت الدمار للأمة والهلاك: «إذا استحلت أمتي ستاً فعلتهم الدمار: إذا ظهر فيهم التلاعن،

= في بلاد المسلمين وذلك في كتابه: «الحجاب»، ص ٤٤ - ٥٢.

(١) النمل ٥٤ - ٥٥.

(٢) هود ٨٢ - ٨٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٦٣.

(٤) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي، حديث رقم (١٤٥٧)، ج ٤، ص ٥٨. والحديث حسن غريب.

وشربوا الخمر، ولبسوا الحرير واتخذوا القيان، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء»^(١). أي استغنى كل جنس بنوعه، فالذكر يقضي وطره مع الذكر، وكذلك الإناث. وقال في حد اللوطي وعقابه: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»^(٢). وقد كان بعض السلف رضوان الله عليهم يرى في عقاب اللوطي أن يُرمى من بناء مرتفع، ثم يُرجم بالحجارة حتى الموت، دون النظر ما إذا كان محصناً أو غير محصن^(٣). وقد نُقل عن أربعة من الخلفاء إحراق من تلبس بهذه الجريمة وهم: أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك^(٤).

وقتل المفعول به الراضي بالوطء أفضل من استبقائه مع الجلد أو التعزير، وذلك لأن هذه الفعلة القبيحة تفسده فساداً كبيراً، فتزِيل معاني الرجولة من نفسه، ويكون مصيدة للمنحرفين الشاذين يقضون منه وطهرهم، فينافس بذلك النساء، يقول ابن كثير رحمه الله واصفاً أضرار اللواط:

«إن في اللواط من المفساد ما يفوت الحصر والتعداد، ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه، ولأن يُقتل المفعول به خير من أن يؤتى في دبره، فإنه يفسد فساداً لا يرجى له بعده صلاح أبداً، إلا أن يشاء الله، ويذهب خبر المفعول به. فعلى الرجل حفظ ولده في حال صغره وبعد بلوغه، وأن يجنبه مخالطة هؤلاء الملاحين، الذين لعنهم رسول الله ﷺ»^(٥).

(١) الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم (١٠٩٠)، ج ٢، ص ٥٣.
(٢) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الحدود، ج ٤، ص ٣٥٥. والحديث صحيح الإسناد.

(٣) انظر: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الحدود، في اللوطي حد كحد الزاني، ج ٩، ص ٥٢٩ - ٥٣٠.

(٤) المنذري، الترغيب والترهيب، كتاب الحدود، الترهب من اللواط وإتيان البهيمه والمرأة في دبرها سواء كانت زوجته أو أجنبية، ج ٣، ص ٢٨٩.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٦٢.

ولا تقتصر مضار هذه الفاحشة على الجانب النفسي فحسب، بل لها مضار جسمية كثيرة أقلها الابتلاء بمرض نقص المناعة «الايذز»، ذلك المرض الفتاك الذي لم يجد له العالم دواء ناجحاً رغم السعي الحثيث، والمحاولات الكثيرة، والدعم المالي المستمر*).

ومشكلة اللواط اليوم لا تقتصر على وجود أشخاص شاذين في أنحاء متفرقة من العالم، بل قد أصبح لهؤلاء المنحرفين جمعيات رسمية تحميهم، وتنظم عملهم القبيح، ولا يقتصر نشاط هذه الجمعيات على البالغين فقط، بل أصبح إتيان الصبيان الصغار في أمريكا أمراً معروفاً، له جمعيات خاصة. كما أن استخدام هؤلاء الصبيان في الجنس، وتصويرهم في مواقف جنسية شاذة للتجارة بصورهم أصبح أيضاً أمراً منظماً^(١)، ففي نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية يُستغل أكثر من عشرين ألف طفل في أغراض جنسية بواسطة شركات الدعارة المنظمة، وهذا فقط خلال النصف الأخير من عام ١٩٧٧م^(٢). وبعض التقديرات والإحصاءات المعتدلة تشير إلى أن ١٠٪ من الأطفال في أمريكا يتعرضون للاعتداء الجنسي في كل عام^(٣)، وفي بريطانيا التي أبحاث قوانينها اللواط يوجد ما يقارب من ستين ألف غلام يمارسون هذه الفاحشة من أجل كسب المال^(٤) (***)، وفي ألمانيا أبحاث هذه الفاحشة أيضاً ولكن بشرط رضا الطرفين، وفي حالة صغر المفعول به يكون الرضا بيد وليه^(٥).

(*) لمزيد من المعلومات حول الأضرار الجسمية لفاحشة اللواط انظر: واصل، عبد الرحمن، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت ضوء الشريعة الإسلامية، ص ١٤٣ - ١٤٥. وانظر أيضاً: البار، محمد علي ومحمد أيمن صافي، الايدز وباء العصر.

(١) انظر: البار، محمد علي، الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها، ص ٤٧ - ٥٩.

(٢) المسلاتي، مختار خليل، أمريكا كما رأيتها، ص ١٤٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٤) دياب، عبد الحميد وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، ص ١٧٨.

(**) لمزيد من المعلومات حول الاعتداءات الجنسية على الأطفال انظر: البار، محمد علي

ومحمد أيمن صافي، الايدز وباء العصر، ص ٤٥ - ٥٦.

(٥) المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، ص ٨٢.

إن القضية إذا انحصرت في البالغين الذين اختاروا لأنفسهم هذا النهج المنحرف: تكون قضية اختيار منهم عن طواعية ورضا، أما أن تصل إلى غير المكلفين من الأطفال الأبرياء، فيتشربوا هذه الفاحشة منذ نعومة أظفارهم فإن المسألة تكون بذلك خطيرة للغاية. فما هو البناء النفسي الذي سوف يكون عليه هؤلاء الأطفال إذا كبروا؟ وهل سوف يفوقون أساتذتهم في هذا المجال المنحرف لعمق خبرتهم، وطول باعهم؟ وكيف سوف يواجه العالم هذه المشكلة في المستقبل؟

إن إيراد مثل هذه الإحصائيات عن المجتمع الغربي لا يعني أن المشكلة لا تخص المجتمع المسلم، فإن العالم اليوم يُعد قرية واحدة لعمق الصلات، والمصالح المشتركة، وسهولة المواصلات والاتصالات بأنواعها، واختلاط المسلمين بغيرهم في البلاد الإسلامية، وغير الإسلامية، مما يُنذر باحتمال انتشار مثل هذه الجرائم الشنيعة بين أوساط المسلمين.

ولا يعني عدم نشر إحصاءات عن أوضاع الشذوذ الجنسي في المنطقة الإسلامية خلوها من هذه الفاحشة الممقوتة، فإن حالات الشذوذ الجنسي توجد في كل مجتمع مع فروق في النسبة^(١)؛ بل وحتى المجتمع المسلم في القديم قد ابتلي بعض أفراداه بالميل إلى المردان، ومجالستهم، وربما قام بعض المنحرفين منهم بعمل الفعلة القبيحة^(٢). لهذا كان بعض علماء السلف رحمهم الله يحذرون من مجالسة الأُمرد، وينهون عن حضوره إلى حلقهم خشية الفتنة به^(٣)، وقد نص ابن قدامة في المغني على أن «الأُمرد إن كان جميلاً يخاف الفتنة بالنظر إليه لم يجز تعمد النظر إليه»^(٤)(*) .

والأُمرد هو الشاب الذي لم تنبت لحيته بعد، حيث يتراوح عمره ما بين

(١) صحيفة المسلمون، وأندية الشذوذ تهدد، العدد (١٤٦)، ص ٣.

(٢) انظر: ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٩٧ - ٩٨.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٩٠ - ١٠٤.

(٤) ابن قدامة، المغني، ج ٧، ص ٤٦٣.

(*) لمزيد من المعلومات حول مواقف السلف تجاه الفتنة بالأُمرد واحتياطهم في ذلك انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، ج ١٥، ص ٣٧٤ - ٣٧٧.

العاشرة والخامسة عشرة^(١). وفي هذه السن خاصة يحرص الأب على حماية ولده من الشاذين، ويحذر إهمال ذلك، فقد اعترف أحد الشاذين العرب، وباح بسبب انحرافه وشذوذه، حيث كان أبواه يهملانه بانشغالهما خارج البيت، وهو في سن الطفولة، مما أدى إلى وقوعه ضحية لأحد رفاقه السوء، حيث كان يجهل الخطأ والصواب^(٢).

ولا بد للأب أن يحذر أيضاً كل من لا يخاف الله من الفساق، حتى وإن كان بعضهم من الأقرباء، أو الجيران، أو الأساتذة، فإن الإحصاءات في أمريكا تشير إلى أن أكثر الاعتداءات الجنسية على الأطفال تقع من أفراد يعرفونهم مثل أستاذ المدرسة، أو طبيب العائلة، أو مستشار المخيم^(٣)، فلا يترك الأب مجالاً لخلوة الولد بأحد هؤلاء مهما كانت الظروف.

وربما يحدث الاعتداء الجنسي على الولد من قبل طفل أكبر منه سناً، فإن بعض الأطفال ينضجون جنسياً في مرحلة مبكرة^(٤)، كما أنه بالإمكان قيام علاقات جنسية بين الأولاد قبل البلوغ^(٥). لهذا فإن اختيار الأب لأصدقاء الولد ممن هم في سنه، أو أصغر سناً يعد اختياراً حسناً مأموناً، فلا يتركه يصاحب الكبار من الصبيان إلا أن يضمن، ويتأكد من استقامتهم، وحسن تربيتهم.

ويتنبه الأب للتقليل من خلوة الولد قبل سن البلوغ بغيره من الصبيان، ويعمل على أن يكون عددهم ثلاثة أو يزيدون، وذلك للتقليل من احتمال غواية الشيطان لهم، فالشيطان أقرب لثلاثين منه إلى الثلاثة.

ومن أعظم أسباب انتشار هذه الفاحشة، وجرأة أهلها: الميوعة، والتخنت الذي ابتلي به بعض الصبيان، فمن مظاهر هذا التميع والانحلال:

(١) علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ص ٥١٦.

(٢) صحيفة المسلمون وأندية الشذوذ تهدد، العدد (١٤٦)، ص ٣.

(٣) المسلاتي، مختار خليل، أمريكا كما رأيتها، ص ١٦٦.

(٤) فالتين، س. و.، الطفل الطبيعي، ص ١٥١.

(٥) انظر: المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، ص ١١٣ - ١١٤.

إطالة الولد لشعره تشبهاً بالنساء، ولبس «البنطلون» الضيق الواصف للبدن، أو لبس بعض الملابس الخاصة بالشاذين، وجر الذبول، والتكسر في المشية، والخضوع في الكلام، والتردد على الأماكن المشبوهة.

فإذا ظهر على الولد شيء من هذه المظاهر المنحرفة، وجب على الأب الحذر من احتمال انحراف ولده، حتى وإن كان الولد يجهل قبح هذه القضايا. فإن المنحرفين ينتظرون رؤية شيء من هذه المظاهر لينقضوا على فريستهم بشتى الوسائل والحيل الماكرة.

ولا بد للأب من تربية ولده الصغير على الرجولة، والخشونة، خاصة إن كان الولد جميل المطلع، أبيض اللون، ممتلىء الجسم، فيعوده الخشونة في المأكل والملبس، ويعوده الرياضة القوية، التي تبني جسمه وتخشن جلده، ولا بأس أن يعوده حلاقة رأسه إن كان شعره سبب جماله، اقتداءً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في التعامل مع الرجل الجميل الذي افتتن به النساء^(١). ويعوده لبس الملابس والثياب الفضفاضة، وتغطية رأسه تشبهاً بالكبار البالغين، ويحذره من إسبيل الثوب مثل النساء، ولبس الذهب والحريز، فهو من علامات التخنث والميوعة، إلى جانب أن ذلك من المحرمات على الرجال، كما تقدم^(*).

وإن كان الأب من أهل الجاه والغنى فإن واجبه في حفظ ولده أكد لأن أولاد الأغنياء في العادة مرفهون، ويظهر عليهم أثر النعمة، من نعومة البدن، وصفاء اللون، وطيب الرائحة، وحسن ارتداء الثياب، فيكونون بذلك أرغب وأدعى لوقوعهم تحت أيدي المنحرفين. لهذا فقد كان بعض العلماء يحذر من مجالسة أبناء الأسر المترفة. يقول الحسن بن ذكوان: «لا تجالسوا أبناء الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى»^(٢).

كما أن احتمال وقوع الولد فريسة لأحد المنحرفين في الأسر الغنية أكبر

(١) انظر: رضا، محمد، الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، ص ٤٢.

(*) راجع الفصل الرابع، المبحث الرابع، لمعرفة أحكام الزينة للرجال ولباسهم.

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ١١٥.

منه في الأسر المتوسطة الحال أو الفقيرة، وذلك لأن الأسر الغنية في العادة يشاركها في المسكن خدم وعمال وأفراد من غير الأسرة يقومون على خدمتها، ورعاية شؤونها، وعادة ينتمي هؤلاء الخدم إلى جنسيات مختلفة، وثقافات متنوعة، ويظهر فيهم الجهل، وقلة الدين، فنادرًا ما يكون من بينهم الصالح المستقيم. إلى جانب أن أكثرهم من العزاب، أو المغتربين عن أهلهم. وأعظم من هذا أنهم مؤتمنون على الأولاد، بل ربما كانوا مؤتمنين حتى على النساء والبنات، فلا يجد الأب غضاضة عندما يجد ولده جالسًا يتحدث في غرفة الخادم، ولا يابه إذا خلا البيت للخدم والأولاد، ولا شك أن مثل هذا الإهمال والتقصير من الأب يعد مدعاة لوقوع الفاحشة بالولد على حين غفلة من الأب، وربما استمر وقوع الفاحشة بالولد إلى فترة طويلة تحت طائلة الترغيب والترهيب، أو الإقناع، أو بأي وسيلة مآكرة خبيثة، خاصة وأن الولد الذي لم يُعَنَّ والده بتربيته يقل فهمه للأمور، فلا يدرك الصواب من الخطأ، كما حدث مع ذلك الشاذ الذي تقدم ذكر قصته في هذه الفقرة، والذي كان فريسة لأحد المنحرفين بسبب إهمال والديه، وجهله بمبادئ الخطأ والصواب.

ويحذر الأب من اصطحاب أولاده إلى بلاد الكفار، والتي تقدم ذكر مظاهر الانحرافات الجنسية فيها. فإن اضطر إلى السفر سافر هو دونهم، وعهد بهم لأحد الأقارب المؤتمنين، فإن وجود الولد في جو منحرف ربما ساقه إلى الانحراف، أو وقوعه تحت يد أحد الشاذين فيعيب به. فإذا اضطر للسفر بالأولاد فعليه أن يحذر كل الحذر من إدخاله إحدى المدارس التعليمية هناك، فإنها منبع كل الانحرافات بشتى أنواعها، إلى جانب خطورة ما يتعلمه الأولاد من الكفر والزيف عن عقيدة التوحيد. ومن عجيب انحرافات بعض هذه المدارس أن تجرأ أحد مجالس شمال لندن أن أضاف إلى المقررات الدراسية تدريس مناهج عن الشذوذ الجنسي، على أن تقدم للطلاب كأسلوب جديد للحياة^(١). فهؤلاء الكفار لا حد لضلالهم وانحرافهم، فلا يمكن لأب

(١) صحيفة المسلمون، «أندية الشذوذ تهدد»، العدد (١٤٦)، ص ٣.

مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يغامر بولده فيلحقه بإحدى هذه المدارس الضالة المنحرفة .

وينبغي للأب عند سفره الاضطراري إلى بلاد الكفار أن يختار من بين تلك البلاد أقلها انحرافاً، وأقربها إلى الفضيلة، وإن كان ولا بد من إلحاق الأولاد بالمدرسة فإنه يبحث عن المدارس الإسلامية، التي تشرف عليها الجاليات المسلمة في أوروبا أو أمريكا أو غيرها، ويقتصر على هذه المدارس دون غيرها، حتى وإن اضطر الأمر إلى أن يتأخر دخول الولد للمدرسة، فإن المحافظة على عقيدة الولد، وشرفه أعلى من تعلمه كثيراً من العلوم المشبوهة في مدارس النصارى .

ولا بأس أن يصارح الأب ولده الكبير بهذه الحقيقة إن احتاج إلى ذلك، خاصة إن كان يعيش في بلد انتشرت فيه هذه الفاحشة، فيحذره من الذهاب مع الغريب، أو أخذ الحلوى منه، أو الركوب معه في سيارته ليدله على بيت من بيوت الحي أو نحو ذلك، ولا داعي أن يبين الأب لولده كل تفاصيل هذه الجريمة، بل يكفي أن يبين أن هؤلاء المنحرفين يمكن أن يضروه ضرراً بالغاً، ويذهبوا به إلى غير رجعة . وهذا البيان والتلميح عادة يكون مع الولد القليل الذكاء الساذج التفكير . أما الولد الذكي فإنه يدرك هذه القضايا من خلال احتكاكه بالمجتمع، فإن هذه الأمور لا تخفى عادة .

ويمكن للأب تعريف أولاده بهذه الفاحشة، وتحذيرهم منها عن طريق عرض قصة سيدنا لوط عليه السلام مع قومه، فيبين ويشرح القصة كما جاء بها القرآن الكريم، ثم يعلق عليها مشيراً إلى أن هذه الفاحشة موجودة في كل مجتمع حتى المجتمعات المسلمة، ويوضح أنه لا بد من الحذر، والمحافظة على النفس والعرض من هؤلاء المنحرفين، ومن أساليبهم المختلفة التي يجتذبون بها الأولاد .

ولا بد للأب أن يسد حاجات أولاده ورغباتهم المختلفة، فلا يترك مجالاً لأحد ليستغل حاجتهم إلى مال، أو لعبة، أو نزهة، أو غير ذلك، ومن وقت لآخر يحاول أن يتعرف على رغباتهم ومتطلباتهم . ويقوى صلته بهم،

فلا يخفون عنه شيئاً مما يرغبون فيه، وهو لا يحرمهم من المباحات، حتى وإن كانت لا تناسب أعمارهم كقيادة السيارة، أو الدراجة النارية، وذلك لأنها من أعظم وسائل المنحرفين لجذب الأولاد. والولد الكبير شغوف بذلك، فلا بأس أن يشبع الأب رغبة ولده في هذا المجال تحت إشرافه المباشر تحسباً للسلبات التي يمكن أن تحدث.

٢ - الزنا:

لقد زُين حب النساء والميل إليهن في صدور الرجال، كما ركز ذلك أيضاً في قلوب النساء، وذلك لحكم عظيمة أرادها الله عز وجل من استمرار النوع البشري، وقضاء الوطر، والشعور بالسكن والأمن وغير ذلك من الحكم، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا الميل بقوله: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾^(١). وبدأ سبحانه وتعالى في الآية بذكر حب النساء قبل باقي المحبوبات وذلك لعظم الميل إليهن والرغبة فيهن

ولما كانت الفتنة بهن عظيمة، وضررهن على الرجال كبيراً: حذر رسول الله ﷺ من ذلك، فقال: «ما تركت بعدي على أمي فتنة أضر على الرجال من النساء»^(٢). لهذا حرم عليهن تقصد إثارة الرجال عن طريق التبرج وإظهار الزينة، أو التكسر في المشية، أو الخضوع في القول، وأمرن بالتستر والاحتجاب، فإن ظهر من بعضهن نشوز، وانحراف، وتبرج، ورغبة في الاختلاط بالرجال: وجب على ولي الأمر منعهن من ذلك بالوسائل المختلفة كالحبس إن احتاج الأمر إليه، فإن اختلاطن بالرجال هو أصل كل بلية، وسبب في استئزال عقوبات الله عز وجل^(٣).

(١) آل عمران ١٤.

(٢) ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب النكاح، ما ذكر في الزنا وما جاء فيه، ج ٤، ص ٤٠٥.

(٣) ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

لهذا فإن المحافظة على نفسية الولد من رؤية النساء المتبرجات، والاختلاط بهن أمر واجب على الأب؛ إذ أن الولد قبل البلوغ في بعض الحالات يميل ويرغب في النساء^(١)؛ بل ربما كان الولد ابن العاشرة من البالغين خاصة في المناطق الحارة^(٢)، لهذا فإن اختلاطه بالنساء والأمن عليه من الفتنة بهن يعد من أعظم أسباب الزنا، ووقوع الفاحشة، خاصة وأن شدة الإثارة الجنسية من حول الولد تثير فيه الرغبة والتزعة الجنسية^(٣).

والاختلاط بالنساء من غير المحارم إذا لم يضر الولد بأن يثيره جنسياً، ويجعله يطلع على قضايا من أحوال النساء لا ينبغي أن يعرفها في ذلك السن، فإن حدوث العكس ممكن، إذ يصاب بالتخنث والرعوننة، من جراء كثرة مصاحبتهن^(٤)، وربما ساقه ذلك إلى التشبه بهن في الملابس، والكلام والمشى فيدخل تحت لعنة رسول الله ﷺ لتشبهه بهن، فقد قال: «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»^(٥).

أما ما يخص المحارم من النساء كالأخوات، والعمات، والخالات، وغيرهن من المحرمات على التأييد فإنهن مأمورات بالاحتشام أيضاً، فلا يظهرن أمام الولد بالملابس الضيقة المغرية، أو الشفافة المظهرة للبشرة، أو بالملابس الداخلية، بل يؤمرن بالحشمة وعدم التكشف خاصة عند الحركة من القيام أو الجلوس، ولا بأس أن يؤمرن بارتداء السراويل الطويلة تحت الملابس؛ لضمان عدم ظهور عوراتهن أمام إخوانهن من الأولاد.

ولا بد من التفريق بين الأولاد عند النوم - خاصة بينهم وبين البنات -؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً،

(١) فالتين، س.و.، الطفل الطبيعي، ص ٣٥١.

(٢) قطب، محمد علي، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، ص ٩١.

(٣) المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، ص ٩٨.

انظر أيضاً: زريق، معروف، كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم، ص ١٠٤.

(٤) انظر: ابن العديم، الدراري في ذكر الدراري، ص ٤٠.

(٥) أحمد، المسند، ج ١، ص ٣٣٩.

واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١). فإن كثيراً من الانحرافات الجنسية المبكرة يعود سببها إلى إهمال التفريق بين الأولاد في المضجع، ونومهم مع الأبوين في غرفة واحدة^(٢). ويكون ذلك بتخصيص غرفة للأولاد وأخرى للبنات وثالثة للأبوين، مع استقلال كل طفل بغطاء يخصه، فلا ينبغي المشاركة في الغطاء، ولا بأس في المشاركة في الفراش، وإن كان الأفضل الاستقلال في كل ذلك.

أما الاختلاط بالقريبات من غير المحارم بعد سن العاشرة بالنسبة للأولاد يُعدّ أمراً خطيراً يفسد الولد والأسرة، فإن الله أباح دخول الأولاد الصغار من غير المميزين على النساء الأجنبية بقوله تعالى: ﴿... أَوْ التَّبَعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾^(٣). أي لا طمع لهم في النظر إليهن بشهوة وتلذذ، «والمقصود بالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء في الآية: هم الأطفال الذين لا يشير فيهم جسم المرأة وحركاتها وسكناتها شعوراً بالجنس، وهذا التعريف لا ينطبق إلا على من كان سنه عشر سنين فأقل»^(٤)، وللاحتياط لا بد من كف الولد من الدخول على النساء الأجنبية من قبل العاشرة خاصة في البلاد الحارة، إذ أن سن العاشرة ربما كان البلوغ بعينه^(٥).

أما بالنسبة للبنات الأجنبية فينهاهنّ الأب عن اللعب مع أولاده ومخالطتهم قبل سن التاسعة. وذلك لأن أقل البلوغ عند النساء تسع سنوات^(٦)، ولا ينبغي للأب التهاون في ذلك، خاصة مع القريبات كبنات

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٠.

(٢) الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، ص ٢٥٣.

(٣) النور ٣١.

(٤) عمرو، محمد عبد العزيز، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، ص ١٥٢.

انظر أيضاً: المودودي، أبو الأعلى، تفسير سورة النور، ص ١٧١.

(٥) قطب، محمد علي، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، ص ٩١.

(٦) انظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان

وشهادتهم، ج ١١، ص ٩٧.

الأخ، أو بنات الأخت، أو بنات الجيران، أو غيرهن، فلا يسمح لهن باللعب مع أولاده، أو الخلوة بهم، فإن احتمال وقوع الفاحشة في الخلوة ممكن، خاصة وأن أطفال هذا العصر يراهقون في سن مبكرة لشدة تأثير المهيجات الجنسية المختلفة في المجتمع الحديث، وقد حدث شيء من هذا في عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، إذ «كتب عياض بن عبد الله قاضي مصر إلى عمر بن عبد العزيز في صبي افترع صبية بأصبعه؟ فكتب إليه عمر: لم يبلغني في هذا شيء، وقد جمعت لذلك، فاقض فيه برأيك، فقضى لها على الغلام بخمسين ديناراً»^(١). وافترع صبية بأصبعه، أي: فض بكارتها بأصبعه^(٢). وهذا يدل على أنهما كانا في خلوة، والصبي لم يقدر على الجماع لصغر سنه، كما أن الصبية لم تمنع. فإذا كان حدوث مثل هذه الجرائم في مجتمع القرون المفضلة ممكناً، فكيف بمن يعيش في هذا الزمن؟ فلا شك أن حدوث مثل هذه الوقائع، بل وأكبر منها، في هذا العصر ممكن ومحتمل^(*). وقد نقل فضيلة الشيخ أبو الأعلى المودودي قصصاً ووقائع عن المجتمع الغربي تثبت إمكانية وقوع الفاحشة بين الصغار^(٣).

والناظر في كتب الفقه يجد تفصيلاً دقيقاً حول أحكام الزنا التي يشترك فيها الصبيان دون سن البلوغ، فيلاحظ تنازع بعض الفقهاء في قضية تحصين الصبي للمرأة البالغة، هل يحصنها أم لا؟. أما مسألة قدرته على الوطء فإنهم لا يناقشونها، وكأنها مسلمة بالنسبة للمراهق^(**) الذي قارب البلوغ، وبعضهم يعد جماع الصبي جماعاً بغير شهوة، ويجعل استعماله لآلته

(١) الكتاني، محمد متصر، معجم فقه السلف، ج٨، ص ٢٥٢.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص ٢٥٠.

(*) لا ينبغي الالتفات إلى من يرى بضرورة اختلاط البنين والبنات في المرحلة الابتدائية، فإن الواقع والأدلة الشرعية تفيد بطلان هذا الزعم وانحرافه. انظر ما كتبه معروف زريق في كتابه «كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم» حيث انتصر لهذا الرأي المنحرف، انظر الصفحات ١١١-١١٢ و١٢٥.

(٣) انظر: المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، ص ١١١-١١٥.

(**) لفظ «مراهق» يطلق على الصبي إذا قارب البلوغ. انظر: البغوي، شرح السنة، كتاب الحدود، باب حد الزنى، ج١٠، ص ٢٨١.

كاستعماله لأصبعه؛ ولعل هذا في حق الصغير الذي لم يقارب البلوغ^(١).
وسئل الإمام مالك رحمه الله: «أرأيت الصبي إذا بلغ الجماع ولم يحتلم بعد
فقدفه رجل بالزنا أيقام على قاذفه الحد؟»^(٢). وسئل أيضاً: «أرأيت امرأة زنت
بصبي مثله يجامع إلا أنه لم يحتلم؟»^(٣)، فأجاب رحمه الله عن هذه الأسئلة
وغيرها، ولم يستنكر طبيعة السؤال، ولم يستهجنه.

وبناء على ما تقدم يظهر أن جماع الولد الكبير ممكن وقريب الحصول،
خاصة في هذا الزمن؛ لكثرة انتشار الفواحش، ووجود الإثارة الجنسية في كل
مكان من حياة الناس، لهذا يحذر الأب هذه القضية، ويحفظ أولاده منها.

ومن مداخل الشيطان على الأب أن يحد مجال الاختلاط بين أولاده
الكبار والقريبات من غير المحارم في حدود المصافحة، والجلوس على
الطعام، والكلام البريء في البيت مع أفراد الأسرة الكبار كالأب والأم. وهذا
من الخطأ؛ إذ أن الولد إذا لم يتعود غض البصر، والبعد عن مجالس النساء
قبل أن يبلغ مبلغ الرجال، فإنه يتعود على ذلك كلما كبر، ويتلذذ برؤيتهن،
ومصافحتهن، والحديث معهن، فيصعب على الأب بعد ذلك التفريق بينهم
إذا كبروا.

كما أن مصافحة الأجنبية محرمة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام عندما
همت امرأة أن تبايعه مصافحة: «إني لا أصافح النساء»^(٤)، فامتناعه عن

(١) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ١٠، ص ١٢٧ - ١٢٩.

النووي، المجموع شرح المذهب، ج ٢٠، ص ٨ - ٩.

السرخسي، كتاب المسوط، ج ٩، ص ٣٨ - ٥٧.

البيهقي، شرح السنة، كتاب الحدود، باب حد الزنى، ج ١٠، ص ٢٨١.

ابن المنذر، الإشراف على مذاهب أهل العلم، ج ٢، ص ١١.

الجزري، عبد الرحمن، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، ج ٥، ص ٥٨.

(٢) مالك، المدونة الكبرى، ج ٦، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٣) المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٤٢.

(٤) ابن بليان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، كتاب السير، ذكر ما يستحب للإمام أخذ

البيعة من نساء رعيته على نفسه إذا أحب ذلك، حديث رقم (٤٥٣٦)، ج ٧، ص ٤١.

مصافحة النساء في الوقت الذي يقتضيها - وهو وقت المبايعة - دل ذلك على أنها غير جائزة. وإذا كان غض البصر واجباً خوفاً للوقوع في الفتنة، فإن مس البدن للبدن أدعى لإثارة الشهوة وتوقدها من مجرد النظر بالعين^(١). وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «لأن يُطعن في رأس أحدكم بِمِخِيطٍ من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»^(٢)، وقد نقل بعض العلماء إجماع المذاهب الأربعة على تحريم مصافحة المرأة الأجنبية^(٣).

ولا بد للأب أن يعرف ويدرك أن للأولاد والبنات قبل سن العاشرة رغبة جنسية تمكنهم من الاتصال الجنسي - كما تقدم - وتظهر هذه الرغبة أحياناً في ممارسة العادة السرية^(*)، والعبث بالأعضاء التناسلية ابتغاء الاستمتاع، فقد دلت بعض البحوث المتخصصة على ذلك، وأشار بعض المختصين إلى هذه القضية الهامة^(٤). لهذا فإنه لا بد من التفريق بينهم، وأخذ الأسباب والاحتياطات اللازمة لذلك، وعدم التدرع بأنهم من الأرحام الذين يجب صلتهم، فقد أشار بعض العلماء إلى أن الأرحام الذين يجب صلتهم هم الأرحام المحرمة بحيث لو كان أحدهم ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتهما على التأييد. فلا يدخل في ذلك أولاد الأعمام أو أولاد الأخوال^(٥)، ولو افترض وجوب صلتهم، فإنها لا تكون بالاختلاط والمصافحة، والخلو؛ بل تكون بالحشمة، والتستر، والكلام المهذب من وراء حجاب.

ويمكن للأب توقيت سن الفصل بين الأولاد والقريبات من البنات بسن

(١) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٦، ص ٦٠٣.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب النكاح، باب النهي عن الخلوة بغير محرم، ج٤، ص ٣٢٩. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر: إسماعيل، محمد أحمد، أدلة تحريم مصافحة المرأة الأجنبية، ص ١٩ - ٢٦.

(*) انظر الفقرة التالية في هذا المبحث لمعرفة المزيد عن العادة السرية عند الأطفال.

(٤) انظر: زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، ص ٣٣١.

عبد الصمد، محمد كامل، طفلك الصغير هل هو مشكلة، ص ١٩٠ - ١٩١.

فالتين، س.و، الطفل الطبيعي، ص ١٤٤.

(٥) انظر: أيوب، حسن، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٢٦٦.

الثامنة، أو التاسعة، وذلك لأن في هذا السن يظهر لدى الأولاد الميل إلى أبناء جنسهم من الذكور، فيميلون إلى اللعب مع أقرانهم من الأولاد، والنفرة من اللعب مع البنات^(١). فهذه الفرصة الطبيعية في التكوين النفسي للأطفال تُعد أفضل وقت لتعويد الأولاد الاستقلال عن البنات الأجنبية في اللعب والاختلاط. ثم يتدرج الأب بعد ذلك شيئاً فشيئاً حتى يكون الفصل تاماً، ونهائياً عند قرب البلوغ، وظهور علاماته.

كما يلاحظ الأب حفظ ولده بعدم أخذه إلى الأسواق، خاصة التي يكثر فيها النساء حيث التبرج، والسفور، وإبداء الزينة، والغزل المعلن بين المراهقين، فإن هذه الأماكن لا ينبغي دخولها إلا للحاجة، أو الضرورة. فقد أشار ابن تيمية رحمه الله إلى أنه لا يجوز ارتياد الأماكن التي يشاهد فيها المنكر، ولا يمكن إنكاره، إلا لضرورة شرعية^(٢)، فما يحتاجه الأب لأولاده من المشتريات يمكن أن يتولى بنفسه تأمينها دون اصطحاب الأولاد؛ حفاظاً عليهم من رؤية المنكرات، وبذلك يكون الأب قد اتخذ الأسباب الشرعية للمحافظة على أولاده، وحمايتهم من بعض الانحرافات الجنسية.

٣ - العادة السرية :

العادة السرية هي ما يسمى في عرف الفقهاء بالاستمنا، وهو العبث في الأعضاء التناسلية بطريقة منتظمة ومستمرة بغية استجلاب الشهوة، والاستمتاع بإخراجها. وتنتهي هذه العملية عند البالغين بإنزال المنى، وعند الصغار بالاستمتاع فقط دون إنزال لصغر السن. فلفظ العادة السرية يستخدم لجميع أنواع العبث، واللعب بالأعضاء التناسلية، إلا أن البعض يقصر مفهومها على حالات اجتلاب الشهوة^(٣). ولعل هذا الرأي الأخير هو الأقرب إلى الصواب، فمن الإجحاف أن يُعد التزام الولد الصغير لعضوه التناسلي،

(١) الهاشمي، عبد الحميد محمد، علم النفس التكويني (أسسه وتطبيقاته)، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ٢٨، ص ٢٣٩.

(٣) فالتين، س.و، الطفل الطبيعي، ص ١٤٤.

وعبته به من وقت لآخر عادة سرية، أو استمناء، وإن كان في ذلك شيء من الاستمتاع.

وحكمها في الإسلام التحريم^(١)؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٢)، ولا تجوز إلا عند الضرورة والحاجة، فعامة العلماء على تحريمها^(٣).

وقد دلّت بعض البحوث إلى أنه يمكن أن يكون لبعض الأطفال نشاط جنسي قبل البلوغ، يتمثل في اللعب والعبث بالأعضاء التناسلية بغية الاستمتاع، حيث وجد أن ثلاثاً وخمسين حالة من بين ألف حالة فحصت بعيادة بيرلين بألمانيا قد مارست العادة السرية، وقد كانت النسبة الكبرى تخص الأولاد الذكور في المرحلة ما بين سبع إلى تسع سنوات، فانتشار هذه العادة عند الأولاد أكثر منه عند البنات^(٤)، كما وجد في بعض الدراسات أن ثمانية وتسعين بالمائة من الأولاد قد زاولوا هذه العادة في وقت من الأوقات^(٥).

ويرى بعض المهتمين بالتربية أن ممارسة هذه العادة تبدأ في سن التاسعة عند عشرة بالمائة من الأولاد^(٦). ويرى البعض الآخر أنها تبدأ في الفترة من سنتين إلى ست سنوات^(٧)، وبعضهم يرى أنها تبدأ في سن الشهر السادس تقريباً^(٨). وبعضهم يتطرف فيجعل بدايتها مع الميلاد، إذ يؤول

(١) انظر: ابن قدامة، المغني، ج ٣، ص ٤٨.

الزحلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٦، ص ٢٥.

(٢) المعارف ٢٩ - ٣١.

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٤) فالتين، س.و.، الطفل الطبيعي، ص ١٤٤ - ١٤٦.

(٥) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، ص ٣٣١.

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر: عبد الصمد، محمد كامل، طفلك الصغير هل هو مشكلة، ص ١٩١.

(٨) الغيرة، نبيه، المشكلات السلوكية عند الأطفال، ص ١٤١.

جميع نشاطات الطفل بأنها نشاطات جنسية^(١)، وهذا بلا شك خطأ محض لا يُلتفت إليه، ولا يُلتفت أيضاً إلى كل قول يرى بداية ممارسة العادة السرية عند الطفل قبل أن يتمكن الطفل من التحكم تحكماً كاملاً في استعمال يديه، والحصول على بعض المعلومات في المجال الجنسي.

ولعل أنسب الأقوال، وأقربها إلى الصواب أن بداية ممارسة هذه العادة بطريقة مقصودة غير عفوية يكون في حوالي سن التاسعة؛ إذ أن الطفل في هذا السن أقرب إلى البلوغ ونمو الرغبة الجنسية المكونة في ذاته. أما مجرد عبث الولد الصغير بعضوه التناسلي دون الحركة الرتيبة المفضية لاجتلاب الشهوة أو الاستمتاع. لا يُعد استمنا، أو عادة سرية. وهذا المفهوم مبني على تعريف العادة السرية بأنها العبث بالعضو التناسلي بطريقة منتظمة ومستمرة لاجتلاب الشهوة والاستمتاع. لا مجرد التزام العضو من وقت لآخر دون هذه الحركة المستمرة.

ويتعرف الولد على هذه العادة القبيحة عن طرق عدة. منها وقوع كتاب يتحدث بدقة وتفصيل عن هذه القضية فيتعلم كيفيتها ويمارسها، وطريق آخر تلقائي حيث يكتشف بنفسه لذة العبث بعضوه، وطريق آخر يعد أعظم الطرق وأخطرها وهو تعلم هذه العادة عن طريق رفقاء السوء من أولاد الأقرباء، أو الجيران، أو زملاء المدرسة ممن حُرّموا نصيبهم وحقهم من التربية الإسلامية، والرعاية النفسية «فقد لُوْحِظَ أن أكثر الأطفال ممارسة للعادة السرية هم الأطفال المضطهدون، أو المهملون، أو المنبوذون، أو من لا يظفرون بما يصبون إليه من تقدير في المدرسة أو ساحة اللعب»^(٢). ففي بعض الأوقات - بعيداً عن نظر الكبار - يجتمع هؤلاء الأولاد، ويتناقلون معلومات حول الجنس، ويتبادلون خبراتهم الشخصية في ممارسة العادة السرية، فيتعلم بعضهم من بعض هذه الممارسة القبيحة. وربما بلغ الأمر ببعضهم أن يكشف

(١) انظر: فرويد، سيجموند، الموجز في التحليل النفسي، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) راجع، أحمد عزت، أصول علم النفس، ص ٨٠.

كل ولد منهم عن أعضائه التناسلية للآخرين^(١)، وربما أدى هذا إلى أن يتناول بعضهم أعضاء بعض. بل ربما أدت خلوة اثنين منهم إلى أن يظا أحدهما الآخر، فتُغرس بذلك بذرة الانحراف، والشذوذ الجنسي في قلوبهما، فتكون بداية لانحرافات جنسية جديدة. كما أن الخادم المنحرف يمكن أن يدل الولد على هذه العادة القبيحة ويمارسها معه فيتعلمها ويتعلق بها^(٢).

إن حل هذه المشكلة وحماية الولد من خوض خبراتها المؤلمة خاصة قبل البلوغ بالنسبة للولد الكبير في طفولته المتأخرة، يكون أولاً وقبل كل شيء بتقوية صلته بالله، وتذكيره برقايته عليه، وأنه لا تخفى عليه خافية، فيعلمه الحياء من الله، ومن الملائكة الذين لا يفارقونه^(*). ولا بأس باستخدام أسلوب عبدالله التستري الذي كان يردد في طفولته قبل أن ينام فيقول: «الله شاهدي، الله ناظري، الله معي»^(٣). فيتركز في قلب الولد رقابة الله عليه، ونظرة إليه، فيستحي منه، فلا يقدم على مثل هذا العمل القبيح.

ويضاف إلى هذا هجر رفقاء السوء، وقطع صلة الولد بهم، وتجنبيه إمكانية تكوين صداقات مشبوهة مع أولاد منحرفين، أو مهملين من أسرهم، حتى وإن كانوا أصغر منه سناً، فبإمكانهم نقل معلومات حول هذه العادة، أو قضايا جنسية أخرى، أو على الأقل يعلمون الولد شتائم قبيحة متعلقة بالجنس.

ثم يسعى الأب بجهد وهمة في تكوين صداقات بديلة عن الصداقات المنحرفة، وصلات قوية بين أولاده وأولاد غيره من الأسر الملتزمة بمنهج

(١) انظر: زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، ص ٢٥٤.

(٢) زريق، معروف، كيف تربي أبنائك وتعالج مشاكلهم، ص ١٠٤.

(*) راجع الفصل الثاني، المبحث الأول، الفقرة (ثالثاً)، لمعرفة أسلوب تركيز رقابة الله في نفس الولد، وراجع أيضاً في الفصل الثاني، المبحث الثاني، الفقرة (ثالثاً)، لمعرفة أسلوب تركيز رقابة الملائكة في نفس الولد.

(٣) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٨١.

الإسلام في التربية، متخذاً في ذلك الوسائل المرغوبة المختلفة(*) .

ويحمي الأب ولده من الكتب، والمجلات، والنشرات الطيبة التي تتحدث عن هذه القضية بأسلوب غير تربوي، فتعرضها عرضاً يوجبها إلى النفس، ويخفف ضغط تأنيب الضمير على ممارستها، ويشغل وقته بالقراءة المفيدة، والاطلاع الجيد، وارتداد المكتبات العامة النافعة، كمكتبات المساجد، والمكتبات المهتمة بالكتب الشرعية النافعة، والثقافية المفيدة، أو تسجيله في أحد المعاهد العلمية، أو جمعيات تحفيظ القرآن في الفترة بعد العصر.

كما يمكنه أن يستغل ميل الولد إلى المخترعات والأعمال الميكانيكية، في طفولته المتأخرة بأن يؤمن له شيئاً من ذلك في المنزل، أو يسجله في بعض المعاهد التدريبية المأمونة؛ ليمارس هذه الأعمال النافعة التي يميل إليها عادة الأولاد في طفولتهم المتأخرة^(١). فمن فوائدها أنها تشغل أوقاتهم، وتستغل طاقاتهم العقلية والجسمية فيما ينفعهم، فلا يلتفت الولد إلى ممارسة العادة السرية بسبب هذا الانشغال، واستنزاف الطاقة، فلا يأتي عليه الليل بستره إلا وقد أخذ منه جهد النهار طاقته، فلا يفكر إلا في النوم.

ويلاحظ الأب توجيه ابنه عند النوم بأن يلتزم السنة، فلا ينام على بطنه، فإن هذه النومه تسبب تهيجاً جنسياً بسبب احتكاك الأعضاء التناسلية بالفراش^(٢)، إلى جانب أنها نومة ممقوتة مخالفة للسنة المطهرة^(**).

أما بالنسبة للولد الصغير فإن عادة التزام الولد لعضوه التناسلي ووضع يده عليه من وقت لآخر: تحدث بعد بلوغ الولد سنتين ونصف تقريباً^(٣)،

(*) راجع الفصل الثاني، المبحث الرابع، الفقرة (خامساً)، لمعرفة الطرق المناسبة لتكوين هذه الصداقات بين الأولاد في الأسر المسلمة الملتزمة شرع الله.

(١) انظر: قاضي، علي، «الإسلام وتربية الطفل»، مجلة التربية، العدد (٣٨)، ص ٦٦.

(٢) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٢٤٤.

(**) راجع الفصل الرابع، المبحث الثالث، لمعرفة آداب النوم وكيفية تعويد الولد عليها.

(٣) الغيرة، نبيه، المشكلات السلوكية عند الأطفال، ص ١٤١.

وكثيراً ما يُشاهد الولد في هذا السن واضعاً إحدى يديه على عضوه التناسلي دون انتباه منه، فإذا نُبه انتبه ورفع يده. ويعود سبب ذلك في بعض الحالات إلى وجود حكة، أو التهاب في ذلك الموضع من جراء التنظيف الشديد من قبل الأم^(١)، أو ربما كان سبب الالتهاب هو: إهمال تنظيف الولد من الفضلات الخارجة من السبيلين.

ومن أسباب اهتمام الولد بفرجه: إعطاؤه فرصة للعب بأعضائه عن طريق تركه عارياً لفترة طويلة^(٢)، فإنه ينشغل بالنظر إليها، والعبث بها، والمفروض تعويده التستر منذ حدثته، وتنفيذه من التعري.

وإذا شوهد الولد واضعاً يده على فرجه صُرف اهتمامه إلى غير ذلك كأن يعطى لعبة، أو قطعة من البسكويت، أو احتضانه وتقبيله. والمقصود هو صرفه عن هذه العادة بوسيلة سهلة ميسرة دون ضجيج، ولا ينبغي زجره وتعنيفه، فإن ذلك يثير فيه مزيداً من الرغبة في اكتشاف تلك المنطقة، ومعرفة سبب منع اللعب بها. ولا بأس أن يُسأل الولد عما إذا كانت هناك حكة، أو ألم في تلك المنطقة يدفعه للعبث بنفسه.

ثانياً: التربية الجنسية:

بعد الحديث عن هذه العقبة الخطيرة، وبيان أبعادها السيئة على الولد، تجدر الإشارة إلى الضوابط، والآداب، والأحكام التي وضعها الإسلام لحماية الأولاد وحفظهم من هذه الانحرافات وأهمها آداب الاستئذان وأحكامه، والأسلوب الصحيح في إيصال المعلومات الجنسية الصحيحة للولد. وفيما يلي نستعرض هذه الأحكام والآداب.

١ - الاستئذان وآدابه:

تعم الثورة الجنسية كل مكان، فلا يكاد مكان على وجه الأرض يخلو

(١) المرجع السابق.

(٢) الأديب، علي محمد، منهج التربية عند الإمام علي، ص ١٦٠.

من هذه الإثارة المنحرفة، وقد تقدم وصف مظاهر هذه الثورة العارمة(*) . ولما كان سلطان الأبناء المصلحين في الأرض ضعيفاً، فلا حول لهم ولا قوة يحمون بها أبناءهم خارج البيوت من آثار هذه المظاهر الجنسية المنحرفة، سوى ما يشونه فيهم من المعاني الصالحة الطيبة، والتقليل من اختلاطهم بالمجتمع المتسبب. فإن واجبه في حماية أولادهم داخل البيوت من هذه الثورة الجنسية ومظاهرها المنحرفة فرض لا يُعذرون بتركة، أو إهماله.

ومن الأسباب التي يتخذها الأب لحماية الأولاد داخل البيت: تعليمهم آداب الاستئذان، التي تحميهم من احتمال وقوع أعينهم على ما يشرهم جنسياً، كما تحميهم من أن تُشغل عقولهم بقضايا متعلقة بالجنس لا يجدون لها تفسيراً؛ لضعف عقولهم، وقله خبرتهم بهذه الشؤون.

ونظراً لأهمية هذا الأدب الإسلامي، فقد ورد ذكر الاستئذان وآدابه في القرآن الكريم، حيث حدد الله عز وجل أوقات الاستئذان، والأوقات التي لا يُشرع فيها استئذان، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَعْيُنُهُمُ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْعَنُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ طَوْفُونِ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١). وهذا الأدب

يخص الخدم المملوكين، والأطفال دون سن التكليف أي قبل البلوغ. فهم مأمورون بالاستئذان قبل الدخول على أهل البيت من الأم، أو الأب، أو الأخوات، أو غيرهم. قال جابر رضي الله عنه: «يستأذن الرجل على ولده، وأمه وإن كانت عجوزاً وأخيه وأخته وأبيه»^(٢). وهذا الاستئذان يكون في الأوقات المتوقع انكشاف العورات فيها، والتخفف من الملابس، وهي:

(*) راجع مقدمة هذا المبحث.

(١) النور ٥٨.

(٢) البخاري، الأدب المفرد، باب يستأذن على أبيه وولده، حديث رقم (١٠٦٦)، ص ٣٥٣.

«حين الاستيقاظ من النوم، وحين إرادة النوم، وحين القائلة»^(١) وفي غير هذه الأوقات يحل للطفل المميز الدخول على أهل البيت دون استئذان، ولكن يستحب له إلقاء السلام؛ لقوله عليه الصلاة والسلام لأنس بن مالك: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك»^(٢). فمن بركات هذا السلام: مزيد من الحيلة، وإشعار لأهل البيت بالقدوم.

ويمكن تحديد سن الاستئذان للولد بسبع سنين، حيث يدرك الطفل في هذا السن بعض القضايا المتعلقة بالجنس، فيبدأ معه في هذا السن بالتربية الجنسية^(٣).

ويرى بعض العلماء أن فتح الباب، ورفع الستر، وتخصيص غرف لكل نوع من أنواع الأسرة يكفي عن الاستئذان، فرفع الستر، وفتح الباب يعد إذناً بالدخول لمن شاء^(٤).

وبناء على ذلك فإن الأب، وكل من يخشى انكشاف عورته من أفراد الأسرة يؤمر بإغلاق باب غرفته بالمفتاح، أو المزلاج ليكون ذلك إعلماً للأولاد بعدم الدخول، كما أن الطفل الغافل، أو الذي لم يتدرب بعد على أدب الاستئذان لا يمكنه بحال أن يقتحم غرفة قد أوصد بابها، فإن حدث وغفل الأب عن إغلاق الباب ودخل الولد الغرفة بغير استئذان، وشاهد منظرًا جنسيًا، فإن ذلك يسبب له إزعاجًا نفسيًا كبيرًا، لهذا وجب أخذ الاحتياطات اللازمة لمثل هذه الحالات^(٥). ويُدرب الولد على طرق الباب دائماً كلما دخل من باب مغلق، فإن لم يفعل مرة: أمر بالعودة والطرق من جديد ليتعلم ويتعود.

(١) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ١٥، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.
(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته، حديث رقم (٢٦٩٨)، ج ٥، ص ٥٩. والحديث حسن غريب.
(٣) يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص ٤٦٦ - ٤٦٧.
(٤) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٢، ص ٤٣٤.
أيوب، حسن، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٣٥٨.
(٥) روس، هيلين، مخاوف الأطفال، ص ٥٧.

ولا ينبغي، ولا يجوز الالتفات إلى قول من يرى بأفضلية إتاحة الفرصة للولد ليرى والديه بغير ملابس في بعض الأحيان^(١). فإن هذا من الضلال، إلى جانب مخالفته الواضحة لمقاصد الشريعة الإسلامية من تشريع أحكام الاستئذان، والتي لم تشرع إلا لحماية نظر الولد من وقوعه على عورة والديه، أو أهل بيته من المحارم، وغيرهم.

٢ - المعلومات الجنسية:

يعتبر مجال التربية الجنسية مجالاً خصباً لأهل الأهواء لنشر باطلهم، وانحرافاتهم الخلقية، وأفكارهم الضالة، بدعوى العلم والموضوعية^(٢). زاعمين خوفهم على النشء الجديد من العقد النفسية، والضلال الجنسي، فمنهم من يزعم أن للطفل نشاطاً جنسياً يبدأ مع ميلاده، يتمثل في علاقة الولد بأمه، وكرهه لأبيه الذي ينافسه عليها، ويسمي هذا النوع من الشعور «بعقدة أوديب»^(٣). وبعضهم لا يرى مانعاً من نظر الولد لعورة والديه في بعض الأحيان، ولا بأس عندهم من أن يتناول الأطفال من أبناء الأسرة الواحدة فروج بعضهم البعض^(٤). والبعض الآخر من هؤلاء يسعى نحو تخفيف تأنيب الضمير لدى متعاطي العادة السرية فيزعمون أنها لا تضر الجسم^(٥).

وهكذا تصدر الكتابات الكثيرة في هذا المجال الخصب ليضلوا بها الآباء عن قصد، أو عن غير قصد، معتمدين على بعض الوقائع، أو التجارب، أو الآراء والاتجاهات الشخصية. ولعل لهؤلاء وأتباعهم من أهل الملل الضالة شيئاً من العذر؛ لقلّة ما في أيديهم من وحي الله المبارك. أما المسلمون فلا عذر لهم يُقبل بعد أن حباهم الله بهذا الدين، وحفظه لهم دون

(١) انظر: الينجورث، رونالد وسينثيا الينجورث، الرضع والأطفال الصغار، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) عبدالله، عبد الرحمن صالح، المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، ص ٢١٤.

(٣) انظر: فرويد، سيجموند، الموجز في التحليل النفسي، ص ٢٢ - ٢٥.

فرويد، سيجموند، الذات والغرائز، ص ٦٤ - ٦٥.

(٤) انظر: الينجورث، رونالد وسينثيا الينجورث، الرضع والأطفال الصغار، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٥) انظر: روس، هيلين، مخاوف الأطفال، ص ٥٦.

تحريف. أو تبديل، ففيه الهدى والكفاية عن اتباع أهواء أهل الكتاب، ومن شابههم من أهل المذاهب الضالة.

وقد تضمن القرآن الكريم، والسنة المطهرة آداباً، وتوجيهات كثيرة في هذا المجال، فالاستنجاء، وآداب الغسل، والطهارة، والوضوء للصلاة، تعد مدخلاً جيداً للتربية الجنسية في مرحلة الطفولة، فيتعلم الولد أسماء الأعضاء التناسلية من خلال الممارسة العملية عند تدريسه على الاستنجاء بنفسه، فتسمى له هذه الأعضاء بأسمائها الصحيحة المؤدية دون الأسماء العامية المنتحلة القبيحة، فيقال له عند التدريب: «اغسل ذكرك، أو قضيبك هكذا، واغسل خصيتيك هكذا، ونظف دبرك وإلتيك هكذا»، وبهذه الطريقة يتعلم الولد كيف ينظف نفسه، إلى جانب أنه يتعلم أسماء هذه الأعضاء من المصدر الصحيح الموثوق، دون أن تُعطى هذه الأعضاء وأسمائها هالة من السرية، فلا تُثار رغبة الولد نحو مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع^(١).

ولا بد أن يدرك الأب أن عدم إعطاء الأولاد المعلومات الصحيحة والكافية حول القضايا المتعلقة بالجنس، سوف يدفع الأولاد للحصول على معلومات من جهات مشبوهة فيؤثر ذلك على أخلاقهم، ونفسياتهم، وعقولهم^(٢). ولا ينبغي أن يعتقد الأب حرمة الحديث عن القضايا المتعلقة بالجنس، وتعليم الأولاد الاتجاهات الصحيحة في ذلك؛ بل هي جائزة، وربما كانت واجبة في بعض الأحيان إذا ترتب عليها حكم شرعي^(٣).

والطفل بين السنة الثانية والثالثة يستطيع أن يدرك الفرق بين الجنسين: كأبويه، وإخوته، وأخواته. ويمكن أن يبدأ الأب معه في التربية الجنسية في هذا الجانب إذا أكثر من الأسئلة حول هذا الموضوع، ولو حظ انشغال ذهنه به^(٤).

(١) انظر: عبد الصمد، محمد كامل، طفلك الصغير هل هو مشكلة، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٢) الأديب، علي محمد، منهج التربية عند الإمام علي، ص ١٥٩.

(٣) علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ١، ص ٥٩٦.

(٤) الجندي، سامي، طفلي في سنواته الثلاث الأولى، ص ١١٢ - ١١٣.

ويخجل الآباء من الإجابة على أسئلة الأولاد، ومصارحتهم ببعض القضايا الجنسية، مثل الفرق بين الولد والبنت، وهذا أمر طبيعي، إلا أن هناك مفهوماً ينبغي أن يدركه الآباء، وهو: أن سؤال الطفل عن الجنس، وما يتعلق به من اختلاف بين الذكر والأنثى، وغير ذلك لا يختلف عن سؤاله عن لون السماء^(١)، وذلك لأن خلفية الولد عن هذا الموضوع ضحلة، وربما أنه لا يعرف عنه شيئاً، فهو لا يدرك العلاقات الجنسية بين الكبار، وأن الحديث عن هذا الموضوع من العيب إلا في عامه الثامن^(٢)، لهذا فإن هدوء الأب، واتزان، وجوابه للولد عن سؤاله بالمعلومات الصحيحة المقنعة، والمناسبة لسن الولد، يعد الأسلوب التربوي الصحيح في هذا الجانب. فإذا سأل الطفل عن العلاقة بين الجنسين، أو كانت لديه أفكار مشوشة حول هذا الموضوع، فإن الأفكار الصحيحة تقرب إلى ذهنه من خلال اطلاعه على العلاقات الجنسية عند الحيوانات، وكيف تتم عملية تلقيح النباتات، مع ملاحظة عدم التعمق في تفصيلات جانبية كثيرة^(٣)، ولتطبيق هذا الاقتراح يؤخذ الولد إلى حديقة الحيوان ليشاهد شيئاً من ذلك، أو تشرح له عملية التلقيح في النبات، وكيف أنه لا ثمرة إلا بهذا التلقيح، كما أنه لا حمل، ولا مولود إلى بهذا الاتصال الجنسي، على أن لا يخوض معه في كيفية الاتصال الجنسي بالنسبة للبشر، فإن ألح في السؤال عن دور الأب فالبعض يقترح أن يُجاب بأن الأب يضع بذرة تجعل الطفل ينمو في بطن الأم. ولا بد من الإقرار بأن الأطفال يأتون من أمهاتهم، دون الكذب بأن الطفل جاء من المستشفى، أو جاء به الطير فالصدق أفضل^(٤).

ولا بد من الاكتفاء بقدر معين من المعلومات الجنسية مراعين في ذلك سن الولد، وقدراته العقلية، مع تقديم هذه المعلومات عند الحاجة بهدوء،

(١) عبيد، مهدي، التربية النفسية للأطفال، ص ١٤٤.

انظر أيضاً: زريق، معروف، كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم، ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) يونس، أحمد السعيد، طفلك في عامه الثامن، ص ٦٧ - ٦٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٨.

(٤) انظر: الينجورث، رونالد وسينثيا الينجورث، الرضخ والأطفال الصغار، ص ٢٣٢.

دون فوضى، أو غضب، أو غموض وسرية، مع الاحتشام والصراحة والصدق. ولا بأس بتزويد الولد بعض الكتب الفقهية البسيطة التي تتحدث عن هذا الموضوع^(١)(*) .

وكل هذه الإجراءات تكون مع الولد الذي شغلته هذه القضايا وأخذ يسأل عنها بالحاح، أما الولد الذي لم تشغله ولم يسأل عنها فلا داعي لإثارتها معه إلا في أضيق الحدود.

وبناء على ما تقدم من بيان حول هذه القضية الخطيرة يظهر للأب أهمية الموضوع، وخطورة مسألة الجنس عند الأطفال، وأنها عقبة كؤود في طريق التنشئة الإسلامية للولد، مما يتطلب مضاعفة الجهد، وتكثيف العمل للحد من استفحال المشكلة، والتخفيف من حدتها.

(١) الأديب، علي محمد، منهج التربية عند الإمام علي، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
(*) لمزيد من المعلومات حول الأساليب المناسبة لعرض قضايا الجنس على الأطفال وحسن اختيار الأجوبة المناسبة على أسئلتهم. انظر: الإستانبولي، محمود مهدي، التربية الجنسية .

المبحث الثاني

التلفزيون

- أولاً: انتشار التلفزيون والشغف به
ثانياً: واقع البرامج التلفزيونية
١- واقع برامج الكبار
٢- واقع برامج الأطفال
ثالثاً: أضرار التلفزيون
رابعاً: حل مشكلة التلفزيون

المبحث الثاني

التلفزيون

تشغل وسائل الإعلام وأجهزتها المتنوعة حيزاً كبيراً في حياة الناس اليوم، فلا يكاد يخلو منها بيت أو مقهى، أو متجر، وذلك لما اشتملت عليه هذه الأجهزة من تقنية متطورة، وجاذبية فائقة.

ويعد جهاز التلفزيون من أكثر هذه الوسائل انتشاراً، وتأثيراً في الناس، فقد تعلقت قلوب الكبار به قبل الصغار، وأصبح يمثل عند كثير من الناس ضرورة عصرية لا غنى عنها.

ولكن الحقيقة التي سوف تظهر إن شاء الله من خلال هذا المبحث: أن قوى الشر بأنواعها المتمثلة في: اليهودية العالمية، والنصرانية الصليبية الحاقدة، وغيرهما من المعادين للحق والفضيلة: هم الذين يسيطرون على وسائل الإعلام المختلفة بما فيها هذا الجهاز؛ وذلك بطريق مباشر، أو غير مباشر، مما يتيح لهذه القوى الشريرة نشر باطلها، وانحرافاتهما، على جميع المستويات والطبقات؛ لهذا فإن الملاحظ يجد «أن وسائل الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة، وتلفزيون، وسينما مسخرة اليوم لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، والسعي بالفساد في الأرض»^(١). أي أنهم يبشرون، وينشرون من خلال هذه الوسائل ما يكفلون به إفساد شباب العالم عامة، وشباب المسلمين خاصة.

وقد استغلت هذه القوى العالمية بعض أبناء المنطقة الإسلامية من الخائنين لدينهم، وأمتهم، أو من السذج الأغبياء: في ترويح ونشر المواد

(١) جريشة، علي محمد ومحمد شريف الزبيق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص

الإعلامية المسمومة، لهذا أصبح الإعلام في منطقة الخليج - على سبيل المثال - أداة للهدم من خلال التشجيع على اقتراف الفاحشة ومقدماتها بطرق مباشرة، أو غير مباشرة^(١)، ولولا وجود أمثال هؤلاء الخونة أو المغفلين: لما تمكن الأعداء من نشر باطلهم وترويقه.

وهذا يجعل مهمة الأب - بلا شك - أصعب، وأشق؛ إذ أن الخطر المحقق بالأولاد لا يكمن فقط خارج البيت في الشارع، والسوق، والسينما، والملهى، وبيوت الدعارة؛ بل إن الخطر قد دخل عليه في بيته، في سلطانه، يشاركه في تربية أولاده، وينافسه على تمام ولائهم، وانقيادهم لأنماط السلوك، والمعتقدات التي يتبناها، ويرجو أن تتمثل في أولاده.

ومن خلال هذا المبحث يطلع الأب على الآثار الضارة لجهاز التلفزيون، ومدى انتشاره، وشغف الأطفال به، وواقع البرامج التي تبث، وأضرارها على الأولاد، وبعض المقترحات العملية لحل هذه المشكلة، والتخفيف من أضرارها.

أولاً: انتشار التلفزيون والشغف به:

يعد التلفزيون أحد المؤسسات الثقافية الهامة، وأهم وسائل الاتصال الجماهيرية، وأكثرها تأثيراً على الإنسان^(٢)، ويقف هذا الجهاز بشاشته الصغيرة ليكون أخطر وأهم جهاز إعلامي في هذا العصر يمكنه التأثير في الكبار والصغار^(٣)، وذلك لما شمله بناؤه التقني من الجمع بين الصورة والصوت؛ مما يجعل رسالته الإعلامية أسهل، وأقرب للاستيعاب والإدراك عند جميع الطبقات المثقفة منها وغير المثقفة. وقد شغف به الأطفال شغفاً

(١) البلابي، عبد الحميد، «أسباب الفاحشة وعلاجها (٣)»، مجلة المجتمع، العدد (٨٥٠)، ص ٦.

(٢) الطويجي، حسين حمدي، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، ص ١٨٩.

(٣) مجلة التربية، «دور التلفزيون الخليجي في توازن الثقافة والترفيه والتوجيه»، العدد (٦٦)، ص ٩٦.

شديداً لما فيه من جذب، وإمكانية فائقة على إشغال وقت الفراغ، إلى جانب سهولة تناوله، واستعماله.

وما كاد هذا الجهاز ليصل قبل سنوات إلى أسواق المنطقة الإسلامية ودول الخليج خاصة حتى أصبح بالنسبة لأكثر الناس ضرورة عصرية ملحة لا بد منها، فملكنا هذه الشاشة قلوب الكبار قبل الصغار، وأصبح الجميع يتابع برامجه طوال الإرسال دون تخطيط، أو نظام حتى أصبح زمن مشاهدته بالنسبة للأطفال العرب أطول من أي زمن يمكن أن يقضيه الأطفال في نشاط منفرد آخر^(١)، فزمن المشاهدة بالنسبة لهؤلاء الأطفال يتراوح ما بين ساعتين ونصف إلى ثلاث ساعات ونصف يومياً^(٢). أما في الإجازات فعدد ساعات المشاهدة يرتفع ليصل إلى ثلاث ساعات، أو أربع ساعات يومياً^(٣)، وهذه النسب بلا شك عالية، وكبيرة خاصة إذا عُرفت طبيعة هذه البرامج التي يشاهدها هؤلاء الصغار، ومدى صلاحيتها بالنسبة لسنهم، وقدراتهم العقلية، إلى جانب الأضرار الجسمية التي تترتب على طول الجلوس أمام هذا الجهاز، والتعرض للأشعة المنبعثة من شاشته.

وقد يصاب بعض الأطفال بالإدمان على مشاهدة التلفزيون، فلا يكاد أحدهم أن يتفك عنه، وهؤلاء في حاجة إلى الرعاية والعلاج، حيث دل البحث، والاستقصاء على أن أكثر هؤلاء المدمنين من قلبي الذكاء، ومن الذين لا يشعرون بالاطمئنان والأمن، ومن الذين يجدون صعوبة في تكوين علاقات مع أقرانهم، فيجدون في قربهم من هذا الجهاز شيئاً من الأمن، والصحة^(٤).

(١) عطيات، محمد عبدالله، «أثر برامج التلفزيون على الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٥١.

(٢) الدويك، محمد طالب، «التلفزيون وأثره على طفلنا الخليجي»، مجلة التربية، العدد (٧٥)، ص ١١١.

(٣) درويش، كمال ومحمد الحماحمي، الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، ص ١٨٤.

(٤) عيسوي، عبد الرحمن، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، ص ٥٣.

ثانياً: واقع البرامج التلفزيونية:

تنقسم برامج التلفزيون إلى نوعين: برامج تخص الكبار، وأخرى تخص الصغار. ونظراً لمشاركة الأطفال للكبار في مشاهدة جميع برامجهم الخاصة تقريباً، وذلك من جراء الفوضى التي تعيشها الأسرة المسلمة، فلا بد من استعراض واقع برامج الكبار، وأثرها على المشاهد، خاصة وقد لوحظ «أن البرامج التي تستدعي انتباه الأطفال هي البرامج المعدة للكبار»^(١).

١ - واقع برامج الكبار:

تحتل البرامج المعدة للكبار والبالغين المساحة الكبرى في التلفزيون، حيث تتضمن المسلسلات التمثيلية، والمسرحيات، والمسابقات، والنشرة الإخبارية، وبعض البرامج الرياضية، وغيرها من الفقرات، ولكن الملاحظ أن أكثر هذه البرامج - إن لم يكن كلها - لم تنطبع بعقيدة أهل المنطقة الإسلامية، ولم تراعَ فيها الآداب الشرعية واحترام مبادئ الإسلام، «فالتأمل لما تبثه الشاشة الصغيرة طوال ساعات إرسالها على القنوات لا يصدق أنه يعيش في مجتمع دينه الإسلام»^(٢)، وذلك لمغايرة معظم البرامج لمفاهيم الإسلام العامة، فما تدور عليه القصص، والروايات، والمسرحيات، والتمثيلات: «لا يزيد على أن يكون علاقات غير مشروعة بين رجل وامرأة أو بين شاب وفتاة، تُعطى في القصة أو المسرحية شرعية وواقعية ليست لها في الميزان الإسلامي، ويتم هذا في جو الفن الذي يسبغ على كل شيء جمالاً وجاذبية مهما يكن فيه من الشر»^(٣).

ويكاد يُجمع المهتمون بهذا الجانب التربوي على أن مظاهر الحب، والغرام، والعشق بين الجنسين هي المحور الرئيسي، والقاعدة الأساسية التي تدور عليها أحداث المسلسلات، والمسرحيات التمثيلية التي يعرضها

(١) عطيات، محمد عبدالله، «أثر برامج التلفزيون على الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٥٢.

(٢) عبد الصمد، محمد كامل، التلفزيون بين الهدم والبناء، ص ٢١.

(٣) قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص ٢٣٦.

التلفزيون، إلى جانب الدعاية السيئة المعتمدة على إظهار مفاتن المرأة ومحاسنها^(١).

ومعظم هذه المسلسلات التمثيلية التي تستخدم اللغة العربية من إنتاج بعض البلاد العربية، وأهمها مصر التي قد سيطرت الماسونية العالمية على وسائل إعلامها منذ العشرينات من القرن الحالي، بل وقد اشترك في بطولات كثير من الأفلام والمسلسلات ممثلون يهود في أثواب عربية وأسماء مستعارة^(٢)، مما يوحي بمدى الانحراف الذي يمكن أن تتضمنه هذه البرامج والمسلسلات.

ويتضمن البرنامج اليومي مقاطع موسيقية وغنائية يقوم بأدائها رجال، أو نساء، حيث تتضمن كثيراً من عبارات الفحش، والغرام، والتحريرض على فعل الفاحشة، إلى جانب تبرج المغنيات، وظهورهن في كامل الزينة مع ما في ذلك من استحلال للمعازف المحرمة^(*).

أما البرامج الدينية فمحلها المرتبة الأخيرة من اهتمامات المسؤولين، حيث لا تتعدى مساحتها الإعلامية واحداً بالمائة، إلى جانب أن أوقات بثها غير مناسبة، وأكثر مسلسلاتها تتصف بالعنف^(٣)، إلى جانب ما في هذه المسلسلات الدينية من المخالفة الواضحة للدين ومفاهيمه، كاختلاط الرجال بالنساء في التمثيل، وظهور النساء بغير الحجاب الشرعي، ودوران معظم القصص على وقوع الأبطال - أياً كانت منزلتهم الإسلامية والتاريخية - في

(١) انظر: الدويك، محمد طالب، «التلفزيون وأثره على طفلنا الخليجي»، مجلة التربية، العدد (٧٥)، ص ١١٣.

عطيات، محمد عبدالله، «أثر برامج التلفزيون على الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٥٣.

(٢) انظر: إبراهيم، محمد كامل، «أندية الروتاري وراء مقالات الدكتور محمد أحمد خلف الله»، مجلة المجتمع، العدد (٨٨٤)، ص ٣٠.

القطان، أحمد، «فساد الوسط الفني»، مجلة المجتمع، العدد (٨٨٨)، ص ٢٧.

(*) انظر: المبحث الثالث من هذا الفصل لمعرفة حكم الغناء وآلات اللهب.

(٣) عبد الصمد، محمد كامل، التلفزيون بين الهدم والبناء، ص ٢١ و ٥٥.

عشق النساء، مما يوحي بالدس المقصود من مؤلفي، ومخرجي هذه الروايات.

أما المحاضرات، والندوات فهي قليلة، وغير مركزة، وغير مشوقة، وأكثر موضوعاتها تدور حول مفاهيم الإسلام العامة، وبعض الآداب والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب الاقتصار على شخصيات إسلامية معينة دون التنوع، مما أدى إلى انصراف المشاهد عن هذه المحاضرات، والندوات والزهد فيها.

أما البرامج الأجنبية المستوردة، والتي تستخدم لغة أجنبية، فمعظمها مستورد من أمريكا، حيث بلغت نسبة البرامج الأمريكية المستوردة لمنطقة الخليج ٦٢، ٨١٪ من مجموع البرامج الأجنبية المستوردة من الدول الأجنبية الأخرى^(١). ومن المعروف أن الإعلام الغربي، والأمريكي بصفة خاصة إعلام كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا يُحكّم عقلاً، ولا أخلاقاً فيما يبثه وينشره من ضلالات وانحرافات، حيث يقوم الإعلام الغربي على الجنس، والتشجيع على ارتكاب الفاحشة، وإلصاق العار والخزي بالمحصنين من الجنسين: تحريضاً لهم على ارتكاب الفواحش والزنا^(٢). وقد بلغت نسبة «ما يشاهده المشاهد العادي للتلفزيون الأمريكي من مشاهد توحى وتغري بالعملية الجنسية يصل إلى أكثر من (٩٠٠٠) مشهد سنوياً»^(٣)، لهذا انتشرت عندهم الفواحش بأنواعها، والمنكرات بأصنافها، حتى عم الفساد كل شيء، من جراء هذا الأثر الإعلامي المستمر لأهل تلك البلاد، وتحريضهم على الانحراف.

ولعل من أعظم أسباب هذا التوجه الإعلامي نحو الفساد والإفساد - في

(١) مجلة التربية، «دور التلفزيون الخليجي في توازن الثقافة والترفيه والتوجيه»، العدد (٦٦)، ص ٩٩.

(٢) البار، محمد علي، الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها، ص ١١٢.

(٣) نمر، كمال كامل، أضواء على أحوال خير أمة أخرجت للناس في الولايات المتحدة الأمريكية، ص ٤٣.

أمريكا بالذات - يرجع إلى خبث اليهود(*)، الذين يقفون خلف كل رذيلة وقبيحة، فمن المعروف أن اليهود يتحكمون في شركات التلفزيون الأمريكي، إما عن طريق الامتلاك، أو السيطرة على إداراتها، وتوجيهها وجهة تخدم المصالح اليهودية العالمية^(١).

وبعد هذا العرض الموجز لواقع برامج الكبار في بلاد المسلمين، ومخالفتها الصارخة، والصريحة لمبادئ الإسلام، وعقيدة المشاهد المسلم، فإنه لا يسوغ أبداً لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يشاهد مثل هذه البرامج والمسلسلات المحرمة، فضلاً عن أن يسمح لأولاده بمتابعتها والعكوف عليها.

والأولاد يعيشون مع آبائهم المتعلقين بهذه البرامج في حالة من التناقض، والفصل الكامل بين القول والعمل؛ إذ يسمع الولد من أبيه عبارات الأمر بالمعروف، وحب الفضائل، والأمر بها، واجتناب الرذائل، والنهي عنها، ثم يراه قد عكف على هذه البرامج يشاهد النساء المتبرجات، ويتحدث عن جمالهن، وينهمك في متابعة أحداث تلك القصص المثيرة، ويستمتع إلى الغناء الخليع الفاحش، دون أن تصدر منه عبارات التذمر، أو عدم الرضا عن هذه المخالفات.

إن هذا الأب لا يمكن أن يؤثر في أولاده تأثيراً إيجابياً يدفعهم إلى الفضيلة ويباعدهم عن الرذيلة؛ بل ربما فاق الأولاد أباهم في الانحراف إذا كبروا، فلا يقبلون منه أمراً أو نهياً.

ومما لا شك فيه أن مشاهدة الولد لمثل هذه البرامج المتضمنة للغناء الفاحش، وتبرج النساء، خاصة في مرحلة الطفولة المتأخرة تثيره جنسياً،

(*) راجع الآيات من ٤١ إلى ١٢٣ في سورة البقرة حيث تصف طبيعة اليهود وما جُبلوا عليه من قبح الصفات، وحقارة الطبع، وانظر أيضاً تفسير هذه الآيات في كتاب «صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم» لفضيلة الشيخ عبد الرحمن البدوسي، ج ٢، ص ١٠٤ - ٣٣٤ فهذا من خير ما كتب في الموضوع.

(١) انظر: مجلة المجتمع، «من الذي يدير الإعلام في أمريكا»، العدد (٨٤٦)، ص ٢٤ - ٢٥.

وربما دفعته لممارسة نوع من أنواع الحب، أو الغزل مع إحدى قريباته، أو جاراته، كما أن مشاهدته لشيء من خفايا علاقة الرجل بالمرأة يدفعه إلى ممارسة ذلك مع أقرب بنت إذا سنحت الفرصة، وربما دفعته هذه الإثارة إلى ممارسة العادة السرية. فإذا حدث شيء من ذلك فإن الأب هو المسؤول الأول عن هذه الجرائم قبل الولد الذي لم يبلغ بعد سن التكليف. وقد تقدم الكلام على طبيعة الجنس عند الأطفال في المبحث الأول من هذا الفصل، مما يؤكد احتمال وقوع شيء من هذه الجرائم، في هذه المرحلة من عمر الولد.

٢ - واقع برامج الأطفال:

تُخصص محطات التلفزيون في الدول الإسلامية أوقاتاً لبث برامج تخص الأطفال، وذلك انطلاقاً من أن الأطفال يشكلون في المجتمع نسبة كبيرة من السكان، إلى جانب الاهتمام بتوعيتهم، ونشر الثقافة، والمعرفة بينهم.

وتتصف معظم هذه البرامج بالترفيه والتسلية، وشغل الفراغ، دون النظر إلى جانب تعميق المفاهيم الإسلامية في نفوس الأطفال مما يشير إلى افتقار هذه المواد الإعلامية إلى جهاز إعلامي تربوي مسلم متخصص في شؤون الأطفال^(١).

والبرامج المنتجة في بعض الدول العربية تفتقر - هي الأخرى - إلى الأهداف الإسلامية، إلى جانب افتقارها إلى أسلوب التشويق والجذب^(٢)، مما أدى إلى التوجه الكامل نحو الإنتاج الأجنبي الجذاب، الذي لا يتلائم في منطلقاته ومضامينه مع العقيدة والأخلاق التي يؤمن بها أبناء المنطقة الإسلامية.

(١) الخياط، عالية محمد، التلفزيون وتربية الطفل في البيئة السعودية، ص ١١٩ - ١٢٠.
(٢) الدسوقي، فاروق أحمد، «مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي»، وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، ج١، ص ٣٤٥.

وبعض البرامج المنتجة في الدول العربية تستوحي روحها، وفكرتها من برامج وإنتاج غربي بهدف الاستفادة من شهرتها، وأسلوبها المشوق. فبرنامج «افتح يا سمسم» الذي يعرض في منطقة الخليج، وبعض الدول العربية الأخرى، يستوحي فكرته وأسلوبه من البرنامج الأمريكي «سيسم استريت». ورغم أنه من إنتاج عربي إلا أنه يخلو تقريباً من الأهداف التربوية الإسلامية، وتغلب عليه الأهداف التعليمية، إلى جانب إبرازه للقيم والعادات الغربية^(١).

أما النصيب الأكبر، والمساحة الإعلامية الأوسع بالنسبة لبرامج الأطفال فتخصص الصور المتحركة، أو ما يسمى بأفلام الكرتون، حيث تُعرض بصورة مستمرة في أوقات منتظمة أثناء البث اليومي، وقد اتصفت هذه الأفلام بحكمة الإخراج، وصفاء الصورة، ودقة الرسم والتصوير، وجمال الألوان، إلى جانب اختيار القصص المثيرة، واستخدام الموسيقى التصويرية الجذابة، مما يستهوي الكبار فضلاً عن الصغار. ومعظم هذه الأفلام من إنتاج أجنبي، وتدور معظم أحداث رواياتها حول عنصر الصراع، والحرب، والقتال، فتارة يكون بين القطط والفئران، وأخرى بين المركبات الفضائية، وهكذا. . . والصراع في هذه الأفلام قائم بين الخير والشر، دون تحديد لطبيعة هذا الخير وحقيقته، وطبيعة هذا الشر وحقيقته، مما يُمَيِّع القضية، وحقيقة الصراع الحضاري في نفس الطفل، إذ لا بد أن يعرف أن الخير كله في دينه، والشر كله فيما سواه^(٢).

كما أن أفلام الفضاء، والأفلام الخيالية بما تحويه من الصراع والعنف، فإنها تحمل عقيدة وثنية، إذ تعرض هذه القصص، والروايات، وأنواع الصراع: بعيداً عن الله عز وجل، وكأن الكون غير محكوم بقدره تعالى ومشيئته، إلى جانب تركيزها على قضية وجود أعداء وهميين في هذا الكون

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤٤.

الخياط، عالية محمد، التلفزيون وتربية الطفل في البيئة السعودية، ص ١٢٠.

(٢) الدسوقي، فاروق أحمد، «مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي»، وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، ج ١، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

يهددون البشر، وهذا يخالف عقيدة المسلمين التي أخبر بها القرآن من وجود الملائكة والإنس والجن. وهذا النوع من الخرافة يفسد منهج التفكير عند الطفل، ويطبعه بطابع خيالي جامح بعيداً عن العلم الصحيح، إلى جانب لفت نظر الطفل، واهتمامه إلى عدو وهمي في هذا الكون غير الشيطان العدو الحقيقي للإنسان^(١).

وبعض الأفلام الكرتونية تدور قصصها ورواياتها حول الحب والغرام كما هو الحال بالنسبة لمسلسلات وتمثيلات الكبار، حيث تدور أحداث بعض هذه الأفلام على غراميات بين ذكر وأنثى من البشر، أو الحيوانات، أو الحشرات، إلى جانب ما يحدث أحياناً من القبلات، والغمز بين هؤلاء العشاق، وهذا فيه تحريك لشهوة الولد، وتعريض بالفاحشة، وتحريض على تكوين علاقات الحب والغرام مع القريبات من الإناث.

والبعض الآخر من هذه الكراتين الأجنبية تظهر فيه علامات العنصرية والتحيز واضحة جلية، فلا حق، ولا خير، ولا بطولة، ولا انتصار، إلا لأصحاب الألوان الفاتحة، والشعور الشقراء، بغض النظر عما إذا كانوا من الإنس، أو الحيوان، أما الأشقياء المعاندون، أصحاب الباطل، يظهرون دائماً من الملونين، أصحاب البشرة السمراء، فعلى سبيل المثال قصة «بويابي» البحار الأبيض الخيّر، الموحى شكله ولونه بالرجل الغربي، وصراعه المستمر مع خصمه الأسمر الشرير ذي الشعر الأسود، واللحية السوداء، الموحى شكله ولونه بالرجل العربي، ثم الانتصار المؤزر في نهاية الصراع للأبيض صاحب الحق على الأسمر صاحب الباطل، فهذه البطولات الخيالية لا تمت إلى أبناء المنطقة العربية بأي صلة^(٢)؛ بل هي تمجيد واضح للشعوب البيضاء، إلى جانب ما فيها من العنف والإثارة الصاخبة، والغراميات، والصراع على النساء.

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤٦ - ٣٤٩.

(٢) الحربش، جاسر، «العقلية الكرتونية»، مجلة اليمامة، العدد (٩٨٩)، ص ١١٧.

وبناء على ما تقدم لا بد للأب أن يدرك أن لهذه الأفلام الكرتونية أثرها البالغ في نفس الولد، فإن تأثيرها في عقله سريع جداً، ووصول فكرتها إليه مضمون أكثر مما لو مثل هذه المواقف والأدوار أشخاص عاديون^(١). فإن كان المعروض من الخير كان التأثير خيراً، وإن كان المعروض من الشر - وهو الواقع والأغلب - فإن التأثير بلا شك تأثير شرير سيء. وقد دلت «الأبحاث على أن التلفزيون يستطيع أن يؤثر في سلوك الأطفال الاجتماعي واتجاهاتهم»^(٢)، فمما لا شك فيه أن أثر هذه الأفلام واقع وحاصل في الأولاد لا محالة، وأقل أثر يمكن أن تحدثه في الولد الإثارة، والعنف، فقد دلت البحوث على أن أفلام الكرتون أكثر الأفلام عنفاً^(٣).

أما الفيديو فإنه تابع للتلفزيون من ناحية فكرته، وطبيعة عمله، وتأثيره على المشاهد، إلا أنه أسرع تناولاً لأنواع المواد الإعلامية المختلفة من التلفزيون، وأبلغ في تحكم المشاهد في أوقات العرض والمشاهدة. ويعتبر في العموم أقل خطراً من التلفزيون إذا كان في بيت مسلم، وتحت رقابة صارمة؛ إذ تتحدد أوقات العرض، وتنتقى البرامج الهادفة التربوية. أما إن كان في بيت منحل، لا ينتقي، ولا ينظم أوقات العرض فإن هذا الجهاز أخطر بكثير من التلفزيون؛ إذ يمكن أن تعرض فيه مواد إعلامية منحرفة كأفلام الجنس التي تهدم الأخلاق والآداب. أما التلفزيون - رغم ما فيه من الانحرافات - فإنه لا يعرض مثل هذا على الأقل في البلاد الإسلامية.

وفي بحث أجري في مدينة الرياض حول معرفة أنواع برامج الفيديو التي يميل إليها الأطفال: وُجد أنهم أكثر زبائن أفلام الرعب، والكراتيه. أما أفلام الكرتون والأفلام الأخرى المخصصة لهم والتي كانوا يقبلون عليها بشدة، فقد قل إقبالهم عليها في الآونة الأخيرة، واستبدلوا بها أفلام الكبار،

(١) المرجع السابق.

(٢) ليفير، إيمي، «التلفزيون للأطفال أكثر من محض تسلية»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٧٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٧١.

والأعجب من ذلك لوحظ ميلهم الشديد نحو مشاهدة الإعلانات التجارية، وإقبالهم على شراء أشرطةها المسجلة^(١).

وهذا مؤشر خطير إذ أن هذه الأنواع من مواد الفيديو التي أشار إليها البحث تضر الأولاد، فأفلام الرعب والكراتيه أقل ما تسببه الميل إلى العنف كما دلت على ذلك البحوث^(٢)، وأفلام الكبار البعيدة عن الرقابة خطرهما لا يخفى كما تقدم ذكره. أما الإعلانات التجارية بما فيها من السخافة، والكذب، والخداع، فإنها تعتمد على السرعة، وعدم الثبات، وجذب الانتباه وتشتيته في نفس الوقت في جو موسيقي جذاب، فضلاً عما فيها من تحريك لمكان الشهوة بعرض مفاتن المرأة، وابتذال جسمها لترويج المنتجات التجارية، مع خلوها تماماً من الأهداف التربوية. وقد دلت نتائج أحد البحوث الميدانية التي أجريت بمصر بعنوان «برامج وإعلانات التلفزيون كما يراها المشاهدون والمعلنون»: أن ٩٨,٦٪ من الأطفال يشاهدون الإعلانات بصفة منتظمة ومستمرة^(٣)، وهذا يؤكد نتائج صحيفة «رسالة الجامعة» المتقدم ذكرها.

ورغم هذا الخطر المتوقع من أجهزة الفيديو نجد أن انتشاره في دول العالم الثالث كبير جداً، فعلى سبيل المثال دول الخليج العربية السبع يوجد بها حوالي خمسة ملايين جهاز فيديو في حين أن هذا العدد من أجهزة الفيديو لا يوجد في كل من فرنسا وبلجيكا وبريطانيا مجتمعين^(٤)، فهذا الانتشار الواسع، مع سوء الاستعمال يؤدي بلا شك إلى انحرافات أخلاقية خطيرة.

(١) صحيفة رسالة الجامعة، «أثر مواد الفيديو على الأطفال من خلال استطلاع آراء وأقوال بعض

أصحاب محلات بيع أشرطة الفيديو في مدينة الرياض»، العدد (٣٦٦)، ص ٦.

(٢) انظر: ليفير، ايمي، «التلفزيون للأطفال أكثر من محض تسلية»، مجلة رسالة المعلم، العدد

(٣)، ص ٧٠ - ٧١.

(٣) كجك، مروان، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، ص ١٥٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢٩.

ثالثاً: أضرار التلفزيون .:

بناء على ما تقدم من ذكر لخطورة جهاز التلفزيون، وأثره البالغ على النشء وبعض المضار الناجمة عن استخدامه دون قيد، أو نظام، نستعرض في هذه الفقرة بإجمال أخطار التلفزيون ومضاره العامة، التي تضمنتها بعض البحوث والدراسات في هذا المجال، وبعض الكتابات، والمقالات التربوية، وذلك ليثبت للأب حقيقة الوضع القائم بالنسبة لبرامج هذا الجهاز، وأثاره الخطيرة على الأولاد. وفيما يلي نستعرض هذه المضار :

- ١ - مغايرة معظم برامج التلفزيون لروح الإسلام، وعقيدته^(١).
- ٢ - إثارة الشهوة الجنسية عند الأطفال، والإغراء بالفاحشة، والجريمة^(٢).
- ٣ - يفسد التلفزيون والسينما التربية التي تقدمها الأسرة الصالحة، والمدرسة الجادة للأطفال، وذلك لأن للقدوات التلفزيونية نفس الفعالية والتأثير في نقل السلوك المنحرف وأنماطه^(٣).
- ٤ - بث الغناء الخليع الماجن، والموسيقى المحرمة في جميع ما يعرض تقريباً.
- ٥ - إعطاء الأطفال صورة خاطئة عن حياة البالغين، وتسهيل تنفيذ عمليات القتل، والسطو، والاعتصاب^(٤).

(١) عبد الصمد، محمد كامل، التلفزيون بين الهدم والبناء، ص ٢١.

(٢) القطان، أحمد، واجبات الآباء نحو الأبناء، ص ٣٨.

جريشة، علي محمد ومحمد شريف الزبيق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص ٧١.

(٣) التوم، بشير حاج، التربية والمجتمع، ص ٣٦.

شاولي، أحمد توفيق، «القولبة أو التعليم عن طريق الملاحظة»، مجلة كلية التربية، العدد (٩)، ص ١٩.

(٤) أيوب، وليد، «التلفزيون وأثره على الأطفال والمراهقين»، مجلة التربية، العدد (٣٣)، ص ٧٥.

- ٦ - خلو معظم برامج التلفزيون المنتشرة في منطقة الخليج من الأهداف التربوية الإسلامية^(١).
- ٧ - تُغفل أفلام الكرتون الأجنبية قدرة الله في الكون، وحقيقة الصراع بين الحق والباطل مع صرف انتباه الطفل عن عدوه الحقيقي وهو الشيطان إلى أعداء وهميين^(٢).
- ٨ - معظم أفلام الكرتون والمتعلقة منها بالفضاء - بصفة خاصة - تتحدث عن معتقدات وعقائد وثنية^(٣).
- ٩ - يتأثر الأطفال بما يقدمه التلفزيون من مسلسلات، وأفلام تبرز جانب العنف، وقد وُجد أن أكثر البرامج عنفاً هي أفلام الكرتون^(٤).
- ١٠ - تُظهر روايات وقصص أفلام الكرتون احتقار الملونين من الناس، مع التركيز على إبراز الرجل الأبيض وتمجيده^(٥).
- ١١ - أثبتت نتائج أحد البحوث أن وجود التلفزيون في البيت يثير الاهتمام بوسائل الإعلام الأخرى كالمرح، والسينما^(٦).
- ١٢ - يتأثر الأطفال بما يسمعون من عبارات وكلمات نابية، وشتائم، ولغة عامية، عن طريق المسلسلات، والبرامج التلفزيونية حيث يقومون بتريديد هذه الكلمات والعبارات^(٧).

(١) الدسوقي، فاروق أحمد، «مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي»، وقائع ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، ج ١، ص ٣٤٥.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤٦ - ٣٥٠.

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤٩.

(٤) ليفير، أيمن، «التلفزيون للأطفال أكثر من محض تسلية»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٧٠ - ٧١.

(٥) الحربش، جاسر، «العقلية الكرتونية»، مجلة اليمامة، العدد (٩٨٩)، ص ١١٧.

(٦) درويش، كمال ومحمد الحماحمي، الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، ص ١٨٣.

(٧) عطيات، محمد عبدالله، «أثر برامج التلفزيون على الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٥٢.

١٣ - يُسبب وجود التلفزيون في البيت تأخير موعد نوم الأطفال في المساء^(١).

١٤ - يزيد التلفزيون من النزعة السلبية عند المشاهد؛ إذ يتقبل ما يعرضه هذا الجهاز دون أن يكون له نشاط مردود تجاه ما يشاهده ويسمعه^(٢).

١٥ - تسبب بعض المسلسلات، والروايات التلفزيونية أحلاماً مفرجة للطفل^(٣).

١٦ - يعطل التلفزيون أفراد الأسرة عن التسامر، وتبادل الحديث، إلى جانب استغلاله لمعظم وقت الفراغ فلا تُمارس الهوايات، ولا يُهتم بالقراءة والاطلاع^(٤).

١٧ - يمكن أن يكون التلفزيون سبباً في تشجيع الأولاد على تعاطي المخدرات، وذلك بسبب ما تبثه بعض المسلسلات والأفلام من تمجيد لمتعاطي المخدرات^(٥).

ويضاف إلى ما تقدم من الأضرار ما تتضمنه بعض المواد الإعلامية من أفكار منحرفة، فإن كثيراً من البرامج التلفزيونية تتضمن أفكاراً، وآراء مخالفة لمفاهيم الدين الإسلامي، حيث تُستغل بعض المسلسلات، والأفلام، والمسرحيات في نشر وبث هذه الأفكار وترويجها باسم الفن خاصة إن كان كُتّاب هذه الروايات والبرامج التمثيلية من النصاري، أو من بعض المسلمين المأجورين. ومن هذه الأفكار التي يروج لها الإعلام قضية فصل الدين عن

(١) عيسوي، عبد الرحمن، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧.

أنظر أيضاً: إمام، إبراهيم، «نحو نظرة علمية هادئة للتلفزيون ومسلسلاته»، صحيفة الندوة، العدد (٨٩٠٣)، ص ٣.

(٣) يونس، أحمد السعيد، طفلك في عامه الثامن، ص ٧٥.

(٤) الدويك، محمد طالب، «التلفزيون وأثره على طفلنا الخليجي»، مجلة التربية، العدد (٧٥)، ص ١١٤.

(٥) مراد، عزت، «الإدمان في ربيع العمر»، صحيفة البلاد، العدد (٨٨٣٢)، ص ٣.

حياة الناس وعن الدولة، وجعله قضية شخصية، أو الدعوة إلى التآخي بين المسلمين والنصارى، أو المناداة بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل في جميع الشؤون، أو مقت مشروعية تعدد الزوجات، وقذف المعددين بالجريمة والظلم، وغير ذلك من الآراء والاتجاهات المخالفة لروح الإسلام، ومعتقدات المسلمين(*) .

رابعاً: حل مشكلة التلفزيون:

بناء على ما تقدم من المعلومات تظهر خطورة هذا الجهاز بوضعه الحالي، حيث انعقد إجماع معظم المهتمين بالتربية من المسلمين وغيرهم على أن للتلفزيون أضراراً خطيرة على الأطفال، غير أن بعض الآباء والمعلمين يرى وجود بعض الفوائد للطفل، مثل: الحصول على معلومات جديدة، وتوسيع الأفق^(١)، وهذا حق، ولكن كثرة الباطل تذهب بما يُظن به الخير، ومن المعروف من مقاصد الشريعة عند الأصوليين أن درء المفسدة أولى من جلب المصلحة^(٢)، كما أن هذه المعلومات، والمعرفة التي يمكن أن يتحصلها الطفل من بعض برامج التلفزيون لا تزيد في معلومات الطفل الذكي الواسع الأفق، إذ يمكن أن يتحصل عليها من مصادر أخرى، أما الطفل القليل الذكاء الضيق الأفق، صغير السن، هو الذي يمكن أن تفيده هذه المعلومات التلفزيونية شيئاً جديداً لا يعرفه، ولا يمكنه تحصيله عن طريق آخر^(٣) .

ومما لا شك فيه أن هذا الجهاز في طبيعته محايد ذو حدين، إذا

(*) للوقوف على مزيد من البيان والتوضيح حول أضرار التلفزيون والفيديو انظر كتاب «الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون» للأستاذ مروان كجك، فقد جمع فيه كثيراً من المعلومات القيمة التي تهم رب الأسرة.

(١) انظر: أيوب، وليد، «التلفزيون وأثره على الأطفال والمراهقين»، مجلة التربية، العدد (٢٣)، ص ٧٥.

(٢) انظر: أبوزهرة، محمد، أصول الفقه، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٣) الدويك، محمد طالب، «التلفزيون وأثره على طفلنا الخليجي»، مجلة التربية، العدد (٧٥)، ص ١١٢.

استعمل في الخير أفاد ونفع، وإذا استعمل في الشر أضر وأفسد. وواقعه الحالي أنه مستغل استغلالاً كاملاً لحساب الشر والباطل، إلا في جانب يسير منه.

فلو استعمل التلفزيون لنشر الخير والحق لأفاد الأطفال بتقريب الإسلام ومفاهيمه العظيمة إلى أذهانهم، مستغلاً في ذلك التمثيلية الهادفة ذات القصة الواقعية، أو التاريخية، التي تبرز الجوانب المشرقة لتاريخ المسلمين وأبطاله، أو إبراز بعض الآداب الإسلامية والخلقية كالأمانة، والصدق، والصبر، والتضحية، والإيثار، من خلال مواقف القصص والروايات الهادفة. كما يمكن الاستفادة من حب الأطفال للرسوم المتحركة في استغلالها وتسخيرها لنشر الوعي الإسلامي، وبعض الآداب الإسلامية بين الأطفال الصغار، فقد دلت بعض الدراسات على «أن التلفزيون قادر على تعليم الأطفال السلوك الاجتماعي الذي يُقدِّره الآباء»^(١)، فإذا عُرض برنامج يتضمن مفاهيم حول التعاون مثلاً، فإن الأطفال الذين يشاهدون هذا البرنامج يتأثرون بهذا المفهوم أكثر من الأطفال الذين لم يشاهدوه^(٢)، وهذا يدل على قدرة هذا الجهاز الفاتكة على التأثير والتوجيه.

كما يمكن من خلال هذا الجهاز توحيد الأفكار، والمشاعر، والعادات، والتقاليد، وأنماط السلوك، والقيم، لأن آفاقاً من الناس يشاهدونه ويتعرضون لنفس المؤثرات^(٣).

كما يمكنه تعريف الطفل بأحوال المسلمين في العالم، وطبيعة حياتهم، ومشاكلهم، ليتقوى لديه جانب الأخوة في الله، ويتركز في نفسه الانتماء إلى الوطن الإسلامي الكبير.

ويضاف إلى هذا برامج أخرى مكملة كالمحاضرات، والندوات العلمية

(١) ليفير، ايمي، «التلفزيون للأطفال أكثر من محض تسلية»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، ص ٧٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عيسوي، عبد الرحمن، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، ص ٢٥.

المتنوعة والتي تديرها شخصيات إسلامية مختلفة، إلى جانب عرض الأفلام والبرامج العلمية التعليمية الهادفة، وغير ذلك من مواد الإنتاج الإعلامي التي لا تتعارض مع مفاهيم الإسلام العامة، مع عدم إغفال الجانب الترفيهي في حدود الآداب الإسلامية.

فلو توجه الإعلام في البلاد الإسلامية بفروعه المختلفة - وعلى رأسها التلفزيون - نحو الالتزام بمنهج الإسلام فيما يُعرض، ويُسمع، ثم تعاضدت معه المؤسسات التربوية الأخرى كالأسرة، والمسجد، والمدرسة لتغير وجه الدنيا في زمن قصير لا يزيد على جيل واحد، يتربى على منهج التربية الإسلامية، ويعيش بالإسلام قولاً وعملاً، اعتقاداً وتطبيقاً، فيثقل وزنه ويثبت على الأرض فلا يتمكن سيل الانحراف الجارف من حمله غشاء كما حمل الجيل السابق.

ولكن ريثما يحدث هذا التوجه الإعلامي نحو التزام منهج الإسلام في البرامج التلفزيونية، فإن الحل الأمثل والمؤقت للآب المسلم لحماية أولاده من مفساد هذا الجهاز بوضعه الحالي هو إقصاؤه بالكلية من البيت طاعة لله عز وجل الذي يأمر المؤمنين بقوله: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ ذَلِكَ أَرْكَانُ هُمْ إِنْ أَلَّهَ خَيْرٌ مِمَّا يَصْنَعُونَ ﴾^(١)، وطاعة لرسوله ﷺ الذي يقول في نظرة الفجأة: «اصرف بصرك»^(٢)، ثم يمارس ذلك عملياً عليه الصلاة والسلام مع الفضل بن العباس عندما جاءت المرأة الخثعمية تسأله، والفضل رضي الله عنه ينظر إليها والرسول ﷺ يصرف وجهه نحو الشق الآخر محافظة على ابن عمه، وحماية لقلبه من النظر المحرم^(٣). ويقول الإمام القرطبي رحمه الله: «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته. ووجب التحذير

(١) النور ٣٠.

(٢) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الاستيذان، باب في نظر الفجأة، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٣) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، ج ٢، ص

منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من أجله»^(١)، ويقول الإمام الزهري رحمه الله في النظر إلى البنت الصغيرة التي لم تحض بعد: «لا يصح النظر إلى شيء منهن ممن يُشتهي النظر إليه وإن كانت صغيرة»^(٢)، فكيف بالكبيرات اللاتي يظهرن على الشاشة في كامل الزينة والجمال؟. يقول ابن تيمية رحمه الله: «المرأة يجب أن تُصان وتُحفظ بما لا يجب مثله في الرجل، ولهذا حُصِّت بالاحتجاب، وترك إبداء الزينة، وترك التبرج، فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت ما لا يجب في حق الرجل. لأن ظهور النساء سبب الفتنة»^(٣)، ويقول تلميذه ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر خطر الزنا، قال: «ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدماً على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدؤها من البصر، كما أن معظم النار من مستصغر الشرر»^(٤)، ويُنقل عن بعض السلف أن المرأة كلها عورة حتى ظفرها^(٥)، ولعل هذا القول هو الأحوط في حدود حجاب المرأة وذلك لكثرة الفتن في هذا الزمان.

وبناء على هذه الأدلة وغيرها في هذا الباب يتضح بجلاء حرمة النظر إلى عورات النساء على الطبيعة، أو على شاشة التلفزيون، فلا يجوز للأب المثلث أمام هذه الشاشة، أو تمكين أولاده من ذلك أثناء عرض برامج تظهر فيها عورات النساء، أو يُرى فيها المنكر من الرقص الماجن، أو شرب الخمر، أو غير ذلك من المحرمات.

وقد أفتى الشيخ عبدالله ناصح علوان رحمه الله بحرمة اقتناء التلفزيون بوضعه الحالي، فقال: «إن اقتناء التلفزيون، والنظر إليه، والاستماع إلى

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص ٢٢٣.

(٢) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ الآية، ج٢٣، ص ١٠.

(٣) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج١٥، ص ٢٩٧.

(٤) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٧٨.

(٥) انظر: ابن أبي شيبه، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب النكاح، في الغيرة وما

ذكر فيها، ج٤، ص ٤٢٠.

برامجه الحالية يعد من أكبر الحرام، وأعظم الإثم»^(١). وبنى رحمه الله فتواه هذه على الأدلة الشرعية الكثيرة المتعلقة بالنظر إلى المحرمات، وعلى استحالة إمكانية التحكم في عرض البرامج النافعة دون الضارة منها، وأن هذا لا يمكن تحقيقه في الواقع^(٢)، وقد صدرت فتاوى مشابهة تفيد حرمة النظر والاستماع إلى المحرمات والمنكرات التي تُعرض في التلفزيون، حيث أفتى بذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز^(٣)، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين^(٤)، ومجموعة من المشايخ التابعين لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية^(٥).

وليس غريباً أن تصدر الفتاوى الصريحة ضد برامج التلفزيون من علماء الأمة المخلصين، خاصة وأن بعض رجال الغرب من العقلاء، قد تنادوا بمثل ذلك، فبعضهم ينصح بالتقليل من مشاهدته ويضع الوسائل لذلك، وبعضهم يحذر من خطورته كما تقدم، وبعضهم زاد على ذلك بأن يوصي بإلغاء التلفزيون بالكلية كجهاز معتقداً عدم إمكانية إصلاحه، فيقول جيري ماندر في كتابه «أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون»:

«ربما لا نستطيع أن نفعل أي شيء ضد الهندسة الوراثية والقنابل النيوترونية، ولكننا نستطيع أن نقول (لا) للتلفزيون، ونستطيع أن نلقي بأجهزتنا في مقب الزبالة حيث يجب أن تكون. . إن التلفزيون لا يتقبل الإصلاح عادة، إن مشاكله كامنة في التقنية نفسها تماماً كما أن العنف كامن في البنادق، ولا يستطيع خبراء

(١) علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢، ص ٩٢٣.

انظر أيضاً: علوان، عبدالله ناصح، حكم الإسلام في وسائل الإعلام، ص ٨.

(٢) انظر: علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ج ٢، ص ٩٢٨.

(٣) انظر: ابن باز، عبد العزيز بن عبدالله، الفتاوى، ج ١، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٤) انظر: العثيمين، محمد صالح، أسئلة مهمة، ص ٢٢.

(٥) انظر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث

الإسلامية، العدد (١٨)، ص ٧٦.

التلفزيون تغيير ما يمكن أن يخلفه الجهاز من تأثيرات على مشاهديه، هذه التأثيرات الواقعة على الجسد والعقل لا تنفصل عن تجربة المشاهد^(١).

وهذه التوصية التي وصل إليها هذا الباحث الغربي إنما صدرت عن تجربة وبحث طال خمس عشرة سنة حيث ثبت عنده هذا اليقين فصرح به بكل شجاعة دون تردد، فكيف إذا ثبت الخطر والانحراف في برامج هذه الأجهزة عن طريق الوحي الإلهي المعصوم من الخطأ، فلا شك أن الوقوع في نفس المؤمن من توجيهات الوحي أشد وأعظم، فكيف إذا قرن الوحي الصادق بالنتائج العلمية المخيرية المتواترة؟ فإن اليقين بذلك يتأكد فيزيد الاطمئنان إلى فتاوى علمائنا الكرام.

أما القول بأن ما يُعرض على التلفزيون مجرد صورة لا تأثير لها، فهو قول ساقط لا يلتفت إليه، ولو صح لما كان هناك فرق بين المذيع والتلفزيون، ولم يكن له ميزة يتفوق بها، ولجاز النظر إلى المحرمات عن طريق المرآة، ولجاز أيضاً النظر إلى صور النساء الفوتوغرافية، ولا يمكن أن يقول بذلك عاقل.

ولا شك أن الأب الذي يقتنع بوجوب الاستغناء عن هذا الجهاز وقد تعلق أولاده به فإنه يواجه مشقة وعتاً شديداً؛ إذ قد تعود الأولاد على مشاهدة برامجه ساعات طول اليوم، ولكن عزاء الوحيد استحضار قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٢)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتِّمَامًا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

(١) كجك، مروان، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، ص ٢٥٣.

(٢) التحريم ٦.

رَّحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ، فالأزواج والأولاد يمكن أن يكونوا وبالأعلى على الآباء، يدفعونهم بعواطفهم الجياشة نحو ارتكاب المعاصي، والمحرمات، ولهذا حذر الله من الانصياع لأهوائهم وشهواتهم ويقول في ذلك عليه الصلاة والسلام: «الولد محزنة مجبنة مجهولة مبخلة»^(٢)، أي أن الذرية تسبب الحزن للأب لمرضها، أو موتها، وتسبب الجبن عن الإقدام والجهاد في سبيل الله وتشغل عن العلم والإنفاق في وجوه الخير والبر، فهم فتنة للأب في الدنيا يختبره الله بهم، ويتلي إيمانه ويقينه ليعرف مدى حبه له عز وجل. وهذه سنة الله في عباده المؤمنين يتليهم ليختبرهم وليرفع منزلتهم، وقصة نبي الله إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام من أبرز الأمثلة الواضحة في بيان سنة الله عز وجل مع عباده المؤمنين المطيعين لأمره، حيث أبرزت هذه القصة كيف أن الله ابتلاه ورفع منزلته، ونجاه من أن يذبح ابنه بعد أن خلص قلبه لله، وثبت حبه وولائه لله وحده، وأعرض عن الشيطان ووساوسه التي يدخل بها على المؤمنين، فلا بد للأب أن يتمثل هذه المواقف، ويقتدي.

ومن وساوس الشيطان ومكره أن يحذر الأب بأن في استغنائيه عن التلفزيون، وإقصائه لهذا الجهاز دفع للأولاد إلى وسائل الإعلام الأخرى، وربما جعلهم يتلصصون لمشاهدته عند الجيران، وهكذا حتى يشبطه عن عزيمته، ولكن لا بد أن يعرف الأب أن نتائج البحث العلمي أثبتت أن «وجود التلفزيون يثير الاهتمام بوسائل الإعلام الأخرى»^(٣)، كما أن عدم وجوده لا يثير هذا الاهتمام، فليس في عزله ضرر.

وربما دخل الشيطان على الأب من باب قيامه بتحذير الأولاد عند رؤية المناظر المخالفة للدين، وبيان حرمتها، وبذلك يكون قد أدى واجبه

(١) التباين ١٤ - ١٥ .

(٢) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٧٢٥٥)، ج ٤، ص ٤٣١ .

(٣) درويش، كمال ومحمد الحماحمي، الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، ص

١٨٣ .

تجاههم، وقدم النصيحة المفروضة عليه، وهذا يمكن أن يفيد فائدة لا بأس بها إذا اقترن مع التحذير الإقلاع عن رؤية ذلك المنظر المخالف، وإغلاق الجهاز في الحال، وهذا الأسلوب يُنصح به الأب كمرحلة وسط بين الإنهماك مع هذا الجهاز، وإقصائه بالكلية. إذ «أن احتقار الوالد لأحد البرامج التلفزيونية ينقل هذا الاحتقار بحيث يصبح موقفاً للابن من هذا البرنامج، إن الابن يتعالى بدوره عن مشاهدة أي شيء لا يرضى عنه والده»^(١).

أما تحذير الأولاد من المناظر المحرمة، ومنعهم من رؤيتها دون إقلاع الكبار عنها، بل يصاحب ذلك عكوفهم المستمر، وانسجامهم، وانهماكهم معها، فإن هذا السلوك المتناقض يسبب في نفس الولد - خاصة الصغير - خلخلة؛ إذ لا يفهم، ولا يستطيع أن يدرك كيف يُنهى هو عن هذه المشاهد، ويُسمح لغيره؟. وإذا كانت هذه المناظر ضارة بالصغار فكيف تكون نافعة للكبار؟، كما أن هذا الأسلوب الخاطيء يزيد من شوق الولد ورغبته في رؤية هذه البرامج التي مُنع منها حباً للاستطلاع، ورغم الخطأ الواضح في هذا الأسلوب إلا أنه يقع أحسن بكثير من أسلوب الأب الذي يبين للأولاد الفساد في بعض البرامج، والانحراف فيها، ثم يسمح لنفسه، ولأولاده بمشاهدتها، والعكوف عليها، وهذا الأسلوب الأخير من أخبث الأساليب وأضلها، وأفتكها بشخصية الولد؛ إذ يتعلم جواز مخالفة القول للعمل، ومشروعية النفاق، فضلاً عن المخالفات الشرعية التي يشاهدها على الشاشة مع أهله ووالده.

وهذا من العمى الذي ابتلي به بعض الناس؛ لغلبة الشهوة على النفوس، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام مبيناً مدى أثر حب الشيء على العقل والفكر: «حبك الشيء يصم ويعمي»^(٢).

والواجب على الأب إن كان قد تزوج حديثاً أن لا يكون التلفزيون من بين مستلزمات فرش المنزل، وذلك حفاظاً على نفسه، وأهله، وذريته

(١) يكن، منى حداد، أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، ص ٦٤.

(٢) أحمد، المسند، ج ٦، ص ٤٥٠.

المنتظرة. أما إن أتى به، أو أُدخل عليه رغماً عنه، فعليه أن يسارع بالتخلص منه قبل أن يكبر الأولاد ويتعلقوا به فيصعب حينئذ اتخاذ القرار الحاسم.

أما إن جاء قرار الأب بعزل هذا الجهاز متأخراً، بحيث قد تعلق الأولاد به، وشُغفوا بحبه، فإن الحكمة المطلوبة في أسلوب إعلان قرار الإلغاء وتطبيقه، إذ أن الاستعجال في تنفيذه دون تهيئة الأولاد لذلك ربما سبب إزعاجاً لهم، وشعوراً بالحرمان، فهم لا يدركون كيف يُباح لهم الاستمتاع بالمشاهدة في الأمس القريب، ثم يُحرّم عليهم اليوم. فالتغير الذي حدث في نفس الوالد تجاه التلفزيون لم يحدث في نفوس الأولاد بعد، لهذا فإنه لا بد من التدرج.

وهذا النوع من القرارات العاجلة عادة لا ينجح إلا في الأسر المترابطة، ذات العلاقات العاطفية القوية، والصلة الأبوية المتينة، والحب العميق المتبادل بين الأب والأولاد، بحيث لا يستطيع الأولاد تحت الضغط العاطفي، والحب المتبادل، عصيان أبيهم بل يسارعون بالاستجابة، ويتصبرون، ثم سرعان ما يتعودون على نمط الحياة الجديد، ويستقيمون مع الفطرة، ومنهج الإسلام الصحيح، وذلك لأن الطفل سريع التأقلم والتغيير.

أما أسلوب التدرج الراجح في حل هذه المشكلة، فإن الأب هو أدرى الناس بتحديد مراحل الزمنية، وخطواته التطبيقية بانياً ذلك على خبرته، ومعرفته بأولاده، ومدى تعلقهم بالتلفزيون، ولكن وقوفه على بعض المقترحات في هذا الجانب يمكن أن يفيد ويعينه في مهمته الصعبة.

وأول خطوة تُقترح بعد اللجوء إلى الله عز وجل، وطلب العون منه: التقليل من مشاهدة التلفزيون بحيث لا يرى الولد أباه يشاهده إلا قليلاً، فإن كثرة أو ندرة مشاهدة الوالد للتلفزيون تؤثر على مدى مشاهدة الولد له^(١)، ويجعل الأب هذه الأوقات القليلة التي يخصصها لمشاهدة التلفزيون لصالح

(١) عطيات، محمد عبدالله، «أثر برامج التلفزيون على الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد: (٣)، ص ٥١.

البرامج النافعة، كالدوات، أو الأفلام العلمية، أو النشرة الإخبارية، وغيرها من البرامج التي يقل فيها الفساد. ثم يعقب هذه الخطوة بإشغال الأولاد عند بث البرامج المفسدة ببعض النشاطات المشوقة، كالخروج للنزهة، أو ممارسة نوع من الرياضة، أو الصعود إلى سطح المنزل لاستنشاق الهواء، أو أخذهم باستهواء إلى غرفة أخرى بعيداً عن التلفزيون والتحدث إليهم وملاطفتهم ومداعبتهم، وهذه من أعظم أساليب استهواء الأطفال، إذ أن أسعد أوقاتهم، وأحبها إليهم تفرغ الأب لهم بعض الوقت، واستماعه لقصصهم، وما يروونه من أحداث، فلا بد للأب أن يستغل هذا الميل عندهم.

ثم يعقب ذلك إظهار الأب شيئاً من التذمر، وعدم الرضا عن بعض البرامج التلفزيونية السيئة، والإعراض عنها، كأن يخرج من الغرفة مثلاً مشعراً الأولاد بذلك، ويحاول من وقت لآخر أن يعلق على الفقرات التلفزيونية السيئة بشيء من البيان خاصة ببرامج الكبار، بحيث يبين انحرافات ومخالفاتها للدين، وعدم رضى الله عنها، وأنه لا يليق بالمسلم مشاهدتها، ثم يتخذ بعد ذلك القرارات الجماعية بإغلاق الجهاز عند بث البرامج التي لا تخص الأولاد، ويكتفي بما هو مخصص لهم. فإذا سلك الأولاد هذا المرتقى الصعب، وتعودوا مشاهدة ما يخصهم من البرامج فقط كأفلام الكرتون، وبرامج الأطفال، وما شابه ذلك دون الاهتمام ببرامج الكبار، فإن الأب بهذا الإنجاز يكون قد نجح نجاحاً كبيراً، وحمي أولاده من الخطر الأكبر، والمشكلة الأعظم، ويعزز الأب نجاحه هذا بمدح الأولاد وتقديم الهدايا التشجيعية لهم.

ثم يبقى على الأب بعد ذلك تزويد الأولاد في البرامج المخصصة لهم، وفي هذا شيء من الصعوبة، أولاً: لتعلق الأولاد بهذا النوع من البرامج، وثانياً: لصعوبة اقناعهم بفسادها، وذلك لأن فسادها - كما تقدم - مدسوس خفي لا يلاحظه أكثر الكبار فضلاً عن الصغار.

وفي هذه الحالة لا بد من البدائل المشروعة، إذ ليس من المنطق والعقل منع الأولاد من متعة تعلقوا بها دون إبدالهم بغيرها، والمقترح هو

استخدام جهاز الفيديو المتصل بجهاز التلفزيون في عرض بعض أفلام الأطفال العلمية، وأفلام الكرتون التي تنتجها بعض الهيئات الإسلامية، على أن يكون ذلك العرض في نفس الوقت الذي تُبث فيه أفلام الكرتون التلفزيونية المعتادة، وبذلك يكون الأب قد منع أولاده من مشاهدتها، بأسلوب سهل، وأفاد الأولاد ببعض المعلومات الجيدة من خلال أفلام الكرتون الجديدة التي لا تتعارض مع مفاهيم الإسلام؛ بل تبثها وتنشرها، إلى جانب دعم هذه الهيئات الإسلامية المنتجة لهذه الأفلام، خاصة وأنها قليلة الانتشار، وضعيفة التمويل.

وإذا لاحظ الأب على أولاده شيئاً من الملل لتغير طبيعة الأفلام والبرامج عليهم، أو لضعف الإخراج، وقلة المادة الإسلامية المنتجة: فإن استخدام ألعاب الكمبيوتر الهادفة يمكن أن تسد هذه الثغرة، فهي مشوقة، ومرنة، وسهلة الاستخدام، فيمكن الأب تزويد أولاده ببعض برامج الكمبيوتر المتضمنة لبعض الألعاب التي تعتمد على التوافق بين حركة العين واليد كسباق الحيوانات، أو معارك الدبابات والطائرات، أو التدريب على المرور بين الخطوط دون لمسها، أو غير ذلك من الألعاب.

ولا شك أن الفائدة التربوية من هذا النوع من ألعاب الكمبيوتر قليلة، وربما تكون معدومة، ولكن الأب يستغلها كخطوة أولى تدريجية نحو استخدام برامج الكمبيوتر التربوية والتعليمية الهادفة، كاستخدام برامج المسابقات التاريخية والسيرة النبوية، والمعلومات العامة، وبرامج التدريب على الحساب والرياضيات، وبرامج تعليم اللغة العربية، وغير ذلك من البرامج الهادفة التي تم إعدادها في أشرطة سهلة التداول ورخيصة الأسعار.

وبهذا الأسلوب التربوي يكون الأب قد حفظ أولاده من خطر التلفزيون بتزويدهم في برامجهم، وإعطائهم البديل النافع الذي يشغل وقت فراغهم، ويزودهم بمعلومات جديدة مفيدة، ويُعوّضهم المعلومات التي يُظن فواتها من برامج التلفزيون العادية. ولا بأس حينئذ بمصارحة الأولاد الكبار بحكم ما

يُعرض على التلفزيون من البرامج الصالحة وغيرها، وتزويدهم بفتاوى العلماء في ذلك ليكمل يقينهم .

فلو قرر الأب بعد هذا المشوار التربوي الشاق أن يستغني عن التلفزيون، ويقصيه بالكلية من المنزل، فالمتوقع أن يكون قراره هذا جماعياً يشاركه فيه الأولاد. ولو لم يتخذ الأب الإجراء اللازم لإخراج التلفزيون من البيت فإن المتوقع أن الأولاد قد تحصنوا ضده، ولن يشاهدوا إلا النافع دون الضار - هذا إن شاهدوه - وهذا أبلغ في استقامتهم على المبدأ مستقبلاً .

ولن يضير الولد مشاهدة التلفزيون عند الجيران أو الأقارب، بل لن يهتم بذلك لزهده فيه أصلاً، فلو حدث شيء من الميل عند الولد نحو برنامج منحرف عُرض على التلفزيون عند أحد الأقارب أثناء زيارة ما، فإن الأب ينبهه إذا وجد فرصة، وإلا عاتبه في البيت إذا رجع وبين له الخطأ في هدوء دون شدة .

والمقترح للأب أن لا يزور الأقارب، أو الجيران، الذين لا يلتزمون بالأدب الإسلامي فيما يشاهدونه على التلفزيون في أوقات البث التلفزيوني، أو على الأقل في أوقات بث البرامج السيئة، خاصة في فترة تدريب الأولاد على هجر التلفزيون، والزهدي فيه .

ولا بد أن يعرف الأب أن مسؤوليته لا تنتهي بمجرد التوجيه والبيان، بل لا بد من المتابعة، والصبر، والتلطف مع الصغار، فهذه هي سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام مع الصبيان إذا أمر بأمر تابع الولد حتى ينفذه، يقول أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: «كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني نبي الله ﷺ، قال فخرجت حتى أمر على الصبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس اذهب حيث أمرتك. قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله»^(١).

(١) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ، حديث رقم =

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أهمية متابعة الصبي في تنفيذ الأوامر، حتى وإن أظهر الصبي ممانعة كما فعل أنس رضي الله عنه بقوله: «والله لا أذهب» ولكن الرسول ﷺ لم يلتفت إلى ممانعته لصغر سنه وكونه دون سن التكليف^(١)، بل لحقه حتى السوق، وأمره بأن يذهب حيث طلب منه، والأب يقتدي برسول الله ﷺ في الصبر على الأولاد، ومتابعتهم في تنفيذ الأوامر بشيء من الملاطفة والإحسان.

= (٤٧٧٣)، ج ٤، ص ٢٤٦.
(١) انظر: العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ، حديث رقم (٤٧٥٢)، ج ١٣، ص ١٢٩.

المبحث الثالث

الغناء والموسيقى

- أولاً: واقع الغناء والموسيقى
- ثانياً: الأضرار النفسية والخلقية للغناء والموسيقى
- ثالثاً: حكم الغناء والموسيقى
- رابعاً: حكم الحداء والإنشاد

المبحث الثالث

الغناء والموسيقى

عمت المعازف بأصنافها، والغناء بأنواعه أرجاء الدنيا، فلا يكاد يخلو مكان يرتاده الناس إلا وتُسمع فيه الموسيقى وأصوات المغنين والمغنيات، وقد عمت هذه البلوى بلاد المسلمين حتى أصبح الغناء المصحوب بآلات اللهبو والمعازف فناً له معاهده، وأنديته، وكتّابه، وأساتذته، بل وأصبح من أبناء المسلمين من يُعد إماماً في هذا المجال، وغدا هذا الغناء أمراً مباحاً لدى عامة الناس، فلا يُرى في تعاطيه بأس أو حرمة.

وأصبح تعليم الصبيان العزف، والرقص على الأنغام، من شعارات الأسر الراقية المتقدمة. أما الأسر المتوسطة الحال أو الفقيرة فلا يجد فيها الأب غضاضة من السماح لابنه في تكوين مكتبة سمعية تحوي أصنافاً مختلفة من أنواع الموسيقى، وغناء الرجال والنساء، بل ربما أعطى الأب ابنه النقود ليشتري بها أشرطة من هذا النوع، أو جلب له أحدث ما أنتج في هذا المجال، دون أن يلتفت الأب ما إذا كان هذا الغناء مباحاً أو محرماً، يفيد الولد أم يضره.

لهذا فإن وقوف الأب على معرفة حقيقة هذا الفن، وحكمه في الشريعة، وما يباح منه، وما لا يباح يُعد أمراً غاية في الأهمية، خاصة في هذا العصر حيث انتشر، وتفنن فيه المضلون باستغلال المخترعات التقنية الحديثة في نشر وتطوير آلات اللهبو والمعازف؛ لتكون أبلغ في الأداء، وأشد في التأثير، وأسهل في التناول والتداول.

ومن خلال هذا المبحث يتعرف الأب على واقع الغناء في هذا العصر، وأضراره، وحكمه في الإسلام، ثم البدائل المشروعة التي يستغني بها الأولاد عن الغناء المحرم.

أولاً: واقع الغناء والموسيقى:

يصف أحد المهتمين بالتربية وضع الغناء في بلاد المسلمين وما وصل إليه من الانحراف والتدني فيقول: «الغناء بوصفه الحالي غناء منحرف يحتاج إلى التقويم، بل هو أسلوب من أساليب الهدم والتدمير، وذلك لما فيه من الفحش والخنا، والتكسر والتخث مما كان له أسوأ الأثر في حياة الناس: الرجال والنساء والصغار والكبار»^(١). ثم يُحيل أسباب انتشار الرذائل، وتدني الأخلاق، والفجور، إلى أنها من آثار الغناء الموجّه في أصله إلى تدمير الأخلاق والقيم^(٢).

ولعل السبب وراء ذلك التوجه الخبيث في مضامين القصائد الملحّنة، وطبيعة الأنغام التي يتغنى بها المطربون: هو سيطرة أعداء الإسلام على عامة المغنين، والمغنيات، وكتّاب الكلمات، والملحنين، وتوجيههم بما يوافق مصالحهم في بلاد المسلمين^(٣).

وقد استغل الأعداء من يهود ونصارى وغيرهم وسائل الإعلام المختلفة لنشر الغناء والموسيقى على أوسع نطاق في جميع بلاد المسلمين، وركزوا نشرها وتكثيفها عن طريق الإذاعة لأنها أكثر وسائل الإعلام انتشاراً لسهولة التقاط موجاتها، ورخص جهاز الاستقبال، وطول وقت البث اليومي. والمتأمل يجد أن أكثر ما يبث في هذه الإذاعات هو الغناء، فعلى سبيل المثال، فإن غالب ما يبث من إذاعة إسرائيل المسماة: «صوت إسرائيل من أورشليم القدس» هو الغناء المنتج من الدول العربية والخليجية^(*).

وقد اهتم هؤلاء الأعداء بمنطقة الخليج خاصة، فخصصوا لها إذاعات تبث موادها الإعلامية باللغة العربية، مستعملة في ذلك أساليب الإغراء،

(١) الوكيل، محمد السيد، الترويح في المجتمع الإسلامي، ص ٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٠.

(٣) انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن، غزو في الصميم، ص ١٧٣.

(*) يمكن ملاحظة ذلك بوضوح في المذيع على الموجة (٧٣٨) «اي. إم» في الفترة المسائية.

والجذب المختلفة لاستقطاب المستمعين من أبناء المنطقة^(١)، فسلطوا حوالي عشر محطات على موجة «إف. إم»، تبث الأغاني والموسيقى الغربية لمدة ثمانية عشر ساعة يومياً، بمعدل «٣٨٤٠» أغنية تتضمن معاني الخنوع، والميوعة، والتحلل الأخلاقي، بالإضافة إلى الموسيقى الصاخبة^(٢).

كما أن الإذاعات في الدول الإسلامية تتعاضد مع هذه الإذاعات الأجنبية وتبث كثيراً من الأغاني والموسيقى، ولكن ليست بالدرجة التي تقوم بها الإذاعات الأجنبية التي وُجدت لهذا الخصوص. ففي دراسة حول تحليل المضمون للبرامج في البرنامج العام وبرنامج صوت العرب بمصر خلال عام ١٩٧٨م، فقد أسفرت النتائج أن أهم نوع من البرامج التي تروج لها الإذاعة هي الموسيقى، فيخصص البرنامج العام ١٦,٥١٪ من برامجه الثقافية للموسيقى، في حين تخصص لها إذاعة صوت العرب ٣,١٤٪. ونظراً لهذا الإغراء من الإذاعة في مصر فقد دلت نتائج بحث قامت به جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٠م حول الاستماع للإذاعة: أن ٥٦٪ من أفراد عينة هذا البحث المختارة من الشباب المصري تستمع إلى الإذاعة بصفة مستمرة. وحول الإذاعة كما يراها الشباب أجرى اتحاد الإذاعة والتلفزيون عام ١٩٧٥م بحثاً كانت نتائجه أن ٥٤,٣٪ من العينة تفضل الاستماع لإذاعة أم كلثوم. أما إذاعة القرآن الكريم فكان نصيبها فقط ٧,١٤٪^(٣).

وهذه الدراسات تدل بوضوح على شغف كثير من أبناء المسلمين بالموسيقى والغناء، وميهم للاستماع إليهما عن طريق الإذاعة، علماً بأن وسائل نشر الموسيقى لا تقتصر فقط على الإذاعات؛ بل هناك الأشرطة المسجلة السهلة التداول، والتلفزيون، والسينما، والحفلات الموسيقية الحية،

(١) دنفر، أحمد فون، التبشير المسيحي في منطقة الخليج، ص ٦.

(٢) انظر: مجلة المجتمع، «إلى وزارة الإعلام لمن تعزف إذاعات الإف إم في الخليج»، العدد (٨٣١)، ص ١٠-١١.

(٣) انظر: درويش، كمال ومحمد المحامحي، الترويج وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، ص ١٧١-١٧٦.

فلو قُدِّر وُجُمعت الإحصاءات حول معدل استماع الفرد إلى الموسيقى يومياً
لكانت النسبة المتوقعة: مذهلة.

ثانياً: الأضرار النفسية والخلقية للغناء والموسيقى:

ومما تقدم من وصف لواقع الغناء والموسيقى في بلاد المسلمين،
وتشجيع أعداء الإسلام على نشرها فإن في هذا دلالة واضحة على أنها تضر
مستمعيها، ولولا هذا الضرر المتوقع لما تكلف الأعداء كل هذه الخسارات
المالية الضخمة في إنشاء إذاعات خاصة لبلاد المسلمين.

ولا شك أن لكل عمل يقوم به الإنسان أثراً في نفسه وقلبه، فإن كان
العمل صالحاً كان الأثر صالحاً، وإن كان العمل سيئاً فكذلك أثره، يقول
الغزالي رحمه الله: «كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح
حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه
قدر يرتفع منه أثر إلى القلب»^(١)، ويؤكد هذا المعنى العلامة ابن القيم رحمه
الله في بيان أثر المعاصي والمخالفات على النفس، فيقول: «إن الذنوب
والمعاصي، تضر، ولا بد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان،
على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه
الذنوب والمعاصي؟»^(٢).

وبناء على ذلك فإن الغناء بما يشتمل عليه اليوم من نشر للرديلة،
وتحريض على الفاحشة، وتميع وتحلل، إلى جانب مصاحبته للموسيقى
الصاخبة، والنساء المتبرجات، فإنه بذلك يكون من المعاصي والذنوب التي
تضر القلب، وتمرضه، وتسوقه إلى النفاق، يقول ابن مسعود رضي الله عنه:
«الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينب الماء الزرع»^(٣)، ويقول ابن تيمية

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣، ص ٥٨.

(٢) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٤٦.

(٣) البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صناعة يؤتى
عليه ويأتي له ويكون منسوباً إليه مشهوراً به معروفاً أو امرأة، ج١٠، ص ٢٢٣.

رحمه الله مبيناً خطر المعازف، وكيف أنها تسوق صاحبها إلى الكبائر والجرائم العظام:

«المعازف هي خمر النفوس، تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حميا الكؤوس، فإذا سكرُوا بالأصوات حل فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وإلى الظلم، فيشركون ويقتلون النفس التي حرم الله ويزنون. . . أما الفواحش فالغناء رقية الزنا، وهو من أعظم الأسباب لوقوع الفواحش، ويكون الرجل والصبي والمرأة في غاية العفة والحرية حتى يحضره، فتنحل نفسه وتسهل عليه الفاحشة ويميل لها فاعلاً أو مفعولاً به أو كلاهما كما يحصل بين شاربي الخمر وأكثر»^(١).

وهذا كلام صريح وخطير من شيخ الإسلام رحمه الله إذ يبين الضرر النفسي العميق الذي يمكن أن تحدثه المعازف وما يصاحبها من غناء قبيح فاحش منحل، إذ أن العفيف من الناس - كبيراً كان أو صغيراً - تنحل أخلاقه الكريمة، وتذهب عفته بحضور وارتياح أماكن اللهو والمجون التي يُسمع فيها الغناء الفاحش.

وقد تنبه ابن القيم رحمه الله إلى هذه القضية التي انتشرت في عصره الذي يعتبر بلا شك أفضل وأقرب إلى الخير من عصرنا، فيحذر الأب من إيراد ولده على مجالس اللهو، فيقول: «يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل: مجالس اللهو والباطل، والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقتة في الكبر، وعز على وليه استنقاذه منه»^(٢). وهذا من الحق فإن الوقاية من شرور هذه المنكرات أفضل بكثير من معالجة الصبي بعد تعلقه وشغفه بها.

(١) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ١٠، ص ٤١٧-٤١٨.

(٢) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ١٦٩.

وقد أدرك السلف الصالح رضوان الله عليهم خطورة هذه القضية، فهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله يكتب لمؤدب ولده قائلاً:

«ليكن أول ما يعتقدون في أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن جل جلاله، فإنه قد بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء النبتة»^(١).

هذا الإحساس المرهف من عمر بن عبد العزيز رحمه الله لا بد أن يقع مثله في نفس الأب شفقة ورحمة بالأولاد، وحماية لهم من الضلال والزيغ.

ويظهر من الإحصاءات المتقدمة تعلق كثير من شباب المسلمين بالغناء والموسيقى؛ لإهمال أولياء أمورهم، وجهلهم بخطورة هذا الداء الذي يعلق بالقلوب والأفئدة فيفسدها ويهلكها. وبناء على ذلك يمكن تصور طبيعة تلك النفوس التي قد عمرت بالموسيقى والغناء، وأصبح شغلها الشاغل طوال اليوم لا يكاد أحدهم يغفل عنه ساعة.

والغناء والموسيقى من أعظم وسائل الشيطان التي يستخدمها في إضلال أوليائه، وإذلالهم، والاستخفاف بهم، يقول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾^(٢). أي استدلهم واستخفهم بصوتك وهو الغناء واللهو والمزامير^(٣)، فهو وسيلته للضلال، ونشر الباطل، والتعمية على الصراط المستقيم.

وقد أورد ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان» اثني عشر اسماً مذموماً للغناء^(٤) استنبطها من القرآن والسنة، وتكلم عليها بكلام حسن يجدر بالأب

(١) ابن رجب، نزهة الأسماع في مسألة السماع، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) الإسراء ٦٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٢٨٨.

(٤) انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج ١، ص ٢٣٨ - ٢٥٨.

مراجعته للوقوف على مزيد من البيان والإيضاح في هذه المسألة .

ويحذر الأب من التهاون في هذه القضية فيوقع ولده في حبائل الشيطان، بل يسعى من أول الأمر، ومع نعومة أظفار الولد بحفظ أذنه من هذا الباطل، وعدم أخذه لأي مكان يسمع فيه؛ لئلا يعتاده فيسهل عليه استماعه إذا كبر، وعليه أن يجنبه كل ما له علاقة بالغناء الفاحش وأهمه الشعر الفاحش المتضمن للعشق والغزل، فقد حذّر العلماء من ذلك، يقول ابن الجوزي رحمه الله ناصحاً الأب: «وليجنبه أشعار الغزل لأنها بذر الفساد»^(١). ويقول ابن الحاج رحمه الله: «ويُمنع من سماع الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله... فإن ذلك يفرس في قلوب الصبيان الفساد»^(٢).

ولا بد للأب أن يُعرض عن الاستماع للغناء والموسيقى بالكلية ليكون مطيعاً لله، وقدوةً صالححةً لولده، وأن يحفظ بيته منها، ويظهر عدم الرضا والسخط عند سماعها في مكان ما، وذلك ليقع في نفس الولد بغضها والإعراض عنها.

ولا بأس في بعض الأحيان إذا سمع الأب صوت غناء وآلات لهو: أن يضع أصبعيه في أذنيه، اقتداءً بالرسول ﷺ عندما سمع زمماراً فوضع أصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق^(٣)، فهذا السلوك يؤكد للولد قبح هذه الأصوات وشناعتها، وضررها على السامعين، كما أن الأب يكون بذلك قدوةً حسنةً لولده في هذا الجانب.

ثالثاً: حكم الغناء والموسيقى:

حكم الغناء والموسيقى في الإسلام التحريم للمضار الكثيرة التي تُحدثها في النفوس؛ كما تقدم، فقد جاء في القرآن الكريم تحريمها في قول

(١) ابن الجوزي، الطب الروحاني، ص ٦١.

(٢) ابن الحاج، المدخل، ج ٤، ص ٢٩٦.

(٣) انظر: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كراهية الغناء والزمير، حديث رقم (٤٩٢٤)، ج ٤، ص ٢٨١.

الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾^(١)، وقد جاء في تفسير هذه الآية عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وعكرمة وميمون بن مهران ومكحول والحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة رضي الله عنهم: أنه الغناء. ونقل ابن الصلاح وابن رجب رحمهما الله إجماع أهل الحل والعقد من علماء المسلمين على تحريمه^(٢). وقيل في أسباب نزول هذه الآية إنها نزلت في النضر بن الحارث الذي اشترى مغنية يبعث بها لكل من يريد أن يسلم، فتغنيه لتصدده عن الإسلام^(٣).

أما السنة فقد ورد فيها ما يعضد هذا الحكم ويصرح بحرمة المعازف، قال عليه الصلاة والسلام: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتهم يعني الفقير لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غداً فيبیتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»^(٤)(*). ويستحلون الحر: يعني استحلال الزنا واستباحته، أما المعازف: فهي جمع معزفة وهي آلات الملاهي، والعلم: هو الجبل المرتفع، إذ يهلكهم الله بإيقاع هذا الجبل عليهم، ويعاقب آخرين منهم بالمسخ كالذي وقع للأمم السابقة^(٥).

(١) لقمان ٦.

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٥٢.

ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٦، ص ٣١٦.

الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢١، ص ٦٧-٦٩.

ابن رجب، نزعة الأسماع في مسألة السماع، ص ٧٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٥٢.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ج ٧، ص ١٣٨.

(*) تكلم بعض أهل العلم على سند هذا الحديث ورد عليهم بعض العلماء منهم الإمام النووي في مقدمة شرح مسلم جازماً بصحته، وأورد أقوال بعض العلماء الأفاضل المتضمنة الحزم بصحة كل ما ورد من أحاديث في صحيح البخاري ومسلم. انظر: النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مقدمة الشارح، ج ١، ص ١٦-٢٠.

(٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٢١، ص ١٥٤-١٥٦.

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على تحريم آلات العزف المشتملة على الأوتار، وبيان عقاب بعضهم بالهلاك، وآخرين بالمسخ، وذلك لاستباحتهم هذا اللهو الباطل.

وقد نقل مجموعة من العلماء في القديم والحديث إجماع المذاهب الأربعة على تحريم المعازف، وما يصاحبها من الغناء الفاحش^(١)، وقد أضاف بعض العلماء إلى المعازف المحرمة «الكوبة» وهي الطبل؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله حرم علي، أو حرم الخمر، والميسر، والكوبة. قال: وكل مسكر حرام». قال سفيان: «فسألت علي بن بزيمة عن الكوبة قال: الطبل»^(٢). كما أن مذهب الأئمة الأربعة رحمهم الله تحريم الشبابة^(*)، وتحريم الدفوف المصلصلة^(٣)، التي توضع في أطرافها قطع من الحديد تحدث أصواتاً جذابة عند تحريكها. ولا يُعرف عن السلف رضوان الله عليهم الرخصة في شيء من هذه الملاهي، إنما يُنقل إباحة ذلك عن متأخري الظاهرية وبعض الصوفية ممن لا يُعتد بأقوالهم^(٤).

والمقصود من تحريم هذه الملاهي المنع من الأضرار الحُطيرة التي تُحدثها هذه الأدوات في النفوس، خاصة إذا صاحبها شيء من أشعار الغزل والتشبيب بالنساء، ومدح الخمر، وغير ذلك من الفجور، فإن وقع ذلك على النفس أشد وأعظم؛ كما تقدم.

وبناء على هذا الإجماع من علماء الأمة، فإنه لا يسع الأب المسلم

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ١١، ص ٥٧٦-٥٧٧.

الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢١، ص ٦٩.

الجزائري، أبو بكر، الإعلام بأن العزف والغناء حرام، ص ٢٩-٣٣.

أبو جيب، سعدي، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، ج ٢، ص ١٠٣٢.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب في الأوعية، حديث رقم (٣٦٩٦)، ج ٣، ص

٣٣١.

(*) الشبابة، نوع من المزمار. انظر: معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ص

٣٧١.

(٣) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ١١، ص ٥٣٥.

(٤) ابن رجب، نزهة الأسماع في مسألة السماع، ص ٦٩.

سوى الإذعان والانصياع لحكم الله ورسوله في هذه الملاهي، وأخذ نفسه وولده بالعزم على تجنب هذا اللهو الباطل، واستبداله بما أباحه الله من السماع المشروع المباح.

رابعاً: حكم الحداء والإنشاد:

وكما جاء الإسلام بتحريم الغناء الفاحش المشتمل على آلات اللهو والمزامير، جاء بإباحة الحداء، وهو: «غناء الركبان المسمى بالنَّصَب وهو ضرب من النشيد بصوت فيه تمطيط»^(١)، فقد أقر الرسول ﷺ هذا النوع من التغني؛ لما فيه من النشاط، وبعث الهمة، فأقر حداء عامر بن الأكوع رضي الله عنه، وقد كان شاعراً^(٢)، وكان له عليه الصلاة والسلام «حادٍ حسن الصوت»^(٣).

وقد حث عليه الصلاة والسلام على هذا النوع من اللهو المباح في الأفراح فقال: «فصل ما بين الحرام والحلال الدف(*) والصوت»^(٤). ففي ضرب الدف إعلان بالنكاح، والمقصود بالصوت هو الغناء المباح الذي لا فحش فيه^(٥)، وهو النوع الذي أقره الرسول ﷺ في حديث الجاريتين، حيث كانتا تغنيان، وتضربان بالدف عند عاتشة رضي الله عنها في العيد من أيام منى^(٦).

-
- (١) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ج ٢٢، ص ٣٤٨ - ٣٤٩.
- (٢) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ج ٨، ص ٤٣.
- (٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن، حديث رقم (٧٣)، ج ٤، ص ١٨١٢.
- (*) الدف: هو الذي يُضرب به. انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٤١.
- (٤) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح، حديث رقم (١٠٨٨)، ج ٣، ص ٣٩٨. والحديث حسن.
- (٥) المباركفوري، تحفة الأحوذى، أبواب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح، حديث رقم (١٠٩٤)، ج ٤، ص ٢٠٩.
- (٦) انظر، مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية =

ونقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - المشهور بشدته وصلابته في الحق - إقراره أيام خلافته الترنم والتغني بالشعر في السفر حيث قال: « الغناء من زاد الراكب»^(١)، وقال عطاء رحمه الله في الغناء بالشعر: «لا أرى به بأساً ما لم يكن فحشاً»^(٢)، وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: «أما استماع الإنشاد المحرك للأحوال السنية وذكر أمور الآخرة فلا بأس به؛ بل يُندب عند الفتور وسآمة القلب»^(٣).

فالغناء الذي لا يهيج النفوس على الشر، ولا غزل فيه، ولا تحريض على الفواحش والمنكرات، بل فيه إثارة على الشجاعة، والإقدام: فهو مباح لا خلاف فيه، فقد فعله الصحابة عند رسول الله ﷺ ولم ينكر عليهم، وهو ما يسمى الحداء^(٤).

ورغم الإجماع من الصحابة وغيرهم على إباحتها هذا النوع من اللهو البريء، إلا أن بعض العلماء منع منه، فذهب بعضهم إلى تحريمه، وآخرون إلى كراهته، فقد ذكر ابن تيمية رحمه الله خلاف بعض الأئمة في ذلك^(٥). ولعل ذلك يرجع إلى احتياطهم رحمهم الله في سد الذرائع المفضية إلى المحرمات، وخشية من أن يتخذ أهل الأهواء هذه النصوص ذريعة لتعاطي الغناء الفاحش المشتمل على المعازف والملاهي، أو أن سبب هذا المنع يرجع إلى اعتمادهم على بعض النصوص العامة التي جاءت عن بعض الصحابة وغيرهم في ذم الغناء عموماً دون ذكرهم تفصيلاً في ذلك.

= فيه أيام العيد، حديث رقم (١٧)، ج ٢، ص ٦٠٨.

(١) البيهقي، كتاب السنن الكبرى، كتاب الحج، باب لا يضيق على واحد منهما أن يتكلم بما لا يأتى فيه من الشعر أو غيره، ج ٥، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) المصدر السابق، كتاب الشهادات، باب الرجل لا ينسب نفسه إلى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي عليه وإنما يعرف بأنه يطرب في الحال فيتروم فيها، ج ١٠، ص ٢٢٥.

(٣) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢١، ص ٧١.

(٤) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب يوم العيد، ج ٦، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٥) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج ١١، ص ٥٧٧.

ولكن عند جمع هذه النصوص، وضم بعضها إلى بعض - كما تقدم - يظهر أن من ذهب إلى تحريمه كابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما في تفسير الآية فإن المقصود هنا هو الغناء المشتمل على الخنا والفحش والمعازف لما فيه من الإضلال عن سبيل الله عز وجل، ومن ذهب إلى إباحته كعمر بن الخطاب وعطاء وغيرهما، فإن المقصود هنا هو الغناء المشتمل على المعاني الحسنة، المحرك للخير، المُحمّس على الفضائل، المُذهب للملل والسّامة.

وكما تقدم من أقوال الصحابة وغيرهم فإن كلمة «غناء» يمكن أن تُطلق على المحرم منه، والمباح، إنما الذي يُفرّق بينهما هو المضمون. والغناء عند العرب معناه: رفع الصوت ومولاته^(١)، فلا يُقصد به اشتماله على محرم. كما أن الحداء الذي أُجمع على إباحته: يُقصد به الغناء للإبل^(٢). واليوم إذا أُطلق الغناء قُصد به الفاحش منه والمحرم لغلبة هذا النوع على غيره، وتُستعمل لفظة «الأناشيد الإسلامية» على ما يُقصد به الحداء.

والمقصود هو المضمون والمدلول، وليس مجرد الأسماء، فأبي لهو اشتمل على المعازف، أو فاحش القول فهو محرم وإن تسمى بأي اسم كالغناء، أو الحداء، أو الإنشاد أو الفن أو غير ذلك من المسميات، وكل لهو خلا من المعازف وفاحش القول، وتضمن المعاني الطيبة، المشجعة على الخير والفضائل، فهو مباح وإن تسمى بالغناء، أو الحداء، أو الإنشاد.

والنفوس تميل في العادة إلى السماع طلباً للراحة، وطرداً للملل والسّامة. لهذا أبيع شيء من هذا اللهو. والأطفال الصغار أكثر رغبة وميلاً إلى اللهو والغناء، فقد أشارت السيدة عائشة رضي الله عنها إلى ذلك في قصة رؤيتها - وهي صغيرة - للحبشة وهم يلعبون في المسجد حيث قالت: «فاقدروا قدر الجارية العرّبة الحديثة السن»^(٣). ويشرح الإمام النووي رحمه

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ١٣٦.

(٢) أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٦٢.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في =

الله مقصودها في هذه الرواية فيقول: «معناه أنها تحب اللهو والتفرج والنظر إلى اللعب حباً بليغاً وتحرص على إدامته ما أمكنها ولا تمل ذلك إلا بعذر من تطويل، وقولها فاقدروا... أي قدروا رغبتنا في ذلك إلى أن تنتهي، وقولها العربة... معناها المشتتة للعب المحبة له»^(١). وهذه إشارة تربوية حسنة من السيدة عائشة رضي الله عنها تبين طبيعة الطفل، وشدة رغبته وميله إلى اللهو، كما أن في إشارتها هذه توجيهاً للمربين بمراعاة ذلك في منهج التربية، وعدم التطرف والتشدد فيما لا يُشرع فيه التشدد كهذا النوع من اللهو المباح.

وهذا الميل يبدأ عند الأطفال منذ ولادتهم، فيستمتعون بالأناشيد والأغاني، «ويمكن لنا النفاذ إلى مشاعر الأطفال وعقولهم عن طريق الأغاني والأناشيد فنغرس في نفوسهم من القيم وندفع إليهم من المعلومات ما يتناسب وكل سن»^(٢).

فيمكن للأب تزويد ولده بأشرطة الأناشيد الإسلامية* التي تصدرها بعض الهيئات الإسلامية في العالم العربي ليستغني بها عن الغناء المحرم. مع مراعاة تجنب المشتتل منها على الدف أو الطبل.

كما يمكن تزويده ببعض كتب الأناشيد المخصصة للأطفال مثل: «دعاء الخير وأناشيد البر للطفل المسلم» لمحمد إبراهيم سليم، وأناشيد «فتية الحق»، أو غيرها من كتب الأناشيد**). ولا بأس بتعليمه حفظ الشعر الجميل. المشتتل على الفضائل والمحاسن إن وجد الأب ميل الولد إليه، فإن إنشاد

= أيام العيد، حديث رقم (١٧)، ج ٢، ص ٦٠٨.

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٦، ص ١٨٥.

(٢) حوטר، صلاح وآخرون، «تحليل وتصنيف أغاني وأناشيد الأطفال بدول الخليج»، وقائع ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية، ص ١١٧.

(*) انظر: نماذج من عناوين بعض أشرطة الأناشيد الإسلامية الهادفة في كتاب «دور البيت في تربية الطفل المسلم» لخالد أحمد الشتوت، ص ١٦٩.

(**) انظر: كتاب «دور البيت في تربية الطفل المسلم» لخالد أحمد الشتوت، للاطلاع على بعض نماذج من أبيات وأشعار الأناشيد الإسلامية الهادفة، ص ١٧٩ - ١٩٠.

الشعر مباح، أقره الرسول ﷺ وأمر به حسان بن ثابت^(١)، ويصف جابر بن سُمرة رضي الله عنه بعض أحوال الصحابة عند رسول الله ﷺ فيقول: «جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما تسم معهم»^(٢). فالشعر الحسن مباح، إنما لا ينبغي الإكثار منه حتى يُلهي عن القرآن فيكون بذلك ممقوتاً مذموماً. وهذا منطبق أيضاً على الأناشيد الإسلامية فلا ينبغي الإكثار منها، بل لا بد من الاعتدال والتوسط.

وبهذا يتضح للأب خطورة هذه العقبة التي تواجهه في طريق التربية الإسلامية، والسبل الكفيلة والمناسبة التي شرعها الإسلام لتكون بدائل نافعة لتربية الأولاد وتوجيههم.

(١) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، من حديث رقم (١٥١) إلى (١٥٧)، ج ٤، ص ١٩٣٢-١٩٣٨.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، حديث رقم (٢٨٥٠)، ج ٥، ص ١٤٠.

المبحث الرابع

المخدرات

- أولاً: واقع انتشار المخدرات
- ثانياً: أسباب تعاطي المخدرات
- ثالثاً: حكم تعاطي المخدرات
- رابعاً: مضار التدخين وحكمه وطرق التخلص منه

المبحث الرابع

المخدرات

انتشرت المخدرات بأنواعها المختلفة في العالم بأسره انتشاراً لم يسبق له مثيل في التاريخ^(١)، فقد أصبح الأب لا يأمن على ولده من احتمال تعاطيه شيئاً من المخدرات على سبيل التجريب وحب الاستطلاع، أو احتمال دسّها له في مأكول أو مشروب من قبل رفقاء السوء، فيتعود الولد عليها ويدمن، وربما انتهت حياته بجرعة واحدة، أو ذهب عقله للأبد، ويكون ذلك بسبب إهمال الأب وغفلته عن ولده، فإن «الأطفال والصغار في عالمنا المعاصر أشد تأثراً بالمخدرات التي أصبحت تمثل عبئاً كبيراً للمسؤولين عن محاربة المخدرات»^(٢)، ولعل ذلك لسهولة استهوائهم، وإمكان إغوائهم بالترغيب والترهيب، لضعف عقولهم، وقلة مداركهم لصغر سنهم. وربما استغلوا في تهريب المخدرات لبعث الشهية عندهم، وقدرتهم على التخفي عن رجال مكافحة المخدرات فلا يُعبأ بهم^(٣)؛ لهذا فإن مسؤولية الأب في حماية أولاده من خطر المخدرات واجب ديني، ومسؤولية اجتماعية، لا يجوز للأب التقصير فيها أو إهمالها.

ومن خلال هذا المبحث نتعرض لواقع انتشار المخدرات، والأسباب الدافعة لتعاطيها وتناولها، وحكم الإسلام فيها، ثم نتعرض لقضية التدخين وحكمه في الإسلام، وذلك ليقف الأب على بيئة عن طبيعة هذه العقبة ومدى خطورتها، والسبل المناسبة لحماية أولاده من خطرها وضررها.

(١) البار، محمد علي، «المسكرات والمخدرات الخطر الداهم»، مجلة المجتمع، العدد (٨٣٨)، ص ٣٤.

(٢) مركز أبحاث مكافحة الجريمة، المخدرات والعقاقير المخدرة، ص ١١٣.

(٣) آل سعود، سيف الإسلام بن سعود، تعاطي المخدرات في بعض دول مجلس التعاون الخليجي (المملكة العربية السعودية - الكويت - البحرين)، ص ١٠٨.

أولاً: واقع انتشار المخدرات:

تشير كثير من الإحصاءات إلى تزايد عدد المتعاطين للمخدرات في العالم بما في ذلك العالم الثالث أو الدول الإسلامية، ففي العالم ما يزيد على عشرين مليون مدمن مخدرات^(١)، وأكثر من نصفهم بدؤوا بتعاطيها قبل البلوغ، أي: في سن الطفولة^(٢)، وهذا يحصل رغم التوجه العالمي ضد المخدرات، ومروجيها، ورغم الكميات المهولة التي تُضبط في نقاط التفتيش المختلفة، أو عن طريق رجال مكافحة المخدرات داخل الدول.

ففي عام ١٩٨٥ م ضببت سلطات الجمارك في دول العالم أكثر من مائة طن من المخدرات الطبيعية، وأكثر من ثلاثين مليون جرعة من المخدرات الصناعية، كما تم القبض على أكثر من ثمانين شبكة سرية لتهرب المخدرات في مطار هيثرو البريطاني^(٣).

ورغم الحرص الظاهر من دول العالم تجاه محاربة المخدرات إلا أن هذه الكميات المضبوطة لا تشكل أكثر من ١٠٪ من إجمالي المخدرات المنتجة والمستخدمه في العالم^(٤)، ويدل على ذلك آثار هذه المخدرات المدمرة، حيث وُجد أنها خلف معظم الجرائم والكوارث، فقد جاء في تقرير لمنظمة الصحة العالمية «أن ٨٦٪ من جميع جرائم القتل و٥٠٪ من جرائم الاغتصاب والعنف، و٥٠٪ من جميع حوادث المرور تمت تحت تأثير المسكرات»^(٥).

أما بالنسبة لانتشار المخدرات في العالم الإسلامي، فبالإضافة إلى أن

(١) الجبيلي، أحمد، «نعم للحياة... لا للمخدرات»، مجلة الشرق الأوسط، العدد (٦٦)، ص ١٥.

(٢) مركز أبحاث مكافحة الجريمة، المخدرات والعقاقير المخدرة، ص ١١٦.

(٣) الجبيلي، أحمد، «نعم للحياة... لا للمخدرات»، مجلة الشرق الأوسط، العدد (٦٦)، ص ١٤-١٦.

(٤) المرجع السابق.

(٥) البار، محمد علي، «المسكرات والمخدرات الخطر الداهم»، مجلة المجتمع، العدد (٨٣٨)، ص ٣٢.

دول الكفر من أعداء الإسلام يعملون في الخفاء على انتشارها بين المسلمين، فإن بعض الدول الإسلامية تُصدّر هذه السموم وتُنتجها مثل إيران، ومصر، وباكستان، وأفغانستان، وتركيا^(١)، ولا شك أن هذه الدول الإسلامية المنتجة للمخدرات هي أكثر الدول تورطاً في مشكلة المخدرات وأزمتها.

ورغم أن مصر تُنتج هذا السم الفتاك إلا أن كميات هائلة من المخدرات تدخل إليها من الخارج، ففي عام ١٩٧٧م تم ضبط (٢٤١٩٧) كيلو جراماً من الحشيش، و(٩٨٠) كيلو جراماً من الأفيون، و(٣٢٠٣) كيلوجراماً من العقاقير والأقراص المخدرة^(٢)، ورغم أن ضبط هذه الكميات الكبيرة يُسعد ويُثلج الصدر، إلا أنها لا تتجاوز ٢٠٪ من الكميات التي تدخل البلاد فعلاً وتُستهلك فيها^(٣). ومما يدل على ذلك ما أكدته بعض الدراسات من أن ثلث طلاب الجامعات المصرية من المدمنين، وأخطر من هذا أن الأطفال في السن الرابعة عشرة وما دونها يجربون المخدرات بنسبة (١ - ٣)، ويستمر منهم في تعاطيها نسبة (١ - ٩)، مما يشير إلى مدى الخطورة والورطة التي تعانيها تلك البلاد المسلمة^(٤).

ولعل من أسباب انتشار المخدرات بهذه الصورة المفزعة في مصر - خاصة في الفترة الأخيرة - هي سياسة الانفتاح مع الكيان الصهيوني، ومحاولة تطبيع العلاقات بينهما، مما يسهل على مرجعي المخدرات من اليهود إدخال كميات أكبر إلى مصر. ومن المعروف أن اليهود يقفون في العادة خلف كل رذيلة ومنكر، فقد قبض خلال عام ١٩٨٦م على ثلاثة وثمانين مروجاً إسرائيلياً للمخدرات^(٥)، وهذا العدد من المروجين يدل على مدى تورط اليهود في برنامج نشر المخدرات، وتجاريتها في العالم.

(١) حاجي، حسين، «المخدرات في العالم الإسلامي إلى أين؟»، مجلة المجتمع، العدد (٧٥٥)، ص ٣٨.

(٢) مركز أبحاث مكافحة الجريمة، المخدرات والعقاقير المخدرة، ص ٩١.

(٣) مجلة الشرق الأوسط، «حرب المخدرات في مصر»، العدد (٦٦)، ص ١٨.

(٤) مجلة المجتمع، «متى تتوقف حرب المخدرات على مصر الكنانة؟»، العدد (٩٠٢)، ص ٣٢.

(٥) مجلة الشرق الأوسط، «حرب المخدرات في مصر»، العدد (٦٦)، ص ١٨.

وهذه الإحصاءات الخطيرة التي تشير إلى حجم المشكلة في مصر تعد مؤشراً ومنهياً إلى حجم المشكلة التي يعاني منها العالم الإسلامي بأسره، فليست مصر هي الدولة المسلمة الوحيدة المتورطة في مشكلة المخدرات؛ بل إن أكثر الدول الإسلامية محافظة قد انتشرت فيها هذه السموم، وتفاقت مشكلتها، ففي الإحصاءات الخاصة بوزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية فقد ضبط حوالي ستة ملايين كبسولة مخدرة عام ١٩٧٨م، وضبط عام ١٩٨٤م (١١١١) كيلوجراماً من الحشيش والأفيون ومشتقاته، كما ضبط في نفس العام (٤٨٩٨) كيلو جراماً من القات، وقد اكتشف عام ١٤٠٣هـ بالمملكة ووجود أخطر أنواع المخدرات على الإطلاق وهي الهيروين والكوكائين والمورفين^(١).

وقد أخذت هذه السموم بالانتشار بين الكبار والصغار على أيدي المجرمين من مروجي المخدرات، فقد دلت إحدى الدراسات الخليجية على أن عدد الأطفال الذين أودعوا دور الأحداث في المملكة بسبب المخدرات والمسكرات في الفترة من مايو عام ١٩٨١م حتى مايو ١٩٨٢م، أي في سنة واحدة فقط: حوالي (٣٣٤) طفلاً من الذكور^(٢).

فإذا كانت المشكلة بهذا الحجم في دولة كالمملكة العربية السعودية فإن غيرها من الدول الإسلامية أكثر تورطاً، وأعظم مشكلة، فعلى سبيل المثال دولة الكويت ذلك البلد الصغير القليل السكان، دلت الإحصاءات أن نسبة ١,٢٪ من مجموع السكان يُعتبرون من مدمني المخدرات، مما يدل على خطورة الوضع، واستفحال المشكلة^{(٣)*}.

(١) آل سعود، سيف الإسلام بن سعود، تعاظم المخدرات في بعض دول مجلس التعاون الخليجي (المملكة العربية السعودية - الكويت - البحرين)، ص ٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٣) انظر: مجلة المجتمع، «المخدرات في الكويت»، العدد (٨٩٣)، ص ١٢.

(*) لمزيد من المعلومات حول انتشار المخدرات وأسبابه انظر كتاب «المخدرات الخطر الداهم»، للدكتور محمد علي البار، ص ٣٠٣ - ٣٢٢.

ثانياً: أسباب تعاطي المخدرات:

تشير الإحصاءات إلى أن أكثر المدمنين على المخدرات في العالم من الشباب حيث تبلغ نسبتهم حوالي سبعين بالمائة، ووجد أن من أهم أسباب انحرافهم: الاضطرابات الأسرية، وبعْد الأب عن مسؤوليته التربوية بالوفاة، أو بسوء أسلوبه ومنهجه في التربية^(١).

ومما يدفع الشباب - أيضاً - لتعاطي المخدرات: الفشل في الحياة، وعدم الثقة بالنفس، والعزلة، وعدم وجود الأُنس، إلى جانب عدم وجود الروابط الاجتماعية القوية المتنوعة^(٢). كما دلت بعض البحوث على أن أهم الأسباب المفضية إلى تعاطي هذه السموم: ترجع إلى الفراغ الممل، ومخالطة رفقاء السوء، ووصفت أحد هذه البحوث أفراد العينة التي أجري عليها البحث أنهم ينتمون إلى فئات ذات ذكاء منخفض، ومستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية أيضاً منخفضة^(٣). أي: أن أكثر المتعاطين لهذه السموم من الفقراء المحتاجين، إذ يستغل المروجون حاجتهم وعوزهم لتحقيق مآربهم الخبيثة في نشر المخدرات، وبيعها بواسطة هؤلاء المحتاجين، أو بيعها عليهم خداعاً منهم بأنها تخفف عنهم هموم الفقر والحاجة، فيتورطون فيها.

وقد دل بحث آخر أجري بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية على نتائج مشابهة؛ حيث اتضح أن معظم أفراد العينة من المجموعتين المختارتين للدراسة ينتمون إلى مستويات اقتصادية متدنية^(٤). ولا شك أن استغلال حاجات الفقراء في مثل هذه الأعمال من أخبث الوسائل الدنيئة

(١) صحيفة الجزيرة، وتجربة السعودية الناجحة لمحاربة المخدرات.. يمكن تطبيقها في العالم الإسلامي، العدد (٥٥٧٦)، ص ٣.

(٢) محمد، محمد شوكت، المخدرات آثارها السلبية وسبل مواجهتها، ص ٧٢-٧٣.

(٣) اللحياني، مساعد منشط، «دراسة نفسية اجتماعية لبعض المتغيرات المرتبطة باعتماد تعاطي المسكرات»، مجلة كلية التربية، العدد (٩)، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) السلطان، عبد العزيز صالح، دراسة لبعض متغيرات الشخصية المرتبطة بالسلوك الإجرامي لمدمني المخدرات ومرتكبي السرقات في سجون المنطقة الشرقية، ص ١٠٩.

البعيدة عن الإنسانية، حيث تدل على ما انطوت عليه نفوس هؤلاء المروجين من خبث ودهاء ومكر. لهذا فإنه لا بد للدولة المسلمة أن تتكفل بالفقراء، خاصة الأحداث منهم، وتقدم لهم العون من مال، أو سكن، أو تعليم، وغير ذلك من ضروريات الحياة؛ حفاظاً على أخلاقهم، وحماية لهم من الانحراف، فليس من البدع تخصيص رواتب مستمرة من بيت المال لمثل هؤلاء الأطفال، فقد كان الطفل العادي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُعطى مائة درهم تبدأ منذ الولادة ثم تزيد حسب الحاجة، ويشارك في هذا العطاء السخي حتى اللقطاء من الأطفال^(١)، وبهذا الإجراء يمكن أن تحمي الدولة كثيراً من أبناء المسلمين المحتاجين من أن تُستغل حاجتهم وعوزهم في مثل هذه المهلكة.

أما وسائل الإعلام فإن لها دوراً خطيراً في الترويج للمخدرات بصورة غير مباشرة، يقول أحد الأطباء المختصين بعلاج الإدمان:

«قد ظهر واضحاً لنا أن أهم عوامل إقبال الشباب على إدمان المخدرات هي التقليد الأعمى لما يشاهدونه في أفلام الفيديو، ومن يتخذونهم من مثل عليا ممن يسمون بالفنانين، سواء كانوا في العالم الغربي، أو في عالمنا العربي، وما يشيعونه من تقليعات يقلدها الشباب»^(٢).

وكما تقدم في الحديث عن مدى تأثير التلفزيون على الأطفال، وقدرة هذا الجهاز على توجيههم، فإن ظهور الممثل وهو يتعاطى المخدر - خاصة إن كان هو بطل القصة - فإن هذا يُعد من أنجح أساليب الترويج للمخدرات، إذ أن طبقة الفنانين والممثلين تُعد عند العامة والأطفال - بصفة خاصة - طبقة راقية، يُقتدى بها.

(١) الصالح، محمد أحمد، الطفل في الشريعة الإسلامية (نشأته - حياته - حقوقه التي كفلها الإسلام)، ص ٨٧.

(٢) مراد، عزت، «الإدمان في ربيع العمر»، صحيفة البلاد، العدد (٨٨٣٢)، ص ٣.

ولا بد من القول: بأن ما تقدم من الأسباب التي تدفع لتعاطي المخدرات: لا تتجاوز أن تكون انحرافات فرعية لانحراف رئيسي أساسي، هو السبب الأهم والأعظم في وجود كل الانحرافات الأخرى، وهو: ضعف الوازع الديني في قلوب متعاطي هذه المواد، وقلة صلتهم بالله عز وجل، إذ لا فقر، ولا ملل، ولا مشكلة أياً كان حجمها يمكن أن تسوق المؤمن المتصل بالله إلى مثل هذه الجريمة والهاوية السحيقة، فقد اتفق المصلحون على أن ضعف الوازع الديني هو سبب انتشار المخدرات^(١)، وهذا يعني أن الحل الأمثل لهذه المشكلة، ومحاربتها، وحماية النشء منها يكون بالتوعية الدينية، والتربية الإسلامية الصحيحة، في البيت، والمسجد، والمدرسة، مع التزام أجهزة الإعلام بنشر النافع. فكل مؤسسة تربية تساهم بنصيحتها في هذا المجال، مع حماية الشباب من السفر خارج البلاد حيث تنتشر المخدرات بصورة أكبر على جميع المستويات، إلا في أضيق الحدود.

أما البيت فهو أهم هذه المؤسسات، إذ يقف الأب قوَّماً عليه فاتحاً أبواب الخير إليه، مغلقاً أبواب الفساد عنه، فوجود الأب الصالح في البيت أعظم سبب للإصلاح - بعد توفيق الله - كما أن غيابه، وذهاب سيطرته، وسلطانه يُعد أهم أسباب تشرد الأجيال الحديثة، وانغماسها في الرذائل والانحرافات المختلفة^(٢).

وإن مسؤولية الأب في هذا الجانب تتمثل في توعية الأولاد بخطر المخدرات، وطبيعة انتشارها، ويكون ذلك من خلال اصطحابهم إلى المحاضرات العامة المخصصة لمثل هذه الموضوعات. كما أن جلوسه من وقت لآخر ليزودهم بالمعلومات في هذا الموضوع يُعد أبلغ في نفس الولد من غيره من الوسائل، ولا بأس بتزويدهم ببعض النشرات في هذا المجال.

ويُحذَّر الأب أولاده من رفقاء السوء خاصة في المدرسة، والمناطق

(١) حاجي، حسين، «المخدرات في العالم الإسلامي إلى أين؟»، مجلة المجتمع، العدد (٧٥٥)، ص ٣٩.

(٢) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ٩٧.

المشبوهة، وينبههم أن لا يأخذوا شيئاً من المأكول أو المشروب إلا من شخص موثوق معروف، إذ من الممكن وضع المخدر في الشراب، أو الأكل. ولا بأس بمصارحة الأولاد بهذه القضية لخطورتها، خاصة إن كان الأب يعيش في بلد يكثر فيه انتشار المخدرات، ولا ينبغي له أن يهمل في توعية أولاده بهذا الخطر فلعل تأخير يوم أو أكثر يسبب ندماً طويلاً.

ثالثاً: حكم تعاطي المخدرات:

المخدرات أصناف وأنواع كثيرة ومتنوعة(*)، وبعضها أشد ضرراً من بعضها الآخر، وأخطرها الهرويين الذي يُعطى عن طريق الحقن المباشر في الوريد، أو عن طريق الشم. وجرعة واحدة منه يمكن أن تسبب الإدمان^(١).

ومن المواد التي يمكن أن تقوم مقام المخدر: مذيب البوية، والبنزين، والصمغ،^(٢) فإن هذه المواد يمكن أن تستعمل كمخدر لمن لا يتمكن من التزود بالمواد المخدرة الطبيعية أو المصنعة لهذا الخصوص.

أما حكم الإسلام في هذه السموم، فقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣)، والنص واضح في تحريم الخمر، ولم يذكر فيه المخدر، إلا أن السنة المطهرة جاءت بتفسير الخمر، إذ يقول الرسول ﷺ: «كل مسكر حرام وكل مسكر خمر»^(٤)، فالحكم مرتبط بالعلة يدور حيث

(*) لمزيد من الاطلاع على أنواع المخدرات وأسمائها المختلفة، انظر: حسين، عزت، المسكرات والمخدرات بين الشريعة والقانون، ص ٢٩٧ - ٣٢٢.

(١) البار، محمد علي، «المسكرات والمخدرات الخطر الداهم»، مجلة المجتمع، العدد (٨٣٨)، ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤.

حاجي، حسين، «المخدرات في العالم الإسلامي إلى أين؟»، مجلة المجتمع، العدد (٧٥٥)، ص ٣٨.

(٣) المائدة ٩٠.

(٤) ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الأشربة، ذكر البيان بأن كل شراب =

دارت، وعلّة تحريم الخمر الإسكار، ففي أي شيء وجد الإسكار ومخامرة العقل وجد التحريم^(١)، لهذا فإن المخدرات التي تقوم مقام الخمر في إذهاب عقل متعاطيها تُعد محرمة في الإسلام، وقد أجمع الفقهاء الذين ظهرت في عصورهم هذه الآفة على تحريمها، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما الحشيشة الملعونة المسكرة: فهي بمنزلة غيرها من المسكرات والمسكر منها حرام باتفاق العلماء؛ بل كل ما يُزيل العقل فإنه يحرم أكله ولو لم يكن مسكراً»^(٢).

والعلّة في تحريمها أنها كالخمر تُسكر إلا أنها - بالإضافة إلى ذلك - تورث التخثث والدياثة، إلى جانب إفسادها لمزاج متعاطيها، وربما سببت له الجنون^(٣) (*).

ومما تقدم تبين أهمية وظيفة الأب المسلم في حماية أولاده من خطر هذه الآفة المدمرة التي تذهب بالعقل والأخلاق، وتسلب الرجل رجولته فتورثه الميوعة والدعة. لهذا يحرص الأب على قفل كل باب يمكن أن يؤدي إلى تعاطي المخدر وأهمها: رفقاء السوء، والأفلام التي تمجد وتعظم متعاطي المخدرات، وتُطلع الولد على طريقة التخدر عن طريق شم البنزين، أو الصمغ، أو غيرها من المواد المتوافرة في البيوت، والتي لا ريب في وجودها واستخدامها، فإن إعلام الولد الصغير الجاهل بذلك عن طريق هذه الأفلام ربما ساقه إلى التجريب والاستطلاع فيقع في هذه المهلكة. أما الولد الكبير الواعي الذي بدأت تتكون شخصيته وتوجهه الإسلامي، فلا بأس باطلاعه على مثل هذا الخطر، وتعريفه بأبعاده الخطيرة؛ ليحذر منه.

= يسكر إذا أكثر منه فهو خمر، حديث رقم (٥٣٤٤)، ج٧، ص ٣٧٤.

(١) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ج٢١، ص ١٥٦.

(٢) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج٣٤، ص ٢٠٤.

(٣) انظر: المصدر السابق، ج٣٤، ص ٢٠٥.

(* لمعرفة أضرار المخدرات، انظر كتاب «المخدرات الخطر الداهم» للدكتور محمد علي البار، ص ١٥٩ - ٢٠٧.

وعلى الأب أن يمنع من البيت كل ماله علاقة بالمخدرات والمسكرات كالبيرة؛ إذ أشار بعض المهتمين في هذا المجال أنه لا توجد بيرة بدون كحول^(١)، لهذا يمنعها الأب من البيت على الأقل من باب الاحتياط والحرص.

ولتنفير الأولاد من المخدرات يزودهم الأب بالقصص والروايات والإحصاءات المروعة التي تبين تعاسة ما وصل إليه متعاطي المخدرات، خاصة من الأطفال الصغار؛ ليكون ذلك أوقع في نفوسهم، وأبلغ في تنفيرهم من هذه السموم القاتلة.

رابعاً: مضار التدخين وحكمه وطرق التخلص منه:

يُعد التدخين من أكثر الظواهر السيئة انتشاراً في العالم، فلا توجد فئة، أو طبقة من الناس، أياً كانت، إلا ويوجد بينها من يتعاطى الدخان. ونظراً لهذا الانتشار الواسع أصبح وجود السجائر في البيوت، وتهيئتها للمدخنين، وعدم منعهم من التدخين في الأماكن العامة أمراً مسلماً به من قبل غير المدخنين، ولهذا لا يوجد من بين المدخنين - إلا ما ندر - من يكثر بشعور غير المدخنين عند تعاطي الدخان في الأماكن العامة وتجمعات الناس.

والعالم الإسلامي مستهدف من قبل شركات التبغ خاصة بعد انحسار مبيعاتهم بعض الشيء في دول الغرب، فالكميات الهائلة من التبغ يتم توريدها من هذه الدول الغربية لتستهلك في الدول الإسلامية، فقد بلغت واردات المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٢م (٤ر٥٧٥ر٠٠٠) كيلو جراماً من التبغ، وفي عام ١٩٨١م تضاعفت الكمية تسع مرات تقريباً لتصل إلى (٣٦٧٣٢ر٥٠٠) كيلو جراماً، وذلك خلال تسع سنوات فقط^(٢)، وهذا يدل دلالة واضحة على خطورة الوضع خاصة في بلاد يعلن أكثر علمائها حرمة

(١) انظر: الجار الله، عبدالله جار الله، من أضرار المسكرات والمخدرات، ص ٧٨.

(٢) البار، محمد علي، «أغرب وأشجع تقرير لشركات التبغ يقول: نحن قتلنا»، مجلة المجتمع، العدد (٨٦١)، ص ٤١.

شرب الدخان وتعاطيه. وهذه الكميات تُعد بسيطة بالنسبة لما تنتجه هذه الشركات العالمية من كميات ضخمة من السجائر؛ إذ يُقدَّر معدل انتاجها بسيجارتين يومياً لكل فرد^(١).

وقد ثبت بما لا يدعو إلى الشك أن تعاطي الدخان إما عن طريق السجائر، أو الشيئة أو الأرقيلة، أو غيرها من الوسائل مضرّة تفتك بالبدن، وتُعد سبباً هاماً ورئيسياً للإصابة بالسرطان، فقد «أعلنت هيئة الصحة العالمية عام ١٩٧٥م أن التدخين أشد خطراً على صحة الإنسان من أمراض السل والجذام والطاعون والجذري مجتمعة»^(٢). وفي كل عام يُقتل في العالم بسبب هذه الآفة أكثر من مليون شخص، وذلك حسب إفادة منظمة الصحة العالمية^(٣).

وبناء على المفاهيم العامة للإسلام التي تُحرّم المضرات، وتُبيح الطيبات، ولما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نهى «عن كل مسكر ومفتر»^(٤). والمفتر: «الذي إذا شُرب أحمى الجسد وصار فيه فتور، وهو ضعف وانكسار»^(٥)، فقد صدرت فتاوى العلماء بحرمة تعاطيه^(٦).

وبناء على هذا فإنه لا يليق بالأب المسلم أن يدخن ويتعاطى هذا السم المحرم، وذلك لحرمة أولاً، ثم خوفاً من اقتداء الأولاد به، فإن الطفل مقلد ماهر فلا يستبعد الأب المدخن أن يرى ولده الصغير جالساً في موضع

(١) الجار الله، عبدالله جار الله، من أضرار المسكرات والمخدرات، ص ٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٣.

(٣) البار، محمد علي، «أغرب وأشجع تقرير لشركات التبغ يقول: نحن قتلة»، مجلة المجتمع، العدد (٨٦١)، ص ٤٠.

(٤) أحمد، المسند، ج ٦، ص ٣٠٩.

(٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٣، ص ٤٠٨.

(٦) انظر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٨)، ص ٩٢.

انظر أيضاً: الحميضي، سليمان بن محمد، كشف الستار عما في المسكرات والمخدرات من الأضرار، ص ١٠.

القرضاوي، يوسف، الحلال والحرام في الإسلام، ص ٧٧.

جلوس الأب وماسكاً بيده سيجارة مشتعلة، فهو لا يدرك مضار التدخين، كما أنه يسعى جاداً ليلبغ مبلغ الكبار، فيقلدهم في معظم أعمالهم، ويمكن أن تكون هذه الخطوة بداية إدمان الولد على التدخين، فقد يبدأ الطفل التدخين بجدية منذ الخامسة، وربما تطور الموضوع ليصل إلى المخدرات فإن هناك ارتباطاً بين التدخين والخمور والمخدرات^(١).

فلا بد للأب أن يلتزم منهج الإسلام في موضوع التدخين، فإن لم يكن من المدخنين سهل عليه إقناع الولد ببيان مضاره له، وإظهار كراهيته ومقتته، فيتبع في نفس الولد بغضه وعدم الرغبة فيه. أما إن كان الأب من المدخنين فإن إقناع كراهية الدخان في نفس الولد أمر صعب، وإخفاء الأب عن أولاده حقيقة أمره، وأنه من المدخنين أمر صعب أيضاً.

ولعل أمثل الحلول بالنسبة للأب الذي لا يكتر من تعاطي السجائر أن يخفي على أولاده أنه يدخن فلا يتعاطى ذلك إلا في النادر بعيداً عن الأولاد على أن تكون هذه الخطوة منه بداية جادة لترك الدخان بالكلية.

أما إن كان الأب ممن ابتلي بكثرة الدخان، فلا يستطيع إخفاءه عن الأولاد، فإن مسارعتة بتركه فوراً قبل أن يعقل أولاده فعلته القبيحة يعد واجباً عليه وحقاً من حقوق الأولاد إذ لا يجوز له أن يدلهم بقوله أو بفعله على أي أمر قبيح. وإن حدث أن علم الأولاد بأن أباهم يدخن، فعليه أن يسارع ببيان خطئه وتقصيره، وأنه اعتاده قبل أن يتيقن بضرره وخطورته، مع إفهامهم أنه جاد في تعاطي الأسباب لتركه، ولا ينبغي له بحال أن يقول لهم: «هذا للكبار دون الصغار»، أو أن يقول: «هذا لا ينفع لكم ولكنه ينفع لي»؛ بل لا بد من أن يظهر تأسفه وندمه وخطأه على تعاطيه؛ ليعلم الأولاد أن هذا الفعل من أنواع الخطأ، فلا يقتدون بأبيهم في هذه المسألة. وفي هذا الأسلوب شيء من التناقض، إلا أنه لا بد من المصارحة وبيان الخطأ والاعتذار، وليس ثمة حل أنسب من هذا في مثل هذه المواقف المحرجة مع الأولاد خاصة الكبار منهم.

(١) منصور، عبد المجيد سيد، الإدمان أسبابه ومظاهره (الوقاية والعلاج)، ص ٣٥٧.

ويُنصح الأب المدخن إذا كان جاداً في ترك الدخان أن يتعرف أولاً على أضرار تعاطي الدخان، وأن يتعد عن الأجواء التي يُتعاطى فيها الدخان، وكل ما يُذكره به، وعند الرغبة في التدخين يستعمل العلكة أو السواك، أو غيرهما ليلتهي به عن السجائر، وعليه أن يقلل من تعاطي القهوة والشاي، ويكثر من الفاكهة، والغذاء الجيد الخالي من التوابل، ويتناول دائماً عصير العنب والليمون والبرتقال كل صباح^(١)، وأن يستعين بالله على تركه قبل كل شيء آخذاً بهذه الأسباب فإنها نافعة وجيدة لترك الدخان بالكلية.

بعد هذا البيان والتوضيح يقف الأب بالمعلومات والوقائع التي تبين خطر هذه العقبة المتمثلة في المخدرات بأنواعها، ومدى أثرها الفتاك الذي يمكن أن يذهب بحياة ولده إلى الأبد، أو يتلف عقله فلا يعود بنفع لنفسه أو لمجتمعه. لهذا فإن الأب يواجه بسبب هذه العقبة شدة وصعوبة وخوفاً على أولاده من احتمال وقوعهم تحت تأثيرها الخبيث بطريقة من طرق المروجين الماكرة، مما يوجب عليه مضاعفة الجهد، والاستمرار في التزام منهج الإسلام التربوي الكامل الذي يعصم أصحابه من الزلل والزيغ، ويحرص كل الحرص على تجنب كل ما يشترك مع المخدرات في فكرتها من التدخين وغيره.

(١) الجار الله، عبدالله جار الله، من أضرار المسكرات والمخدرات، ص ٥٣ - ٥٤.

المبحث الخامس

الطلاق

- أولاً: أهمية دور الأم في التربية
- ثانياً: الصبر على النساء
- ثالثاً: أضرار الشقاق بين الزوجين
- رابعاً: الطلاق السني
- خامساً: أضرار الطلاق على الأولاد

المبحث الخامس

الطلاق

لا يستغني الولد الصغير عن أبويه، فلا يستغني عن أبيه الذي ينفق عليه، ويحفظه ويحميه، ويؤدبه، كما أنه لا يستغني عن أمه التي ترعاه، وتعتني به، وتحنو عليه. والطفل السليم المكتمل بناؤه النفسي والعاطفي هو الطفل الذي ينمو في أسرة متكاملة غير مفككة، يتبادل أفرادها معاني الحب والود، ويرعى كل واحد عواطف صاحبه ومشاعره.

ولكن لا بد لكل بيت من مشكلات تنتهي معظمها بالحلول المبنية على التنازل بين العشيرين، وقليل منها ينتهي بالانفصال التام، أو المؤقت. حيث تُبنى على ذلك مشكلات، وصدمات خطيرة على حياة الأطفال الصغار، وربما كان قرار الانفصال سبباً في انحراف الولد وضياعه للأبد.

ومن خلال فقرات هذا المبحث يقف الأب على ضرورة إيجاد السكن والاطمئنان للأولاد بدوام قيام الأسرة تحت إشراف الأبوين ورعايتهما، كما يتعرف على خطورة الطلاق، والأساليب الصحيحة لتوقي خطره، وبعض القضايا المتعلقة بانفصال الأبوين، وطرق تخفيف وطأة هذا القرار على نفس الولد.

أولاً: أهمية دور الأم في التربية:

للأم وظيفة هامة في التربية بالنسبة للطفل الصغير خاصة، إذ أن بناءها الجسمي والنفسي مهياً لتحمل أعباء التربية والحضانة والاعتناء بالطفل، فلا يستطيع الرجل أن يسد مكان الأم ودورها في التربية، وأقرب مثل لهذا الموضوع ما يشاهد في عالم الحيوان إذ ينتهي دور الذكر بالتلقيح في معظم الحيوانات. أما الأم فلا ينتهي عملها ووظيفتها التربوية حتى يكتمل البناء الجسمي للصغير، ويصبح معتمداً على نفسه في جميع شؤونه.

أما في الإنسان فالقضية أعمق؛ إذ ليس دور الأم فقط تأمين الغذاء للولد، ورعاية بدنه وملابسه فحسب؛ بل إن دورها الأكبر والأعظم هو ذلك الحب المتدفق من قلبها على الولد، وذلك الحنان الذي يشعر الولد فيه بالأمن والسعادة، فينمو بدنه وعقله ونفسه نمواً متكاملًا. أما «الطفل الذي يُحرم من أن يُحَبَّ ويُحَبَّ في باكورة حياته نتيجة لعزله بعيداً عن أمه يتأخر نموه البدني والعقلي واللغوي والاجتماعي، وتُصاب شخصيته بضرر بالغ»^(١)، بحيث لو زاد انعزاله عن أمه أكثر من ثلاثة أشهر إلى أن يصل خمسة أشهر، فإن نموه العاطفي يختل عن أقرانه من الأطفال^(٢). وتُعد فترة الطفولة المبكرة خاصة في الفترة من تسعة أشهر إلى ثمانية عشر شهراً أقصى مراحل الخطر الذي يمكن أن يحدث للطفل من جراء عزله عن أمه^(٣). لهذا يحذر الأب من أن يتخذ قرار الانفصال في فترة كهذه، بل عليه أن يصبر ويحتسب، ويوقع طلاقه على زوجته في الوقت المناسب المشروع بعد الأخذ بأسباب الإصلاح.

ونظراً لأهمية دور الأم بالنسبة للطفل الصغير فإن من محاسن الشريعة الإسلامية أن قدّمت النساء على الرجال في رعاية الأطفال؛ لأنهن أخبرن بأمور الحضانة والتربية منهم^(٤)، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «المرأة أحق بولدها ما لم تزوج»^(٥)، ويصف الماوردي رحمه الله الأم مع أولادها فيقول: «والأمهات أكثر إشفاقاً، وأوفر حباً، لما باشرن من الولادة، وعانين من التربية، فإنهن أرق قلوباً، وألين نفوساً»^(٦). لهذا فإن وجودها في الأسرة، وقيامها بواجباتها في التربية والرعاية يُعد من أهم دعائم الأسرة المسلمة، ومن أعظم أسباب استقرارها النفسي والاجتماعي.

(١) السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، ص ٢٢٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مجلة التربية، وأهمية التخطيط لرعاية الطفولة، العدد (٧٣)، ص ١٣٠.

(٤) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٥، ص ٤٣٨.

(٥) الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب النكاح، باب المهر، حديث رقم (٢١٩)، ج ٣، ص ٣٠٥.

(٦) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ١٥٢.

ثانياً: الصبر على النساء:

وجاء الإسلام بالأمر بمراعاة أحوال المرأة وطبيعتها. فمعظم النساء تسوء أخلاقهن خاصة أثناء الحمل، وبعد الولادة، وأثناء الدورة الشهرية؛ إذ يقل صبرهن، وتكثر مشاكلهن، لهذا يوطن الرجل نفسه - خاصة في هذه الفترات - على أن لا ينجرف مع ما يراه أو يسمعه من إحداهن من ألفاظ غير لائقة أو جفاء في المعاملة خاصة إن لم يكن ذلك السلوك من طبيعتها وسجيتها إنما هو طارئ عليها، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يفرك مؤمن مؤمنة. إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»^(١). أي أن فيها محاسن أخرى، وإن ظهر في بعض تصرفاتها سوء أدب، فلا بد من النظر دائماً إلى المحاسن والمساوىء، والموازنة بينهما.

كما أن الحياة مع النساء في العادة لا تستقيم على وتيرة واحدة، فإن فيهن شيئاً من العوج، ولا بد أن يكون في طبيعتهن هذا العوج، يقول عليه الصلاة والسلام مبيناً هذه المسألة الطبيعية في خلقتهن: «إن النساء خلقن من ضلع لا يستقمن على خليقه إن تقمها تكسرهما، وإن تركها تستمتع بها وفيها عوج»^(٢) فمن الخطأ اعتقاد الزوج إمكانية استقامة المرأة على أسلوب واحد في الحياة لا تحيد عنه، فإن هذا من سوء الفهم لطبيعة النساء. والرسول ﷺ كان يعاني أحياناً من زوجاته، وربما غضبت إحداهن عليه، فيصبر عليها حتى اضطر مرة لهجر بعضهن أربعين يوماً^(٣). تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «قال لي رسول الله ﷺ: إنني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبي. قالت فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبي، قلت: لا ورب

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم (٦١). ج ٢، ص ١٠٩١، ويفرك أي: يبغض.

(٢) أحمد، المسند، ج ٢، ص ٤٩٧.

(٣) انظر: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم، حديث رقم (٤٩١٦)، ج ٤، ص ٢٨٠.

إبراهيم»^(١). وفي هذا الحديث دلالة واضحة على عموم وقوع النساء في سوء الخلق مع تفاوت بينهم. فإذا وقع شيء من ذلك لرسول الله ﷺ من زوجاته الطاهرات، فإن غيره من الرجال وغيرهن من النساء أولى بأن يحدث بينهم سوء تعامل، ونشوز، وغير ذلك من سوء الخلق. والذي يُوصى به الأب هو التبصر والتريث، وأخذ الأمور بالروية والتدبر دون عجلة.

ثالثاً: أضرار الشقاق بين الزوجين:

إن من ثمرات النكاح وجود تلك الألفة، والأنس، والأمن بين الزوجين، وسكون كل واحد منهما إلى الآخر، فهو من أعظم آيات الله عز وجل إذ يقول ممتناً على الناس بهذه النعمة العظيمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكَّرُونَ﴾^(٢) وهذا السكن لا يمكن أن يتحقق في العادة إلا أن يتقيد كل من الزوجين بحدوده، معترفاً بحقوق الآخر، قائماً بواجباته الشرعية، فإن أخل أحدهما أو كلاهما بشيء من هذه الحقوق والواجبات دب النزاع بينهما، وبدأت الأسرة في خوض معارك وصراعات من وقت لآخر. ولعل الوالدين في بادئ الأمر يخفيان خلافهما وشقاقهما عن الأولاد، فلا يظهران أمامهم شيئاً من الغضب أو الحقد، ولكن إذا استمر الوضع على حاله ودام النزاع لم يلبث حالهما أن يظهر للأولاد من وقت لآخر في صورة شتائم، أو إعراض، أو هجر، أو ترك للمنزل، وأقل ذلك أن يسمع الأولاد أصوات الخصام تنبعث من غرفة نوم الوالدين. والأطفال لديهم حاسية مرهفة، مرتبطة بنفسية الوالدين، فإن أحسوا اضطراباً في وضع الوالدين انتقل هذا الاضطراب إلى نفوسهم^(٣). أما إن لم يكثر الوالدان بوجود الأولاد في

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، حديث رقم (٨٠)، ج ٤، ص ١٨٩٠.

(٢) الروم ٢١.

(٣) سروري، نادرة أحمد، «حماية أطفالنا من الغيرة»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٥) و(٦)، ص ٤٦.

مكان الخصام، فأخذ كل واحد منهما يعير عن آلامه وأحزانه وشكواه أمامهم، فإن نموهم الصحي والعاطفي يتعرض لخطر أكيد^(١)؛ إذ لا يمكن أن يتصوروا رؤية أحب شخصين إليهم بصورة مفزعة، وقد احمرت أوداجهما، وظهر عليهما الغضب واضحاً وأخذ كل منهما يشتم الآخر. وتكون المشكلة أكبر على نفس الأولاد وأخطر إذا أخذ الأب يضرب الأم أمامهم، فهذا لا شك يترك في نفوسهم أثراً سيئاً جداً، وربما ساقهم إلى الانسحاب من الأسرة، أو المجتمع الانضمام إلى عصابات الأطفال، أو فقدان الثقة بالنفس وبالناس، والانغماس في أحلام اليقظة، فإن «معظم الأطفال المشكلين يأتون من منازل مفككة، ومنازل تكثر فيها الاحتكاكات بين الزوجين»^(٢). لهذا فإن على الأب أن يأخذ بالأسباب الكفيلة لحماية أولاده من الوقوع في المشاكل النفسية وأزماتها من جراء الخصام مع الأم.

وقد شرع الإسلام مبدأ الطلاق وفصل فيه في القرآن الكريم تفصيلاً دقيقاً، لم يفصله في الصلاة، ولا الزكاة، ولا الصيام، فإذا وجد الأب أنه لا مجال لاستمرار الحياة مع زوجته، فإن الطلاق - كما شرع الله - هو العلاج الأخير للمشكلات الأسرية المستعصية، فيكون أفضل وأحسن بالنسبة للأولاد والزوجين من النزاعات الطويلة أمام الأولاد دون جدوى.

رابعاً: الطلاق السني:

يُشرع الطلاق في حق الزوج إذا يش من إصلاح زوجته، ورأى أن الانفصال أرحم به وبها وبالأولاد من البقاء في بيت واحد. وعلى الرجل قبل أن يتخذ هذا القرار الخطير أن يسلك المنهج الصحيح أولاً في تربية زوجته وإصلاحها. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ سُوءَ هُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾^(٣). فإذا كان سبب الشقاق من

(١) مهر، جورج، مواجهة الطفل للأزمات، ص ٦٧.

(٢) الشوقاوي، أنور محمد، انحراف الأحداث، ص ١٠١ - ١٠٣.

(٣) النساء ٣٤.

الزوجة وجب على الزوج المسلم أن يعظها، ويذكرها بواجباتها، ويخوفها من الله، فإن لم ينفعها ذلك هجرها، فلا ينام معها في سرير واحد، وإن نام معها على سرير واحد أعطها ظهره، ولا يمازحها، ولا يداعبها، ولا يجامعها، وله أن يهجرها فينام في غرفة أخرى، ولا يزيد في هجرها أكثر من شهر. فإن لم يفد ذلك ضربها ضرباً غير مبرح بيده أو بمثل السواك، مع تجنب الوجه. فإن كان من النوع الذي لا يضرب ألحقها بأهلها لتأديب^(١).

فإن لم تنجح هذه الوسائل، أدخل بينهما حكمين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(٢)، فإن لم ينجح الحكماء في إصلاح ذات البين، ورأى الزوجان أفضلية الفراق والانفصال شرع للرجل إلقاء الطلاق على زوجته مع مراعاة الأحكام المتضمنة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٣). تفيد هذه الآية الكريمة توجيه المؤمنين عند الرغبة في طلاق المرأة أن يكون في طهر لم يجامعها فيه، مع معرفة وتحديد وقت إيقاع الطلاق للتمكن من معرفة وقت انتهاء العدة، وفرص الرجعة، كما يوجه سبحانه وتعالى الرجال بأن لا يُخرجوا النساء المطلقات من البيوت حتى تنقضي العدة بأكملها؛ وذلك لما يمكن أن يقضيه الله في قلب الزوج فيراجع زوجته، وتعود الحياة إلى طبيعتها. أما إذا كانت الزوجة سيئة الخلق، بذينة القول، أو ارتكبت فاحشة مبينة مثل الزنا، فلا بأس بإخراجها من البيت^(٤). أما هذا

(١) أبوب، حسن محمد، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٢١٧.

(٢) النساء ٣٥.

(٣) الطلاق ١.

(٤) الجزائري، أبو بكر، أسير التفسير لكلام العلي الكبير، ج ٤، ص ٥٠٠ - ٥٠١.

الأسلوب الذي اعتاده أكثر النساء إذا سمعت طلاقها لا تلبث لحظات إلا وقد خرجت إلى بيت أهلها، فإن هذا من الخطأ؛ إذ يجب عليها أن تبقى في البيت، تلبس وتتزين لزوجها لعله يراجعها فهي في الشرع زوجته. أما إن كانت تلك الطلقة هي الثالثة فهذا واجب عليها الخروج؛ لأنها لم تعد زوجة له. أما بعد الطلقة الأولى، أو الثانية، فلا ينبغي لها الخروج.

وأكثر حالات الطلاق لا تقع عن طريق دراسة من الزوج والزوجة لحالهما ووضعهما، ومحاولة معرفة مدى جدوى الطلاق بالنسبة لهما وللأولاد، ولكن كثيراً من حالات الطلاق تقع أثناء الخصام والمشادة بين الزوجين، وفي حالة يكون فيها الرجل غاضباً والزوجة منفعة، لهذا فإن أكثر حالات الطلاق يعقبها الندم والتأسف، فترى الرجل يسعى يميناً وشمالاً باحثاً عن فتوى شرعية تُعيد له زوجته، وقد كان الأمر بيده قبل أن يلتزم بكلمة الطلاق، ويلقيها على زوجته دون دراسة وتعمق وموازنة بين المنافع والمضار.

لهذا يُنصح الأب بالاطلاع على أحكام الطلاق، وآدابه من كتب التفسير عند شرح آيات الطلاق، ومن كتب الفقه، ليتزود بالعلم النافع في هذا الجانب الأسري الهام.

ولا يأنف الرجل بعد طلاق زوجته وخروجها من العدة في الطلاق الرجعي أن يراجعها بخطبة ومهر جديد إن ظن أن الحياة سوف تستقيم بينهما بعد هذا الدرس، وليس لوليها حق في أن يعضلها عن الرجوع إلى زوجها إن كانت راغبة وذلك لقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١). بل وحتى بعد الطلاق البائن لا بأس أن يراجعها بعد أن تحل له خطبتها بنكاحها زوجاً غيره، على أن لا يكون هذا الزوج تيساً مستعاراً^(*).

(١) البقرة ٢٣٢.

(*) انظر ما كتبه ابن القيم رحمه الله في أحكام المحلل، وخطره على المجتمع، وذلك في كتابه =

خامساً: أضرار الطلاق على الأولاد:

يتأثر الوالدان بانفصالهما عن بعضهما البعض، حيث يخسر كل واحد منهما المميزات الطيبة التي كان يتمتع بها من رفيقه. كما أنهما يستريحان من سوء تصرف أحدهما مع الآخر، ولكن الأطفال في العادة يخسرون أكثر من الآباء؛ إذ أن وجودهم بين الأب والأم له أهميته البالغة، والعميقة في نفوسهم، إذ لا يمكن أن ينشأ الولد نشأة معتدلة سوية بدون الأب والأم معاً. فلو فقد الابن أباه في سن السادسة، أو السابعة مثلاً، أثار ذلك عليه تأثيراً سيئاً، وربما ساقه هذا الحرمان إلى مصه أصابعه، وكثرة المشاغبات، والتبول اللاإرادي^(١).

«وتدل الإحصاءات على أن تفكك الأسر - وبخاصة ما كان راجعاً إلى الطلاق - من أهم العوامل التي تؤدي إلى جنوح الأحداث، وهو مظهر متطرف من مظاهر سوء التكيف الاجتماعي... وقد ترسم في ذهن الطفل الذي ينشأ في هذا البيت صورة قبيحة مشوهة عن حياة الأسرة وعن الدور الذي يلعبه كل من الرجل والمرأة في المجتمع، كما أن الطلاق نفسه قد يشعر الطفل بشيء من الخزي والنقص، فهو يحس أنه غريب في مجتمع أغلب أسرهم متماسكة حيث يعيش معظم الأولاد والبنات مع آبائهم وأمهاتهم»^(٢).

فقرار الطلاق والانفصال لا يعخذه الأب إلا إذا تيقن أنه أنفع لجميع أفراد الأسرة - خاصة الأطفال - من البقاء معاً في بيت واحد، وأن الآثار الناجمة عن الانفصال أقل ضرراً على الأولاد من الحياة المشتركة في جو متوتر مليء بالمشاغبات والتنازع.

فإذا ما كان قرار الانفصال هو الراجح فإن على الأب أن يخفف وطأته

= «أعلام الموقعين عن رب العالمين»، ج ٣، ص ٤٣ - ٥٠.

(١) حمام، سامية، «أثر غياب الوالدين عن عالم الطفل»، مجلة التربية، العدد (٦٤)، ص ٥٩.

(٢) لانديس، بول هـ. وجون هاير، التكيف الاجتماعي للأطفال، ص ٨٩ - ٩٠.

على نفوس الأولاد، ويكون ذلك بمصارحة الكبار منهم، وإقناعهم بأنه أفضل حل للأسرة، إذ لا يمكن أن تستمر الحياة مع طول الخصام، ويحاول الأب أن يبين لهم مشروعية الطلاق في الإسلام، وأنه جائز، وينقل لهم بعض قصص الصحابة في ذلك وغيرهم ممن لم يُقدّر لهم التوفيق في حياتهم الأسرية مع بعض النساء.

ويبين لهم النظام الذي سوف يعيشون عليه بعد الانفصال، وكيف سوف يجتمعون به في أوقات معلومة، وبالأمر في أوقات معلومة أخرى، ويؤكد لهم حبه، وعطفه عليهم وأنه لن يستغني عنهم، أو يزهّد فيهم، أو يتخلى عنهم. وبهذا الأسلوب أو نحوه يمكن للأب أن يخفف أثر الطلاق على أولاده فلا يخرجون بخبرة سيئة فتتعقد نفوسهم، وتسود الدنيا في أعينهم.

ويحذر الأب من استنقاص الأم عند الأولاد، ووصفها بأوصاف غير لائقة - حتى ولو كانت أهلاً لهذه الأوصاف -، فإنها لا تزال أمهم، ومهما بدر منها مع الأب فإنه لا دخل للأولاد فيه، بل إن شأنهم شأن آخر. كما أنه ليس للأب ولا للأم مصلحة في إفساد علاقة الأولاد بالطرف الآخر، إذ أن هذا السلوك الخاطيء يضر الأولاد أكثر من الضرر بالأبوين لمكائنتهما عندهم، ولحاجتهم إليهما جميعاً، بل لا يضرهما أن يثني كل واحد منهما على الآخر بما فيه وبما ليس فيه أمام الأولاد؛ ليعمق علاقتهم به، فتخف بذلك آثار الطلاق والفراق عليهم.

ويحذر الأب كل الحذر من أن يجره حنقه وحقده على المرأة أن ينتقم منها بإيذاء الأولاد، كأن يحرمها من رؤيتهم، والاختلاط بهم، فإن هذا من الحرام إلى جانب ما فيه من المصرة بالأولاد، يقول عليه الصلاة والسلام في حق من فرق بين الولد وأمه من السبي: «من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»^(١)، فإذا كان هذا في حق السبي من الأطفال

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب السير، باب في كراهية التفريق بين السبي، حديث رقم (١٥٦٦)، ج ٤، ص ١٣٤. والحديث حسن غريب.

والنساء الكفار، فكيف بالحرائر المؤمنات؟ لا شك أن القضية في ذلك أكبر وأعظم جرماً.

وإذا كان الولد صغيراً غير مميز فإن أمه أحق به إذا تنازع الوالدان فيه، وذلك لأن «الأم أصلح له من الأب؛ لأن النساء أرفق بالصغير، وأخبر بتغذيته وحمله وأصبر على ذلك، وأرحم به فهي أقدر، وأخبر، وأرحم، وأصبر في هذا الموضع فعينت الأم في حق الطفل غير المميز بالشرع»^(١).

أما إن كان الولد مميزاً فإنه يُخَيَّر بين أبويه، فإن اختار الأم كان عندها في الليل، أما النهار فيكون عند الأب ليعلمه ويؤديه، أما إن اختار الأب فإنه يبقى عنده ليلاً ونهاراً ويزور أمه، ولا يُمنع من ذلك، فإن عاد الولد واختار الآخر من الأبوين نُقل إليه^(٢).

وبهذا التخيير يُعطى الولد الحرية الكاملة في البقاء عند أحب الأبوين إليه، مع دوام رؤيته للآخر في بعض الأوقات. ونظراً لأهمية دور الأب خاصة للولد المميز كان طول بقائه عنده أكبر من طول بقائه عند الأم؛ لأهمية دوره التربوي في هذه الفترة من عمر الولد.

(١) ابن تيمية، فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج٣٤، ص ١٢٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج٣٤، ص ١٢٨.

انظر أيضاً: ابن قدامة، المغني، ج٩، ص ٣٠٠.

المبحث السادس

خطر الخادمات الأجنبية

- أولاً: خطر الخادمة الأجنبية على العقيدة
- ثانياً: خطر الخادمة الأجنبية على الأخلاق
- ثالثاً: خطر الخادمة الأجنبية على الثقافة
- رابعاً: مواصفات الخادمة المناسبة

المبحث السادس

خطر الخادمت الأجنبيات

يتزايد الطلب على الخادمت يوماً بعد يوم خاصة في منطقة الخليج، حيث الانتعاش الاقتصادي، ووفرة المال، ويقل الطلب عليهن في أسر الدول الإسلامية الفقيرة دون الأسر الغنية.

وزيادة الطلب على الخادمت في دول الخليج يرجع إلى انشغال الأمهات بالعمل خارج البيت، أو طلباً للراحة، وزهداً في معاناة التربية، أو مسaire لباقي الأسر في المجتمع طلباً للمساواة والمفاخرة.

ولقد كان للطفرة المالية التي انتعشت بها دول الخليج العربية دور هام وكبير في التوجه الشديد نحو الترف والتنعم، والاستكثار من الخدم والحشم، مما جعل المنطقة مكاناً رائعاً لانتشار مكاتب الاستقدام بصورة ملفتة للنظر، حيث تشرف هذه المكاتب على استقدام الخدم خاصة من دول شرق وجنوب آسيا، مقابل بعض المال، دون ضوابط تخص الجانب العقائدي، أو الخلقي، أو الثقافي.

وهذا التفلت في عدم وضع الضوابط الشرعية اللازمة لتنظيم عملية الاستقدام أدى إلى استقدام أعداد كبيرة من الخدم رجالاً ونساءً من جنسيات وديانات مختلفة ومتنوعة دون انتقاء أو اختيار، فاختلط هؤلاء الخدم بالمسلمين، وأشرفوا على تربية أولادهم ورعايتهم، مما يشير وينذر باحتمال ظهور جيل لا يمت إلى المسلمين بغير الأسماء والألقاب، وذلك من جراء اختلاف العقائد، وتباين الثقافات، حيث لا يمكن أن يتربى الولد المسلم على حب الله ورسوله بين يدي مربية بوذية، أو نصرانية.

ولما كان الأمر بهذه الدرجة من الخطورة كان لا بد للأب المسلم من الاطلاع والوقوف على خطورة هذا الموضوع، وما يمكن أن يؤدي إليه

إهماله، وتسويفه في هذا الجانب، إذ أنه هو المسؤول الأول عن استقامة ذريته، وحسن تربيتها.

ومن خلال هذا المبحث يتعرف الأب على خطورة الخادمة الأجنبية على العقيدة، والأخلاق، والثقافة، ويعرف الصفات التي يختار على ضوءها الخادمة المناسبة عند الحاجة، وحدود صلتها بالأولاد.

أولاً: خطر الخادمة الأجنبية على العقيدة:

تدل نتائج بعض البحوث الميدانية في منطقة الخليج إلى أن أكثر المستقدمات من الخادمت غير مسلمات؛ إذ بلغت نسبتهم حوالي ٦٠٪ إلى ٧٥٪ وعدد كبير منهن ينتمي إلى ديانات غير سماوية تقدر الأوثان، وتعبد الأبقار، وتحوز الديانة النصرانية المرتبة الأولى، حيث إن أكثرهن من النصرانيات، ثم البوذيات، ثم الهندوسيات، ثم المسلمات. والغريب أن حوالي ٩٧,٥٪ منهن يمارسن طقوسهن الدينية حسب الأديان والمعتقدات التي ينتمين إليها ويؤمن بها، مما يشير إلى خطورة هذا الصنف من الخادمت على النشء^(١). وتوضح الخطورة بصفة أكبر إذا علم أن حوالي ٥٠٪ من هؤلاء المربيات يقمن بالإشراف الكامل على الأطفال^(٢)، مما يؤكد سهولة تأثيرهن في الأولاد، وبث الأفكار، والعقائد المنحرفة في عقولهم، وقد أثبتت بعض الدراسات في الكويت أن ٢٥٪ من الخادمت يكلمن الأولاد في القضايا المتعلقة بالدين والاعتقاد^(٣). فالطفل الذي لا يشاهد سوى الخادمة في البيت، ولا يعرف أمه إلا فيما ندر فإنه يأخذ من مربيته «كل ما عندها من مشاعر وقيم ومهارات وخبرات، فهي معلمته وملهمته وسكنه الجسدي والنفسي، وهي كل شيء في حياته»^(٤)، فهذه العلاقة القوية التي تُبنى في

(١) خليفة، إبراهيم، المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي، ص ٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٥.

(٣) مجلة المجتمع، «أثر الخدم على سلوك ولغة الطفل»، العدد (٨٨٦)، ص ٩.

(٤) مجلة التربية، «المربية وشخصية الطفل»، العدد (٨٠)، ص ٤٤.

سنوات طويلة بين الولد والخادمة الأجنبية تُكوّن جسوراً قوية من الألفة والمحبة، إذ يتعلق الولد بالخادمة تعلقاً يفوق في بعض الحالات تعلقه بأمه، فيقبل منها كل شيء من تصورات، وأفكار، وعقائد، وغير ذلك؛ إذ أن الطفل لا يميز بين الخير والشر، كما أنه ليس من السهل اكتشاف مكر بعض الخادِمات في بث ما يخالف عقيدة الوالدين، خاصة إذا كان الأسلوب المستعمل غير مباشر.

وأقل ما يمكن أن تحدثه الخادمة غير المسلمة في الإخلال بالعقيدة في نفس الولد أن تُوقع في نفسه حب الكفار واحترامهم من خلال حبه لها ولصواحباتها، وهذا هدم لمبدأ الولاء والبراء الذي تقوم عليه عقيدة المسلمين.

ولا بد أن يعرف الأب أن اليهود يعملون في الخفاء بشتى الوسائل ليصلوا إلى البيت المسلم، ويشرفوا بأنفسهم على تربية النشء. فكما أفسدوا أبناء النصارى في بيوتهم^(١)، وفي دور الحضانة التي نشرها وأقاموها في العالم، فكذلك يعملون جاهدين على إفساد أبناء المسلمين في المهدي، إما عن طريق دور الحضانة التي تشرف عليها بعض الدول الأجنبية، أو عن طريق تسلل بعض الفتيات اليهوديات إلى البيوت المسلمة لتربية الأولاد، وحضانتهم تحت ستار الخادِمات المستقدمات من الخارج، مع تعديل جوازات السفر بما يوافق تحقيق هذه الأهداف الخطيرة^(٢). وبهذا يتحقق لهؤلاء المفسدين مأربهم الخبيث من إضلال المسلمين عن عقيدتهم وإيمانهم من خلال مهنة الخادِمات الأجنبية في البيوت المسلمة.

ثانياً: خطر الخادمة الأجنبية على الأخلاق:

يُعتبر الوضع الخلقي بالنسبة للمربيات الأجنبية من أسوأ ما يمكن أن يكون؛ إذ ليس لدى أكثرهن من الإيمان، أو الأخلاق، أو الأداب، ما يمنعهن

(١) انظر: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، بروتوكولات حكماء صهيون، ص ٣٠.

(٢) انظر: مجلة المجتمع، «خطر انتشار المربيات»، العدد (٨١٠)، ص ١١.

عن الانحراف الخلقي، فإن الدراسات الميدانية في إحدى دول الخليج أشارت إلى أن المجتمعات التي ينتمي إليها نسبة ٦,٥٨٪ من المربيات الأجنبية تُحبذ وتفضل إقامة العلاقات العاطفية والجنسية قبل الزواج^(١)، ولا شك أن الخدمات المستقدمات من هذه المجتمعات المنحلة قد تآثرن بهذا التوجه العام نحو الفاحشة في مجتمعاتهن، خاصة إذا علم أنهن لا يتورعن عن الاختلاط بالرجال من أبناء جنسهن في البيوت التي يعملن فيها أو غيرها من البيوت، ولا مانع لدى بعضهن من تناول الخمر والسجائر إذا وجدن إلى ذلك سبيلاً^(٢).

والغريب في أعمار هؤلاء الخادِمات أن ٣,٦٨٪ منهن لا يزدن عن عشرين عاماً، ونسبة ٤,٤٢٪ منهن لم يسبق لهن الزواج^(٣). وهذا خطر واضح قائم في جزء هام من بلاد المسلمين، إذ يُجلب إلى البيوت باسم الخادِمات بنات في سن التهييج الجنسي، والميل الشديد نحو ممارسة الجنس، مع عدم وجود أي وازع من دين أو خلق، إلى جانب التفلت الحاصل في آداب الاختلاط في بيوت كثير من المسلمين، وإمكانية اختلاء رب الأسرة بالخادِمة، أو اختلاء الولد في مرحلة الطفولة المتأخرة بخادِمة من هذا النوع، أو ربما ناما في غرفة واحدة بعلم الأهل وبأمر منهم، فما الذي يمكن أن يحول دون أن تفترس تلك الخادِمة الضائعة ذلك الولد الذي قد بدأ يتجه نحو البلوغ؟ وما الذي يمنعها من أن تعبت به فتطلع على قضايا جنسية لا يعرفها؟، وما الذي يمنعها من ممارسة الجنس معه بطريقة من الطرق؟ ولعل أقل عمل تقوم به أمام الولد أن تخلع ملابسها أمامه لتستبدلها بغيرها وهو ينظر، فما الذي يمنعها من كل هذا؟.

إن المقصود من هذا البيان وإثارة هذه الأسئلة: إشعار الأب بإمكانية حدوث انحرافات خلقية عظيمة عند الولد من جراء الخادِمات الأجنبية،

(١) خليفة، إبراهيم، المربيات الأجنبية في البيت العربي الخليجي، ص ٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٢.

خاصة الصغار منهن، وقد تقدم ذكر القصة التي حدثت في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حيث فض صبي بكارة بنت صغيرة(*)، مما يشير إلى إمكانية حدوث شيء من الممارسة الجنسية مع الولد في مرحلة الطفولة المتأخرة.

ولا يقتصر خطر الخادمة غير المسلمة على الجانب الجنسي فحسب؛ بل ربما علمت الولد الصغير عبارات سيئة، أو ألفاظاً رديئة، أو السرقة، أو غير ذلك من الأعمال القبيحة، وربما عودته على تعاطي المخدرات للتخلص من كثرة إزعاجه وبكائه، وربما تعدت عليه بالضرب والشم^(١). كل هذا وأكثر يمكن أن يحصل من الخادمة التي لا دين لها، ولا خلق، ولا أدب.

والأب يتحمل تبعات تقصيره في حسن اختيار الخادمة المسلمة الصالحة بدل الأجنبية الضائعة عند حاجته الماسة لجلب خادمة إلى بيته.

ثالثاً: خطر الخادمة الأجنبية على الثقافة:

إن اعتماد الأسرة على الخادمة الأجنبية في جميع شؤون الولد، أو في معظمها يجعل منها عازلاً للولد عن مربيه الطبيعيين، فتفرد بتربيته وتوجيهه لشوه كل القيم والعواطف والمشاعر التي لا توجد إلا في الأسرة العضوية الطبيعية المتكاملة، والتي يتولى فيها كل عضو عمله ومهمته الطبيعية^(٢). فهي كما تُسبىء إلى الولد في عقيدته وخلقته - كما تقدم - فكذلك تُسبىء إليه في ثقافته ومفاهيمه.

فالمربية الأجنبية - امرأة كانت أو فتاة - ضائعة وحائرة بين ثقافتين ونظامين، فلا يمكنها نقل الثقافة العربية الإسلامية للولد؛ لكونها لا تعرفها، ولا تجيد اللغة العربية ولا تستطيع نقل ثقافتها الأجنبية؛ لغرابتها عن الثقافة

(*) راجع في هذا الفصل المبحث الأول، الفقرة (ثانياً)، (٢)، للوقوف على تفاصيل هذه القصة.

(١) مجلة التربية، «المربية وشخصية الطفل»، العدد (٨٠)، ص ٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣.

المحلية في معظم جوانبها^(١). فإن معظمهم لا يتكلمن العربية، ونسبة الملمات بها لا تزيد عن ٨٪ من مجموع الخادمت المستدمات في منطقة دول الخليج العربية^(٢). فيكالم مهمة نقل الثقافة، والإشراف التربوي على شؤون الولد للخادمة الأجنبية يعد خطراً فادحاً على ثقافة الولد، ولغته العربية، لأن ٥٠٪ من النمو العقلي يتم في السنة الرابعة من عمر الطفل، كما أن البنية اللغوية تبدأ عنده كأداة للتفكير والتعبير والاتصال في سن مبكرة^(٣). لهذا فإن تولي الخادمة الأجنبية مهمة نقل الثقافة والتعليم في هذه الفترة من عمر الصبي خطراً فادحاً.

وقضية اللغة لا تقتصر على مسألة التخاطب فحسب، بل هي الوعاء الفكري والثقافي والحضاري الذي ينقل إلى الطفل عقيدته، وقيمه، وعاداته، وتاريخه الإسلامي المجيد. فكيف يمكن أن توكل إلى خادمة ضائعة حائرة مهمة صعبة كهذه؟^(*).

ولا شك أن تأثر الأولاد بلهجة المربية الأجنبية واقع لا مرأى فيه، فقد «أظهرت نتائج الدراسات الميدانية والوثائقية أن قرابة ٢٥٪ من أطفال الأسر التجريبية في المرحلة الأولى، يقلدون المربيات في اللهجة، وأن أكثر من ٤٠٪ منهم تشوب لغتهم لكنة أجنبية، ويتعرضون لمضايقات من أقرانهم بسبب ذلك»^(٤).

وبعض الأسر تُقر استعمال لغة أجنبية كالإنجليزية مثلاً لتكون أداة التخاطب الرئيسية بين الأولاد والخادمة بحجة أن الخادمة لا تجيد العربية. وكل هذا يُعد هدماً صريحاً للغة العربية، التي قد أنهكتها العامية من جهة،

(١) المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) خليفة، إبراهيم، المربيات الأجنبية في البيت العربي الخليجي، ص ٥٩.

(٣) مجلة التربية، «المربية وشخصية الطفل»، العدد (٨٠)، ص ٤٤.

(*) راجع الفصل الثالث، المبحث الثالث، الفقرة (ثانياً)، لمعرفة أهمية اللغة ودورها في نقل الثقافة.

(٤) خليفة، إبراهيم، المربيات الأجنبية في البيت العربي الخليجي ص ٦١.

وُستغنى عنها بالإنجليزية وغيرها في بيوت المسلمين من جهة أخرى، فأصبح كثير من أبناء المسلمين أعاجم، لا يفقهون من لغتهم شيئاً.

وقد تفتنت إلى هذا الخطر حكومات بعض الدول الغربية، حيث اشترطوا أن يتعلم المهاجرون إلى تلك البلاد للعمل لغة البلاد الأصلية^(١)؛ ليحموا نشأهم وبلادهم من الغزو الفكري الذي يمكن أن يصطحبه هؤلاء المهاجرون إليهم. ولا شك أن المسلمين أولى بهذا الإجراء من النصارى الضالين؛ لأنهم يعلمون أن ما يحمله هؤلاء الأجانب هو الكفر الصريح، والضلال المبين.

رابعاً: مواصفات الخادمة المناسبة:

إن وجود الخادمة في البيت المسلم الذي تتولى فيه الأم وظيفتها الطبيعية يُعد من الإسراف والتبذير، خاصة إذا اقترن بحب الرياء والسمعة، ومسايرة المجتمع.

أما إذا كانت المرأة ذات أطفال، ولا تحتمل صحتها القيام بجميع مهام وخدمات البيت والزوج، فإنه لا بأس بالخادمة تعاونها، وتأخذ عنها بعض الخدمات.

ولا بد للأب في هذه الحالة، وبعد أن يتأكد من حاجة البيت إلى الخادمة أن يختارها من بين نساء البلد المسلمات العربيات، المحتاجات للعمل، فهن أقرب للثقافة المحلية، وأدرى بعادات وتقاليد البلد الذي تعيش فيه، ولا بأس إن كانت الخادمة ذات أسرة أن تعمل في النهار، دون الليل، إذا كانت ربة المنزل تستغني عنها ليلاً. وإلا بحث الأب عن امرأة متفرغة تعيش معهم للخدمة ليلاً ونهاراً.

فإن عجز الأب عن وجود الخادمة المناسبة من نساء البلد، فلا بأس بالاستقدام من الخارج، على أن يراعي في ذلك أن تكون مسلمة سالحة

(١) المرجع السابق.

تجيد العربية، كما يراعي وجود المحرم من زوج، أو أب، أو عم، أو أخ، أو غيرهم من المحارم، وأفضل المحارم الزوج، خاصة للخادمة الصغيرة حيث يعينها على حفظ نفسها، وشرفها، وغض بصرها عن الشباب المتعطش.

ولا يكفي أن يستبدل الأب الخادمة المسلمة بالأجنبية فقط، فإن الخطر والمشكلة لا تكمن فقط في الخادمت الأجنبيات المستدمات بل إن بعض الخادمت المسلمات لديهن من الانحراف والضلال ما يفوق بعض الخادمت الأجنبيات. فالواجب على الأب أن ينتقي من بين المسلمات الصالحة منهن، المستقيمة في دينها وعبادتها، الملتزمة بالحجاب الشرعي، ولديها إلمام بشؤون تدبير المنزل، ويفضل أن تكون كبيرة في السن من اللواتي لا رغبة لهن في الرجال، فهؤلاء أرق قلوباً، وأبعد عن الشهوة والشبهة، فيخصص لها ولزوجها مكاناً مستقلاً بهما في طرف من المنزل.

ولا ينبغي تكليفها بشؤون الأولاد أياً كانت، فلا تكلف تغذيتهم، أو تنظيفهم، أو اللعب معهم، أو النوم معهم، أو تعليمهم، أو غير ذلك من المهام المتعلقة بالتربية، إلا عند الضرورة، ولا بأس بتكليفها تنظيف البيت والمسح والكنس والطبخ. أما الأطفال فلا تكلف بهم إلا عند الضرورة، وفي فترات قصيرة لئلا يتعودوا عليها، ويتعلقوا بها.

وقضية هامة يجب أن يراعيها الأب، وهي مسألة الحجاب والخلوة، فإن كثيراً من الأسر المسلمة لا تتقيد فيها الخادمت المسلمات بالحجاب الشرعي، ولا يهتم الأب إذا كان معها في خلوة، وهذا من الحرام، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم»^(١)، وقياس الخادمة على ملك اليمين من المماليك والعبيد الذين لم يعد لهم وجود في هذا العصر يعد من الخطأ المحض؛ فهؤلاء من الحرائر الأجنبيات، لا يجوز لهن كشف الحجاب، أو الخلوة برب الأسرة، أو دخولهن بغير استئذان،

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، حديث رقم (٤٢٤)، ج ٢، ص ٩٧٨.

والتساهل في هذا الأمر يوقع في معاصٍ كبيرة وذنوب عظيمة^(١). فلا بد من مراعاة الحجاب، والأدب الإسلامي حتى مع الأولاد خاصة الكبار منهم، في مرحلة الطفولة المتأخرة، فلا يختلطون بالخادمة، ولا تتكشف عليهم، ولا تخلو بأحدهم، بل لا بد من الاحتياط في كل هذا حماية للأولاد من احتمال الانحراف، والوقوع في الخطأ.

(١) انظر: أيوب، حسن، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٣٥٧.
مبيض، محمد سعيد، أدب المسلم في العادات والعبادات والمعاملات، ص ٤٠.

المبحث السابع

الفراغ

- أولاً: أهمية الوقت
- ثانياً: أسباب وجود الفراغ وخطره
- ثالثاً: سبل استغلال الوقت

المبحث السابع

الفراغ

يُعد الفراغ ووفرة الوقت لدى الناس والشباب بصفة خاصة مشكلة من المشاكل الكبيرة التي يعانون منها، فإن كثيراً من مظاهر الانحرافات السلوكية المختلفة كان الفراغ من أهم الأسباب الدافعة إليها، إذ أن وفرة الوقت دون عمل أيّاً كان يوقع صاحبه في أسر الوسواس الشيطانية، والأفكار والهواجس النفسية الخطيرة، فيُبدى له من التصورات، والأفكار الجديدة والكثيرة ما لا يمكن أن يحصل له أثناء الانشغال بعمل ما.

والولد الذي يعيش في جو ملؤه الفراغ القاتل، دون اهتمام من أب أو أم، في مراعاة وضعه النفسي، والعمل على شغل فراغه، فإنه بلا شك يكون تحت أسر الوسواس والأفكار النفسية، وربما سوّلت له نفسه القيام بعمل من الأعمال القبيحة، كالسرقة، أو إيذاء أحد، أو العبث في المطبخ، أو محاولة الاطلاع على قضايا من شؤون الوالدين، أو ربما ساقه هذا الفراغ المممل إلى العبث بنفسه، فيمارس العادة السرية، أو يتعاطى شيئاً من المواد المخدرة، أو غير ذلك من مظاهر الانحرافات التي يمكن أن يحدثها الفراغ.

لهذا يحرص الأب على حماية أولاده من الفراغ فيعمل جاهداً على إشغال يومهم بما ينفعهم من النشاطات الثقافية، والرياضية المختلفة.

وفيما يلي، ومن خلال فقرات هذا المبحث نستعرض أهمية شغل وقت الفراغ في التصور الإسلامي، وأسباب وفرته في المجتمع المعاصر، وسبل استغلاله استغلالاً يوافق الشرع الحنيف.

أولاً: أهمية الوقت:

الوقت في حياة المسلم هو كل شيء، هو رأس ماله الحقيقي الذي يحتاجه لدينه وآخرته، فهو أثمن ما يملك على الإطلاق، لأن الوقت هو الوعاء لكل عمل يقوم به الإنسان، فكل الأعمال النافعة الصالحة التي يحتاجها الإنسان في الدنيا والآخرة تفتقر إلى الوقت ذلك الوعاء الذي يكون محلاً لإيقاع العمل والإنتاج، ولولا الزمن والوقت لما كان هناك عمل، أو إنتاج.

لهذا يشير عليه الصلاة والسلام إلى أهميته ويحذر من إهماله، فيقول: «إن الصحة والفراغ نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس»^(١). أي: أن كثيراً من الناس قد خسرها، ولم يتمكن من استغلالها على الوجه الصحيح الذي تكون له ذخراً في الآخرة، لا غبناً عليه وحسرة.

وقد تفتن إلى هذه المعاني السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، حيث كانوا يحرصون على أوقاتهم حرص غيرهم على المال، ويصف الحسن البصري رحمه الله الصحابة مخاطباً التابعين في عصره، فيقول: «أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم»^(٢)، ويُنقل عن ابن مسعود رضي الله عنه ذمه للفارغين من العمل، فيقول: «إني لأبغض الرجل أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة»^(٣).

وينصح ابن الجوزي رحمه الله، فيقول: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»^(٤)، وكان رحمه الله من شدة اهتمامه بالوقت

(١) الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الرقائق، باب في الصحة والفراغ، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٢) القرضاوي، يوسف، الوقت في حياة المسلم، ص ١٢.

(٣) ابن الجوزي، الطب الروحاني، ص ٥١.

(٤) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٥٠.

يخصص وقت زيارة الأصدقاء له في حزم الدفاتر، وبري الأقلام، وغيرها من الأعمال التي لا تحتاج إلى استحضار القلب حتى لا يضيع شيء من وقته سدى^(١)(*) .

ونختم هذه الفقرة بكلام الإمام ابن القيم في وصفه لأهمية الوقت إذ يقول:

«وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم...، وهو يمر أسرع من السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته وإن عاش فيه عاش عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأمانى الباطلة... فموت هذا خير له من حياته»^(٢).

وبذلك تظهر للأب أهمية الوقت ونفاسته متمثلة في سير الصالحين وأقوالهم رجمهم الله جميعاً.

ثانياً: أسباب وجود الفراغ وخطره:

إن مشكلة الفراغ لدى كثير من الشباب اليوم تعود في حقيقتها إلى الفراغ الروحي، وخواء القلب من كمال الإيمان الذي يُشعر بالأنس والاطمئنان، وهي مشكلة ناتجة عن زيف الحضارة الجاهلية المنحرفة^(٣)، - وبعبارة أخرى - فإن نشوء هذه المشكلة يرجع إلى:

«انعدام الهدف من الحياة، وعن الفراغ الفكري الناشئ عن

(١) المصدر السابق، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(*) لمزيد من قصص الصالحين واهتمامهم بالوقت انظر: المطوع، جاسم محمد، الوقت عمار أو دمار، ص ٢٧ - ٧١، و ص ٩٢ - ٩٩، و ص ١١١ - ١١٥، وانظر أيضاً: كتابي عبدالفتاح أبو غدة، وخلدون الأحذب في قيمة الوقت والزمن عند العلماء.

(٢) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٨٤.

(٣) انظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ١٥٩.

انعدام التصور الصحيح لهذه الحياة، وعدم معرفة سبب وجودنا فيها، ومهمتنا الموكولة إلينا في هذا الوجود، ومصيرنا ومصير الكون، والغاية من هذا التنظيم الرائع للكون، ومن هذا الإبداع العجيب الدقيق المحكم للإنسان ولسائر الأحياء والكائنات»^(١).

إن فقدان هذه المفاهيم، أو عدم تمثلها في واقع الحياة يفقد الإنسان معنى الحياة وقيمتها، وبالتالي يضعف عنده الشعور بالاهتمام بالوقت والمحافظة عليه فيصبح شغله الشاغل «قتل الوقت» وإهداره بأي عمل يخلصه من طوله وملله، حتى وإن أدى ذلك إلى التخلص من الحياة بالكلية، أو الشرود عن الواقع بالمخدرات أو المسكرات.

وقد دلت نتائج بعض الدراسات النفسية في هذا المجال على «أنه كلما قلت القيم الصحيحة المتصلة بالوقت ونقصت الاهتمامات، وضعفت المهارات اللازمة لاستغلال أوقات الفراغ، ازدادت فرص اليأس والملل والاعتراب والأنانية والعنف والجريمة، والإدمان بين الشباب على وجه الخصوص»^(٢).

وقد انتشر هذا الداء الخطير حتى في المجتمعات الأكثر محافظة، فقد دلت إحدى الدراسات التي أجريت على بعض الشباب في المنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية على أن نسبة كبيرة من الشباب لديهم أربع ساعات من الفراغ يومياً، وتزداد ساعات الفراغ لتصل إلى أكثر من سبع في الإجازات الرسمية^(٣)، وهذه الإحصاءات تثير الدهشة والاستغراب، وتدعو إلى الحذر وأخذ الحيطة من الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها هذا الشباب المنذفع دون هدف أو تخطيط أو برمجة، فإن كثيراً من المشكلات التي تقدم ذكرها في

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص ١٥٨.

(٢) محمد، محمد صديق وشريف محمود الشريف، «أوقات الفراغ بين الإهمال والتخطيط»، مجلة التربية، العدد (٧١)، ص ٤٦.

(٣) قنديل، إبراهيم حامد وآخرون، الأوقات الحرة لدى الشباب السعودي (المنطقة الغربية)، ص ١٠٥.

مشكلة المخدرات وغيرها يعود كثير منها إلى هذا الفراغ القاتل، الذي يدفع الشخص دون تعقل أو روية للتخلص منه بأي طريقة، فإذا كان الشاب اليافع لا يجد من النشاطات والبرامج النافعة ما يملأ به فراغه، فكيف بالطفل الصغير الذي يتربى ضمن هذا الفراغ الطويل وهو أقل قدرة، وأندر فرصة لإمكانية استثمار وقت الفراغ، والانتفاع به. لهذا فإنه لا بد للأب من أن يسعى لحماية أولاده من خطر الفراغ ويحاول قدر المستطاع أن يشغلهم بما يعود عليهم بالفائدة والنفع.

ثالثاً: سبل استغلال الوقت:

ينظم الأب في أسرته الوقت محاولاً استغلال كل لحظة بما يفيد ويعود على الأولاد بالخير، ويحذر كل الحذر من الثغرات التي يمكن أن ينطلق منها الأولاد إلى تعود الملل، ومعرفة الفراغ، وتذوق مرارة السامة، «فالإسلام حريص على شغل الإنسان شغلاً كاملاً منذ يقظته إلى منامه، بحيث لا يجد الفراغ الذي يشكو منه، ويحتاج في ملئه إلى تبديد الطاقة أو الانحراف بها عن منهجها الأصيل»^(١).

فالولد الصغير يشغل وقته باللعب الهادف المتنوع، وبشيء من مبادئ القراءة والتعلم. فعلى الأب أن يتخذ الوسائل المناسبة في هذا المجال^(*).

أما الولد المميز والكبير فبالإضافة إلى اللعب الهادف وشيء من التعلم، يركز الأب على جانب الرياضة البدنية المنظمة، وألعابها المتنوعة المباحة، حيث يخصص شيئاً من الوقت يومياً لممارسة الرياضة المفضلة^(**)، ويهتم بمعرفة هوايات الأولاد المفضلة، كالنجارة، أو

(١) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج ١، ص ٢٠٦ (بتصرف).

(*) راجع الفصل الثالث، المبحث الثالث، الفقرة (ثالثاً)، لمعرفة أسلوب تعليم الولد القراءة والكتابة، وراجع أيضاً الفصل الرابع، المبحث الخامس، الفقرة (ثانياً)، (١)، لمعرفة أنواع الألعاب المباحة التي يمكن شغل وقت فراغ الولد بها.

(**) راجع الفصل الرابع، المبحث الخامس، الفقرة (ثانياً)، لمعرفة أنواع الرياضات البدنية المباح منها وغير المباح، وطرق استغلال الصالح منها.

الحدادة، أو الميكانيكا، أو الرسم، أو الزخرفة، أو غير ذلك، ويحاول أن ينميها فيهم، ويؤمن لهم موادها وخاماتها اللازمة لها، ويخصص لهذه الهوايات وقتاً من ساعات اليوم.

ولا بأس بتسجيل الولد في نشاطات المدرسة اللاصفية كجمعية التوعية الإسلامية، أو الكشافة، أو غيرها من الجمعيات والنشاطات الهادفة، على أن يتأكد من نوع البرامج، وطبيعة المشرفين عليها، ومدى الفائدة التي يمكن أن يحصلها الولد.

وفي الإجازات التي يكون وقت الفراغ فيها أطول، وحدوث الملل والسآمة أكد، لا بد من مضاعفة الجهد والعمل على استغلال الوقت بصورة أكبر. ولعل أفضل نشاط يمكن أن يُستفاد منه في هذه الإجازات الطويلة: هو اشتراك الولد في أحد المراكز الصيفية التربوية الهادفة، بعد الاطلاع على برامجها، ومعرفة المشرفين عليها، حيث يُشغل وقت الولد بالنشاطات الثقافية والرياضية المتنوعة صباحاً ومساءً.

ويُفضل إشراك الولد في جمعيات تحفيظ القرآن طول أيام السنة وفي الإجازات الصيفية، بالإضافة إلى نشاطات المراكز إذا أمكن ذلك، وكان لدى الولد شيء من الوقت، على أن تُراعى طاقة الولد فلا يُنهك بالدروس والنشاطات فيملها بعد ذلك، ويزهد فيها.

أما إجازات الأسبوع فلا بد أن يُفرغ الأب نفسه للأولاد، فيملؤها من الصباح حتى المساء بالنشاطات المحببة المفيدة، ويبدأ من الفجر بالصلاة والذكر وقراءة القرآن، وشيء من التنزه بالسيارة حتى طلوع الشمس، ثم الرياضة البدنية الخفيفة، ثم الإفطار.

ومن الممتع أن يتبع ذلك بالخروج إلى البحر لقضاء يوم كامل على شاطئه في رحلة بريئة ممتعة. وإن قرر الأب البقاء في البيت، أمر الأولاد بأخذ شيء من الراحة والنوم لمدة ساعتين أو نحو ذلك، ثم يتركهم بعد الاستيقاظ في لعبهم معاً، ثم يشغلهم بالاستماع إليه وهو يروي قصة من

القصص التاريخية المشوقة، أو سيرة من سير الصالحين أو نحو ذلك، ولا بأس أن يعطيهم بعد ذلك الفرصة للقراءة الحرة في الروايات والقصص المخصصة للأطفال، فإذا حانت صلاة الظهر صلوا جميعاً في المسجد، ثم تناولوا طعام الغداء، ولا بأس بشيء من الحديث والمداعبة على الطعام وبعده حتى يحين موعد القيلولة(*) إلى العصر، وبعدها يقرأ شيئاً من القرآن، ثم يتولى كل ولد مراجعة دروسه وحل واجباته المدرسية تحت إشراف الأب حتى المغرب. ولا بأس إن توفر الوقت قبل المغرب خصه الأب للعب والرياضة، ويستغل الفترة بين المغرب والعشاء في الجلوس مع الأولاد وأبناء الجيران في مكتبة المسجد للاطلاع الحر في المجالات الإسلامية وكتب الأطفال وتنفيذ نشاطات المسجد، وبعد صلاة العشاء يتناول الجميع طعام العشاء، ثم يجلسون لقراءة شيء من الأحاديث وسير الصالحين، ثم يأمرهم الأب بالتجهز للنوم.

وبهذا الأسلوب أو نحوه يكون الأب قد شغل جُل وقت الولد في الإجازات الأسبوعية بما يعود عليه بالفائدة، ويحميه ويحفظه من تذوق آلام الفراغ والملل. والفترة الصباحية في أيام الأسبوع في غير الإجازات تتكفل المدرسة بإشغالها، أما باقي اليوم فإن الأب يملؤه بالنشاطات التي تقدم ذكرها فيما يخص الفترة المسائية. فيكون الأب بهذه الإجراءات قد قام بشيء من واجباته تجاه استغلال وقت الفراغ وحماية الأولاد من الانحرافات التي تسببها وفرة الوقت(**).

(*) هذا إذا كان الأب قد عود أولاده النوم قبل العصر، وبشرط أن هذه النوم لا تضر نومهم في الليل، أما إن لم تكن عادته السماح لهم بالنوم نهاراً فإنه يشغل ذلك الوقت بشيء من النشاطات الممتعة حتى العصر.

(**) يمكن مراجعة كتاب «دور البيت في تربية الطفل المسلم» لخالد أحمد الشتوت، لمزيد من المقترحات حول البرامج والنشاطات الثقافية المتنوعة التي يمكن للأب ممارستها خلال أيام الأسبوع مع أولاده، ص ١٤٩ - ١٥٣.

النتائج والتوصيات

النتائج والتوصيات

من خلال فصول وفقرات البحث توصلنا إلى نتائج هامة تهتم الأب المسلم في تربية أولاده، وقد انبثقت عن هذه النتائج توصيات تُبَصِّرُ الأب بأولويات المهام والمسؤوليات التي لا بد من أخذها في الاعتبار عند ممارسته لواجباته التربوية تجاه أولاده.

وفيما يلي نستعرض أهم هذه النتائج والتوصيات:

١- يوجب الإسلام على الأب تعليم ولده وتأديبه، وتعريفه أحكام الحلال والحرام مما يتطلب علم الأب بهذه الأحكام ومعرفته بها، لهذا يُوصى الأب بأن يطلع على التشريعات الإسلامية، خاصة الأساسية منها، ليتمكن من تعليم أولاده - منذ حداثتهم - أحكام الحلال والحرام في صورة مبسطة سهلة يمكنهم إدراكها واستيعابها. ومن ثم متابعتهم في العمل بها وتطبيقها في واقع الحياة.

٢- يُعتبر التلقين لأساسيات الدين ومفاهيمه الكبرى في مرحلة الطفولة وسيلة هامة من وسائل التربية الفكرية، فكل ما يتلقاه الولد الصغير من معلومات ومفاهيم تُسجل في حافظته، وتُنقش في قلبه، فإذا كبر عقلها بصورة أفضل، وطبقها بصورة أحسن، كما أن اقتناعه وقبوله لهذه المعلومات والمفاهيم سهل ميسر في هذه المرحلة، وبناء على ذلك يُوصى الأب بوضع هذه المفاهيم موضع الاعتبار عند ممارسته للتربية.

٣- تؤثر اللغة المستخدمة مع الطفل على فكره وخلقه ونموه العقلي، فهي الأوعية والقوالب التي تنقل الاعتقادات والرموز والأفكار والتصورات من جيل إلى جيل، لهذا يُوصى الأب بحسن استخدامها، واختيار أفضل الألفاظ، وأثرى العبارات المهدبة، مع التركيز على طول الجمل الكلامية

عند مخاطبة الولد، وتنويع الكلمات والعبارات، وذلك ليتزود الولد بالمعلومات الجديدة حول طريقة اللفظ، والتعرف على مفردات جديدة تثرى مخزونه من الكلمات، وتعرفه أساليب عرض المعلومات.

٤- يُعد التقليد الأعمى، واتباع الهوى، وانحراف المدرسة الحديثة من معوقات التربية الفكرية للولد، مما يتطلب توصية الأب بتنمية شخصية الولد، ورفع معنوياته، وبذر روح الطموح والمثابرة وعلو الهمة في نفسه وعقله، ليواجه بقوة هذا الانحراف، مع حفظه وحمائته من انحرافات المدرسة، بحسن اختيارها، ومتابعة مناهجها، وتزويد الولد بالقدرات والمهارات الفكرية اللازمة، ليتمكن من التمييز بين الحق والباطل من المعلومات والأفكار والتصورات التي يتلقاها من أساتذته.

٥- أثبتت بعض البحوث الميدانية أن الفراغ من أهم أسباب الوقوع في المعاصي والمنكرات، والانحرافات الخلقية والسلوكية المختلفة، ويرجع سبب وجود هذا الفراغ إلى عدم معرفة الهدف الصحيح والغاية من الحياة، وعدم وجود التصور الواضح المتكامل لهذه الحياة، والجهل بمهام الإنسان ومسؤولياته في هذا الكون، فأدى الجهل بهذه المفاهيم إلى أن تصل ساعات الفراغ عند بعض فئات الشباب إلى أربع ساعات يومياً، وسبع ساعات في أيام الإجازات، مما يندرج بخطر سوء استغلال هذه الأوقات الطويلة فيما لا يعود بالخير على النفوس والأوطان. وليس ثمة حل لهذه المشكلة سوى أن يُوصى الآباء بإشغال هذا الوقت الطويل لدى أولادهم من خلال إقامة النشاطات والبرامج الثقافية والرياضية المختلفة، ووضع هذه النشاطات في جداول زمنية منظمة تكفل شغل كامل يوم الولد دون ثغرات.

٦- تشكل ظاهرة انتشار الخاديات الأجنبية خطراً فادحاً على عقيدة الولد وخلقته وثقافته، خاصة اللاتي لا يُجندن اللغة العربية منهن، وقد دلت البحوث الميدانية بمنطقة الخليج على أن أكثرهن غير مسلمات، ولديهن اهتمام بعقائدهن وشعائرهن التبعية، إلى جانب ثبوت انحرافات خلقية

وسلوكية عند كثير منهم، مما يشير إلى مدى الخطورة المتوقعة من أمثالهن على الأولاد. ولا شك أن الأب هو المسؤول الأول عن تربية أولاده، ورعايتهم وحفظهم من الانحرافات، لهذا يُوصى الأب بأن يحرص غاية الحرص على حسن انتقاء الخادمة المسلمة العربية - إذا دعت الحاجة - الملتزمة شرع الله، والكبيرة السن، والعارفة بشؤون تدبير المنزل، والمتزوجة مع مراعاة عدم تكليفها شيئاً من شؤون تدبير الأولاد المباشرة.

الفهارس

- أولاً: فهرس ألفاظ الآيات القرآنية
ثانياً: فهرس ألفاظ الأحاديث النبوية والآثار
ثالثاً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار الواردة بالمعنى

الفهارس

أولاً: فهرس ألفاظ الآيات القرآنية:

الصفحة	اللفظ	الآية	السورة
١٧٦	وإياي فارهبون	٤٠	البقرة
	من كان عدواً لله وملائكته ورسله	٩٨	
١٤٧	وجبريل وميكايل		
	ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم	١٠٩	
٢٥٩	من بعد إيمانكم كفاراً		
٢٥٩	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى	١٢٠	
٢٩٥	إن الذين يكتفون ما أنزلنا من البينات والهدى	١٥٩	
	إن في خلق السماوات والأرض واختلاف	١٦٤	
٣٥٣	الليل والنهار والفلك		
	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	١٧٠	
٣٢٧	قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا		
٣٢٧	ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق	١٧١	
	يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات	١٧٢	
٣٦٥	ما رزقناكم		
٧٤	يريد الله بكم اليسر	١٨٥	
٤٥	ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف	٢٢٨	
	وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن	٢٣٢	
٥٤٩	فلا تعضلوهن		
	والوالدات يرضعن أولادهن حولين	٢٣٣	
٥٥	كاملين		

الصفحة	اللفظ	الآية	السورة
	حافظوا على الصلوات والصلاة	٢٣٨	
١١٨	والوسطى		
٤١٩	قال إن الله اصطفاه عليكم	٢٤٧	
٤٦١، ١٧١	زُيِّنَ للناس حب الشهوات	١٤	آل عمران
١٥٣	قل أطيعوا الله والرسول	٣٢	
٧٧	قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة	٣٨	
١٨١	والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس	١٣٤	
	لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم	١٦٤	
١٤٩	رسولاً		
١٧٦	فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين	١٧٥	
	ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم	١٨٠	
١٦٧	الله من فضله هو خيراً لهم		
٢٢١	واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام	١	النساء
٤٥	الرجال قوامون على النساء	٣٤	
٣٥	فالصالحات قانتات حافظات للغيب	٣٤	
٥٤٧	واللاتي تخافون نشوزهن فعطوهن	٣٤	
٥٤٨	وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً	٣٥	
	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله	٥٩	
٢٠٦	وأطيعوا الرسول		
١٥٣	من يطع الرسول فقد أطاع الله	٨٠	
٢٣٦	وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها	٨٦	
	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا	١٤٤	
٢٤٧	الكافرين أولياء		
١٩٢	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما	٣٨	المائدة
	ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك	٤٤	
٤٥٢	هم الكافرون		
	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا	٥١	
٢٤٨	اليهود والنصارى أولياء		

الصفحة	اللفظ	الآية	السورة
٢٥٩	لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود	٨٢	
٥٣٤	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر	٩٠	
٢٩٤	وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه	٣٨	الأنعام
١١٠	فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء	٤٤	
١٩٦	قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها	١٣	الأعراف
٤١٣، ٤٠٥	يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً	٢٦	
٤١٣	يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان	٢٧	
٢٧٣	إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم	٢٧	
٧٨	وادعوه خوفاً وطمعاً	٥٦	
٧٨	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها	١٨٠	
١١٥	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم	٢	الأنفال
٤١٩	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة	٦٠	
١٢٦	إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر	١٨	التوبة
٣٥٣	قل انظروا ماذا في السموات والأرض	١٠١	يونس
١٧٧	ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها	٥٦	هود
٤٥٣	فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها	٨٢	
٤٥٣	مسومة عند ربك	٨٣	
١٥٧	له معقبات من بين يديه ومن خلفه	١١	الرعد
٧٧	وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً	٣٥	إبراهيم
٧٧	الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق	٣٩	

الصفحة	اللفظ	الآية	السورة
٢٧٤	قال رب بما أغويتني لأزیننَّ لهم في الأرض	٣٩	الحجر
٢٧٤	إلا عبادك منهم المخلصين	٤٠	
٣٠٦	هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب	١٠	النحل
٣٠٦	ينبت لكم به الزرع والزيتون	١١	
٣٠٦	وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم	١٢	
١٠٧	وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحمًا طرياً	١٤	
١٩٦	إنه لا يحب المستكبرين	٢٣	
٣٨٨	يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى	٦٩	
٢٢١	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	٩٠	
٢٦٧	وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه	١٢٥	
١٣٧	اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً	١٣	الإسراء
١٣٧	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً	١٤	
٢٠٩	واخفض لهما جناح الذل من الرحمة	٢٣	
٢٠٩	إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين	٢٤	
١٧٠	ولا تمش في الأرض مرحاً	٢٧	
١٩٧	تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن	٣٧	
٢٩٧، ٢٩٤	واستفزز من استطعت منهم بصوتك	٤٤	
٥١٦	الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً	٦٤	
٣٤٠	قال خذها ولا تخف سعيدها سيرتها الأولى	١١١	
١٧٨		٢١	طه

الصفحة	اللفظ	الآية	السورة
١٧٨	فأوجس في نفسه خيفة موسى	٦٧	
١٢٢	وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها	١٣٢	
	وله من في السماوات والأرض ومن عنده	١٩	الأنبياء
١٥٦	لا يستكبرون عن عبادته		
١٥٧	يسبحون الليل والنهار لا يفترون	٢٠	
٧٧	إنهم كانوا يسارعون في الخيرات	٩٠	
١٤٧	الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس	٧٥	الحجج
١٧٦	إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون	٥٧	المؤمنون
١٧٧	أولئك يسارعون في الخيرات	٦١	
٣٩٠	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً	١١٥	
	يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا	٢١	النور
٢٧٣	خطوات الشيطان		
٤٩٨	قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم	٣٠	
٤٦٣	أو التابعين غير أولي الإربة	٣١	
	ألم تر أن الله يسبح له من في	٤١	
٢٩٧	السماوات والأرض		
	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين	٥٨	
٤٧٥	ملكتم أيمانكم		
	لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء	٦٣	
١٥٢	بعضكم بعضاً		
١٣٦	وخلق كل شيء فقدره تقديراً	٢	الفرقان
٣٢٩	أرأيت من اتخذ إلهه هواه	٤٣	
	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو	٤٤	
٣٢٩	يعقلون		
١٧٠	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا	٦٧	
١٨٦	والذين لا يشهدون الزور	٧٢	
٤٥٣	ولو طأ إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة	٥٤	النمل
٤٥٣	أنتنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء	٥٥	
١٧٨	قال رب إنني قتلت منهم نفساً	٣٣	القصص

الصفحة	اللفظ	الآية	السورة	
١٠٧	ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار	٧٣	العنكبوت	
٢١٠	ووصينا الإنسان بوالديه حسناً	٨		
١٧٧	ومن الناس من يقول آمنا بالله	١٠		
١١٩	إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر	٤٥		
٢٦٧	ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن	٤٦		
٣٣٤، ٢٥٨	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	٦٩		
٥٤٦، ٤٠	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً	٢١		الروم
١٠١	فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله	٣٠		لقمان
٥١٨	ومن الناس من يشتري لهو الحديث	٦		
٩١	وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله	١٣		
١١١، ٩١	يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة	١٦		
١٤١، ٩١	يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف	١٧		
١٩٧، ٩١	وانه عن المنكر ولا تصعر خدك للناس	١٨		
٢٣٤	واقصد في مشيك واغضض من صوتك	١٩		
٢٣٤، ٩١	ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض	٢٠		
١٠٧	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	٢١	الأحزاب	
١٥٣	وكان أمر الله قدراً مقدوراً	٣٨	فاطر	
١٣٦	إن الله وملائكته يصلون على النبي	٥٦		
١٥٢	إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال	٧٢		
١٦٥	يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم	٣		
١٠٧				

الصفحة	اللفظ	الآية	السورة
٢٧٣	إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً	٦	
٣١٨، ٢٠٦	إنما يخشى الله من عباده العلماء	٢٨	
١٣٧	فاليوم لا تظلم نفس شيئاً	٥٤	يس
	قل هل يستوي الذين يعلمون والذين	٩	الزمر
٣١٨، ٢٠٥	لا يعلمون		
٧٨	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم	٦٠	غافر
	ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل	٣٣	فصلت
٢٦٩	صالحاً		
١٥٧	والملائكة يسبحون بحمد ربهم	٥	الشورى
	سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له	١٣	الزخرف
٢٨١	مقرنين		
٢٨١	وإنا إلى ربنا لمقلبون	١٤	
٣٠٦	إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين	٣	الجاثية
	وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات	٤	
٣٠٦	لقوم يوقنون		
	واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله	٥	
٣٠٦	من السماء		
	يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا	٢	الحجرات
١٥٢	أصواتكم فوق صوت النبي		
١١٩	ولا يعتب بعضكم بعضاً	١٢	
	ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس	١٦	ق
١١١	به نفسه		
٣٦٢	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٥٦	الذاريات
١٣٦	إنا كل شيء خلقناه بقدر	٤٩	القمر
١١١	وهو معكم أين ما كنتم	٤	الحديد
٣١٨، ٢٠٥	يرفع الله الذين آمنوا منكم	١١	المجادلة
	لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم	٢٢	
٢٦٢	الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله		
١٦٨	ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون	٩	الحشر

الصفحة	اللفظ	الآية	السورة
٢٦٨	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين	٨	المتحنة
٦٦	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون	٢	الصف
٦٧	كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون	٣	
١٥٤	ويعلمهم الكتاب والحكمة	٢	الجمعة
٥٠١	يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم	١٤	التغابن
٥٠٢	إنما أموالكم وأولادكم فتنة	١٥	
٥٤٨	يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن	١	الطلاق
٤٤٥، ١١٣	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً	٦	التحريم
١٤٠	الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم	٢	الملك
٤٦٨	والذين هم لفروجهم حافظون	٢٩	المعارج
٤٦٨	إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم	٣٠	
٤٦٨	فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون	٣١	
١٣٦	وما تشاؤون إلا أن يشاء الله	٣٠	الإنسان
١٣٧	وهديناه النجدين	١٠	البلد
٣٤٥	اقرأ باسم ربك الذي خلق	١	العلق
٣٤٧	الذي علّم بالقلم	٤	
٢٩٧	يومئذ تحدث أخبارها	٤	الزلزلة
١١٨	فويل للمصلين	٤	الماعون
١١٨	الذين هم عن صلاتهم ساهون	٥	

ثانياً: فهرس ألفاظ الأحاديث النبوية والآثار:

الصفحة	اللفظ
٢٢٤	*أبصر النبي ﷺ نساء وصبياناً مقبلين
٣٦٦	اجتمعوا على الطعام
١٢١	اجعلوا في بيوتكم من صلواتكم
٤١٢	احلقوه كله أو اتركوه كله
٢٤٠	أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم
٣١٤، ١٥٠	أدبوا أولادكم على ثلاث خصال
٥٦٨	أدرت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم
٢٧٩	أدنيه، فأدنته منه، فتفل في فيه
٢٩٥	إذا أجدبت البهائم دعت على فجار بني آدم
٤٠١	إذا أخذت مضجعتك فتوضاً
٢٧٨	إذا أذن المؤذن أدير الشيطان
٤٥٣	إذا استحللت أمي ستاً فعليهم الدمار
٢٢٠	إذا أصبحتم فتبددوا، ولا تجتمعوا في دار واحدة
٣٦٩	إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده
١٢٠	إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه
١٢٦	إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فأحسنوا به الظن
٣٧٣	إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء
١٨٣	إذا غضب أحدكم فليسكت
١٨٤	إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس
٤٤٦	إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله

٣٨٦ إذا نام أحدكم وفي يده ريح غمر
٣٧٣ إذا وقع الذباب في شراب أحدكم
١٥٨ أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله
٣٨٣ أراد النبي ﷺ أن ينحي مخاط أسامة
٣٧٥ أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء
٤٢٥ ارموا بني إسماعيل
٤٠٧ استكثروا من النعال
١٧٥ أشد حياء من العذراء في خدرها
٤٩٨ اصرف بصرك
١٥٨ أطت السماء وحق لها أن تئط
٤٠١ أطفئوا المصابيح
٧١ اعدلوا بين أولادكم في العطية
١٥٠ أعطني عينيك التي رأيت بهما رسول الله
٣٩٠ أعود بعزة الله وقدرته من شر ما أجد
٢٧٧ أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة
١١٦ اقرؤوا القرآن وحركوا به القلوب
٣٩٣ أكثر عذاب القبر في البول
١٥٢ أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة
٢٧٧ اكفتوا صبيانكم عند العشاء
٣٦ ألا أخبركم بخير ما يكنزه المرء: المرأة الصالحة
٤٣٨ ألا أذهب بهما إلى أمهما
١٨١ ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابني آدم
٣١ ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
٤٠٥ البسوا البياض فإنها أطهر
٤٣٨ الحقا بأمكما

٢٢٤	اللهم أنتم من أحب الناس إلي
٦٩	اللهم إني أحبهما فأحبهما
٢٨١	اللهم إني أسلمت نفسي إليك
٣٩٢، ٢٨٠	اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث
٣٠٠	اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان
٣٩٨	اللهم بارك لأمتي في بكورها
٣٦٧	اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه
٤٠٠	اللهم باسمك أحيا
٣٠٠	اللهم لا تقتلنا بغضبك
٣٢٩	أما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع
٣٨١	أما يملك هذا أن يغسل ثيابه
٤٣	امرأة ولود أحب إلى الله
٢٩٤	أمم أمثالكم في التوحيد والمعرفة
٢٥٣	أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين
٧٨	أنت أفسدته
٢١٢	أنت ومالك لأبيك
٢٧٩	إن ابني هذا به لمم منذ سبع سنين
٤٥٣	إن أخوف ما أخاف على أمتي
٣٨٣	إن أسامة عشر بعتة الباب
٣٦٩	إن اشتهاه أكله
٢١٢	إن أطيب ما أكلتم من كسبكم
٧١	إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم
٣٨١	إن الله جميل يحب الجمال
٥١٩	إن الله حرم علي
٢٨٠	إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما

٧٥	إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ
١٨٥	إِنَّ اللهَ قَسَمٌ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقِكُمْ
٩٢	إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ
٤٠٩	إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَجْرُ إِزَارَهُ
٢٩٥	إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ
٢٦٤	إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ
١٤٢	إِنَّ ذُرَارِي الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ
٩٢	إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحَسَنِ خَلْقِهِ دَرَجَاتٍ قَائِمِ اللَّيْلِ
٤٣٧	أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهَا يَوْمًا فَقَالَ أَيْنَ ابْنَايَ
٢٨٧	إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ مَثَلَ بِالْحَيَوَانِ
٢٧٨	إِنَّ الرِّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شُرْكَ
٢٧٤	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ
٢٧٤	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ
٥٦٨	إِنَّ الصِّحَّةَ وَالْفِرَاقَ نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ
١٨٦	إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ
١٨٤	إِنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ
١٩١	إِنَّ الكَذِبَ لَا يَصْلِحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ
		إِنَّ اللهَ مُلْكًا لَوْ قِيلَ لَهُ التَّقَمَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ بِلِقْمَةِ
١٥٨	لِفَعْلٍ
٥٤٥	إِنَّ النِّسَاءَ خَلَقْنَ مِنْ ضَلَعٍ
١١٦	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ
٤٠٠	إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللهُ
٢٧٤	إِنَّا لَنَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَسْرُنَا نَتَكَلَّمُ بِهِ
٢٢٥	إِنَّمَا مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ
٦٩	إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ

١١٧ إنِّي أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون
٤٦٥ إنِّي لا أصافح النساء
٥٦٨ إنِّي لأبغض الرجل
١٨٣ إنِّي لأعرف كلمة لو قالها هذا لذهب عنه الذي يجد
٥٤٥ إنِّي لأعلم إذا كنت عني راضية
١٥٤ أوتيت الكتاب وما يعدله
٢٧٤ أو جدم ذلك؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان
٨٢ أول من يتعلق بالرجل زوجته وأولاده
٤٠ أولم ولو بشاة
٢١٥ إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات
١٦٨ إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح
٥٣ أيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه، احتجب الله منه
٢٠٧ *ب* بايعت النبي ﷺ بيدي هذه
٨٥ بتعليق السوط في البيت
١٥٢ البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي
٣٦٨ البركة تنزل وسط الطعام
٤١ بسم الله، اللهم جنبي الشيطان
٢٢٤ بلُّوا أرحامكم
١٣٥ بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض
٢٣٦ بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك
٢٤١ *ت* التثاؤب من الشيطان
١٢٩ تجاوز في الصلاة واقدر الناس بأضعفهم
٣٧ تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء
٤٣ تزوجوا الودود الولود
٥٨ تسموا بأسماء الأنبياء

٨٣ تنح حتى أريك ، فأدخل يده بين الجلد واللحم
٢٣٠ تهادوا فإن الهدية تذهب وقر الصدر
٢١٠ *ث* ثلاثة لا يدخلون الجنة
٥٢٤ *ج* جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة
٢٦٧ جبلت القلوب على حب من أكرمها
١٢٧ جنبوا مساجدكم صبيانكم
٥٢٠ *ح* حاد حسن الصوت
١٢٤ حافظوا على أبنائكم في الصلاة
٣٨٦ حُب إلى من الدنيا النساء والطيب
٥٠٣ حبك الشيء يصم ويعمي
٣٨٩ الحبة السوداء شفاء
٤١٠ حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أممي
٤٢٥، ٣٤٥ حق الولد على الوالد أن يعلمه
٤٠٠ الحمد لله الذي أحيانا
٣٦٩ الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا
٢٣٥ الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به
٤٠٦ الحمد لله الذي كساني هذا
١٥٥ *خ* خالفوا المشركين ، وفروا للحى
٤١٣ خذ عليك ثوبك
٢٩١ خمس فواسق يقتلن في الحرم
٣٧ خير نساء ركب الإبل صالحوا نساء قريش
١٣٢ خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
٢٨٦ *د* دخلت امرأة النار في هرة ربطتها
١٧٤ دعه فإن الحياء من الإيمان
٤٢٧ دعهم فإن التراب ربيع الصبيان

٧٠ دعوا ابني لا تفزعوه حتى يقضي بوله
٥٤ *رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسين
٢٣٥ رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره
٢٨١ رب قني عذابك يوم تبعث عبادك
٢١٠ رحم الله والداً أعان ولده على بره
٢٢١ الرحم معلقة بالعرش
٦٩ ریحانتي حسن وحسين
٦١ *زني شعر الحسين وتصدقي بوزنة فضة
٣٤٣ زينوا القرآن بأصواتكم
٧٤ *سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا
٣٨٤ السواك مطهرة للفم
٣٨٨ *ش الشفاء في ثلاثة
٤٣١ شيطان يتبع شيطانة
١٢٦ *ص صلاة الجماعة تفضل على صلاة الرجل
١٢١ صلاة المرء في بيته أفضل
١١٩ الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات
٤٣٦ صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر
٣١٠ *ع عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله
١٢٢ علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين
٨٧ عليك بالرفق
٥٩ عن الغلام شاتان مكافيتان
٥٣٧ عن كل مسكر ومُفتر
٣٨١ *غ الغسل يوم الجمعة واجب
٥٢١ الغناء من زاد الراكب
٥١٤ الغناء ينبت النفاق في القلب

٣٨	*ف* فاذهب فانظر إليها
٤٣٦	فاستقبل رسول الله ﷺ أمام القوم
٣٦	فاظفر بذات الدين تربت يداك
٥٢٢	فاقدروا قدر الجارية العربة
٢٩٧	فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة
٤٠١	فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة
٣٨٢	فإن الملائكة تتأذى
٨٧	فجعلت تردده
٢٣٢	فخدمته في الحضر والسفر
٥٢٠	فصل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت
٣٨	فهلاً بكرةً تضاحكك وتضاحكها
٢٦٩	فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك
٥٤	فوضعت في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها
٣٧٦	في رمضان ويلك وصبياننا صيام
١٦٥	في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين
١٩٦	*ق* قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري
٥٤٥	قال لي رسول الله ﷺ
٣٤٠	قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت
٤٠٨	قل لأملك تكسوك غير هذا
٣٤٧	القلم نعمة من الله تعالى عظيمة
١١٨	*ك* كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: الصلاة
٣٩٢	كان إذا خرج من الغائط قال: غفرانك
٢٤١	كان إذا عطس غطى وجهه
٢١١	كان بعض الصالحين لا يأمر ولده بأمر مخافة أن يعصيه
٥٠٧	كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس

١٩٥	كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً
٣٧٦	كان يعظمه، ويدعو برضعائه ورضعاء فاطمة
١٣٦	كتب الله مقادير الخلائق
٣٦٥	كخ كخ، أما تعرف أنا لا تأكل الصدقة
١٥٣	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي
٥٣٤	كل مسكر حرام
١٠١	كل مولود يولد على الفطرة
٢٣٢	كل يوم سبعين مرة
٥١، ٣٥	كما أن لوالدك عليك حقاً، كذلك لولدك
٧٠	كنت عند النبي ﷺ وعلى صدره أو بطنه الحسن
١٧٧	كيف تجدك؟ قال: أرجو الله يا رسول الله
٣٦٦	*ل* لا آكل متكئاً
٥٢١	لا أرى به بأساً ما لم يكن فحشاً
٣٦٧	لا تأكلوا بالشمال
٢٥١	لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام
٤١٤	لا تُبرز فخذيك
٤٥٨	لا تجالسوا أبناء الأغنياء
٣١١	لا تحتقروا أنفسكم لحدائثة أسنانكم
٢١٩	لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا
٢٥٣	لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم
٤٣٧	لا تطيلوا الجلوس في الشمس
٣٩٠	لا تكرهوا مرضاكم على الطعام
١٩٤	لا تكلفوا الصغير الكسب
٤٠٨	لا تلبسوهم الحرير
٢٨٨	لا تلغنه فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء للصلاة

٤٣٢	لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر
١٩٧	لا، ولكن الكبر من بطر الحق
٢٢٩	لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه
٢١٠	لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً
٢٤٢	لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه
٥٦٢	لا يخلون رجل بامرأة
٢٢١	لا يدخل الجنة قاطع
١٩٨	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة
٣٦٥	لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت
٢٤٢	لا يشكر الله من لا يشكر الناس
٤٣٣	لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح
٤٩٩	لا يصح النظر إلى شيء منهن
٥٤٥	لا يفرك مؤمن مؤمنة
٢١٢	لا يقاد مملوك من مالكة ولا ولد من والده
٣١٠	لا يكن أحدكم إمعة
٣٩١	لا يمس أحدكم ذكره بيمينه
٣٨٧	لا يورد ممرض على مصح
١٥٠	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
٤٦٦	لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط
٨٢	لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع
٥٨	لئن عشت إن شاء الله لأنهي أن يسمى رباح
٤٦٢	لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء
١٧٤	لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء
٢٣١	لله أقدر عليك منك عليه
٣٨١	لله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل

٤٦٤	لم يبلغني في هذا شيء وقد جمعت لذلك
٣٨١	لم يشوه أحدكم نفسه
٢١٩	لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار
١٧١، ١١٧	لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب
٢١٠	لو خرجت من أهلك ومالك ما أدبت حقهما
٣٨٣	لو كان أسامة جارية لحليتها
١٧١	لو كان لابن آدم واديان من مال
٣٨٥	لولا أن أشق على أمتي أو على المؤمنين لأمرتهم بالسواك
٤٥٣	لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط
٣٦٥	لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها
١٤١	ليشتر فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم
١٧٢	ليس الغنى عن كثرة العرض
٢١٥	ليس من ولد آدم أحد إلا وقد خلق معه الحسد
٢٠٦	ليس منا من لم يجل كبيرنا
٦٩	ليس منا من لم يرحم صغيرنا
٤٧	ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله
٦٨	ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك
٥١٦	ليكن أول ما يعتقدون في أدبك بغض الملاهي
٥١٨	ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر
٣٣٠	**ما تحت ظل السماء من إله يعبد أعظم عند الله من هوى
٤٦١	ما تركت بعدي على أمتي فتنة أضر على الرجال
٦٩	ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله
٣١٧	ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان
٤٣٦	مالك لم تفر مع أصحابك؟ قال يا أمير المؤمنين لم أجرم
١٩٨	ما من رجل يتعاطم في نفسه ويختال في مشيته

٤٣ ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد
٨٢ ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب
٥٤٤ المرأة أحق بولدها
٣٩٩ مروا أولادكم بالصلاة
٤٦٢ مروا صبيانكم بالصلاة
٤٣٣، ٢٢٩ من أشار إلى أخيه بحديدة
٣٨٩ من اصطبج كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم
١٦٩ من أصبح منكم اليوم صائماً
٣١٧ من أعطي خيراً فالله أعطاه
١٣٣ من اغتسل يوم الجمعة، واستاك
٢٥٣ من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة
٢٩٠ من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط
٢٦٤ من بدل دينه فاقتلوه
١١٨ من ترك الصلاة متعمداً فقد حبط عمله
٣١٧ من تناول تعظماً حطه الله
٢٤٣ من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه
٣١٨ من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً
٣٧٤ من شرب في إناء من ذهب أو فضة
٣٩٩ من صلى الغداة في جماعة ثم قعد
٥٥١ من فرق بين والدته وولدها
٢٨٧ من فعل هذا؟ فتفرقوا
١٩١ من قال لصبي تعال هاك
٢٨٠ من قال، يعني إذا خرج من بيته: بسم الله
٢٨٧ من قتل عصفوراً بغير حقه سأله الله عنه
٣١٤ من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجاً
٢٣٩ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه

٤٣٠	من لعب بالكعباب أو قال الكعبات فقد عصى
٤٣٠	من لعب بالنرد فقد عصى
٤٣٠	من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير
٣٨٩	من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر
٢٨٠	من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات
٤٥٤	من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط
٥٧	من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه
٣١٨، ٢٠٦	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
٤١٩	المؤمن القوي خير أو أفضل وأحب
٣٧٠	المؤمن يأكل في معي واحد
٣٨٧	*ن* نعم تداووا فإن الله لم يضع داء إلا ووضع له دواء
٢٨٦	نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم
٢٩٢	نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربعة
٢٩٩	*ه* هذا جبل يحبنا ونحبه
٧٤	هلك المتنطعون
٢٣١	هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم
١٢٦	هو في النار
١٢٦	*و* واضربوه عليها ابن عشر
٦٩	وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة
٤٣	الولد الصالح ريحان من رياحين الجنة
٥٠٢	الولد محزنة مجينة
٣٩	والمرأة راعية على بيت زوجها وولده
٢٦٠	ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم
٢٤٨	وهل الدين إلا الحب والبغض
١٢٨	ويجعل الرجال قدام الغلمان والغلمان خلفهم
٢٣٤	*ي* يا أبا ذر اتق الله حيث كنت

يا أبا عمير ما فعل النغير	٧٢
يا أيها الناس إن منكم منفرين	١٢٩
يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم	٤٧٤
يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم	١٤٢
يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك	٢٠٨
يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟	٣٥٧
يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر	٤٤٦
ياذا الأذنين	٧٢
يا سعيد تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء	٤٣
يا عائشة أحبيه فأني أحبه	٣٨٣
يا علي ألا تقلب ابني قبل الحر	٤٣٨
يا غلام اذهب العب . قال إنما جئت إلى المسجد	١٣٤
يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن	١١٢
يا غلام سم الله، وكل بيمينك	٣٦٨
يا فتى قل لا إله إلا الله	١١٣
يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم	١٩٥
يستأذن الرجل على ولده وأمه	٤٧٥
يسلم الصغير على الكبير	٢٣٦
يصف عبد الله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس	٤٢٠
يطبع المؤمن على الخلال كلها	١٨٦
يعطيه ويحسن إليه حتى يره	٢١١
يغفر الله للمؤذن مد صوته	٢٩٧
يكره النوم قبل العشاء	٣٩٧
يوثى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار	٦٧
يوشك الأمم أن تداعى عليكم	٢٦٠

ثالثاً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار الواردة بالمعنى:

الصفحة	الرواية
٣٨	النظر إلى المخطوبة بغير علمها
٤٠	دعاء الاستخارة
٤١	استحباب الدعاء والصلاة عند الدخول بالزوجة
٤١	استحباب الدخول بالزوجة في شوال
٤٣	الرخصة في العزل
٤٣	عدد أولاد قيس بن عاصم
٤٤	النهي عن الرهبانية والتبتل
٤٤	تحريم إتيان المرأة في دبرها
٤٦	قيام الرسول ﷺ بالخدمة في بيته
٤٦	وجوب زكاة الفطر للصغير على وليه
٤٧	النفقة على الأهل والأولاد صدقة
٤٧	استحباب إظهار العبد أثر نعمة الله عليه
٤٧	استحباب ترك الورثة أغنياء ليستغنوا عن الناس
٥٢	مقدار دية الجنين
٥٣	الوعيد لمن انتسب إلى غير أبيه
٥٤	تحنيك الصبيان عند ولادتهم والدعاء لهم
٥٤	هروب الشيطان عند الأذان
٥٦	ذكر النهي عن الغيلة ثم ذكر إباحتها
٥٨	تغيير الرسول ﷺ لأسماء أبناء فاطمة
٥٨	تغيير الرسول ﷺ لاسم العاص و غراب

٥٨	استحباب التسمي بعبد الله وعبد الرحمن
٥٨	النهي عن التكني بأبي القاسم
٦٠	التوقيت في ذبح العقيقة
٦١	الختان من سنن الفطرة
٦٩	تقبيل الرسول ﷺ للحسين في فمه
٦٩	مداعبة الرسول ﷺ للحسين بلسانه
٧١	العدل بين الأولاد في القبلات
٧٢	مشاهدة الحسن والحسين على صدر رسول الله ﷺ
٧٢	بول الصبي على ثوب رسول الله ﷺ
٧٢	جلوس الرسول ﷺ كالفرس ليمتطي ظهره الحسن والحسين
٧٢	حملة عليه الصلاة والسلام للأولاد والبنات في الصلاة
٧٢	تقبيله عليه الصلاة والسلام للأولاد في أفواههم وشمهم وضمهم
	حملة عليه الصلاة والسلام للحسن والحسين على عاتقه
٧٢	والخروج بهما لأصحابه
٧٢	نثر الرسول ﷺ للماء في وجه الصبي مداعبة له
٧٥	منهج الرسول ﷺ في الوعظ
٧٧	دعوة الوالد لولده مستجابة
٧٧	فضل الدعاء
٧٨	الدعاء عند ختم القرآن بحضور الأولاد
٨٣	تعليم السلف للصبيان وإسماعهم الحديث
٨٤	إقرار الرسول ﷺ بضرب الغلام للتأديب
٨٥	ترفع الرسول ﷺ عن الضرب
٨٥	النهي عن لطم الوجه
٨٦	الكف عن ضرب الخادم إذا ذكر الله

الإنسان أجوف لا يتمالك	٩٥
مذاهب العلماء في تفسير معنى الفطرة	١٠٢
تعليم الرسول ﷺ لابن عباس	١٠٣
وقت إسلام علي بن أبي طالب	١١٢
منع الصغار من المشاركة في القتال يوم أحد	١١٢
مبايعة الصبيان للرسول ﷺ	١١٣
صفة الجنة والنار	١١٤
وجوب إعادة الصلاة الفائتة على ابن العاشرة	١٢٤
فضل الصلاة والحث عليها	١٢٤
صلاة ابن عباس في الليل مع الرسول ﷺ في بيت ميمونة	١٢٥
الهم بتحريق البيوت على المتخلفين عن صلاة الجماعة	١٢٧
وجوب صلاة الجماعة على من سمع النداء	١٢٧
اصطحاب الرسول ﷺ للحسن والحسين إلى المسجد وصعود أحدهما على ظهره أثناء الصلاة	١٢٨
جواز أذان الغلام قبل البلوغ	١٣٠
فضل الأذان وثواب المؤذنين	١٣٠
ذكر إمامة عمرو بن سلمة لقومه وهو صغير	١٣١
قيام الصبيان بالنساء في رمضان	١٣١
ذكر شدة الفقر وقربه من الكفر	١٤١٠
إطلاق اللحي من سنن الفطرة	١٥٥
في ذكر تأويل قوله تعالى : ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾	١٨٦
ذكر أسلوب معاملة الرسول ﷺ ومعالجته للغلام الذي كان يرمي النخل ويأكل منها	١٩٣
إقرار الرسول ﷺ بمشاركة عبد الله بن جعفر في البيع في السوق	٢٠٠
العلماء ورثة الأنبياء	٢٠٥

- ٢٠٦ في ذكر تأويل قوله تعالى : ﴿وأولي الأمر منكم﴾
- ٢٠٧ تقبيل ابن عمر يد النبي ﷺ وتقبيل بعض اليهود يده ورجليه
- ٢٠٨ ترك ابن عباس سؤال عمر بن الخطاب عن مسألة هيبه منه
- ٢٣١ النهي عن ضرب الخدم
- ٢٤٣ إعطاء الرسول ﷺ للأطفال في مجلسه باكورة الثمر
- ٢٥٥ ذكر بعض شروط عمر بن الخطاب على الذميين
- ٢٥٥ وجوب مخالفة المشركين
- ٢٦٣ ذكر مذهب الصحابة في كفر تارك الصلاة
- ٢٦٣ كفر من ترك فرضاً واحداً من الصلاة متعمداً
- ٢٧٧ الرقية بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين
- ٢٧٨ تعليق بعض القرآن على الأطفال
- ٢٨٠ ذكر فضل آية الكرسي والتحصن بها من الشيطان
- ٢٨٧ النهي عن لعن الحيوان أو شتمه
- ٢٨٨ جواز حبس الطيور
- ٢٨٨ النهي عن ثمن الهر
- ٢٨٩ تسمية البهائم والدواب
- ٢٨٩ طهارة القطعة، وذكر أنها من متاع البيت
- ٢٩١ الترغيب في قتل الوزغ
- ٢٩٣ النهي عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن
- ٢٩٣ النهي عن قتل الضفدع
- ٢٩٤ ذكر الجمل الذي شكى صاحبه، والجمل الذي شهد على رجل
- ٢٩٤ ذكر البقرة التي كلمت صاحبها، والذئب الذي كلم راعي غنم
- ٢٩٧ ذكر الشجرة التي أمرها الرسول ﷺ أن تأتيه
- ٢٩٧ استغفار الصحيفة للاعقها
- ٢٩٧ تسليم الحجر على رسول الله ﷺ

٢٩٩	النهي عن سب الرياح
٣٠٠	تسمية الرسول ﷺ لدرعه وسيفه
٣٢٣	عدم إلزام الصبي الصغير بالتعلم حتى يكبر
٣٦٦	النهي عن الأكل قائماً أو منبطحاً
٣٦٨	بيان جواز أكل اللحم من فوق العظام دون تقطيع بالسكين
٣٦٩	السنة في اللقمة التي تسقط
٣٧٠	حب الرسول ﷺ للحلوى والعسل
٣٧٣	النهي عن الشرب من فم السقاء
٣٧٣	النهي عن الشرب قائماً
٣٧٦	توقيت بداية أمر الصبي بالصيام
٣٧٧	تعويد الأولاد على الصيام، وأخذهم إلى المسجد
٣٨٣	السنة في الامتخاط
٣٨٧	التوقيت في تقليد الأطفار
٣٩٠	الأمر برقية الصبيان من العين
٣٩٠	رقية السيدة عائشة للرسول ﷺ في مرض موته
٣٩٠	النهي عن إجبار المريض على أخذ الدواء
٣٩٨	منع الأهل والأولاد من النوم بعد صلاة الفجر حتى تشرق الشمس
٤٠٠	النهي عن مبيت الرجل في البيت وحده
٤٠٠	السنة في أخذ المضجع
٤٠٥	الرخصة في لبس الأحمر والأخضر والأسود من الثياب
٤٠٦	السنة في خلع الملابس
٤٠٧	السنة في لبس النعال
٤١٠	وصف حد كم رسول الله ﷺ
٤١٢	نزع الأجراس والجلجل من الصبيان
٤١٢	وصف شعر رأس الرسول ﷺ

- ٤٢٠ إشراف الرسول ﷺ على سباق الخيل
 إقرار الرسول ﷺ الرقص بالحراب في المسجد،
 والسماح للسيدة عائشة بالنظر إليهم ٤٢٤
 ٤٢٤ مسابقة الرسول ﷺ للسيدة عائشة
 ٤٢٥ تحريض الرسول ﷺ لأبناء العباس للتسابق إليه
 إقرار الرسول ﷺ لعب السيدة عائشة وهي صغيرة
 بفرس له جناحان ٤٢٦
 ٤٢٦ لعب السيدة عائشة بالأرجوحة
 النهي عن تصوير ذوات الأرواح ٤٢٧
 ٤٣١ ذكر الخلاف في تحريم اللعب بالشطرنج
 النهي عن تصوير ذوات الأرواح ٤٣٢
 ٤٣٦ إعطاء ابن عمر نقوداً لصبيان يلعبون في الطريق
 إقرار الرسول ﷺ لعب السيدة عائشة وهي صغيرة
 بفرس له جناحان ٤٣٩
 ٤٥٤ ذكر عقاب اللوطي عند بعض السلف
 ٤٥٨ قصة عمر بن الخطاب مع الشاب الذي افتتن به النساء
 قصة المرأة الخثعمية التي جاءت تسأل الرسول ﷺ، ونظر
 الفضل إليها ٤٩٨
 ٤٩٩ مقدار حد عورة المرأة عند بعض السلف
 وضع الرسول ﷺ لأصبعيه في أذنيه لاجتنابه سماع المزمار ٥١٧
 ٥٢٠ إقرار الرسول ﷺ لحداء عامر بن الأكوع
 ٥٢٠ إقرار الرسول ﷺ غناء الجاريتين عند عائشة
 ٥٢٤ أمر الرسول ﷺ لحسان بن ثابت في قول الشعر
 ٥٤٥ ذكر هجر الرسول ﷺ لبعض نسائه

قائمة المراجع

- أولاً: المصادر
- ثانياً: المراجع
- ثالثاً: البحوث غير المنشورة
- رابعاً: المجلات والدوريات
- خامساً: الصحف
- سادساً: الندوات والمؤتمرات

قائمة المراجع

أولاً: المصادر:

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، ...
- ٣ - أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت، ...
- ٤ - ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق عبد الخالق الأفغاني، ...
- ٥ - ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق مجموعة من العلماء، وتخرير محمد ناصر الدين الألباني وتوضيح زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ط ٦، ١٤٠٠هـ.
- ٦ - ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- ٧ - ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ...
- ٨ - أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، كتاب

- الورع، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٩ - أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، وضع الفهرس للرواة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٥، ١٤٠٥ هـ.
- ١٠ - الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢ هـ.
- ١١ - الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.
- ١٢ - آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الرئاسة العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣ هـ.
- ١٣ - الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ...
- ١٤ - أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بعناية عبد الله الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، ط ٢، ...
- ١٥ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، ترتيب وتقديم كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- ١٦ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، ...
- ١٧ - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

- ١٨ - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ.
- ١٩ - ابن بلبان، الأمير علاء الدين علي الفارسي، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، تقديم وضبط كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- ٢٠ - البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، الآداب، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- ٢١ - البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، كتاب السنن الكبرى وفي ذيله كتاب الجوهر النقي للإمام علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٤٤ هـ.
- ٢٢ - التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٣ - الترمذي، أبو عبد الله محمد الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، دار صادر، بيروت، ...
- ٢٤ - الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، ...
- ٢٥ - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ...
- ٢٦ - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، الحسنه والسيئة، دار الكتب العلمية، بيروت، ...
- ٢٧ - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، ...، ط ٢، ...

٢٨. - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٧ هـ.
٢٩. - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، كتاب الإيمان، تلخيص وتحقيق وشرح حسين يوسف الغزال، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
٣٠. - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، كتاب النبوات، دار الفكر، . . .
٣١. - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وابنه محمد، تصوير الطبعة الأولى، . . . ، ١٣٩٨ هـ.
٣٢. - الجزائري، أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، . . . ، ط ٢، ١٤٠٧ هـ.
٣٣. - ابن الجزار، أحمد بن الجزار القيرواني، سياسة الصبيان وتدريبهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية، . . . ، ١٩٦٨ م.
٣٤. - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، الأذكياء، تحقيق أسامة عبد الكريم الرفاعي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
٣٥. - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ذم الهوى، صححه وضبطه أحمد عبد السلام عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٣٦. - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.
٣٧. - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، صيد الخاطر،

- مراجعة وتعليق علي الطنطاوي وتحقيق ناجي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٣٩٨ هـ.
- ٣٨ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، الطب الروحاني، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٠٦ هـ.
- ٣٩ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المدهش، ضبط وتصحيح وتعليق مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- ٤٠ - ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي، المدخل، دار الفكر، . . . ، ١٤٠١ هـ.
- ٤١ - الحاكم، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث وفي ذيله تلخيص المستدرک لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الباز، مكة المكرمة، . . .
- ٤٢ - ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، . . .
- ٤٣ - ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مراجعة وضبط وتعليق طه عبد الرؤوف سعد ومصطفى محمد الهواري والسيد محمد عبد المعطي، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، ١٣٩٨ هـ.
- ٤٤ - ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، جدة، ١٤٠٢ هـ.
- ٤٥ - الخبازي، جلال الدين محمد بن عمر بن محمد، المغني في

- أصول الفقه، تحقيق محمد مظهر بقا، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣ هـ.
- ٤٦ - ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٥ هـ.
- ٤٧ - الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣ هـ.
- ٤٨ - ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق حجر العاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٤٩ - الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المحاسن، القاهرة، ١٣٨٦ هـ.
- ٥٠ - الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، . . .
- ٥١ - الدوسري، عبد الرحمن بن محمد، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ١٤٠١ هـ.
- ٥٢ - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، كتاب الكيائ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩١ هـ.
- ٥٣ - ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن

- الحنبلي، اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملائ الأعللى؁
تحقق وتعلق جاسم الفهيد الدوسري؁ مكتبة دار الأقصى؁
الكويت؁ ١٤٠٦ هـ.
- ٥٤ - ابن رجب؁ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن
الحنبلي؁ المحجة في سير الدلجة؁ تحقيق يحيى مختار غزاوي؁
دار البشائر الإسلامية؁ بيروت؁ ط ٢؁ ١٤٠٦ هـ.
- ٥٥ - ابن رجب؁ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن
الحنبلي؁ نزهة الأسماع في مسألة السماع؁ تحقيق أم عبد الله بنت
محروس العسلي وإشراف أبو عبد الله محمود الحداد؁ دار
العاصمة؁ الرياض؁ ١٤٠٧ هـ.
- ٥٦ - ابن رجب؁ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن
الحنبلي؁ ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء؁ مكتبة التراث
الإسلامي؁ القاهرة؁ . . .
- ٥٧ - الزرقاني؁ سيدي محمد الزرقاني؁ شرح الزرقاني على موطأ الإمام
مالك؁ تصحيح لجنة من العلماء؁ دار الفكر؁ . . . ١٤٠١ هـ.
- ٥٨ - الزرنوجي؁ برهان الدين؁ تعليم المتعلم في طريق التعلم؁ تحقيق
وتقديم صلاح محمد الخيمي ونزير حمدان؁ دار ابن كثير؁ دمشق؁
١٤٠٦ هـ.
- ٥٩ - السرخسي؁ شمس الدين؁ كتاب المبسوط؁ دار المعرفة؁ بيروت؁
١٤٠٦ هـ.
- ٦٠ - السعدى؁ عبد الرحمن ناصر؁ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام
المنان؁ تقديم محمد زهري النجار؁ دار المدني؁ جدة؁ ١٤٠٨ هـ.
- ٦١ - السمرقندي؁ نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم؁ عقوبة أهل
الكبائر؁ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا؁ دار الكتب العلمية؁
بيروت؁ ١٤٠٥ هـ.

- ٦٢ - ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي، القانون في الطب، دار الفكر، ...
- ٦٣ - الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المطابع الأهلية للأؤفست، الرياض، ١٤٠٣ هـ.
- ٦٤ - الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ...
- ٦٥ - الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦ هـ.
- ٦٦ - الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ...، ط ٢، ...
- ٦٧ - العاصمي، عبد الرحمن بن محمد بن القاسم النجدي الحنبلي، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ...، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.
- ٦٨ - ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، ...
- ٦٩ - ابن عبد الوهاب، محمد، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على عباده، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٣٩٨ هـ.
- ٧٠ - ابن عبد ربه، أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد القرطبي، تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤٠٦ هـ.
- ٧١ - ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم الحلبي، الدراري في ذكر الدراري، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد، دار السلام، ...، ١٤٠٤ هـ.

- ٧٢ - العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٣٩٩ هـ.
- ٧٣ - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار القلم، بيروت، ..
- ٧٤ - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، الأدب في الدين، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة، دار الشروق، بيروت، ...
- ٧٥ - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق محمد رشيد رضا قباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.
- ٧٦ - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٧٧ - ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني ويليهِ الشرح الكبير لشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٧٨ - القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني وإبراهيم أطفيش وبشندي خلف الله ومحمد محمد حسنين، دار الكتب المصرية، ..، ط ٢، ..
- ٧٩ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار العلم، جدة، ط ١٢، ١٤٠٦ هـ.
- ٨٠ - ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ٨١ - ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللفهان من مصائد

- الشیطان، تحقیق محمد حامد الفقی وتصحیح أحمد سعد علی،
مکتبة الرياض الحدیثة، الرياض، . . .
- ۸۲ - ابن القیم، أبو عبد الله محمد بن أبی بکر، التبیان فی علوم القرآن،
تصحیح وتعلیق طه یوسف شاهین، دار الکتب العلمیة، بیروت،
۱۴۰۲ هـ.
- ۸۳ - ابن القیم، أبو عبد الله محمد بن أبی بکر، تحفة المودود بأحكام
المولود، تحقیق عبد المنعم العانی، دار الکتب العلمیة، بیروت،
۱۴۰۳ هـ.
- ۸۴ - ابن القیم، أبو عبد الله محمد بن أبی بکر، جلاء الأفهام فی الصلاة
والسلام علی خیر الأنام، دار الکتب العلمیة، بیروت، ۱۴۰۵ هـ.
- ۸۵ - ابن القیم، أبو عبد الله محمد بن أبی بکر، الجواب الکافی لمن
سأل عن الدواء الشافی، دار الندوة الجدیة، بیروت، ط ۳،
۱۴۰۰ هـ.
- ۸۶ - ابن القیم، أبو عبد الله محمد بن أبی بکر، روضة المحبین ونزهة
المشتاقین، تحقیق السید الجمیلی، دار الکتب العربی، بیروت،
۱۴۰۵ هـ.
- ۸۷ - ابن القیم، أبو عبد الله محمد بن أبی بکر، زاد المعاد فی هدی خیر
العباد، تحقیق شعیب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة
الرسالة، بیروت، ط ۳، ۱۴۰۲ هـ.
- ۸۸ - ابن القیم، أبو عبد الله محمد بن أبی بکر، شفاء العلیل، تحریر
الحسانی حسن عبد الله، مکتبة دار التراث، القاهرة، . . .
- ۸۹ - ابن القیم، أبو عبد الله محمد بن أبی بکر، الطب النبوی، تقدیم
وتصحیح وتحقیق عبد الغنی عبد الخالق وعادل الأزهری ومحمود فرج
العقدة، دار الحکمة، بیروت، . . .

- ٩٠ - ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٢ هـ.
- ٩١ - ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الفوائد، تحقيق أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢ هـ.
- ٩٢ - ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر، ...
- ٩٣ - ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار نجد، الرياض، ١٤٠٢ هـ.
- ٩٤ - ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢ هـ.
- ٩٥ - ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تقديم يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ.
- ٩٦ - ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ...
- ٩٧ - مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، المدونة الكبرى، دار إحياء التراث العربي، ...
- ٩٨ - مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ٩٩ - الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ...

١٠٠ - المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، ...، ط ٣، ١٣٩٩ هـ.

١٠١ - مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازى، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ٢، ...

١٠٢ - مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى، صحيح مسلم، إشراف فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ...

١٠٣ - معلوف، لويس، المنجد فى اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ١٩، ...

١٠٤ - المناوى، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تعليق نخبة من العلماء، دار الفكر، ...، ط ٢، ١٣٩١ هـ.

١٠٥ - ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابورى، الإشراف على مذاهب أهل العلم، تحقيق محمد نجيب سراج الدين وإشراف عبد الغنى محمد عبد الخالق، إدارة إحياء التراث الإسلامى، قطر، ١٤٠٦ هـ.

١٠٦ - المنذرى، زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب، ضبط وتعليق مصطفى محمد عمارة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.

١٠٧ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ...

١٠٨ - النسائى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائى بشرح

- الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دارالفكر، بيروت، ١٣٤٨ هـ.
- ١٠٩- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الفكر، . . .
- ١١٠- النووي، محي الدين أبوزكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.
- ١١١- النووي، محي الدين أبوزكريا يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب، دار الفكر، . . .
- ١١٢- الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتصحيح بكرى حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤٠٥ هـ.
- ١١٣- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- ١١٤- الوصايفي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحبيشي، البركة في فضل السعي والحركة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ.

ثانياً: المراجع:

- ١ - أبو جيب، سعدي، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، . . .
- ٢ - أبوزهرة، محمد، أصول الفقه، دار الفكر العربي، . . .
- ٣ - أبو العينين، علي خليل، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، إشراف إبراهيم عصمت مطاوع وعبد الغني عبود، دار الفكر العربي، . . .، ط ٢، ١٩٨٥ م.

- ٤ - أبو النيل، محمود السيد، علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥ هـ.
- ٥ - الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، بروتوكولات حكماء صهيون، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٦ - الأديب، علي محمد، منهج التربية عند الإمام علي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ.
- ٧ - الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، دار عمر بن الخطاب، ...، ط ٢، ... هـ.
- ٨ - الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.
- ٩ - الإستانبولي، محمود مهدي وجماعة من علماء الأزهر، منكرات الأفراح، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ١٠ - إسماعيل، محمد أحمد، أدلة تحريم حلق اللحية، دار الأرقم، الكويت، ... هـ.
- ١١ - إسماعيل، محمد أحمد، أدلة تحريم مصافحة المرأة الأجنبية، دار الأرقم، الكويت، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.
- ١٢ - آل سعود، سيف الإسلام بن سعود بن عبد العزيز، تعاطي المخدرات في بعض دول مجلس التعاون الخليجي (المملكة العربية السعودية - الكويت - البحرين)، ١٤٠٨ هـ.
- ١٣ - الينجورث، رونالد وسيتشيا الينجورث، الرضع والأطفال الصغار، ترجمة فردوس عبد المنعم ومراجعة أحمد عمار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ...، ١٩٧٤ م.
- ١٤ - أوبر، رونيه، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٧٧ م.

- ١٥ - أيوب، حسن محمد، تبسيط العقائد الإسلامية، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط ٥، ١٤٠٣ هـ.
- ١٦ - أيوب، حسن محمد، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣ هـ.
- ١٧ - البار، محمد علي، الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها، دار المنارة، جدة، ١٤٠٥ هـ.
- ١٨ - البار، محمد علي ومحمد أمين صافي، الايدز وباء العصر، دار المنارة، جدة، ١٤٠٧ هـ.
- ١٩ - البار، محمد علي، المخدرات الخطر الداهم (الأفيون ومشتقاته)، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨ هـ.
- ٢٠ - ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، الفتاوى، كتاب الدعوة، مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، الرياض، ط ٢، ١٤٠٨ هـ.
- ٢١ - بونر، هيلين، كيف نعاون الإخوة والأخوات على التفاهم، ترجمة سعد دياب ومراجعة وتقديم عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٣ م.
- ٢٢ - التوم، بشير حاج، تدريس القيم الخلقية، مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣ هـ.
- ٢٣ - توما، فيلكس، زلات الوالدين، ترجمة وديع رشيد شهاب، مطبعة وزنكوغراف طبارة، . . . ، ط ٢، ١٩٢٧ م.
- ٢٤ - ثيرستون، ثلما جوين وكاترين مان بيرن، القدرات العقلية عند الأطفال، ترجمة عبد الفتاح المنياوي وإشراف وتقديم عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٢٥ - جابر، جابر عبد الحميد وأحمد خير كاظم، مناهج البحث في

- التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٨ م.
- ٢٦ - الحار الله، عبد الله جار الله، من أضرار المسكرات والمخدرات، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٧ - جرجس، ملاك، اضطراب النوم والتبول اللاإرادي عند الأطفال، الكتاب التاسع، دار اللواء، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٨ - جرجس، ملاك، لماذا يكذب الأطفال وكيف يتعلمون الصدق، الكتاب الرابع، دار اللواء، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٩ - جرجس، ملاك، مخاوف الطفل وعدم ثقته بنفسه أسبابها والوقاية منها وعلاجها، الكتاب الثاني، دار اللواء، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٠ - جريشة، علي ومحمد شريف الزبيق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، القاهرة، . . .
- ٣١ - جريشة، علي، حاضر العالم الإسلامي، دار المجتمع، جدة، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
- ٣٢ - الجزائري، أبو بكر، الإعلام بأن العزف والغناء حرام، مكتبة دار الوفاء، جدة، . . .
- ٣٣ - الجزري، عبد الرحمن، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، . . .
- ٣٤ - الجندي، سامي، طفلي في سنواته الثلاث الأولى، الأهلية، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٣٥ - الحاج، فائز محمد، بحوث في علم النفس العام، المكتب الإسلامي، . . .، ط ٥، ١٤٠٦ هـ.
- ٣٦ - الحجار، محمد، سمير المؤمنين في المواعظ والحكم والقصص، مكتبة دار الدعوة، حلب، ط ٤، ١٤٠٣ هـ.

- ٣٧ - حسنين، عزت، المسكرات والمخدرات بين الشريعة والقانون، دار الناصر، الرياض، ١٤٠٤ هـ.
- ٣٨ - الحسن، علي، أطفالنا (نموهم - تغذيتهم - مشكلاتهم)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥ م.
- ٣٩ - الحماحمي، محمد محمد، أصول اللعب والتربية الرياضية والرياضة، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٦ هـ.
- ٤٠ - الحميضي، سليمان بن محمد، كشف الستار عما في المسكرات والمخدرات من الأضرار، مطابع دار الثقافة، ...، ١٣٩٥ هـ.
- ٤١ - حوى، سعيد، الله جل جلاله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠١ هـ.
- ٤٢ - حوى، سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقاً، ...، ط ٢، ...
- ٤٣ - حوى، سعيد، الرسول ﷺ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ١٣٩٩ هـ.
- ٤٤ - خليفة، إبراهيم، المربيات الأجنبية في البيت العربي الخليجي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٧ هـ.
- ٤٥ - الخولي، محمد عبد العزيز، الأدب النبوي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- ٤٦ - الدرع، محمد خير، التربية البدنية في الإسلام، المكتبة الأموية، دمشق، ١٣٩٠ هـ.
- ٤٧ - درويش، كمال ومحمد، الحماحمي، الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، مركز البحوث التربوية النفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦ هـ.
- ٤٨ - الدسوقي، فاروق أحمد، القضاء والقدر في الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.

- ٤٩ - دنفر، أحمد فون، التبشير المسيحي في منطقة الخليج، دراسات إسلامية تاريخية، المطابع الآلية، ماليزيا، ...
- ٥٠ - دياب، عبد الحميد وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، تقديم محمود ناظم نسيمي، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.
- ٥١ - راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، ط ٩، ١٩٧٣ م.
- ٥٢ - راير، فان، مساعدة الطفل على إجادة الكلام، ترجمة صلاح الدين لطفي وإشراف وتقديم عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٥٣ - رضا، محمد، الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.
- ٥٤ - روسو، جان جاك، أميل، ترجمة عادل زعيتير، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦ م.
- ٥٥ - روس، هيلين، مخاوف الأطفال، ترجمة السيد محمد خيرى وإشراف وتقديم عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٦١ م.
- ٥٦ - رويحه، أمين، ولدك هذا الكائن المجهول، دار القلم، بيروت، ١٩٧٤ م.
- ٥٧ - الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- ٥٨ - زريق، معروف، كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم، دار الفكر، ...، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
- ٥٩ - زهران، حامد عبد السلام، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم

- الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢ م.
- ٦٠ - زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة، ط ٨، ١٩٨٦ م.
- ٦١ - زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، دار البيان، ... ط ٣، ١٣٩٦ هـ.
- ٦٢ - زيدان، محمد مصطفى، النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، دار الشروق، جدة، ...
- ٦٣ - سابق، السيد، إسلامنا، دار الكتاب العربي، بيروت، ...
- ٦٤ - السباعي، مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٣، ١٣٩٣ هـ.
- ٦٥ - السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥ هـ.
- ٦٦ - سبوك، بنجامين، مشكلات الآباء والأمهات، ترجمة وتقديم محمد علي العريان، دار المعرفة، ...، ١٩٦٧ م.
- ٦٧ - سترانج، روث، مساعدة الأطفال على حل مشكلاتهم، ترجمة صلاح الدين لطفي وإشراف وتقديم عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٦٨ - سرحان، منير المرسي، في اجتماعيات التربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ...، ط ٢، ١٩٧٨ م.
- ٦٩ - سعيد، عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مكتبة المعارف، الرياض، ١٣٩٩ هـ.
- ٧٠ - سلطان، محمود السيد، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار الشروق، جدة، ١٤٠٣ هـ.

- ٧١ - السليمان، عبد العزيز محمد، إتحاف المسلمين بما تيسر من أحكام الدين (علم ودليل)، شركة العبيكان، الرياض، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
- ٧٢ - سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، تقديم فوزي فيض الله وعبد الرحمن حسن حبنكه، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤٠٧ هـ.
- ٧٣ - السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربي، . . .، ط ٤، ١٩٧٥ م.
- ٧٤ - شاتليه، ا. ل، الغارة على العالم الإسلامي، تلخيص وترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، المطبعة السلفية ومكتبها، القاهرة، ط ٤، ١٣٩٨ هـ.
- ٧٥ - شاكر، محمود، العالم الإسلامي (المنطقة العربية)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- ٧٦ - شتا، السيد علي ومحمد صالح قاسم كرامي، النمو الاجتماعي لشخصية الطفل في المجتمع الإنتقالي، مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦ هـ.
- ٧٧ - الشرقاوي، أنور محمد، انحراف الأحداث، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ٧٨ - شلبي، عبد الودود، أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، دار المجتمع، جدة، . . .
- ٧٩ - الشتوت، خالد أحمد، دور البيت في تربية الطفل المسلم، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، ١٤٠٩ هـ.
- ٨٠ - شويل، حسين، الأمومة الرسالة السامية، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٤ هـ.

- ٨١ - الصالح، محمد أحمد، الطفل في الشريعة الإسلامية (نشأته - حياته - حقوقه التي كفلها الإسلام)، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ...
- ٨٢ - الطنطاوي، علي، تعريف عام بدين الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٣، ١٤٠٤ هـ.
- ٨٣ - الطوبجي، حسين حمدي، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار القلم، الكويت، ط٩، ١٤٠٥ هـ.
- ٨٤ - عاقل، فاخر، علم النفس التربوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٨، ١٩٨٢ م.
- ٨٥ - عبد الخالق، عبد الرحمن، الولاء والبراء، الدار السلفية، الكويت، ...
- ٨٦ - عبد الدائم، عبدالله، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٤ م.
- ٨٧ - عبد الصمد، محمد كامل، التلفزيون بين الهدم والبناء، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٥ هـ.
- ٨٨ - عبد الصمد، محمد كامل، طفلك الصغير هل هو مشكلة؟، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٦ هـ.
- ٨٩ - عبد العزيز، أمير، الإنسان في الإسلام، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٤ هـ.
- ٩٠ - عبد العزيز، صالح، التربية الحديثة (مادتها - مبادئها - تطبيقاتها العملية)، دار المعارف، مصر، ط٧، ...
- ٩١ - عبدالله، عبد الرحمن صالح، المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥ هـ.

- ٩٢ - عبيد، مهدي، التربية النفسية للأطفال، دار القلم، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- ٩٣ - العثيمين، محمد صالح، أسئلة مهمة، مطابع الصفا، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- ٩٤ - العظم، يوسف، أين محاضن الجيل المسلم، الدار السعودية، جدة، ط٦، ١٤٠٥هـ.
- ٩٥ - علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، حلب، ط٣، ١٤٠١هـ.
- ٩٦ - علوان، عبدالله ناصح، حكم الإسلام في وسائل الإعلام، دار السلام، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ.
- ٩٧ - علوان، عبدالله ناصح، حين يجد المؤمن حلاوة الإيمان، دار المجتمع، جدة، ط٤، ١٤٠٧هـ.
- ٩٨ - عمرو، محمد عبد العزيز، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- ٩٩ - عمر، المختار، أطفال اليوم وكيف نربهم، مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله، تونس، ١٩٧٩م.
- ١٠٠ - عوض، محمد زكي، أطفالنا والتربية، الدار السعودية، جدة، ١٣٨٩هـ.
- ١٠١ - عيسوي، عبد الرحمن، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ١٠٢ - الغبرة، نبيه، المشكلات السلوكية عند الأطفال، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٣، ١٣٩٨هـ.
- ١٠٣ - الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٠٣هـ.

- ١٠٤ - الغضبان، منير محمد، إليك أيتها الفتاة المسلمة، مكتبة المنار، الأردن، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- ١٠٥ - فالتين، س.و.، الطفل الطبيعي، ترجمة محمد خليفة بركات ويوسف ميخائيل أسعد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ١٠٦ - فرويد، سيجموند، الذات والغرائز، ترجمة محمد عثمان نجاتي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦١م.
- ١٠٧ - فرويد، سيجموند، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام القفاش ومراجعة مصطفى زيور، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠م.
- ١٠٨ - فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية، تعريب وتعليق فاضل الحسيني الميلاني، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ.
- ١٠٩ - فوازو، برنار، نمو الذكاء عند الأطفال، ترجمة منير العصرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ١١٠ - فوستر، كونستانس، تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال، ترجمة خليل كامل إبراهيم ومراجعة وتقديم عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣م.
- ١١١ - فينكس، فيليب، فلسفة التربية، ترجمة وتقديم محمد لبيب النجيجي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢م.
- ١١٢ - قادري، عبدالله أحمد، الإسلام وضروريات الحياة، دار المجتمع، جدة، ١٤٠٦هـ.
- ١١٣ - القرضاوي، يوسف، الحلال والحرام في الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٤، ١٤٠٥هـ.
- ١١٤ - القرضاوي، يوسف، الوقت في حياة المسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- ١١٥ - القطان، احمد، واجبات الآباء نحو الأبناء، إعداد محمد الزين، مكتبة السندس، الدوحة، ط٣، ١٤٠٦هـ.
- ١١٦ - قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ.
- ١١٧ - قطب، محمد علي، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، مكتبة القرآن، القاهرة، ...
- ١١٨ - قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت، ط٧، ١٤٠٣هـ.
- ١١٩ - قطب، محمد، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، ١٤٠٧هـ.
- ١٢٠ - قمبر، محمود، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ.
- ١٢١ - قنديل، إبراهيم حامد وآخرون، الأوقات الحرة لدى الشباب السعودي (المنطقة الغربية)، مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- ١٢٢ - كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.
- ١٢٣ - الكاندهلوي، محمد زكريا، وجوب إعفاء اللحية، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ...
- ١٢٤ - الكتاني، محمد منتصر، معجم فقه السلف، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ.
- ١٢٥ - كجك، مروان، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ١٢٦ - كحالة، عمر رضا، النسل والعناية به، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

- ١٢٧ - لادل، ر. م.، مشكلات الطفولة، ترجمة السيد محمود زكي وإشراف وتقديم فؤاد البهي السيد، دار الفكر العربي، . . .
- ١٢٨ - لانديس، بول هـ. وجون هاير، التكيف الاجتماعي للأطفال، ترجمة السيد محمد عثمان وإشراف وتقديم عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢م.
- ١٢٩ - لوكمان، توماس، علم اجتماع اللغة، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٤٠٧هـ.
- ١٣٠ - ليونارد، شارلز و.، لماذا ينحرف الأطفال، ترجمة محمد نسيم رأفت وإشراف وتقديم عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٨٠م.
- ١٣١ - ماكبريد، و. ج.، الخوف، ترجمة سيد محمد غنيم وإشراف وتقديم فؤاد البهي السيد، دار الفكر العربي، . . .
- ١٣٢ - المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ.
- ١٣٣ - مبيض، محمد سعيد، أدب المسلم في العادات والعبادات والمعاملات، إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- ١٣٤ - محمد، محمد شوكت، المخدرات، آثارها السلبية وسبل مواجهتها، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، ١٤٠٧هـ.
- ١٣٥ - محمد، محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، دار الشروق، جدة، ١٤٠٥هـ.
- ١٣٦ - المرزوقي، آمال حمزة، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، تهامة، جدة، ١٤٠٢هـ.
- ١٣٧ - مركز أبحاث مكافحة الجريمة، المخدرات والعقاقير المخدرة،

- سلسلة كتب مكافحة الجريمة، الكتاب الرابع، وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ.
- ١٣٨ - المسلاتي، مختار خليل، أميركا كما رأيتها، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦هـ.
- ١٣٩ - المطوع، جاسم محمد بدر، الوقت عمار أو دمار، تقديم جاسم محمد الياسين، دار الدعوة، الكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ١٤٠ - المغربي، عبد القادر، الأخلاق والواجبات، المطبعة السلفية ومكبتها، القاهرة، ١٣٤٤هـ.
- ١٤١ - المليجي، عبد المنعم وحلمي المليجي، النمو النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٥، ١٩٧٣م.
- ١٤٢ - منصور، عبد المجيد سيد، الإدمان أسبابه ومظاهره (الوقاية والعلاج)، سلسلة كتب مكافحة الجريمة، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الكتاب الخامس، وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية، ربيع الآخر، ١٤٠٦هـ.
- ١٤٣ - منصور، محمد جميل وفاروق عبد السلام، النمو من الطفولة إلى المراهقة، تهامة، جدة، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- ١٤٤ - مهر، جورج، مواجهة الطفل للأزمات، ترجمة محمد خليفة بركات وإشراف وتقديم ومراجعة عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ١٤٥ - المودودي، أبو الأعلى، تفسير سورة النور، ترجمة محمد عاصم الحداد، الدار السعودية، جدة، ١٤٠٥هـ.
- ١٤٦ - المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، الدار السعودية، جدة، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- ١٤٧ - مونتاجيو، اشلي، كيف تساعد الأطفال على تنمية قيمهم الخلقية،

- ترجمة سامي علي الجمال ومراجعة وتقديم عبد العزيز القوصي،
مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٠م.
- ١٤٨ - مونرو، ماريون، تنمية وعي القراءة، ترجمة سامي ناشد ومراجعة
وتقديم عبد العزيز القوصي، دار المعرفة، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٨م.
- ١٤٩ - الميداني، عبد الرحمن حسن خبنكة، الأخلاق الإسلامية
وأسسها، دار القلم، دمشق، ١٣٩٩هـ.
- ١٥٠ - الميداني، عبد الرحمن حسن خبنكة، غزوفي الصميم، دار
القلم، دمشق، ١٤٠٢هـ.
- ١٥١ - نتو، إبراهيم عباس، أفكار تربوية، تهامة، جدة، ١٤٠١هـ.
- ١٥٢ - نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق،
بيروت، ١٤٠٢هـ.
- ١٥٣ - النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في
البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ.
- ١٥٤ - النحلاوي، عبد الرحمن، التربية الإسلامية والمشكلات
المعاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- ١٥٥ - نمر، كمال كامل، أضواء على أحوال خير أمة أخرجت للناس في
الولايات المتحدة الأمريكية، تقديم حيدر خوجلي محمد، دار البشائر
الإسلامية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ١٥٦ - الهاشمي، عبد الحميد محمد، أصول علم النفس العام، دار
الشروق، جدة، ...
- ١٥٧ - الهاشمي، عبد الحميد محمد، علم النفس التكويني (أسسه
وتطبيقاته)، دار الإرشاد، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢م.
- ١٥٨ - الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل، ...

- ١٥٩ - واصل، عبد الرحمن، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبة، . . . ، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- ١٦٠ - الوكيل، محمد السيد، الترويح في المجتمع الإسلامي، دار السلامة، . . .
- ١٦١ - ويتزمان، الياس، التربية الاجتماعية للأطفال، ترجمة فؤاد البهي السيد وإشراف وتقديم عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٩م.
- ١٦٢ - يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٧هـ.
- ١٦٣ - يكن، منى حداد، أبنائنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ١٦٤ - يونس، أحمد السعيد، طفلك في عامه الثامن، دار الكتاب الحديث، الكويت، . . .

ثالثاً: البحوث غير المنشورة:

- ١ - الجلال، عائشة عبد الرحمن، المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها، رسالة ماجستير، قسم التربية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ.
- ٢ - الخياط، عالية محمد، التلفزيون وتربية الطفل في البيئة السعودية، رسالة ماجستير، قسم التربية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ.
- ٣ - السلطان، عبد العزيز صالح، دراسة لبعض متغيرات الشخصية المرتبطة بالسلوك الإجرامي لمدمني المخدرات ومرتكبي السرقات في سجون المنطقة الشرقية، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ.

رابعاً: المجلات والدوريات:

- ١ - إبراهيم، محمد كامل، «أندية الروتاري وراء مقالات الدكتور محمد أحمد خلف الله»، مجلة المجتمع، العدد (٨٨٤)، الكويت، ٣ ربيع الآخر، ١٤٠٨هـ.
- ٢ - أيوب، وليد، «التلفزيون وأثره على الأطفال والمراهقين»، مجلة التربية، العدد (٣٣)، الإمارات، أكتوبر، ١٩٨٤م.
- ٣ - البار، محمد علي، «أعرب وأشجع تقرير لشركات التبغ يقول: نحن قتلة»، مجلة المجتمع، العدد (٨٦١)، الكويت، ١٨ شعبان، ١٤٠٨هـ.
- ٤ - البار، محمد علي، «المسكرات والمخدرات الخطر الداهم»، مجلة المجتمع، العدد (٨٣٨)، الكويت، ٢٠ صفر، ١٤٠٨هـ.
- ٥ - بدوي، عبد الحميد صادق، «الطفولة بين الاندفاع إلى الرشد وتأثير الثقافة المحلية»، مجلة التربية، العدد (١٠)، الإمارات، ابريل، ١٩٨١م.
- ٦ - البلالي، عبد الحميد، «أسباب الفاحشة وعلاجها (٣)»، مجلة المجتمع، العدد (٨٥٠)، الكويت، ١٥ جمادى الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٧ - جبر، نادرة صالح، «أهمية اللعب في العملية التربوية»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، الأردن، تموز - أيلول، ١٩٧٢م.
- ٨ - الجبيلي، أحمد، «نعم للحياة.. لا للمخدرات»، مجلة الشرق الأوسط، العدد (٦٦)، لندن، ٧ - ١٣ صفر، ١٤٠٧هـ.
- ٩ - الجراجرة، عيسى، «دور اللعب في التطبيع الاجتماعي للأطفال»، مجلة للتربية، العدد (٣٧)، قطر، صفر، ١٤٠٠هـ.
- ١٠ - جرادات، سالم، «الطفولة المبكرة»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، الأردن، شوال، ١٣٩٩هـ.

- ١١- جرادات، عزت، «تربية الطفل في الإسلام»، مجلة التربية، العدد (٧٤)، قطر، ربيع الأول، ١٤٠٦ هـ.
- ١٢- حاجي، حسين، «المخدرات في العالم الإسلامي إلى أين؟»، مجلة المجتمع، العدد (٧٥٥)، الكويت، ٩ جمادى الآخرة، ١٤٠٦ هـ.
- ١٣- الحريش، جاسر، «العقلية الكرتونية»، مجلة الإمامة، العدد (٩٨٩)، الرياض، ١ جمادى الآخرة، ١٤٠٨ هـ.
- ١٤- حمام، سامية، «أثر غياب الوالدين عن عالم الطفل»، مجلة التربية، العدد (٦٤)، قطر، رجب، ١٤٠٤ هـ.
- ١٥- حمام، سامية، «سمنة الأطفال تسبب التعاسة والمرض»، مجلة التربية، العدد (٧٤)، قطر، ربيع الأول، ١٤٠٦ هـ.
- ١٦- خربكوف، انطونيو، «التربية البدنية والنمو العقلي للأطفال»، ترجمة محمد كمال لطفي، مجلة مستقبل التربية، العدد (١)، اليونسكو، ١٩٨٠ م.
- ١٧- الدويك، محمد طالب، «التلفزيون وأثره على طفلنا الخليجي»، مجلة التربية، العدد (٧٥)، قطر، جمادى الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ١٨- الدويك، محمد طالب، «ظواهر لغة الطفل قبل دخول المدرسة»، مجلة التربية، العدد (٧٢)، قطر، ذوالقعدة، ١٤٠٥ هـ.
- ١٩- الدويك، يوسف الشيخ راتب، «الرياضة في الإسلام»، مجلة التربية، العدد (٧٢)، قطر، ذوالقعدة، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٠- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث العلمية، العدد (١٦)، الرياض، رجب - شعبان - رمضان، ١٤٠٦ هـ.
- ٢١- الرئاسة العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، مجلة

- البحوث العلمية، العدد (١٨)، الرياض، ربيع الأول - ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة، ١٤٠٧ هـ.
- ٢٢- رحاحلة، سليمان فياض، «السلوك العدواني عند الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (١)، الأردن، ذو الحجة - صفر، ١٣٩٤ هـ.
- ٢٣- الريس، سيد، «التربية السليمة واحترام النفس»، مجلة التربية، العدد (٢٧)، قطر، رجب، ١٣٩٨ هـ.
- ٢٤- زيدان، عبد القادر، «الغضب عند الأطفال»، مجلة التوثيق التربوي، العدد (١٠)، المملكة العربية السعودية، شوال، ١٣٩٥ هـ.
- ٢٥- سروري، نادرة أحمد، «أطفالنا أمام الشعور بالتملك»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٥)، الأردن، حزيران - تموز، ١٩٧٠ م.
- ٢٦- سروري، نادرة أحمد، «حماية أطفالنا من الغيرة»، مجلة رسالة المعلم، العددان (٥) و (٦)، الأردن، تشرين الثاني - كانون أول، ١٩٧١ م.
- ٢٧- السعود، راتب، «أهمية اللعب في التربية»، مجلة التربية، العدد (٣٤)، الإمارات، صفر، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٨- الشافعي، مدحت محمد، «من هدي الرسول في الوقاية من المرض»، مجلة البحث العلمي، العدد (٣)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ١٤٠٠ هـ.
- ٢٩- شاولي، أحمد توفيق، «القولبة أو التعليم عن طريق الملاحظة»، مجلة كلية التربية، العدد (٩)، مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، رجب، ١٤٠٢ هـ.
- ٣٠- الشراوي، حسن، «التربية النفسية في المنهج الإسلامي»، مجلة دعوة الحق، العدد (٣٥)، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، صفر، ١٤٠٥ هـ.

- ٣١- الشيخي، زينب، «الكذب عند الأطفال»، مجلة التربية والتعليم، العدد (٤)، الرباط، محرم - صفر، ١٤٠٣ هـ.
- ٣٢- الصويغ، محمد حمد، «الطفل والتربية الفنية»، مجلة التربية، العدد (٣٧)، قطر، صفر، ١٤٠٠ هـ.
- ٣٣- الطراونة، ساهرة النابلسي، «الغيرة عند الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، الأردن، شوال، ١٣٩٩ هـ.
- ٣٤- عابدين، جمال، «الطفل كيف نهذب في عاداته وميوله»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٢)، الأردن، تشرين الثاني - كانون الأول، ١٩٦٩ م.
- ٣٥- العادلي، فاروق محمد، «التربية وغرس القيم»، مجلة التربية، العدد (٧٢)، قطر، ذو القعدة، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٦- عدس، محمد عبد الرحيم، «بين الفشل والنجاح في المدرسة»، مجلة التربية، العدد (٣٣)، قطر، رجب، ١٣٩٩ هـ.
- ٣٧- عدس، محمد عبد الرحيم، «الحس الأخلاقي عند الأطفال»، مجلة التربية، العدد (٨٠)، قطر، ربيع الآخر، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٨- عطيات، محمد عبد الله، «أثر برامج التلفزيون على الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، الأردن، شوال، ١٣٩٩ هـ.
- ٣٩- غرابية، بيمان عنبري، «انحراف الأطفال كيف نعالجه»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٦)، الأردن، تموز - آب، ١٩٦٧ م.
- ٤٠- قاضي، علي، «الإسلام والتربية الجمالية»، مجلة التربية، العدد (٤٠)، قطر، شعبان، ١٤٠٠ هـ.
- ٤١- قاضي، علي، «الإسلام وتربية الطفل»، مجلة التربية، العدد (٣٨)، قطر، ربيع الآخر، ١٤٠٠ هـ.
- ٤٢- القطان، أحمد، «فساد الوسط الفني»، مجلة المجتمع، العدد (٨٨٨)، الكويت، ١٤ ربيع الأول، ١٤٠٩ هـ.

- ٤٣- اللحياني، مساعد منشط، «دراسة نفسية اجتماعية لبعض المتغيرات المرتبطة باعتياد تعاطي المسكرات»، مجلة كلية التربية، العدد (٩)، مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، رجب، ١٤٠٢ هـ.
- ٤٤- ليفير، ايمي، «التلفزيون للأطفال أكثر من محض تسلية»، ترجمة محمد هاشم الحسن، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، الأردن، رجب- رمضان، ١٣٩٦ هـ.
- ٤٥- مجلة التربية، «أهمية التخطيط لرعاية الطفولة»، العدد (٧٣)، قطر، محرم، ١٤٠٦ هـ.
- ٤٦- مجلة التربية، «دور التلفزيون الخليجي في توازن الثقافة والترفيه والتوجيه»، العدد (٦٦)، قطر، ذو القعدة، ١٤٠٤ هـ.
- ٤٧- مجلة التربية، «طفلك حائر بين تأخر النطق واللغة والثأثة»، العدد (٦٩)، قطر، جمادى الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- ٤٨- مجلة التربية، «المربية وشخصية الطفل»، العدد (٨٠)، قطر، ربيع الآخر، ١٤٠٧ هـ.
- ٤٩- مجلة التربية، «ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية»، العدد (٤٤)، الإمارات، ربيع الآخر، ١٤٠٦ هـ.
- ٥٠- مجلة الشرق الأوسط، «حرب المخدرات في مصر»، العدد (٦٦)، لندن، ٧-١٣ صفر، ١٤٠٨ هـ.
- ٥١- مجلة المجتمع، «أثر الخدم على سلوك ولغة الطفل»، العدد (٨٨٦)، الكويت، ٣٠ صفر، ١٤٠٩ هـ.
- ٥٢- مجلة المجتمع، «إلى وزارة الإعلام لمن تعزف إذاعات الإف إم في الخليج»، العدد (٨٣١)، الكويت، ١ محرم، ١٤٠٨ هـ.
- ٥٣- مجلة المجتمع، «خطر انتشار المربيات»، العدد (٨١٠)، الكويت، ٢٤ رجب، ١٤٠٧ هـ.

- ٥٤- مجلة المجتمع، «متى تتوقف حرب المخدرات على مصر الكنانة»، العدد (٩٠٢)، الكويت، ٢٤ جمادى الآخرة، ١٤٠٩ هـ.
- ٥٥- مجلة المجتمع، «المخدرات في الكويت»، العدد (٨٩٣)، الكويت، ١٩ ربيع الآخر، ١٤٠٩ هـ.
- ٥٦- مجلة المجتمع، «من الذي يدير الإعلام في أمريكا»، العدد (٨٤٦)، الكويت، ١٧ ربيع الآخر، ١٤٠٨ هـ.
- ٥٧- محمد، محمد صديق وشريف محمود الشريف، «أوقات الفراغ بين الإهمال والتخطيط»، مجلة التربية، العدد (٧١)، قطر، رمضان، ١٤٠٥ هـ.
- ٥٨- مراد، جوليا، «قصص الأطفال»، مجلة رسالة المعلم، العدد (٣)، الأردن، رجب - رمضان، ١٣٩٦ هـ.
- ٥٩- معمر، عيد، «أدب... وأدباء الطفولة»، مجلة التربية، العدد (٦٥)، قطر، رمضان، ١٤٠٤ هـ.
- ٦٠- ملخص، أمين، «الطفل واسمه»، مجلة رسالة المعلم، العدد (١)، الأردن، ذو الحجة - صفر، ١٣٩٤ هـ.
- ٦١- المنسي، محمد أحمد، «تربية الطفل بين الماضي والحاضر»، مجلة التربية، العدد (٥٥)، قطر، محرم، ١٤٠٣ هـ.
- ٦٢- نصار، محمد عبد الستار، «الطفولة في ضوء معطيات الإسلام»، مجلة التربية، العدد (٤١)، قطر، شوال، ١٤٠٠ هـ.
- ٦٣- نصار، محمد عبد السلام، «الوراثة والبيئة وأثرهما في تكوين الخلق»، مجلة التربية، العدد (١٩)، قطر، ١٣٩٧ هـ.
- ٦٤- النوري، عبد الغني عبد الفتاح، «التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة»، مجلة التربية، العدد (٧٤)، قطر، ربيع الأول، ١٤٠٦ هـ.

خامساً: الصحف:

- ١- إمام، إبراهيم، «نحو نظرة علمية هادئة للتأثيرات ومسللاته»، صحيفة الندوة، العدد (٨٩٠٣)، مكة المكرمة، ٢١ شوال، ١٤٠٨ هـ.
- ٢- صحيفة الجزيرة، «تجربة السعودية الناجحة لمحاربة المخدرات.. يمكن تطبيقها في العالم الإسلامي»، العدد (٥٥٧٦)، الرياض، ١٥ جمادى الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ٣- صحيفة رسالة الجامعة، «أثر مواد الفيديو على الأطفال من خلال استطلاع آراء وأقوال بعض أصحاب محلات بيع أشربة الفيديو في مدينة الرياض»، العدد (٣٦٦)، قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٥ شعبان، ١٤٠٨ هـ.
- ٤- صحيفة المسلمون، «أندية الشذوذ تهدد»، العدد (١٤٦)، لندن، ٢٩ ربيع الأول، ١٤٠٨ هـ.
- ٥- مراد، عزت، «الإدمان في ربيع العمر»، صحيفة البلاد، العدد (٨٨٣٢)، جدة، ١٢ شعبان، ١٤٠٨ هـ.

سادساً: الندوات والمؤتمرات:

- ١- أبو النصر، جولندا، «تنمية القراءة لدى الأطفال العرب»، ترجمة كمال توفيق الهلباوي، وقائع ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية عام ١٤٠٦ هـ، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٧ هـ.
- ٢- التوم، بشير حاج، «التربية والمجتمع»، سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٧٧ م، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣ هـ.
- ٣- حوטר، صلاح وآخران، «تحليل وتصنيف أغاني وأناشيد الأطفال بدول الخليج»، وقائع ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية عام

١٤٠٦ هـ، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٧ هـ.

٤- الدسوقي، فاروق أحمد، «مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال في دول الخليج العربي»، وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ عام ١٤٠٢ هـ، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.

٥- قطب، محمد، «النظرية التربوية الإسلامية»، بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية بمكة المكرمة عام ١٤٠٠ هـ، مركز البحوث التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ٢، ...

تم بحمد الله تعالى

المحتويات

٧	تقاريط
٩	إهداء
١١	شكر وتقدير
١٣	ملخص البحث
١٥	المقدمة
١٩	أولاً: موضوع البحث
٢٠	ثانياً: أهداف البحث
٢١	ثالثاً: أهمية البحث
٢١	رابعاً: حدود البحث
٢٢	خامساً: منهج البحث
٢٣	سادساً: الدراسات السابقة
٢٩	الفصل الأول: نظرة الإسلام إلى الأب المسلم
٣١	مقدمة
٣٣	المبحث الأول: مسؤولية الأب في تكوين الأسرة
٣٥	أولاً: اختيار الزوجة
٣٥	(١) الدين
٣٦	(٢) النسب
٣٧	(٣) السن
٣٨	(٤) الجمال
٣٩	(٥) التفرغ

٤٠	ثانياً: وليمة العرس
٤١	ثالثاً: أدب الدخول على الزوجة
٤٣	رابعاً: الترغيب في طلب الولد
٤٥	خامساً: قوامة الرجل
٤٦	سادساً: النفقة
٤٩	المبحث الثاني: مراعاة الأب لحقوق المولود الجديد
٥١	أولاً: مراعاة الزوجة أثناء الحمل
٥٣	ثانياً: إثبات النسب
٥٣	ثالثاً: الأذان في أذن المولود
٥٤	رابعاً: التحنيك
٥٥	خامساً: الرضاع
٥٧	سادساً: التسمية
٥٩	سابعاً: العقيقة
٦٠	ثامناً: الحلق
٦١	تاسعاً: الختان
٦٣	المبحث الثالث: مقومات شخصية الأب
٦٥	أولاً: القدوة
٦٨	ثانياً: الرحمة والحب
٧٠	ثالثاً: العدل
٧١	رابعاً: المخالطة
٧٤	خامساً: الحكمة في التوجيه
٧٦	سادساً: الدعاء والتضرع
٧٩	المبحث الرابع: مسؤولية الأب في التعليم والتأديب
٨١	أولاً: التعليم
٨٤	ثانياً: التأديب

٨٩	الفصل الثاني: مسؤولية الأب في التربية الخلقية
٩١	مقدمة
٩٩	المبحث الأول: الأخلاق مع الله
١٠١	أولاً: إيقاظ الفطرة
١٠٥	ثانياً: التعريف بنعم الله
١١١	ثالثاً: مراقبة الله
١١٧	رابعاً: الصلاة
١٢٠	(١) تعليم الوضوء
١٢٠	(٢) تعليم الصلاة
١٢٦	(٣) التعويد على صلاة الجماعة
١٣٢	(٤) الترغيب في صلاة الجمعة
١٣٥	خامساً: القضاء والقدر
١٤٥	المبحث الثاني: الأخلاق مع الرسول والأنبياء والملائكة
١٤٨	أولاً: الأخلاق مع الأنبياء
١٤٩	ثانياً: الأخلاق مع الرسول محمد ﷺ
١٤٩	(١) حب الرسول
١٥١	(٢) الأدب مع الرسول
١٥٣	(٣) طاعة الرسول
١٥٦	ثالثاً: الأخلاق مع الملائكة
١٦١	المبحث الثالث: الأخلاق مع النفس
١٦٤	أولاً: تحمل المسؤولية
١٦٧	ثانياً: البخل
١٧١	ثالثاً: حب التملك
١٧٣	رابعاً: الحياء
١٧٦	خامساً: الخوف

١٨١	سادساً: الغضب
١٨٥	سابعاً: الكذب
١٩٢	ثامناً: السرقة
١٩٦	تاسعاً: الكبر
٢٠٣	المبحث الرابع: الأخلاق مع المسلمين
٢٠٥	أولاً: الأخلاق مع العلماء
٢٠٩	ثانياً: الأخلاق مع الوالدين
٢١٥	ثالثاً: الأخلاق مع الإخوة والأخوات
٢٢١	رابعاً: الأخلاق مع الأقارب
٢٢٥	خامساً: الأخلاق مع الأصدقاء
٢٣١	سادساً: الأخلاق مع الخدم
٢٣٤	سابعاً: آداب الطريق
٢٣٩	ثامناً: آداب المجلس
٢٤٥	المبحث الخامس: الأخلاق مع غير المسلمين
٢٤٧	أولاً: الولاء والبراء
٢٥١	ثانياً: الاختلاط بالكفار
٢٥٤	ثالثاً: التشبه بالكفار
٢٥٩	رابعاً: التعريف بكيد الكفار
٢٦٢	خامساً: التعامل مع المرتدين
٢٦٦	سادساً: الدعوة إلى الله
٢٧١	المبحث السادس: الأخلاق مع الشيطان
٢٧٤	أولاً: التعريف بكيد الشيطان
٢٧٧	ثانياً: حفظ الأولاد من مس الشيطان
٢٧٧	(١) تعويد الأولاد بالأذكار
٢٧٩	(٢) تعليم الأذكار

٢٨٣	المبحث السابع : الأخلاق مع غير المكلفين
٢٨٦	أولاً : الأخلاق مع الحيوان
٢٨٦	(١) الرحمة بالحيوان
٢٨٨	(٢) اقتناء الحيوانات
٢٩١	(٣) طرق التعامل مع بعض الحيوانات
٢٩٤	(٤) إدراك الحيوان
٢٩٦	ثانياً : الأخلاق مع الجماد
٣٠٣	الفصل الثالث : مسؤولية الأب في التربية الفكرية
٣٠٥	مقدمة
٣٠٧	المبحث الأول : الملكات العقلية عند الولد وتنميتها
٣٠٩	أولاً : الذكاء عند الولد
٣١٣	ثانياً : القدرة على الحفظ
٣١٧	ثالثاً : طلب العلم
٣٢٢	رابعاً : الفروق الفردية
٣٢٥	المبحث الثاني : معوقات التربية الفكرية
٣٢٧	أولاً : التقليد الأعمى
٣٢٩	ثانياً : اتباع الهوى
٣٣١	ثالثاً : انحرافات المدرسة
٣٣٧	المبحث الثالث : وسائل التربية الفكرية
٣٣٩	أولاً : التلقين
٣٤١	ثانياً : تعليم اللغة والكلام
٣٤٥	ثالثاً : تعليم القراءة والكتابة
٣٤٩	رابعاً : القصص والروايات
٣٥٣	خامساً : التفكير في الكون

٣٥٩	الفصل الرابع : مسؤولية الأب في التربية الجسمية
٣٦١	مقدمة :
٣٦٣	المبحث الأول : آداب الأكل والشرب ومحظوراتهما
٣٦٦	أولاً : آداب الأكل
٣٧٠	ثانياً : مضار كثرة الأكل
٣٧٣	ثالثاً : آداب الشرب ومحظوراته
٣٧٥	رابعاً : التدريب على الصيام
٣٧٩	المبحث الثاني : النظافة والصحة العامة
٣٨٠	أولاً : النظافة في البدن والملبس
٣٨٧	ثانياً : المرض والتداوي
٣٩١	ثالثاً : آداب قضاء الحاجة
٣٩٥	المبحث الثالث : آداب النوم
٤٠٣	المبحث الرابع : اللباس وستر العورة
٤٠٥	أولاً : اللباس الجائز وآدابه
٤٠٨	ثانياً : اللباس المحظور
٤١٠	ثالثاً : الزينة ومحظوراتها
٤١٣	رابعاً : ستر العورة
٤١٧	المبحث الخامس : اللعب والرياضة
٤٢١	أولاً : أهمية اللعب والرياضة وفوائدهما
٤٢٣	ثانياً : أنواع اللعب والرياضات
٤٢٤	(١) الألعاب المباحة
٤٣٠	(٢) الألعاب الممنوعة
٤٣٥	ثالثاً : مكان اللعب والرياضة ووقتهما
٤٣٩	رابعاً : اختيار اللعبة

٤٤٣	الفصل الخامس: أهم العقبات التي تواجه الأب في طريق التربية الإسلامية .
٤٤٥	مقدمة :
٤٤٩	المبحث الأول: الانحرافات الجنسية أسبابها وعلاجها
٤٥٣	أولاً: مظاهر الانحرافات الجنسية
٤٥٣	(١) اللواط والشذوذ الجنسي
٤٦١	(٢) الزنا
٤٦٧	(٣) العادة السرية
٤٧٢	ثانياً: التربية الجنسية
٤٧٢	(١) الاستئذان وآدابه
٤٧٥	(٢) المعلومات الجنسية
٤٧٩	المبحث الثاني: التلفزيون
٤٨٢	أولاً: انتشار التلفزيون والشغف به
٤٨٤	ثانياً: واقع البرامج التلفزيونية
٤٨٤	(١) واقع برامج الكبار
٤٨٨	(٢) واقع برامج الأطفال
٤٩٣	ثالثاً: أضرار التلفزيون
٤٩٦	رابعاً: حل مشكلة التلفزيون
٥٠٩	المبحث الثالث: الغناء والموسيقى
٥١٢	أولاً: واقع الغناء والموسيقى
٥١٤	ثانياً: الأضرار النفسية والخلقية للغناء والموسيقى
٥١٧	ثالثاً: حكم الغناء والموسيقى
٥٢٠	رابعاً: حكم الحداء والإنشاد
٥٢٥	المبحث الرابع: المخدرات
٥٢٨	أولاً: واقع انتشار المخدرات

٥٣١	ثانياً: أسباب تعاطي المخدرات
٥٣٤	ثالثاً: حكم تعاطي المخدرات
٥٣٦	رابعاً: مضار التدخين وحكمه وطرق التخلص منه
٥٤١	المبحث الخامس: الطلاق
٥٤٣	أولاً: أهمية دور الأم في التربية
٥٤٥	ثانياً: الصبر على النساء
٥٤٦	ثالثاً: أضرار الشقاق بين الزوجين
٥٤٧	رابعاً: الطلاق السني
٥٥٠	خامساً: أضرار الطلاق على الأولاد
٥٥٣	المبحث السادس: خطر الخادمت الأجنبيات
٥٥٦	أولاً: خطر الخادمة الأجنبية على العقيدة
٥٥٧	ثانياً: خطر الخادمة الأجنبية على الأخلاق
٥٥٩	ثالثاً: خطر الخادمة الأجنبية على الثقافة
٥٦١	رابعاً: مواصفات الخادمة المناسبة
٥٦٥	المبحث السابع: الفراغ
٥٦٨	أولاً: أهمية الوقت
٥٦٩	ثانياً: أسباب وجود الفراغ وخطره
٥٧١	ثالثاً: سبل استغلال الوقت
٥٧٥	النتائج والتوصيات
٥٨١	الفهارس:
٥٨٣	أولاً: فهرس ألفاظ الآيات القرآنية
٥٩١	ثانياً: فهرس ألفاظ الأحاديث النبوية والآثار
٦٠٥	ثالثاً: فهرس الأحاديث والآثار الواردة بالمعنى

٦١١	قائمة المراجع :
٦١٢	أولاً: المصادر
٦٢٤	ثانياً: المراجع
٦٣٩	ثالثاً: البحوث غير المنشورة
٦٤٠	رابعاً: المجلات والدوريات
٦٤٦	خامساً: الصحف
٦٤٦	سادساً: الندوات والمؤتمرات
٦٤٩	المحتويات